



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة قاصدي مرباح ورقلة  
كلية الآداب و اللغات  
قسم اللغة و الأدب العربي



أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة و الأدب العربيّ  
تخصّص: الفكر النحوي و اللسانيات.

**التفكير اللساني العربي المعاصر:**

**اتجاهاته، قضاياها، و آفاقه.**

**دراسة تحليلية في ضوء نظرية المعرفة العلمية.**

إشراف الأستاذ الدكتور:  
عبد المجيد عيساني

إعداد الطالب:  
عبد الكريم جيدور

**لجنة المناقشة:**

رئيسا	أ.د- حسيني أبو بكر
مشرفا و مقرا	أ.د- عيساني عبد المجيد
مناقشا	د- مسعود غريب
مناقشا	د- غزيل بلقاسم
مناقشا	د- عادل محلو
مناقشا	د- أحمد الشايب عرباوي

السنة الجامعية: 2016 / 2017م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

آل عمران 191

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

الْوَسْمَانِ وَالْوَالِدَاتِ إِذَا حَمَلْنَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ﴾

الروم 22

## مُقدِّمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

التفكير اللسانيّ العربيّ المعاصر هو الموضوع الذي تناقشه هذه الدراسة، من خلال مقارنة تحليليّة تقويمية تُلقي الضوء على ثلاثة من أكبر جوانبه؛ الاتجاهات، القضايا، و الآفاق المُستقبلية.

و بما أن حضور اللسانيات في الخطاب العربي يسجّل تاريخًا ناهز الخمسين سنة، امتد فيها هذا العلم كما و نوعا، و تكاثر فيه الباحثون، و تراكمت فيه الدراسات و الأبحاث، و ظهرت الاجتهادات و النظريات، كما ظهر أيضا الاتفاق و الاختلاف. من أجل ذلك كان من المنطقي لطلاب هذا الميدان و للباحثين و المختصين الوقوف في هذه المرحلة الهامة، مع هذا الكم المتدفق من الجهود المتواصلة و قفة لاثقة؛ لفهم الذات الباحثة، و تعلم الدروس المُناسبة، و التساؤل عن موقفنا النقدي تجاه هذا الثراء المعرفي الذي تستقبله المكتبات في الكليات و المعاهد عاما تلو عام.

إن الإشكالية الرئيسة التي تطرحها هذه الدراسة في ضوء المعطيات السابقة تمت صياغتها على النحو الآتي: كيف نُقيّم الخمسين سنةً الأخيرة من الجهود العلمية العربية في اللسانيات لنخرج بتصورٍ واضحٍ عن مستقبل هذا الميدان و متطلبات المرحلة القادمة من الجهود؟

تم تقسيم الإشكالية الرئيسة إلى أربع إشكاليات جزئية على النحو الآتي:

أولاً: ما هي المقاربة المنهجية التي تتيح التعامل مع المنتج اللساني الحديث و تقييمه؟

ثانياً: ما هي الاتجاهات الرئيسة التي سلكها اللسانيون العرب المعاصرون في التفكير و التنظير و معالجة المشاكل؟

ثالثاً: ما هي أبرز قضايا اللسانيات العربية التي شغلت اللسانيين العرب خلال الفترة المعاصرة؟

رابعاً: كيف تصوّر اللسانيون العرب المرحلة المستقبلية من نشاطهم؟ و ما هي الاقتراحات التي قدموها في هذا المجال؟

نسجل في هذا المقام أن مصطلح "التفكير اللساني" الذي استُخدم بطريقة أساسية في هذه الدراسة، يعبر عن ثلاثة معانٍ محدّدة كالاتي: الانشغال و التفرغ و القيام بنشاطات ذهنية معينة في مجال اللسانيات العربية، العمليات العقلية المطلوبة لإنجاز هذا الانشغال من حيث مكوناتها و ترتيباتها و مستوى فعاليتها، إضافة إلى الجهد المادي المنجز عن طريق هذا الانشغال و بواسطة هذه الأدوات العقلية. هذا الإنجاز الذي أطلقنا عليه مصطلح "الخطاب اللساني" عندما يتعلق الكلام بجانبه الحركي الذي له مظاهر متعددة؛ ابتداءً من البحوث المُحرّرة و الدراسات المنشورة، و صولاً إلى الحوارات و المحاضرات و نظائرها من الخطاب الشفوي. كما أطلقنا على هذا الإنجاز مصطلح "التراكم" للإشارة إلى خاصية أساسية فيه و هي تفاعله مع الخط الزمني في البُعدين الكمي و النوعي، للتنويه إلى ما يفرضه ذلك من تجديد و ابتكار في الأدوات و المناهج الخاصة بمراقبة هذا الإنجاز و الإحاطة بتعقده و توسعه المتزايد.

الجدير بالذكر أن الدراسة ستركز في النشاطات التحليلية و التقييمات النقدية على أصول المنهج المقارن، مع الاعتماد على الأطروحة الاستقرائية كونها تتيح التتبع التفصيلي للمعطيات. و بناء على ذلك، سنحاول في الفصل الأول الإجابة عن الإشكالية المبدئية المتعلقة بكيفية الاقتراب من الخطاب اللساني العربي الذي تراكم على مدار الخمسين سنة الأخيرة، فقدمنا المقاربة المعرفية التي اخترناها للوفاء بهذا المطلب، و أوردنا توضيحات تبرّر هذا الاختيار، منها إمكانية الدمج في إطار واحد بين مناهج عديدة كالاستقراء و الإحصاء و المقارنة، و أهم من ذلك فتح المجال لاستنباط النموذج المعرفي الذي يحكم نشاط الباحثين، و يحدد الكثير من اختياراتهم المنهجية و المفاهيمية.

إن الفرضية الأساسية التي طرحناها بالتوازي مع استخدام المقاربة المعرفية هي فحص الاحتمال القائم حول إمكانية إجراء تعديلات محددة و جوهرية على مستوى النشاط العلمي المرتبط باللسانيات العربية لتغيير الضوابط و الآليات التي تحكم الحالة الراهنة، و بمعنى آخر: إذا

عرفنا مكونات النموذج المعرفي الذي يسيطر على نشاط التفكير و البحث و التكوين فمن الممكن التدخل بصفة معقولة لإعادة بناء كل هذه المنظومة بما يُفضي إلى تحسين أدائها.

ثم نتطرق في الفصل الثاني إلى معالجة الإشكالية الثانية الخاصة بالاتجاهات، و في هذا المجال سنركز على مجاميع الرأي لا على النظريات و التصورات الفردية، و قد رتبنا هذه الاتجاهات على أساس قوة تأثيرها في المجتمع اللساني العربي، و تقدير الناشطين في هذا المجال لما يترتب عليها في النهضة اللسانية العربية، أو في برنامج البحث و التكوين المستقبلي. فتكونت منظومة من خمسة اتجاهات نثبتها هنا بحسب ترتيبها في الدراسة: الاتجاه التأسيسي، الاتجاه الإجرائي، الاتجاه التكويني، الاتجاه المهني، الاتجاه النقدي. و قد التزمنا إطارا منهجيا موحدا في مناقشة هذه الاتجاهات، ليكون بالإمكان استنتاج تقييم عام حولها، ينطلق هذا الإطار من التحقق حول وجود الاتجاه المذكور في الفكر اللساني العربي المعاصر، ثم محاولة تأصيل المفهوم الأساسي الذي يدعو إليه (التأسيس، الإجراء، التكوين، المهنية، النقد)، ثم عرض نماذج من الاقتراحات النظرية و المشاريع التطبيقية التي تبنت هذا الاتجاه، ليُختم التحليل بتقييم عام لهذه التجربة.

في الفصل الثالث سنركز على أمهات القضايا التي اتفق جمهور الباحثين على طرقها، و سنحاول التأكيد بأن المنبع الأول للتفكير اللساني العربي هو التفكير في اللسانيات بوصفها حالة أو إنتاجا عربيا متميزا، و يتفرع هذا المنبع إلى روافد صغيرة تارة تتباعد و طورا تتقارب بناء على مواقف أصحابها من أكبر مكونين؛ اللسانيات و اللغة العربية.

في التعامل مع القضايا الراهنة للغة العربية، فقد لاحظنا وجود ثلاثة أنماط تحرك التفكير اللساني؛ النمط البراغماتي أو التصاعدي، النمط الواقعي التنازلي، و النمط المركزي. ينطلق الأول من المقارنة و ضرورة مقايسة البحث العلمي في اللغة العربية بما هو معمول به في التجارب اللسانية العالمية الأخرى، و الهدف هنا هو عوامة اللغة العربية و التحاقها بالنادي الدولي للغات. النمط الثاني مُنكب على الوضع السوسيوثقافي للغة العربية في قطاعات الحياة المباشرة، بتعقُّب دور اللغة العربية و طبيعة توظيفها، و أنواع الصعوبات و المشاكل التي تواجه

مستعملها في مختلف المجالات و المرافق المحلية. النمط الثالث يعالج اللغة في حد ذاتها - كما يزعم أصحابه- فينطلق من صورة اللغة الأدائية بغير تكييف، و يطبق مناهج و أدوات متنوعة للتحليل و الوصف و الكشف و التفسير، يقول بعض رواده إن مهمتنا كلسانيين هي دراسة اللغة و فهمها و التعبير عن مكوناتها بلغة العلم، و ليس من مهامنا التفلسف حول اللغة، أو الشكوى و التبرم من معضلاتها التداولية، لأننا حينئذ نفتحم أسوار تخصصات أخرى وظيفتها و مهمتها البحث و التحقيق حول هذه الجوانب.

في الفصل الرابع حاولنا الوقوف عند الحدود مع المستقبل القريب لهذا المجال، فسجلنا في المبحث الأول العناصر الجديدة و المتجددة التي طرأت على بنية المعرفة اللسانية العالمية، و المكونات الإضافية التي تتحكم في البحث و التكوين.

كما حاولنا توضيح قيمة التكنولوجيا و شدة اندماجها في البحث اللغوي المعاصر، و أشرنا إلى الإنترنت بصفة خاصة، مع دراسة حول واقع اللغة العربية في هذا المصدر المعلوماتي الكبير، كما أثبتنا العديد من الآراء و الاجتهادات العربية التي حاولت أن تقارب هذه المسألة.

فيما يخص المصادر المتجددة، نقلنا طرفا من التطورات الهامة التي حصلت في النظريات اللسانية الأساسية؛ كالتطورات المستجدة على النظرية التحويلية التوليدية و نظرية الدلالة التصورية. الهدف من ذلك كله أن نصنع ترسيمةً لمصادر المعلومات التي يحتاجها الباحث و الطالب في اللسانيات العربية، لأن معرفة هذه المصادر و قيمتها و مدى نفوذ اللغة العربية إليها هو أول عدة التفكير المنهجي، ثم إننا في حاجة ماسة لأن نكون على بينة من أمرنا فيما لنا و ما علينا، و لندخل جديا في حالة من الوعي بالزمن العلمي الذي نحيا بين أكنافه.

و ينبغي الإقرار أنه في كل جهد علمي يكون المرء مدينا لغيره من الباحثين و العلماء الذين سلكوا الطريق من قبله، لذلك ثبت في هذا المقام استفادتنا الخاصة من بحوث: "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، و اللسانيات العربية الحديثة، و اللسانيات العربية" للباحث المغربي مصطفى غلفان، و بحث: "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة" لحافظ

إسماعيلي علوي. كما استفدنا أيضا بصورة أشمل من جهود علماء اللسانيات العربية المعاصرين الذين نخص منهم بالذكر: الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح، المغربي عبد القادر الفاسي الفهري، الأردني نهاد الموسى، والتونسي عبد السلام المسدي، و السوري مازن الوعر.

إن هذا البحث و الباحث في حد ذاته مدين بكل الفضل للأشخاص الذين دعموه و وضعوا ثقتهم في شخصه، و شجعوه على العمل فيه، لذلك يجب أن نقر بالسند المادي و المعنوي الذي أحاطنا به الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عيساني، لقد كانت نزعتة الإجرائية، و رغبته الشديدة في تبسيط المشكلات المعقدة و اختيار اللغة التعبيرية السلسة، من أعظم الدروس التي أخذناها عنه.

و لكل أستاذ في قسم اللغة و الأدب العربي في جامعة قاصدي مرباح بولاية ورقلة إضافة و لمسة خاصة في هذا البحث، و لزملائي المخلصين الذين قضيت معهم أمتع الأوقات في الطلب و الدراسة إمدادات تتقاصر العبارات عن توقيعها، لكنني أخص بالذكر الأستاذ مبروك بركات و أشكره على وفائه خلال هذه السنوات الأخيرة.

عبد الكريم جيدور.

تقرت-الجزائر: يوم السبت 30 جويلية 2016م.

# الفصلُ الأوَّلُ:

## المُقارِبَةُ المعرفيَّةُ في التَّفكيرِ اللِّسانيِّ العربيِّ المُعاصرِ

المبحثُ الأوَّلُ: ملاحظاتٌ أساسيَّةٌ حولَ نظريَّةِ المعرفةِ العلميَّةِ.

المبحثُ الثاني: الجهودُ العربيَّةُ في توظيفِ المقارِبَةِ المعرفيَّةِ.

المبحثُ الثالث: المقارِبَةُ المعرفيَّةُ في هذهِ الدراسةِ.

المبحثُ الرَّابِع: تقييمُ المقارِبَةِ المعرفيَّةِ في التفكيرِ اللِّسانيِّ العربيِّ المُعاصرِ.



## المبحث الأول:

### ملاحظات أساسية حول نظرية المعرفة العلمية.

اعتمدت هذه الدراسة على المقاربة المعرفية المعروفة أيضا بالإبستمولوجيا بوصفها إطارا نظريا متكاملًا يسمح في داخله بإجراء عمليات منهجية كثيرة و تحقيق التكامل فيما بينها؛ فهو يسمح مثلا بالرصد الاستقرائي و المقارنة و تحليل المعطيات و التقييم، كما يسمح هذا الإطار أيضا باستنباط النموذج المعرفي الذي تسترشد به العقول اللسانية العربية بطريقة عملية. لذلك سيتم في هذا الفصل الأول تقديم المقاربة المعرفية بصفة عامة، و سيتم توضيح أبرز الجهود العربية المبذولة في هذا الإطار، ليختم الفصل بعرض التصور المعرفي الخاص الذي نقدمه في هذه الدراسة، و الذي سيتم تطبيقه في الفصول الثلاثة اللاحقة.

### أولا. نظرة عامة:

تطوّرت نظرية المعرفة<sup>1</sup> العلمية بوصفها فرعا من الفلسفة العامة يهتم بقضايا التراكم العلمي، ثم انفصلت تدريجيًا عن كل من الفلسفة العامة و فلسفة العلوم، و هي حاليًا فرع علمي له استقلاله من حيث المجال و الموضوعات، و من حيث مناهجه التحليلية و طرقه في المعاينة و الرصد و بناء الأسس المنطقية و الإجرائية لأدوات البحث و تقنياته.

<sup>1</sup> - نظرية المعرفة (épistémologie) كلمة مؤلفة من جمع كلمتين أصلهما يوناني؛ logos = علم، epistem = (حديث/نقد/دراسة). و أكثر المختصين في هذا المجال يرون أن نظرية المعرفة هي دراسة نقدية للعلوم. و هناك مصطلح (theory of knowledge) و هو ترجمة إنجليزية لمعنى المصطلح الأول، لكن هذا الأخير انتشر و أخذ الأول بسبب قوة تأثير اللغة الإنجليزية في البحث العلمي المعاصر. أما المعنى فلا خلاف فيه بينهما. أنظر: محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1986م، ص253. المدير بالذكر أنه كان هناك تمييز تصنيفي بين نظرية المعرفة و الإبستمولوجيا، و هو تمييز فرنسي، على أساس أن الثانية تبحث في جنس واحد من المعرفة و هو المعرفة العلمية، و قلة المفكرون الكبار من شأن هذا التمييز، و كان جون بياجيه يرى بأن كل نظرية إبستمولوجية ستؤول إلى نظرية في المعرفة طال الزمن بها أو قصر. أنظر: عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، الدار المصرية اللبنانية-القاهرة، ط1-1420هـ/1999م. ص28-31.

و قد أكد العديد من مؤرخي العلوم المعاصرين أن التطورات العلمية الكبيرة التي شهدتها العلم البشري خلال مطلع القرن العشرين، لا سيما التطورات الثورية في الفيزياء و المنطق الرياضي<sup>1</sup>، إضافة إلى التطورات الأساسية في العلوم الإنسانية و ظهور اللسانيات العامة و نظرياتها المحددة في النظرة إلى التواصل البشري، كل ذلك كان له أبلغ الأثر في ظهور التوجهات النقدية داخل كل فرع علمي، ثم محاولة بناء إطار شامل لتقييم التجربة العلمية المعاصرة فيما سُمي أولاً بفلسفة العلم ثم نظرية المعرفة و الإبيستيمولوجيا<sup>2</sup>. و معنى هذا الكلام أن ظهور هذا التخصص لم يكن طفرة استثنائية، بل كان نتيجة منطقية لتضافر العديد من العوامل من فروع و اختصاصات متنوعة، و كان على الأرجح ضرورة أنتجتها الظروف المذكورة آنفاً.

تبحث نظرية المعرفة في مبادئ المعرفة الإنسانية؛ طبيعتها، مصادرها، قيمتها، و حدودها. و تبحث أيضاً في الصلة بين الذات المدركة و موضوع الإدراك<sup>3</sup>. كما تناقش الأفكار و الآراء المتصلة بأشكال المعرفة و مناهجها. و تخصص مجالاً واسعاً لقضية "الحقيقة" و وسائل بلوغها<sup>4</sup>، و بالجملة فهي مبحث نقدي في مبادئ العلوم و أسسها، و على وجه الخصوص الأسس المنطقية لهذه المبادئ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين العديد من النظريات الكبيرة التي هزت المجتمع العلمي و زعزعت المنظورات التقليدية في الملاحظة و الاستدلال، و أبرز هذه النظريات نظرية النسبية لألبرت اينشتاين، و نظرية ميكانيكا الكم التي عمل عليها الكثير من علماء الفيزياء و الرياضيات في تلك الفترة أبرزهم الألماني ماكس بلانك و الدانمركي نيلز بور. و قد شغل المجتمع العلمي بهذه التطورات و النقاشات المنهجية و الفلسفية التي رافقتها. للتفصيل في تأثير هذه النظريات على نظرية المعرفة العلمية أنظر: ستيفن هوكنج، تاريخ موجز للزمان: من الانفجار الكبير إلى الثقوب السوداء، تر: مصطفى فهمي، ص22.

<sup>2</sup> - أنظر في هذا الصدد: أليكس روزنلر، فلسفة العلم: مقدمة معاصرة، تر: أحمد عبد الله السماحي و فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011م، ص 25 و ما بعدها.

<sup>3</sup> - المعجم الفلسفي، مجمع القاهرة، ط 1979م، ص 203.

<sup>4</sup> - الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد صادق، دار القلم-بيروت، ص475-476.

<sup>5</sup> - جان بياجيه، الإبيستيمولوجيا التكوينية، تر: السيد نفاي، دار التكوين-دمشق، و دار العالم الثالث-القاهرة، ط1-2004م، ص24. و مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط3، 1979م، ص2.

و من المباحث الأساسية في مجال إمكان المعرفة: وجود الذات العارفة أي: العقل و مبادؤه، و وجود الموضوع أي: <sup>1</sup>العالم الخارجي، و هو الظواهر القابلة للمعينة و الرصد و التحقيق<sup>2</sup>، ثم وجود العلاقة المعرفية. إن العديد من المذاهب تبحث في هذا المجال منها: مذهب الشك (scepticism) الذي تنهض فرضيته الأساسية على إنكار المعرفة وجودا و إمكانا و تطورا، ثم إعادة إثباتها عن طريق البرهان بعكس النقيض<sup>3</sup>. في المقابل، ينطلق مذهب اليقين البحث (dogmatisme)<sup>4</sup> من أن وجود المعرفة و تطورها لا مجال للشك فيه لكثرة البراهين الدالة عليه، إضافة لتواترها و اتفاق الجمهور الغفير من العلماء على ذلك.

إضافة لما سبق يؤكد فريق آخر من الباحثين المعاصرين<sup>5</sup> أن الموضوع الأساسي لنظرية المعرفة -بالإضافة إلى طبيعة المعرفة- هو قضية الإقناع (justification)، بمعنى: العلل و الأسباب القوية لدراسة المعرفة، أو لوجود المعرفة في حد ذاتها<sup>6</sup>. لأنها إن كانت موجودة و قبلنا بذلك، فلا بد لهذا الوجود أن تكون له حكمة وظيفية يختص بها تميزه عن غيره من الموجودات. و تنقسم المعرفة بناء على هذا التصور إلى معرفة واضحة بذاتها (explicit) و هي

<sup>1</sup> - حسب اصطلاح الفلاسفة العرب: الأذهان و الأعيان.

<sup>2</sup> - موضوع نظرية المعرفة هو التحقق من وجود و إمكان المعرفة في إطار الأسس و المقاييس المنطقية و لا تنطرق أبدا إلى الأسس و الخلفيات النفسية و الوجدانية، و لذلك فإن نشاطها يعتمد على الرصد و الملاحظة و جمع البيانات كنشاط البحث العلمي، و لا تكتفي بالتأمل المجرد.

<sup>3</sup> - كما فعل ديكارت مثلا في بحثه المشهور: مقال حول الطريقة. و الطريقة التراجعية في البرهان من أشهر الطرق في الاستدلال المنطقي عموما، و الاستدلال الرياضي على جهة الخصوص. أنظر في تحليل الموقف المعرفي و الرياضي من هذا البرهان: هنري بوانكاريه (poincare Jules-Henri 1854-1854)، العلم و الفرضية، تر: حمادي بن جاء الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1-2002م، ص79-91. و هو يرى مثلا أن الاستقراء الرياضي (الاستدلال بالتراجع) مُلزم و غير قابل للدحض لأنه تعبير عن خاصية من خواص الفكر و ليس له تعلق بالعالم الخارجي. ص91 و ما بعدها.

<sup>4</sup> - أنظر: محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1986م، ص256-258.

<sup>5</sup> - أكثرهم ينتمون إلى المدرسة الأنجلوسكسونية التي لها تقاليد ضافية في هذا الميدان.

<sup>6</sup> - أنظر: Robert Audi: Cambridge Dictionary of Philosophy, Cambridge University Press, edu 1999: p273.

البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان يؤكددها، فهي أواليات لا ينزل العقل تحتها<sup>1</sup>، و معرفة غير بديهية (implicit) تحتاج إلى برهان يُسنددها.

إن البحث في مبررات المعرفة؛ إمكانا و وجودا و حدودا و تطورا، قد تم في إطار العديد من الأفكار و التصورات، و في أوروبا و الولايات المتحدة هناك تاريخ طويل لهذا المجال من البحوث بدءاً من المحاولة الديكارتية لتأسيس مذهب الشك المنهجي، ثم المذهب التجريبي و مذهب الواقعية المباشرة، وصولاً إلى النظرية التمثيلية للإدراك و الواقعية التمثيلية و الظاهرية و كذا المذهب النسبي. كل مذهب من المذاهب السابقة يشكل إطاراً للعديد من النظريات و الاقتراحات البناءة التي وجدت فرصاً لائقة للتطبيق المفيد داخل الفضاء الواسع للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، و لا سيما في اللسانيات بفروعها و كذا علم النفس و التربية و الاجتماع.

أما الاتجاه الأكثر حداثة فهو المرتبط بإحدى أهم النظريات المسماة: **نظرية المعرفة المعيارية**<sup>2</sup> التي تنقسم بدورها إلى ثلاث اتجاهات فرعية؛ الاتجاه التأسيسي (foundationalism)، و الاتجاه الاتسافي (coherentism) و الاتجاه الوثوقي (reliabilism)<sup>3</sup>. فالأول يبحث في اكتشاف الأسس و المقاييس التي تجعل المعرفة كما هي عليه، و تحدد برنامجه مؤخرًا في اكتشاف الأنماط و النماذج المعرفية<sup>4</sup> و هي عبارة عن نماذج تمثيلية للعلم الناجح. و المفكر كون يميز في هذا الإطار بين **العلم العادي** (normal science) و **العلم الثوري** (revolutional science)؛ فالعلم العادي يعبر عن النشاط العلمي الذي يشتغل به معظم العلماء و يستهلك أكثر أوقاتهم، و يتألف من العمل و التفكير بحدود و مضامين النموذج المعرفي السائد في

<sup>1</sup> - مثل المفاهيم الرياضية لأنها موضوعة لا على التعيين فهي أواليات لما فوقها.

<sup>2</sup> - نظرية المعرفة المعيارية: *Épistémologie Normative/ Normative epistimology*

<sup>3</sup> - كريس هونر و إمريس ويستاكوس: التفكير فلسفياً. تر: ليلي الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ط2011م، ص55-106.

<sup>4</sup> - النماذج المعرفية: paradigms. مصطلح قديم ذو أصول يونانية. ارتبط حضوره المكثف في البحث العلمي المعاصر بجهود العالم الأمريكي توماس كون (1922-1996م)، أحد أبرز الإبيستيمولوجيين المعاصرين. أبرز كتبه في هذا المجال: بنية الثورات العلمية. تر: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة و العلوم و الآداب، الكويت، 1992م.

حقل معين، و من أمثلته الشهيرة حالياً مشروع الهندسة الوراثية و بحوث الاستنساخ. أما العلم الثوري فإنه يتطلب الاستجابة إلى مشكلات تظهر بواسطة العلم العادي تقود إلى مآزق نظري ضمن حقل من الحقول، فيسعى العلم الثوري إلى حل المآزق بإنشاء نموذج معرفي جديد. و يمكن القول بأن العلم يتألف من ثورات دورية، أو تحولات في النماذج المعرفية<sup>1</sup>.

و الاتجاه الثاني (الاتساقى) يبحث في عوامل و مؤشرات تماثك المعرفة و انسجامها. و يمكن القول بأن الفكر العلمي الغربي قد تخلص تدريجياً من المباحث الميتافيزيقية التي كانت مُقحمةً على هذا الميدان و خاصة مشكلة وجود المعرفة.

أما الاتجاه الثالث (الوثوقي) فإنه يبحث في تطوير الغطاء الإقناعي و البرهاني للمعرفة، و من مجالات بحثه الحالية تطوير مقاييس الاستدلال و التحقيق في حد ذاتها. و من الأفكار الأساسية المقترحة في هذا الإطار؛ فكرة الثنائية<sup>2</sup> و هي النظرة التي تصر على وجود شيئين منفصلين في كل الكائنات، و هذه الثنائية هي علة التجديد و التوليد<sup>3</sup>، أما الواحد الأصم فلا يتطور إلى اثنين فضلاً عن الثلاثة، فالحد الأدنى لأي تطور في الموجودات وجود عنصرين اثنين بينهما اختلاف نسبي ينشأ عن تفاعلها عنصر جديد و هكذا تتسلسل الدورة الإنتاجية.

و من أدق مناهج البحث الوثوقي الطريقة الفرضية الاستنتاجية<sup>4</sup> و هي محاولة لدحض فرضية تم إنشاؤها ليثبت عدم نجاح الدحض أن الفرضية صحيحة بنسبة معينة على أقل تقدير. و ينطلق هذا التصور من الفكرة التي تقول بأن العلم يتقدم عبر سلسلة من التخمينات و الرفض المقصود<sup>5</sup>. و الخلاصة العامة لهذا المنظور أن ما يميز المعرفة العلمية عن بقية المعارف الشائعة الأخرى هو عدم قبولها للدحض بصورة كاملة.

<sup>1</sup> - كريس هونر و إمريس ويستاكوس: التفكير فلسفياً، ص 190-191.

<sup>2</sup> - الثنائية = dualism، و في الرياضيات و نظرية الحوسبة يستخدم مصطلح: binary و يعني النظام الثنائي (1/0).

<sup>3</sup> - كريس هونر و إمريس ويستاكوس: التفكير فلسفياً، ص 110.

<sup>4</sup> - الطريقة الفرضية الاستنتاجية (hypothetico-deductive method)

<sup>5</sup> - كريس هونر و إمريس ويستاكوس: التفكير فلسفياً، ص 178-179.

تمرّ الطريقة الفرضية الاستنتاجية في نمطها القياسي الذي اقترحه كارل بوبر<sup>1</sup> بخمس خطوات أساسية نوضحها كما يلي:

1. صياغة فرضية (أ).
  2. استنباط نتيجة (ب).
  3. التحقق من حدوث (ب) عن طريق التجربة و الملاحظة...
  4. إذا لم تحدث (ب) يجب أن تكون (أ) خاطئة ⇨ تشكيل فرضية جديدة.
  5. إذا حدثت (ب) يجب أن تكون (أ) مثبتة إلى درجة معينة.
- (استكمال التحقق يتطلب تكرار الخطوة (3) أكثر فأكثر).

#### جدول 1- خطوات الطريقة الفرضية الاستنتاجية

يتضح مما سبق أن الموضوع الأساسي لنظرية المعرفة العلمية هو العلم في حد ذاته أي: المقاييس و الشروط الدائمة التي تجعل مكوّننا معيناً من المعلومات و المعارف البشرية حقيقياً بصفة العلمية، بل مضطراً و ملتزماً بها. و قد جرت محاولات كثيرة لحصر الحدود المصطلحية و المنهجية لهذا الميدان، لعل أبرزها محاولة بوبر، و محاولة جان بياجيه. و قد استقرت معظم الدراسات الصادرة مؤخراً على تحديد ثلاث مجالات رئيسية يركز هذا الميدان على رصدها و التحقيق حولها و هي: إمكانية المعرفة، مصادر المعرفة، و قيمة المعرفة<sup>2</sup>.

فيما يخص جهود جان بياجيه المختصرة تحت عنوان: الإبتيمولوجيا التكوينية، و التي لها شهرة لا بأس بها في عموم الوطن العربي، فإن الإبتيمولوجيا التكوينية حسب بياجيه هي

<sup>1</sup> - كارل ريموند بوبر (1902-1994م): Karl Raimund Popper. أبرز الإبتيمولوجيين المعاصرين، و أغزهم إنتاجاً في هذا المجال، عني عناية فائقة بمشكلة المعيار في بحث الصدق و الوثوقية و قضية الحكم على المعرفة. تعد الطريقة الفرضية الاستنتاجية التي اقترحها أكثر الفرضيات اعتماداً في البحوث المعرفية المعاصرة حول العالم فيما يخص تأكيد صحة و قيمة النظريات العلمية.

<sup>2</sup> - أنظر: عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، ص 32.

محاولة لتوضيح المعرفة العلمية استنادا إلى ثلاثة مقاييس هي: تاريخ المعرفة، تكوينها الاجتماعي، والأصول السيكولوجية للأفكار و العمليات التي تعتمد عليها<sup>1</sup>.

و تنقسم الاستيمولوجيا التكوينية إلى قسمين؛ علم تاريخ المعرفة الذي يبحث في مبادئ العلوم لتفسيرها و فهم قوانينها و التنبؤ بالتطورات المستقبلية. القسم الثاني يبحث في تطور المعارف عند الإنسان الفرد من الميلاد إلى الرشد<sup>2</sup>.

الجدير بالذكر أن العالم الفرنسي غاستون باشلار يعد أهم من كتب في مجال التاريخ المعرفي للعلوم، و هو صاحب نظرية أن العلم يصحح أخطاءه، أو أنه عبارة عن سلسلة متصلة من الأخطاء و التصحيحات<sup>3</sup>.

إن نظرية المعرفة العلمية تمتاز باستغلال كل الأدوات و المناهج التقنية و التحليلية المتاحة في الرصد و التشخيص و تحليل المعطيات، و هذا يؤكد اختلافها الواضح عن المناهج الفلسفية التأملية. كما تتميز أيضا بأن مراقبتها للمعلومات تتوخى الموضوعية إلى أبعد الحدود، فلا تهتم إطلاقا بالخلفيات الذاتية أو النفسية للإنجاز العلمي، بل تجعله هو نفسه ظاهرة من الظواهر التي تستحق الرصد و يمكن أن تُستنتج قوانينها و بالتالي توقع آفاقها المستقبلية.

و يرى عدد من المختصين أن نظرية المعرفة العلمية ليست علما خالصا، لأن العلم لا يمكن أن يدرس نفسه، و هذا عين التناقض، و دخول في حلقة التشخيص الذاتي المُفرغة. و لكنها -على الأرجح- نموذج وسط يجمع بين مزايا الغوص و التدبر الفلسفي من جهة، مع التحقيق و التيقن الوثوقي الذي يميز المنهج العلمي التجريبي من جهة أخرى. و بناء على ذلك فهي مستوى من الاستعلام المنهجي ينفرد به العصر الحديث، الذي شهد تراكما معلوماتيا لا نظير له، فكانت الحاجة ملحة إلى وضع مقاييس صارمة تخفف من وطأة هذا التسارع، و

<sup>1</sup> - جان بياجيه، الاستيمولوجيا التكوينية، ص13.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ص26.

<sup>3</sup> - انظر في هذا الصدد: حسن عبد الحميد عبد الرحمن، المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 8، 1986-1987م، ص18.

تصون المنهج العلمي من الانحلال و الفوضى. و هذا التصور يتناسب مع التعريف الذي يقدم هذا الميدان بوصفه محاولة نقدية للتجربة العلمية عند بني البشر. و نستنتج من هذا كله أن هناك فوارق أساسية بين نظرية المعرفة العلمية و البحث العلمي المجرد من حيث الموضوع و المنهج و الأهداف النهائية نوضحها فيما يلي:

نظرية المعرفة العلمية	البحث العلمي
<p><b>1. الموضوع:</b></p> <p>التراكم المنجز من الأبحاث و الدراسات العلمية.(العلم في داخل هذا التراكم).</p>	<p><b>1. الموضوع:</b></p> <p>الظواهر الكونية القابلة للمعاينة و الرصد.</p>
<p><b>2. المنهج العام:</b></p> <p>الإحصاء الشامل للمنجزات العلمية بصفة عامة أو على مستوى ميدان علمي محدد+المقارنة+الاستنتاج+التوقع+التقويم.</p>	<p><b>2. المنهج العام:</b>رصد الظواهر عن طريق الملاحظة المستمرة+تجميع المعطيات+تصنيف و تحليل المعطيات+بناء الفرضيات و التفسيرات و النظريات و الحلول العلمية الصورية و الإجرائية.</p>
<p><b>3 الهدف الموضوعي:</b></p> <p>أ-التحقق من وجود المعرفة و أنها تخضع للشروط و المقاييس الضرورية في المعرفة العلمية.</p> <p>ب-التوقع فيما يخص مستقبل و آفاق العلم بناء على المقاييس و المؤشرات التي يظهرها التقويم التراكمي.(التوقعات تشمل نشاط البحث و مناهجه و فعالية الباحثين).</p>	<p><b>3 الهدف الموضوعي:</b></p> <p>أ-تشخيص و ضبط الظواهر كما هي عليه في بيئتها و شروطها. اعتمادا على المعاينة و الرصد المتكرر.</p> <p>ب-الكشف عن القوانين و المقاييس الدائمة (التي تتميز بالاستمرارية و الزوم في كل الظروف، مع القابلية القصوى للتعميم).</p>

جدول 2-العلم و نظرية المعرفة العلمية:جوانب الاتفاق و الاختلاف.



## المبحث الثاني:

### الجهود العربية في توظيف المقاربة المعرفية:

إذا انتقلنا إلى البحوث و الدراسات التي أنجزها علماء اللسان العرب في هذا المجال فإنّ أول ما يلاحظ أن عدد الدراسات الشاملة التي تتبّع وجود التراكم اللساني و ترصد قيمته و مستواه الفعلي ما زال قليلا. و من الإنصاف القول بأن هذا العمل يحتاج إلى جهود مشتركة لدخوله في صنف البحوث التأسيسية الطويلة و المعقدة.

و فيما يلي تحليل لعدد من الدراسات الهامة التي أنجزها الباحثون العرب بدلالة خمس مؤشرات؛ سنة الإصدار (أول طبعة)، المؤلف، العنوان الكامل للدراسة، الاستنتاج العام الذي خلصت إليه الدراسة، مجال التغطية الذي توفره من مجموع المجالات الأساسية التي يبحث فيها الفكر المعرفي، و قد تلخصت هذه المجالات- فيما يخص الدراسات الآتي ذكرها- في سبعة مفاهيم مفتاحية فيما يلي توضيحها:

#### 1. الوجود:

هو تأكيد أو نفي وجود المعرفة اللسانية قديما أو حديثا أو في كلا المرحلتين جزئيا أو كلياً، و لم يبادر أي من الباحثين المعتمدين في هذه الدراسة إلى نوع من النفي القاطع، باستثناء حافيظ العلوي الذي نفى وجود أزمة في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة لأن هذه الثقافة غير موجودة أصلا حسب زعمه، و هي جزء من حركة التحديث الثقافي في الوطن العربي التي فشلت على العديد من الصعد، منها الصعيد الأدبي و العلمي<sup>1</sup>. و تنقسم عوامل هذا الغياب، أو عدم قدرة البيئة العربية على التلقي الملائم للسانيات إلى عوامل خارجية اجتماعية و عوامل داخلية معرفية<sup>2</sup>. و لا يعد هذا الرأي شاذا تماما كما سيتبين بعد قليل، بل هو منسجم في

<sup>1</sup> - حافيظ إسماعيل العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 57-60.

<sup>2</sup> - يطلق الباحث على العوامل الخارجية اسم العوامل السوسولوجية، و العوامل الداخلية اسم العوامل الإبتيمولوجية، ينظر المرجع السابق، ص 80-85.

الإطار النظري المحدد الذي يستند إليه<sup>1</sup>، كما أن العلوي ليس الوحيد الذي لمح إلى مثل هذه المشكلات العميقة، فقد سبقه إلى ذلك عدد من الباحثين المتقدمين كل حسب طريقته في التعبير؛ منهم عبد السلام المسدي و مازن الوعر و مصطفى غلفان<sup>2</sup>.

و الجدير بالذكر أن مبحث الوجود ينقسم عند بعض الباحثين إلى قسمين؛ الوجود الذهني النظري، و الوجود الواقعي العملي. و قد بينت العديد من المحاولات التقييمية أن الفوارق بين الوجودين - في ما يخص الفكر اللساني العربي المعاصر - كبيرة و جديرة بالمزيد من المتابعة و التحقيق، و لعل الاستنتاج العام المشترك يوضح تضخم الوجود النظري لوجود الكثير من الأطروحات و الأفكار الجيدة في هذا المجال، في مقابل ضمور و تقلص الوجود العملي و عدم انتظامه. و قد عبر عبد الرحمن الحاج صالح عن هذه المشكلة العامة بناء على ما استخلصه من العمل الميداني في بعض المشاريع من خلال ثلاث مظاهر أساسية: الاعتباطية، النزعة شبه الحرفية، و عدم الشمولية<sup>3</sup>.

و الحق أن بعض الباحثين في محاولته لتفكيك هذه الظاهرة قد عثر على جملة من العوامل و المؤثرات المقنعة و الحقيقية<sup>4</sup>، لكنها في التحليل النهائي لا تحل المشكلة الأساسية المطروحة و هي سبب ضعف التنسيق و عدم الاكتراث الذي يديه بعض كبار الباحثين. و من الناحية المعرفية: كيف نفسر هذه الأنماط السلوكية؟ هل ترجع إلى التأهيل التربوي و منظومة التكوين الأساسي مثلاً؟ أم لعلها تدخل في مشمولات بنية أعمق منها يدخل في جملة عناصرها المؤثرة:

<sup>1</sup> - الإطار النظري الذي يستند إليه حافيظ العلوي كثيراً هو مقاربات الفيلسوف الأمريكي توماس كون (1922-1996م) و لا سيما نظريته المعرفية المضمنة في كتابه: بنية الثورات العلمية.

<sup>2</sup> - أنظر مثلاً: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان، ص 387.

<sup>3</sup> - يقصد بالاعتباطية عدم الخضوع لضوابط منهجية موحدة، و بالنزعة الحرفية ما كان شبيهاً بعمل فنان الصناعات التقليدية الذي يعتمد على الجهد الفردي و النشاط اليدوي، بينما يتجه البحث العلمي الحديث إلى الجماعية و الاستعانة بمختلف الوسائل التقنية. يراجع: عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية و البحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر. سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 125-135.

<sup>4</sup> - منها على سبيل المثال العوامل الداخلية و الخارجية التي حاول حافيظ العلوي تأصيلها. قارن: اللسانيات في الثقافة العربية، ص 80 و ما بعدها. و عوامل أخرى في مجال ثقافي و اجتماعي أوسع يسميها مصطفى غلفان الفرص الضائعة لإقامة ثقافة لسانية عربية حقيقية. أنظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 4، 163-167.

مخلفات التاريخ الحضاري و الاستعماري، طرق التدريس و أنماط قراءة التراث، و غير ذلك من العناصر التي تشغل عقول علماء اللسان العرب و تشكل الإطار التقني و الدلالي في خطابهم.

## 2. الإمكان:

يقصد به الأدلة و المقاييس و المؤشرات التي تؤكد أن المعرفة اللسانية أو تطورها ممكن أو غير ممكن؛ فالباحثون مجتمعون على إمكانية المعرفة اللسانية العربية وجودا و تطورا، و لكنهم مختلفون في وصف و تقييم الحالة الراهنة؛ فمنهم من يرى أنها حالة تراجع و ضعف، و منهم من يرى أنها حالة مستقرة على العموم، و منهم من يرى أنها حالة إيجابية و تتقدم فعليًا في بعض النواحي.

إنّ التفاوت المُشار إليه آنفًا يمثل حالة نموذجية للتحليل في السياق المعرفي، على اعتبار أن ظهور تقديرات مختلفة لظاهرة واحدة من طرف مجموعة من الباحثين الذين يتشاطرون بصفة عامة نفس البيئة الاستعلامية، و نفس الانشغالات و الإشكالات المبدئية، ينبغي أن يقود إلى التساؤل بجدية عما إذا كانت المقدمات المذكورة حول بيئة الاستعلام، و طبيعة المشاكل النظرية و الميدانية، هي حقا بذلك القدر من الوضوح و الانسجام.

إذا وُجد من اللسانيين العرب المعاصرين من ينفي إمكان المعرفة اللسانية في الوطن العربي، سواءً تعلق الأمر بالشروط العلمية النظرية أو بمؤهلات البيئة العامة الحاضنة لهذا النشاط منذ انبثاقه حتى الآن، فالنتيجة الحتمية لهذا التحليل أننا لا نملك أي نوع من اللسانيات في جامعاتنا و معاهدنا، و ذلك ينطبق أيضا بالتوازي و بنفس القدر على مُجمل الخطاب العلمي اللساني واسع النطاق الذي أنتجته النخب العربية داخل النطاق العربي و خارجه.

و لذلك يبدو منطقيًا القول بأن من العوامل الأساسية لهذا التباين عدم الاتفاق على المفاهيم الأولية<sup>1</sup>، بخلاف ما هو شائع في أدبياتنا من أفكار جاهزة حول الاتفاق و

<sup>1</sup> - شغلت مشكلة بناء الأوليات (المسلمات النظرية العامة) الكثير من اللسانيين العرب، و ما زالت حتى الآن واحدة من أرسخ القضايا و أكثرها اختلافًا. أنظر: عز الدين المجذوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998م، ص50-67.

الانسجام. و يبدو خوفنا من الاختلاف، أو التأجيل المستمر لمناقشة هذه القضايا الملحة بالطرق المنهجية و الوسائل الملائمة أكثر ضرراً من الخوض في هذه الحركة العلمية المعرفية و توسيع نطاقها، فمن المقلق حقا أن تجربنا بعض استطلاعات الرأي أن نسبة عالية من طلاب اللسانيات يكرهون المادة و يرى أكثر من ثلاثة أرباعهم أنّها سبب رئيسي للرسوب. كما تُظهر هذه الاستطلاعات أن نسبة تفوق الثلثين من أساتذة المادة لا يرغبون في تدريسها<sup>1</sup>، و هم في الأساس لا يملكون أية معلومات مفصلة حول هذه المهمة.

يُمكن -بطبيعة الحال- أن ننفخ أدخنة الشكوك حول هذه المعطيات، غير أن ذلك لا يلغي الوضعية المعقدة التي تعانيها العلوم اللسانية في الجامعات العربية، و هي الوضعية التي يؤكدها جمهور غفير من أعضاء اللجان العلمية، و الكثير من توصيات المؤتمرات و الملتقيات المنعقدة حول هذا الملف منذ أواسط الثمانينات، فضلا عن تقارير الكليات و الأقسام التي تؤكد تردّد الأساتذة في المبادرة إلى تدريس اللسانيات بكل فروعها.

هذا يعني أن بحث الإمكان، فيما يخص معرفتنا اللسانية في الوطن العربي، ليس بتلك السهولة التي يبدو عليها، و نحن نعتقد أن الإقرار النهائي بصدده غير متاح في الوقت الراهن، فضلا عن التعميمات الواسعة التي يتبناها بعض الباحثين بكثير من الثقة و الأريحية. نقول ذلك بناء على تغطيتنا لمصادر المعلومات المستخدمة فعليا و تلك المتاحة عمليا بين أيدي الباحثين في هذا المجال فتبين لنا أن المستعمل فعليا أقل بكثير من المتاح<sup>2</sup>، و هناك مصادر جديدة و متجددة غير مكتفية<sup>3</sup>، و هذا كله يعني أننا نحكم على وضعية كبيرة و معقدة

<sup>1</sup> - قام عدد من الباحثين العرب باستطلاعات من هذا النوع، و فيما يخص النتائج المشار إليها أعلاه قارن: مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية. آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2011م، ص41-50.

<sup>2</sup> - تم التطرق إلى هذه المسألة بالتفصيل في المباحث الأولى من الفصل الرابع في هذه الدراسة.

<sup>3</sup> - من المصادر الجديدة علم المدونات بفروعه لا سيما التقنية منها، و دراسات الإنترنت. و من المصادر المتجددة النظريات اللسانية العامة و الخاصة؛ حيث تتجدد و تتطور الأطر الكلاسيكية، و تظهر أطر و اقتراحات جديدة، بما في ذلك الجديد و المتجدد فيما يبده العلماء العرب في هذا المجال.

بمعطيات و تصورات قديمة و غير مكتملة، أو من خلال تصورات و انطباعات غيرنا من الباحثين في الشرق و الغرب.

### 3 الحدود:

هو الرصد و التحقيق حول كمية الجهود أو مجالها التخصصي بصفة تقريبية، و استخلاص مميزات و خصائصها، لا سيما تلك التي لها استمرارية و ثبات خلال فترة مديدة. يرتبط الرصد الكمي<sup>1</sup> عادة بالمقاربات الاستقرائية، و قد تم توظيف مجموعة متنوعة من المناهج الإجرائية الكلاسيكية و الحديثة لتغطية هذا البعد الهام من الجهود البحثية. تتفاوت هذه المناهج من عدة جوانب، و هي من حيث المبدأ لا تؤدي نفس المهام، و بالتالي لا تُفرز نفس النتائج. هناك تقدير واضح للطرق الإحصائية عموماً، و لتلك التي تصوغ نتائجها في ضوء نظرية الاحتمالات و تطبيقاتها الجديدة، كنمط الأوزان على سبيل المثال<sup>2</sup>. و من الشائع حالياً تصنيفها كمناهج بالغة الصرامة و الدقة.

إن هذا الموقف الخاص تجاه مقاربات نظرية أو طرق إجرائية بعينها يحتاج إلى مزيد من الاستعلام من جانبين على الأقل؛ الجانب الأول يرتبط بمدى الثقة الواجب اتخاذه إزاء مواقف عامة غير مدروسة بحق طريقة يعترف الجمهور أنّها جديدة. الجانب الثاني يخص الطريقة الفعلية التي تم اتباعها في استغلال هذه الطرق، و هل كان هذا الاستغلال مراعياً للأصول و الضوابط المطلوبة في هذا المجال.

<sup>1</sup> - البحث الكمي (recherche quantitative): «عملية جمع معطيات تتوفر فيها ميزة القياس». أنظر: موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبية، ط1، 2004م، ص469.

<sup>2</sup> - من مميزات هذه النظرية في تطبيقاتها الجديدة ما يسمى الأوزان (wights) و هي فئة خاصة من الأرقام تمتد في المجال من الصفر إلى الواحد [0 1] تمكن من تقدير احتمال وقوع حدث معين بدقة بالغة. يتم تحديد العينات، و يضبط لكل عينة فضاء احتمالي حيث أن كل نقطة في هذا الفضاء تمثل وزناً واحداً، و يجب ان يكون مجموع الأوزان لكل عينة مساوياً للواحد الصحيح. يراجع: ثروت محمد عبد المنعم، مدخل حديث للإحصاء و الاحتمالات، دار العبيكان للنشر، الرياض، ط2، (1428هـ/2007م)، ص40.

يجب الإقرار بأن كلا الجانبين مهم جدا، و من الناحية الواقعية لا يوجد الكثير من النقاش المفصل بشأنهما، و هذا في حد ذاته **مظهر سلبي في التفكير اللساني العربي**، و يعزّز جزئيا الملاحظات العامة التي تفيد بوجود مشاكل جدية في التوزيع النسبي للجهود، حيث تظهر العديد من البحوث التقييمية تضخم جوانب على حساب أخرى.

أما الجانب الثاني الخاص بعملية تفعيل المناهج الإجرائية، و طبيعة العمليات و الترتيبات و المراحل المطلوبة في هذا النشاط الدقيق، فإنه يطرح جملةً أخرى من المشاكل التي يُفترض أن يجد المعنيون بالميدان الوقت و الأدوات الملائمة لمعالجتها.

#### 4 القيمة:

نعني بها الحكم الواضح بالإيجاب أو بالسلب على الإنجاز اللساني العربي كله، أو على عينات مخصوصة منه بناء على تقييم مسبق، أو أخذا بتقييم منسجم يخص حالة مشابهة في اللسانيات العالمية.

يلاحظ في هذا المجال الأحكام المطلقة و المتباينة التي تُفصح عنها الدراسات و الأبحاث الغزيرة الصادرة في السنوات العشر الأخيرة، و ما هو مسجل بوصفه نمطا عاما، و تقليدا ساري المفعول في توصيات المؤتمرات و الملتقيات الدولية و المحلية من الإقرار النصي بالقصور و النقائص، و ضرورة التحول السريع إلى التكامل و التعاون. و ليس من المبالغة القول بأن معظم هذه الملاحظات ظلت حبرا على ورق.

إن الوضعية المشار إليها آنفا تؤكد ما تم تسجيله في هذه الدراسة فيما يخص ضرورة أن يركز التفكير اللساني العربي في الفترة اللاحقة من تكوينه على هذه المشاكل التأسيسية، و ينبغي أن يتم اتباع طرق و أساليب جديدة أكثر إبداعا و أقدر على جلب اهتمام الطبقة الواسعة من المثقفين و المهتمين، لأن **التفوق الخطير** الذي عرفته العلوم اللسانية العربية في الآونة الأخيرة لم يأت بأي فوائد أو إضافات جدية بالاعتبار. و من المستحسن ربط هذا الميدان بالمجال **الأم الأوسع** متمثلا في العلوم الإنسانية و الاجتماعية. و قد لاحظ بعض

الباحثين أن جملة مشاكل اللسانيات العربية لا تنفصل عضويًا بأي حال عن مشاكل تموضع العلوم الدارسة للإنسان و المجتمع في الوطن العربي<sup>1</sup>، إذ ينظر لهذه التخصصات عموماً نظرة هامشية أو تكميلية، و لا تعد من أركان البحث العلمي كما هو الشأن في مناطق أخرى من العالم. هذا ما ينتج لنا علوماً لسانية هدفها دراسة اللسان و هو أخص جوانب الإنسان بطرق و مقاربات لا تنتمي فعلياً إلى تلك المعتمدة في العلوم الإنسانية الحديثة.

### 5. الآفاق الإنجازية:

نعني به المجال التطبيقي و الإجرائي للأفكار و التصورات النظرية. حيث يقع الاهتمام على تلك النظريات و الاقتراحات التي وجدت فرصة معينة للتنفيذ، و بالتالي كان من الممكن تقييمها و الوقوف على مدى فعاليتها. و من جهة أخرى يتم متابعة بعض المشاريع الأساسية من حيث مجال انتشارها، و الأثر النفعي الذي حققته.

### 6. التقييم:

هو تحليل الموقف من البحث العلمي في اللسانيات العربية بناء على أدوات التأريخ و المقارنة و تحكيم الواقع و تجارب الأمم الأخرى في دراسة لغاتها. يلاحظ في هذا المجال أن الخلفية التكوينية تحدد إلى درجة كبيرة المسار التقييمي المتوقع عند الباحثين؛ ذلك أن القليل منهم استطاع أن يحقق استقلالية كافية في الانتماء المعلن أو الخفي لمدرسة لسانية معينة.

### 7. التجديد:

هو بناء تصورات و نظريات جديدة كلياً، أو مركبة من مكونات و عناصر مختلفة، أو اعتماد الدعوة إلى التجديد و الإبداع أساساً في الخطاب.

تنقسم النظريات المقترحة عربياً إلى قسمين؛ نظريات عامة تلي مقاييس وصف و تفسير اللسان بوصفه ظاهرة عامة، و نظريات خاصة تعالج أحد مستويات اللسان على حدة، و قد برز في القسم الثاني عدد من الاقتراحات الهامة لمعالجة التراكيب العربية.

<sup>1</sup> -مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج. دار ورد للنشر، عمان-الأردن، ط1، 2013م، ص53-54.

عينة الأعمال البحثية التي تمثل مجال الدراسة:

مجال التغطية	الاستنتاجات	العنوان	المؤلف	السنة	
. الوجود . القيمة . الآفاق . الإنجازية.	. ثنائية التراث: التراث اللغوي العربي ليس كلا منسجما من حيث المناهج و المفاهيم الإجرائية و التصور العلمي لغة.	علم اللسان العربي و علم اللسان العام: دراسة تحليلية لأصول المعرفة العلمية عند الخليل بن أحمد و أصحابه.	عبد الرحمن الحاج صالح	1979	1
. الإمكان . نسبية الوجود . التجديد	التراث النحوي القديم يفتقر إلى تماسك الصناعة بناء على قوانين العلم الضابط.	الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب.	تمام حسان	1982	2
. الوجود . الحدود . القيمة	التفكير اللساني العربي = النظرية اللغوية العربية.	التفكير اللساني في الحضارة العربية.	عبد السلام المسدي	1986	3
. القيمة . الحدود	إشعاع البحث اللساني العربي = مكون ثقافي مشترك + مساهمة في الفكر اللساني العالمي.	اللسانيات و أسسها المعرفية	-----	--	4
. الإمكان . الآفاق	الزمن العلمي في اللسانيات العربية = 0	اللسانيات العربية نماذج للحصيلية و نماذج للآفاق.	عبد القادر الفاصي الفهري	1987	5
. الحدود . التقييم . التجديد	منهج البحث اللغوي الصحيح = الوصف في نطاق زمني و مكاني محدد.	اللغة بين المعيارية و الوصفية	تمام حسان	1992	6
. الأصول . الحدود . التقييم	النزعة التجريبية و قلة الأسس النظرية العامة (الأليات) هو السبب وراء تجدر البحث اللساني العربي.	المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة.	عز الدين المجدوب	1998	7
. التقييم . الآفاق	الاحترافية في البحث اللساني = التخصص الدقيق + التراكم المنتظم.	المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي.	عبد القادر الفاصي الفهري	1998	8
. التجديد	النحو الوظيفي الكلي = تمثيل للملكة اللغوية.	الوظيفة بين الكلية و النمطية.	أحمد المتوكل	2003	9



10	2003	عبد القادر الفاسي الفهري	اللغة و البيئة	احتياجات البحث اللغوي العربي = الاحتراف + الحدائة = (متابعة المستجدات أولا بأول).	. التقييم . الآفاق
11	2006	مصطفى غلفان	اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين.	حالة اللسانيات العربية المعاصرة = تراجع + فقدان للبرمجة + انقطاع العلاقة مع المتلقي.	. الأصول . الحدود . التقييم
12	2006	إدريس مقبول	الأسس الإستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبيويه.	أصل المعرفة النحوية = الإستمولوجيا المأصولة = علم الكلام (عقيدة المعتزلة).	. الأصول . التقييم . التجديد
13	2006	محمد عبد العزيز عبد الدايم	النظرية اللغوية في التراث العربي.	النظرية العامة = إجراءات نظيرية = تحليل + تصنيف.	. الحدود . التقييم
14	2007	حافظ إسماعيلي علوي	نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي.	أزمة اللسانيات العربية = Ø <sup>1</sup>	. الأصول . التقييم
15	2007	محمد غاليم	النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة: مبادئ و تحاليل جديدة.	اللسانيات العربية المقارنة = البحث في بنية اللغة العربية + الدخول في نادي المجموعة العلمية اللغوية الدولية + تحقيق معايير المعرفة اللسانية المعاصرة.	. التقييم . الآفاق
16	2009	حافظ إسماعيلي علوي	اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته.	اللسانيات العربية = الثقافة اللسانية العربية ⇐ مشكل اللسانيات العربية هو مشكل إيدولوجي و ليس علميا.	. الأصول . الحدود . التقييم
17	2011	أحمد المتوكل	المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية.	مشروع المنحى الوظيفي العربي = دراسة اللغة العربية وظيفيا + إعادة قراءة التراث.	. الأصول . الحدود . التجديد

<sup>1</sup> - الأزمة في زعمه طبقا لفرضية طوماس كون لا تصدق على ميدان علمي حتى يصل مستواه الإنجازي إلى أمرين: حد أدنى من التراكم + سيادة نموذج أرشادي. و اللسانيات العربية لا تتوفر على أي منهما، فهي مجال فارغ، أو مجموعة خالية Ø.

18	2012	خالد سعد كموني	المحاكاة: دراسة في فلسفة اللغة العربية.	النظرية اللغوية العربية= الجدل في علم الكلام ← الحرف العربي يحاكي الطبيعة العربية.	.الأصول التجديد
19	2013	مصطفى غلفان	اللسانيات العربية: أسئلة المنهج.	مشكلة اللسانيات العربية تنبع من الأسس المنهجية، و غياب أصول و أدبيات منظمة للممارسة المهنية.	-الأصول -الإمكان -القيمة

جدول 3: جهود عربية في تطبيق المقاربة المعرفية لدراسة و تقييم الخطاب اللساني.

### تحليل المعطيات:

عند النظر في هذه الجهود الفردية التي حاولت أن تغطي الفراغ الموجود في هذا المجال نلاحظ مثلاً أن دراسة تمام حسان (الأصول) و دراسة عبد الرحمن الحاج صالح (علم اللسان العربي و علم اللسان العام) تطرقتا إلى التقويم النقدي و المنهجي الشمولي فيما يخص وضع المعرفة اللسانية-و النحوية على وجه الخصوص- في التراث العلمي اللغوي العربي، و كانت ملامسة واقع و آفاق البحث اللساني الحديث و المعاصر فيهما غير أساسية.

أما دراسة كلٍ من مصطفى غلفان(اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة) و حافيظ إسماعيلي علوي (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة) فكانتا أكثر ارتباطاً بتقصي القوانين العامة الواجب اعتبارها في الحكم على التجربة اللسانية العربية، و انصب فيها الاهتمام بصورة مركزة على الخطاب اللساني الحديث و المعاصر.

وقد استنتج غلفان قاعدة عامة من وراء تحليله أعاد تكرارها إسماعيلي علوي دون تغيير، تفيد هذه القاعدة بأن المقياس الموضوعي للحكم على التجربة اللسانية العربية هو **انبثاق ثقافة و فكر لساني واسع النطاق متعدد الوجوه**<sup>1</sup> يؤدي انتشاره و قبوله إلى خلق بيئة حاضنة ترضى هذا الميدان و تضمن استمراره و تطوره<sup>2</sup>، و الذي حدث في التجربة العربية مع اللسانيات أنها

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 170.

<sup>2</sup> - حافيظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 19.

لم تسمح بانبثاق هذه الثقافة، و لم تنتشر كما كان متوقعا لها، بل تراجعت وانحسرت في السنوات الأخيرة<sup>1</sup> بصورة ملحوظة تدعو إلى كثير من التساؤلات.

و يعبر إسماعيلي علوي عن هذا الانبثاق من خلال مفهوم النموذج المعرفي، و هو يرى أن غياب نموذج معرفي أعلى يُشرف على نشاط البحث و التطوير هو أكبر دليل على عدم نجاح التجربة اللسانية العربية<sup>2</sup>.

إن هذه الدراسات قليلة العدد كما نوهنا آنفا، و تحتاج إلى كثير من الدعم و التشجيع في المستقبل القريب، و ذلك لأهميتها البالغة في توضيح الصورة العامة لواقع الميدان و أنماط النشاط و اتجاهات الباحثين و المجموعات البحثية و اختياراتهم العامة و الخاصة، و ذلك يفيدنا في استخلاص نتائج و تصورات سليمة و غير مبالغ فيها، و يبعثنا عن الرؤية الشخصية و الأحادية الجانب التي تدخلنا في دوائر من الجدل العقيم. و البحث اللساني العربي في الظروف الحالية محتاج إلى توفير بعض المقاييس و الميكانزمات التي تمكن من عملية الاستقرار و توضيح الجوانب و الاتجاهات التي نحتاج أن نجتهد بالفعل في تغطيتها و التحقيق حولها.

و من الملاحظات الأساسية على الدراسات الآنف ذكرها أنها تعبر- في الغالب- عن وجهة نظر مؤسسة قبلية، أو بعدد قليل من الأدلة غير الدامغة؛ يتجلى الملحظ الأول في الحكم القاطع على مناهج البحث التراثية بأنها غير ملتزمة بمعايير العلم الصحيح، و قد توصل تمام حسان إلى هذا الاستنتاج من خلال مقارنة خاطفة بين أسس المعرفة اللغوية الصحيحة من وجهة نظر بعض فلاسفة العلوم المحدثين فوجد أن نظرة النحاة العرب لا تنطبق على أي منها<sup>3</sup>، و هذا إسقاط فيه تعسف ظاهر للعيان، لأن هذه الأسس تخص نقد و تقويم الفكر العلمي في مرحلة جد مختلفة عن تلك التي عايشها النحاة الأوائل، فأثر البيئة و طريقة جمع المعطيات ثم تحليلها كعوامل أساسية في النموذج المعرفي النحوي القديم أهملت بالكامل في هذا الاستنتاج.

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 4-5، 159-166.

<sup>2</sup> . حافظ إسماعيلي علوي، نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، ص 86-89.

<sup>3</sup> - تمام حسان، الأصول، ص 15 و ما بعدها.

و مما يلاحظ أيضا أن هذه الدراسات لا تلتزم منهجيا بوضع مقاييس واضحة و موحدة في مناقشة الآراء و النظريات، نستثني هنا الجهد الواضح الذي بذله مصطفى غلفان في توحيد أدواته النقدية. و مع ذلك يمتزج في كل الأعمال المذكورة آنفا الأبعاد الذاتية و الموضوعية التي بينها خيط رفيع من الفوارق، و من هذا القبيل المزج الغريب بين العلم البحت و الثقافة الناتجة عن حب الاطلاع و الشغف بعلم أو ميدان من الميادين، و قد تكون هذه الثقافة نتاج ظروف و معطيات خاصة اجتماعية و فكرية، و انتشار حب القراءة و المطالعة في كتب اللسانيات و اقتنائها لا يمثل خطوة أو طريقا معبدا لتطوير هذا العلم، لأن العلم لا يتطور بالشغف و الرغبة، و إنما يتطور بالانضباط و الانتظام و دقة الاكتشافات و كثرتها.

### المبحث الثالث:

#### المقاربة المعرفية في هذه الدراسة.

##### أولا: الإطار المعرفي للتفكير اللساني في قضايا اللغة العربية.

أول ما يلاحظه الراصد للخطاب العلمي المرتبط باللغة العربية و قضاياها أنه يشغل حيزا لافتا للنظر مقارنة بمجموع الخطاب العلمي العربي، و ثاني الملاحظات تفيد بأن المساهمين في هذا التراكم العلمي كانوا مفكرين و علماء و مربين و مختصين في اللسان العربي و فئات أخرى غير ذات صلة مباشرة بهذا الميدان، أو بعبارة أخرى: لم يكن اللسانيون هم وحدهم من يفكر بطريقة منهجية منظمة في حل مشكلات اللغة العربية، و بناء على ذلك فإن مدد الاقتراحات و الحلول المتوفرة يتجاوز الإطار اللساني، و يدخل في مجموع التراكم المعرفي الذي أنتجته العقول العربية خلال القرن الماضي<sup>1</sup>.

و تفيد الملاحظة الثالثة بأن العدد القليل من الاقتراحات قد وجد طريقا إلى التفعيل و من ثم إلى إثراء اللغة العربية و المساعدة في حل مشاكلها المعاصرة، فكان له بذلك أفق أو ما يجوز

<sup>1</sup> - التراكم يتجاوز القرن بطبيعة الحال، غير أن هذا التحديد ضروري كقيد في إطار أليات الدراسة التي نحن بصددنا، حيث إنها لا تخرج عن نطاق الفترة المعاصرة.

أن نُسمّيه: شعاعاً إنجازياً يساعد على تقويمه، و النظر بروية في تكامله المحتمل مع نظائره، و كيف تستفيد اللغة العربية من مجموع هذا التكامل.

و في المقابل، كان واضحاً بأن العدد الأكبر من الاقتراحات ظلت في مرتبة الاقتراحات، و لم تنتزل تطبيقياً بأي شكل من الأشكال، و يجوز أن نعبر عن هذه النتيجة بأنها مظهر يؤسف عليه، ذلك لضيق كم معتبر من الجهود، علماً أن كثيراً منها كان راسخاً في مجاله، غير بعيد عن الجدية و التنظيم المنهجي المعتبر.

و هكذا فإن التفكير و الانشغال العربي بقضايا اللغة العربية مهما قيل عن قوته الكمية، و تسابق العقول من كل المجالات و الاختصاصات للمساهمة فيه، فإنه يظل أقل تأثيراً من المتوقع<sup>1</sup>، فيما يخص التغيير و التجديد الذي أفادته اللغة العربية منه بصورة فعلية<sup>2</sup>، أو ما يمكن التحقق من جدواه و إخضاعه للمعاينة و القياس.

### ثانياً: الأنماط الثلاثة للتفكير في قضايا اللغة العربية:

هناك ثلاثة أنماط يتخذها الانشغال الفكري بقضايا اللغة العربية مرتكزاً له أولها: النمط الصاعد أو المتعالي، و هو الذي يجعل مسألة انتشار اللغة و عالميتها هدفه النهائي، و يدخل في هذا المجال البحوث التي تطرقت إلى علاقة اللغة العربية بالعولمة بوصفها ظاهرة كونية شاملة، مع التركيز على العولمة اللغوية على وجه التحديد. و يدخل في هذا المجال أيضاً البحوث التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوضع اللغة العربية و مكانتها الخارجية و ذلك مثل: اللغة و الهوية، اللغة و الإعلام، اللغة و الإنترنت، و كذلك اللغة العربية في قطاع التكنولوجيا و تطبيقاتها في مجالات الترجمة و المعجمية و التعليم المحوسب<sup>3</sup>.

أما النمط الثاني فهو النمط النازل أو البراغماتي، و هو الذي يجعل شغله الشاغل معالجة المشاكل و الصعوبات التي تواجه اللغة العربية في مجالها المحلي و الإقليمي، و يدخل في هذا

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، ص 35.

<sup>2</sup> - رمون طحان، الألسنية العربية، الشركة العالمية للكتاب، ط 1، 1982م، ج 1، ص 11.

<sup>3</sup> - يقيم المجلس الدولي للغة العربية منذ 2012م مؤتمراً سنوياً يركز في جانب منه على تغطية هذه المطالب.

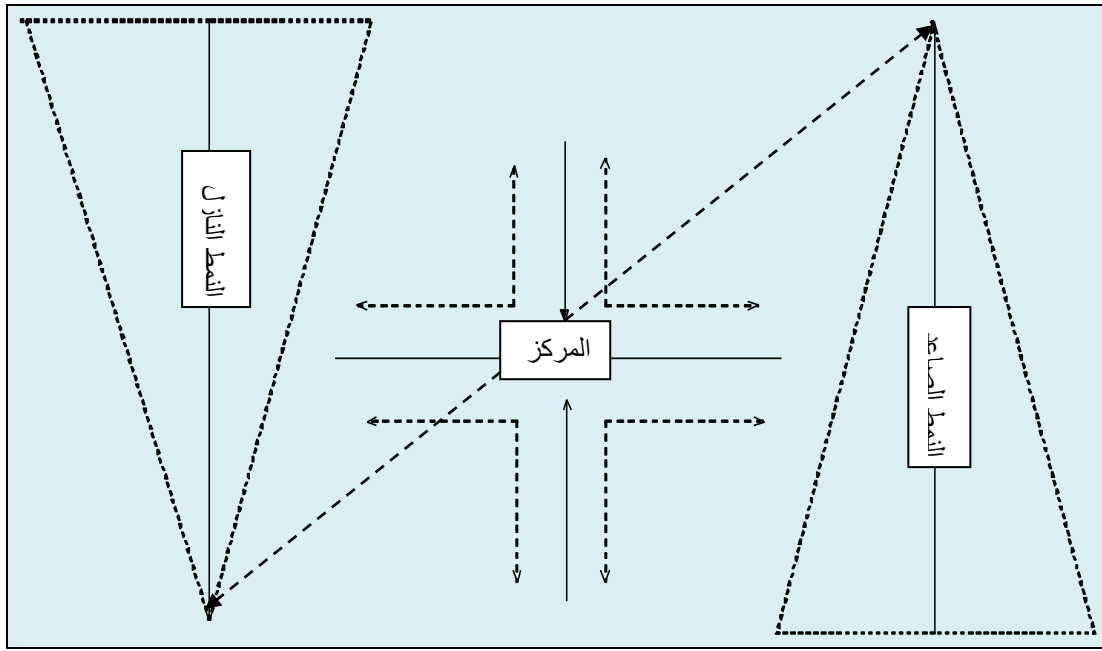
المجال البحوث التي عالجت ملف تعليم اللغة العربية في كل أطواره و جوانبه؛ البيداغوجية و التنظيمية و الاجتماعية، و كل ما له علاقة مباشرة بهذا الملف و ذلك مثل: مسألة تعريب المعرفة العلمية، و قضية السياسات و التدابير الخاصة بإدارة و تنسيق استعمال اللغة العربية في مرافق المجتمع العربي، و المسائل الأساسية المطروحة في هذا الصدد كالثنائية و التعدد<sup>1</sup>.

و أما النمط الثالث فهو النمط التخصصي أو المركزي، و هو الذي صوّب اهتمامه إلى التقويم الداخلي الأكثر تخصصاً و عمقا في هيكل اللغة و بنائها، و جعلها منطلقاً للفهم و الاستدلال، و يدخل في هذا المجال البحوث التي ناقشت بشكل من الأشكال بنية اللغة العربية في ذاتها عن طريق منهج من المناهج القديمة أو الحديثة، انطلاقاً من ملاحظة عامة تخص وضعاً لغوياً متأرجحاً أو غير مستقر يلاحظه الباحث بنفسه، أو ينقل إجماعاً عليه من مصادر كثيرة على قدر لا بأس به من الموثوقية<sup>2</sup>.

يوضح الشكل الموالي الأنماط الثلاثة المذكورة آنفاً، و يبين نقاط التلاقي و الاختلافات الرئيسية الموجودة بينها.

<sup>1</sup> - يمكن العثور على مجموعة هامة من الأبحاث و الدراسات التي تغطي هذه المطالب في المصدر الآتي: التعدد اللساني و اللغة الجامعة: مجموعة أبحاث الندوة الدولية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م. و على وجه الخصوص: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربي الجامع: بين التماسك و التنوع و التعدد، ص13-70. و عثمان سعدي، اللغة العربية و التعدد اللساني بالمغرب العربي، ص151-176. و صالح بلعيد، حقوق اللغة الرسمية، ص195-217.

<sup>2</sup> - أنظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج. دار ورد للنشر، الأردن، ط1، 2013م. و بخاصة الفصل الرابع: أزمة اللسانيات من خلال بعض الكتابات العربية. ص91-130.



شكل 1- أنماط التفكير اللساني في قضايا اللغة العربية.

إن أول ملاحظة تُسجل على هذه الأنماط هي الاتجاه الذي يتخذه البحث في قضية من القضايا، ذلك أن النمط الأول يفترض أن تحسين أوضاع الداخل يتأتى بانفتاح و تعرف أكثر على الخارج<sup>1</sup>، و اللغة العربية كغيرها من اللغات في العالم لها مشاكل في العديد من الجوانب و لكن يمكن على سبيل التنظيم التصنيفي ملاحظة القواسم المشتركة التي تجمع بين هذه الصعوبات و التركيز عليها بوصفها نقطة ارتكاز أو مرحلة أولى.

كما أن التطرق لظاهرة العولمة فيما يخص اللغات و تنافسها حول السيادة و الريادة<sup>2</sup> في نقل المعرفة و فرض نموذج ثقافي معين، يؤكد أن البحث الموضوعي في قضايا اللغة العربية من غير المجدي أن يتم بمعزل عن هذا التغير و التسابق المعرفي المحتمل.

<sup>1</sup> - نجاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت و وقوى التحول، دار الشروق، عمان-الأردن، ط1 (1428هـ/2007م) ص6-12.

<sup>2</sup> - تحتل اللغة العربية مراكز متقدمة من حيث الانتشار، و مستوى التوسع التقني و الحاسوبي، و نسبة التداول في الإنترنت. أنظر الدراسة التالية: التعليم المعاصر للغات باستخدام الحاسوب (-Contemporary Computer Assisted Language Learning)، إعداد مجموعة باحثين (Michael Thomas, HayoReinders, Mark Warschauer, and contributors)، نشر أكاديمية بلومبيرغ (Blumburgacadimic)، ولاية بنسلفانيا، الولايات المتحدة، ط1-2013م، ص306.

يبرز في هذا النطاق القانون الذي يؤكد البحث العلمي و يتم تداوله كثيرا في هذا النوع من المقاربات، يفيد هذا القانون بأن المحلي يتأثر دائما بالعالمي و العكس غير صحيح، و هذا القانون منطبق على اللغة العربية بصورة واضحة في كثير من المرافق و الميادين، و لا سيما المناطق التي يكثر فيها التماس و الاحتكاك بين هذين المجالين مثل: الإعلام و الاتصالات و تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في الإنترنت و الهواتف الذكية<sup>1</sup>، ثم تكون هذه المرافق وسيطا لنقل تأثير العولمة إلى مرافق أخرى أشد خصوصية و تمركزا و خاصة قطاعي التعليم و الإدارة.

إن قبول هذا القانون الآنف ذكره يعد منطقيا في ظل المعطيات التي بُني عليها، و من الصعب إنكار هذا التسلسل الهرمي للتأثير اللغوي في أكناف العالم الذي تهيمن عليه المعرفة التقنية و المدد الرقمي المتدفق. غير أن الحالة اللغوية تظل مستقلة و بحاجة إلى منظور أكثر تفصيلا، ذلك لأن اللغة لا ترتبط بالعلم و التكنولوجيا أو الصيغة المرحلية الآنية وحدها، بل هي قبل ذلك وسيط في التعامل و التواصل الإنساني، و وسيط التعلم الذي لا بديل عنه، و المركب الناقل للثقافة و الإرث الحضاري، و حينئذ، ينبغي أن لا تقتصر في مراقبة آثار العولمة على ما يظهر و يطفو سريعا في الجوانب السريعة التبدل و التغيير من حياة الأفراد، بل نضيف إلى ذلك مراقبة الآثار الأكثر عمقا و الأرسخ تأثيرا من المعاملات و الاستعمالات اللغوية المحلية، إضافة إلى نتائج البحث المعمق في هيكل اللغة و أنظمتها الذاتية. و إذا لم نتوخى هذا الإطار الموسع في نظرنا فمن المتوقع أن نتوجه إلى تبني العديد من الآراء و المقاربات التي تلغي الخصوصية، و تضع التنوع اللغوي في متحف الآثار متواريا خلف الوحدة الاتصالية.

و من الإنصاف القول بأن الباحث اللغوي بالذات، و أي باحث ملتزم بالمنهج العلمي السديد، ينبغي أن يلاحظ بأن العولمة ليست نظرية علمية، بل هي ظاهرة متعددة الملامح<sup>2</sup>؛ اقتصادية و اجتماعية و ثقافية، و لها عمق أيديولوجي سميك، و لا يستقيم أن نعالج قضية لها

<sup>1</sup> - يمكن اختصار هذه المجالات فيما يسميه بعض الباحثين قوى التحول التي تنازع قوى الثبوت داخل المجال الاتصالي الواسع للغة العربية. قارن: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ص 161، 115، 29، 23.

<sup>2</sup> - أنظر: معجم الأوكسفورد (Oxford Dictionary)، منشورات جامعة أكسفورد، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية (Oxford University Press-New York-USA)، ط 6-1998، ص 305.



هذا المرجع بأدوات لها مرجع و أساس مغاير. و بعبارة أخرى: وجود العولمة و تأثيرها هو ظاهرة من جملة الظواهر التي يمكن للباحث أن يتناولها بالتقصي، أما التسليم بوجودها أو تأثيرها و الدخول فيه من عدمه فهذا ليس من الخطاب العلمي و لا يدخل في اختصاص الباحث.

### ثالثاً: بناء منظومة التوقعات؛ النماذج العامة للحلول.

نناقش فيما يلي خمسة نماذج عامة اقترحها الباحثون و علماء اللسان العرب تعبر عن تصوراتهم و أفكارهم حول الإصلاح أو التجديد الذي يتوقعون أن يكون لإحداثه نتائج إيجابية على البحث و التكوين، و منهما إلى المجتمع و المرافق السيادية التي تعتبر اللغة العربية عاملاً من عواملها الأساسية في التواصل و التفاهم و تبادل الخبرات و المعاشة الثقافية و الأدبية و الروحية.

و النموذج، باعتباره مصطلحاً أساسياً في هذه الدراسة، يعبر عن تمثيل لفظي أو بواسطة الرموز و المخططات يترجم بصورة تقريبية<sup>1</sup> مجموعة من الآراء و الأفكار التي طرحها باحثون عرب حول فكرة أساسية؛ الفكرة الأساسية واحدة، أما الآراء حولها فتتفاوت من حيث: عبارتها، مرجعيتها، و مستوى تغطيتها. و لكن النموذج العام الذي نستنبطه منها يمكن تعميمه عليها جميعاً، إذ يأخذ من كل رأي ما هو لازم و مستمر.

و فائدة هذا الإجراء، أن ننظر لا بعين الانتقاء إلى الأفكار من خلال الأشخاص، بل ننظر بعين الجوامع و القواسم المشتركة من خلال مجموعات الرأي، و التطلع إلى الانسجام الذي يمكن تحقيقه بواسطة الإنشاء و التركيب.

و المنطلق الذي يضبط هذا العمل، هو قاعدة عامة بسيطة مفادها: كل باحث أو عالم أو مسؤول عن اللغة العربية و البحث العلمي حولها يسعى إلى حل مشاكلها، و يقترح أشياء

<sup>1</sup> - هذه هي المهمة الأساسية للنموذج المعرفي و طريقة بناء المثل التقريبية (assimilation models) في المنهج العلمي المعاصر.

بغرض الإصلاح و التجديد، فهنا أصل جامع تلتقي عنده كل الانشغالات و الهموم و النشاط الذهني و الفعل الميداني العملي.

## 1- نموذج الحل التنظيمي:

يهدف هذا النموذج إلى توسيع برنامج العمل و مجالات البحث<sup>1</sup>، من خلال: تعديلات تنظيمية أساسية داخل البيئة التكوينية و الأكاديمية الراعية للسانيات العربية<sup>2</sup>؛ فيتم استحداث فروع جديدة<sup>3</sup>، و منح كل فرع هامشا كافيا من الاستقلالية في مصادره و موارده و اقتراحاته و طبيعة الشروط العلمية و البيداغوجية التي يفرضها على أعضائه. و قد دعا مازن الوعر إلى إنشاء كليات تحت مسمى: كليات اللغات و العلوم اللسانية الحديثة، تتألف من ثلاثة أقسام: قسم اللسانيات الحديثة، قسم دراسة اللغة العربية الحديثة، و قسم اللغات الأجنبية العالمية<sup>4</sup>. و كان باحثون آخرون في المغرب العربي منهم عبد الرحمن الحاج صالح و عبد القادر الفاسي الفهري قد دَعَوْا إلى نظير ذلك، و قدموا اقتراحات و تصورات لتنفيذ هذه الإصلاحات للوزارات المعنية منذ الثمانينات.

اقترح الحاج صالح ثمانية برامج أساسية قدمها في فترة الثمانينات لتختار منها وزارة التعليم العالي و البحث العلمي في الجزائر ما يمكن الشروع فيه عمليا، و من أهم النقاط التي تضمنتها تلك الاقتراحات: إنشاء مراكز للبحث و التكوين المتخصص متعدد التخصصات على مستوى المقاطعات الجغرافية الكبرى في البلاد. و تكوين مستشارين متخصصين في مناهج التعليم التطبيقية و طرق إدارة الصفوف الدراسية يوظفون على مستوى مديريات التربية للمساعدة في التكوين المستمر للأساتذة و المعلمين، و تقديم المشورة و اقتراح بدائل و حلول عملية للمشاكل المتوقعة. كما اقترح أيضا تعديلا جوهريا في برنامج التعليم ينص على تدريس بعض

1 - أحمد الملاح و حافظ العلوي، قضايا إستيمولوجية في اللسانيات، ص 303.

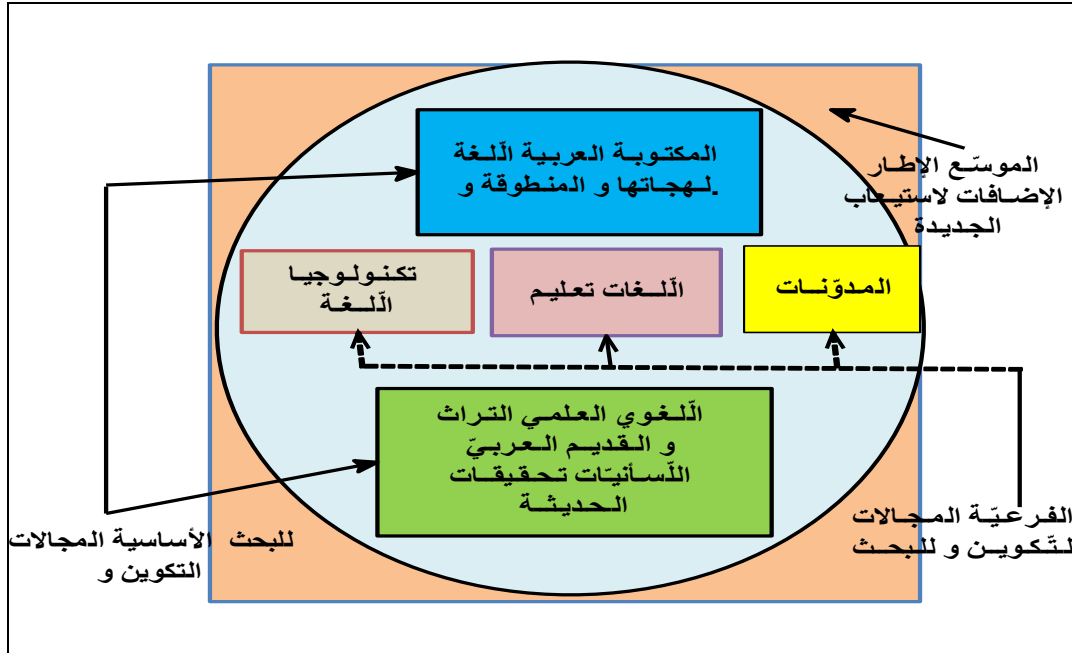
2 - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى، ص 1-6.

3 - محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة، ص 9.

4 - مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 382-384.

المواد كاللسانيات العامة و الجبر التركيبي و نظرية التشغيل الآلي<sup>1</sup> في المستوى الثانوي لا سيما الأقسام النهائية كتمهيد للسنوات الجامعية الأولى (الجدوع المشتركة).

يتطلب هذا الاقتراح: صياغة تشريعات عديدة للسيطرة على الخلل المتوقع حدوثه بسبب هذه التعديلات، و يتطلب إيجاد المساحة الكافية للفروع الجديدة. و من القضايا المعقدة في هذا الاقتراح إيجاد الفضاءات و العتاد المناسب للفروع الدقيقة و المتخصصة مثل: لسانيات المدونات، اللسانيات الحاسوبية، التحليل المخبري للأصوات، و معامل التدريب و التسجيل للغات و اللهجات.



شكل 2: نموذج الحل التنظيمي: توسيع برنامج البحث و التكوين و مجالاته.

## 2- نموذج الحل التصنيفي:

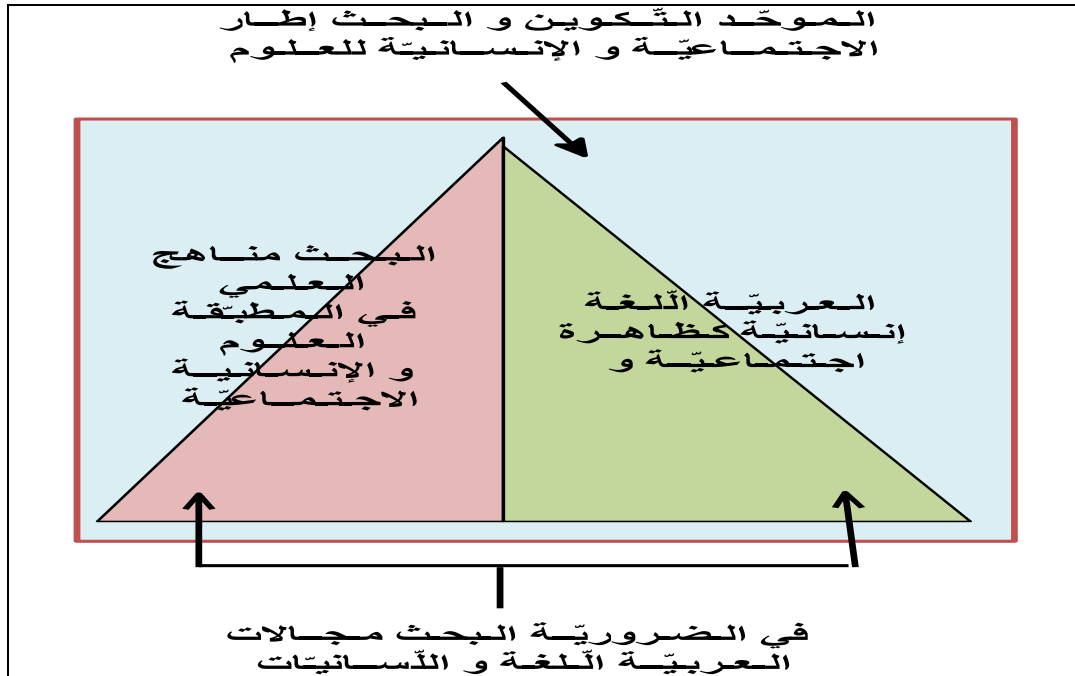
يهدف إلى تقليل عوامل الاضطراب و الاختلاف<sup>2</sup>، و كل الأفكار و التصورات التي يُستبعد بنسبة كبيرة أن ينجح تطبيقها في البيئة اللسانية العربية.

<sup>1</sup> - يتم تدريس هذه المقاييس في بعض المناطق من العالم بصفة اختيارية و أحياناً إجبارية، كما هو الشأن في فرنسا و كندا و اليابان.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي، المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي، ص 15، 163.

هذا الاقتراح يعتمد على أن محصول اللسانيات العربية و مردودها العملي مرتبط بمدى إعمال عوامل البيئة اللسانية العربية<sup>1</sup> و استغلالها على أساس الأولوية للجوانب العاجلة و المشتركة و الأكثر انسجاما مع تطلعات الأغلبية.

في هذا الاقتراح يتعين عدم إضافة أية فروع جديدة، و قد يتطلب الأمر تقليص العديد من الفروع في مجال واحد أو اثنين بهدف استعادة التماسك بين مختلف العلوم الإنسانية و الاجتماعية في الجامعات العربية<sup>2</sup> لإعادة مسار البحث و التكوين إلى طريقه الصحيح و تتضح الرؤية بالنسبة للأفاق و التغييرات المستقبلية التي يجب أن تكون طفيفة و مرحلية.



شكل 3: نموذج الحل التصنيفي: تقليل المتغيرات.

### 3- نموذج الحل المرجعي:

يهدف إلى توحيد الجهود و الأفكار نحو موضوع البحث المرجعي<sup>3</sup> و هو رصد و تحليل اللغة العربية أثناء استعمال الناطقين لها في كل الأحوال و الظروف، من دون التغاضي عن

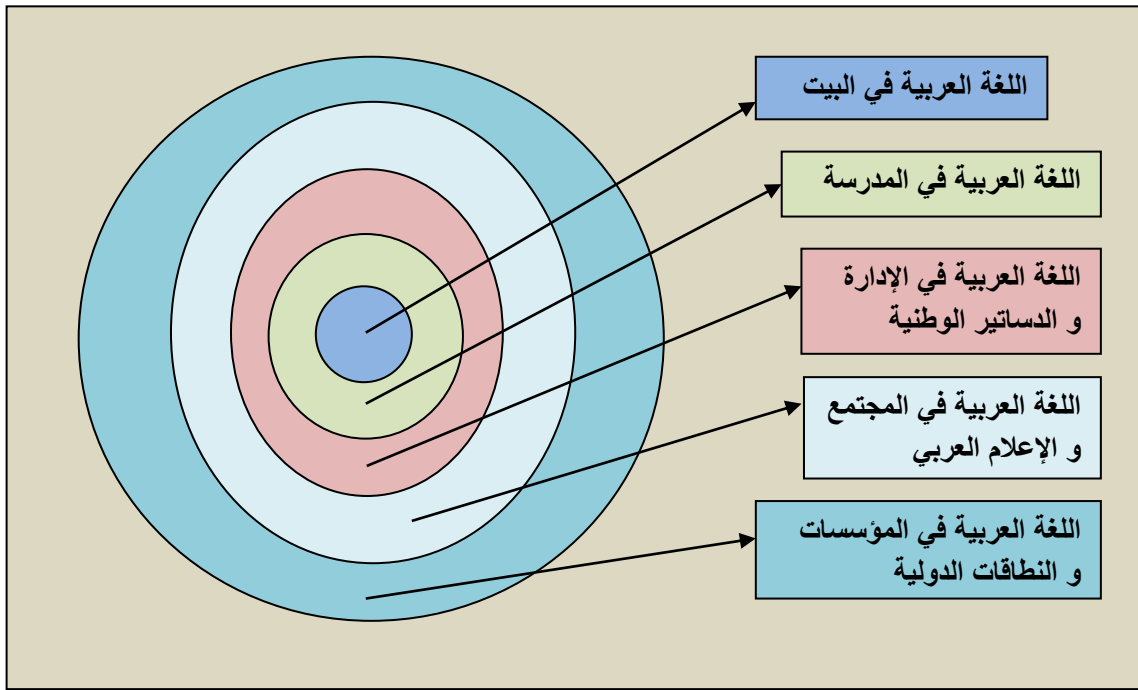
<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 11-37

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 53-55.

<sup>3</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 10، 33، 50، 65.

الاستعمال المحرر، أو الذاكرة اللغوية المخزونة في التراث، و ينبغي أن يُستعمل في هذه الأعمال أقصى ما هو متاح من الوسائل و الأجهزة التقنية، و الاستعانة بأنجع الطرق و المناهج التحليلية المتاحة.

يتطلب هذا المسعى الانتباه إلى خاصية التراكم اللساني لأنها ذات وجهين؛ فهي ظاهرة إيجابية على العموم، و لكنها تتطلب عناية خاصة بمادة التحليل و هي اللغة في شقيها؛ الموصوف و الواصف. و من جهة أخرى ينبغي بذل جهود أكبر لتأصيل تقاليد و أدبيات مشتركة في ممارسة هذا المجال من العلوم؛ فالعلماء و الباحثون يشكلون مؤسسات و مجتمعات لها نظامها و ضوابطها<sup>1</sup>.



شكل 4: نموذج الحل المرجعي: العودة إلى الموضوع الأصلي للبحث.

#### 4- نموذج التركيز الأفقي:

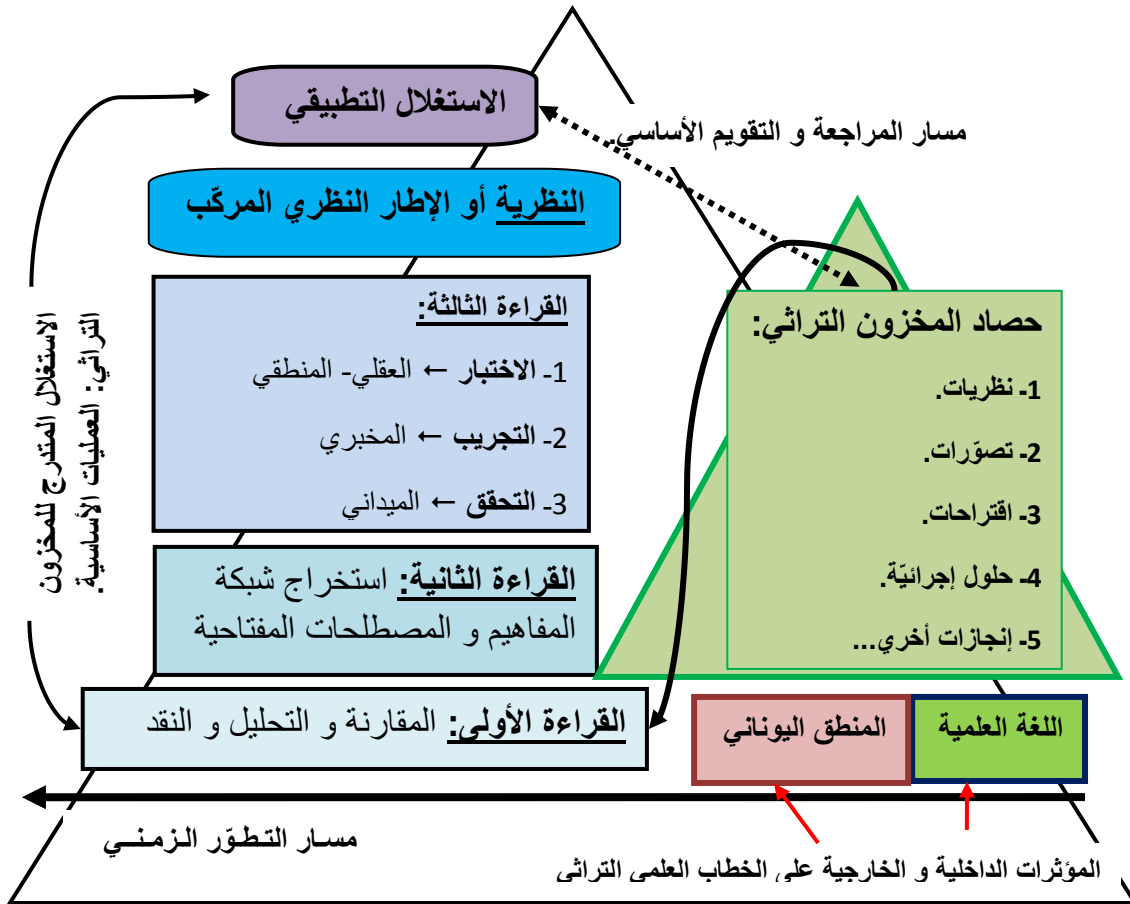
يكون تركيز البحوث و مجموع الجهود النظرية و التطبيقية منطلقا من النقاط المرجعية السابقة، فيتم اعتماد الاقتراحات الجيدة التي توصل إليها اللغويون السابقون، و تُبذل الجهود لتوضيحها و فهم مقاصدها العميقة، و تُترجم باللغة العلمية المعاصرة، اعتمادا على

<sup>1</sup> - أحمد الملاخ و حافظ العلوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 303-307.

مصطلحات اللسانيات الحديثة، و صياغة الأفكار و الاقتراحات بلغة منطقية أساسها البرهان الرياضي و الرموز المجمع على التعامل بها في المجتمع العلمي الدولي<sup>1</sup>.

و قد انتقد هذا النموذج من عدة جوانب؛ فهو أولاً غير موضوعي، إذ لا يتطرق إلى صميم موضوع البحث "اللسان العربي" مع التخلي عن القبلات و المسلمات المسبقة، بل يقتحمه و هو مُثقل بحُمولات ذاتية لا سبيل إلى الاستيقان منها بكيفية نهائية.

كما أنه، من جهة أخرى، يتعالى عن الموضوع المرجعي، إذ يجعل اللغة العربية الحقيقية أي: المستعملة و المتداولة فعليا، مكوّنا فرعيا، و الصواب أن تكون هي الأصل الذي تنطلق منه المشاهدة المنتظمة و بناء النظريات و التفسيرات المقنعة.<sup>2</sup>



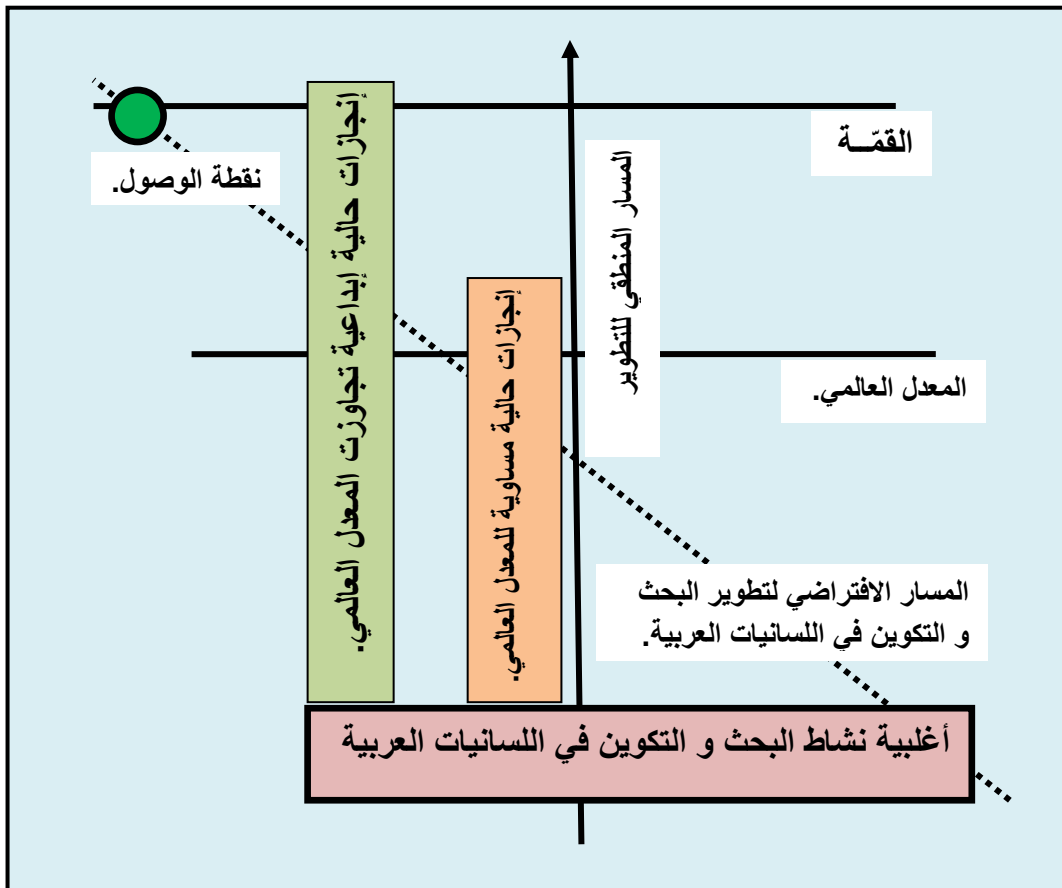
شكل 5: نموذج التركيز الأفقي: التطوير على قاعدة المخزون العلمي التراثي.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 5-11.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 214.

## 5- نموذج التركيز العمودي:

يرى أصحاب هذا الاقتراح أنه يجب توحيد الجهود في المرحلة الحالية و ما سيأتي بعدها على هدف مُحدّد هو ملاحقة الإنتاج اللساني العالمي و رصد الإبداعات و الأفكار الجديدة أولاً بأول<sup>1</sup>، فلا بد من غلق مساحة الفارق في المستوى الذي تفوقنا فيه اللسانيات العالمية، ثم نكون على استعداد للإبداع و التميز<sup>2</sup> و الإضافة، و الهدف النهائي أن نندمج و نتماهى مع هذا الكل الذي هو اللسانيات العالمية<sup>3</sup>، فيصبح الإبداع العربي في هذا المجال غير مختلف في شكله أو مضمونه أو مفعوله الإجرائي عن غيره مما ينجز حول العالم في ذات التخصص و نفس القضايا.



شكل 6: نموذج التركيز العمودي: الاندماج في اللسانيات العالمية.

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي.

<sup>2</sup> - محمد غاليم، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، ص 9، 85، 101-113.

## المبحث الرابع:

### تقييم المقاربة المعرفية في التفكير اللساني العربي المعاصر.

إن استغلال مناهج البحث المعرفية بالغ الأهمية، و كثير من الجامعات حول العالم تكلف فرق بحث لانجاز هذا النوع من الدراسات بصفة دورية، كما أنه يدخل في جملة البحوث الأساسية التي تتخلى بصورة شبه كاملة عن القبلية و الظنّيات و تحاول أن تبني نظاما جديدا من الأواليات و الفرضيات العامة تضبط النشاط العلمي في كل أبعاده؛ تأليفا و بحثا و منهجا، في ضوء عدد أكبر و أوفى من المعطيات.

ثم إن اطلعنا على حقيقة النموذج المعرفي للفكر و العطاء اللساني العربي في هذه السنوات الأخيرة يُفترض به أن يساعدنا في إنجاز المراحل القادمة من تطوير هذا الميدان البكر، و يتعلق الأمر بمعرفة المجالات و المواضيع التي تستحق اهتماما و عناية أكبر، و الطرق و المناهج التي نحتاج إلى تطويرها أو تجديدها، و كذا طبيعة التنسيق و التعاون بين الاختصاصات، و ما نحن بحاجة إليه حقا من التفاعل و الأخذ و العطاء من جهود الفاعلين حول العالم في اللسانيات بكل فروعها.

من المهم التذكير بأن المقاربة المعرفية ليست نشاطا نقديا صرفا، فمن وظائفها الأساسية التنويه بقيمة المخزون المنجز من الجهود العلمية المختلفة في ميدان اللسانيات العربية على مدى أكثر من سبعين سنة من العمل. و كذا التفتن إلى بعض المزايا و في الوقت نفسه العيوب الأساسية التي يحتاج الفكر و الخطاب اللساني العربي إلى تامين بعضها و تفادي بعضها الآخر بالطرق المناسبة.

و لا شك أن بعض المحاولات الجادة في هذا المجال قد عززت التأكيد على وجود نموذج معرفي عربي مستقل في التراث العربي، و ساهمت في اكتشاف عدد من المؤشرات و المقاييس



العامّة تخصّ هذا النموذج<sup>1</sup>. و من المرجح أن هذه المؤشرات هي خطوات جاهزة و ملموسة على طريق التطوير، و فيها دليل واضح على أن العقل العربي قادر على الإنتاجية و الإبداع بصورة مستقلة و غير تابعة لغيره من الأطر و البرامج الأخرى، و قد تكون هذه التبعية المفرطة و الخالية من لوازم النقد و المتابعة المنصفة أكبر عيوب البرامج الطموحة في الخطاب اللساني العربي المعاصر<sup>2</sup>.

من جهة أخرى كان النقد الموضوعي لمشكل المراكمة الكمية، و الافتقار غير المبرر لعناصر أساسية في البحوث النظرية و خاصة البرامج التأسيسية مثل: التنظيم، التخطيط، النوعية، و لغة الكتابة العلمية، من أبرز مهام البحث الراهن و المستقبلي في السياق المعرفي، و لا تتبع أهميته من مجرد كشف الأخطاء الخفية و المشاكل العvisية، بل تتجاوز ذلك إلى فتح الآفاق لإرساء تقاليد و أدبيات جامعة تنير الدرب نحو المؤسسة العلمية اللسانية العربية.

و لا يعني التحليل السابق أن الطريق نحو الغايات السابقة سهل أو قريب، كما لا يعني أيضا و بالضرورة الحتمية أنه صعب و بعيد، بل الدرس الأساسي الذي نتعلمه من المقترّب المعرفي في ملاحظة متأنية لفكرنا اللساني كأننا نتحسس حدوده و تفاصيله و هيكله بكل أبعاده أنه من الضروري تخطي بعض الصغائر لبلوغ كثير من العظام، و لا سيما تلك السلبيات المطردة المسجلة على الخطابات النهائية، حيث تُطبق آليات سريعة و مستهلكة للخروج باستنتاجات مفرطة في التعميم، في حين أن معظم الفاعلين في الميدان مقرون بأن أكبر الصعوبات التي يواجهونها هي عدم توفر قواعد البيانات الشاملة، إضافة إلى صعوبة عمليات التحقيق الميداني بسبب رواسب و عوائل اجتماعية و إدارية كثيرة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي و البنوية: اختلافهما النظري و المنهجي. (بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2) ص 23-43.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية نماذج للحصيلة و نماذج للآفاق (ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، ص 11-40.

و من أجل ما سبق ذكره ينبغي التفكير ملياً في بناء قاعدة المعلومات اللسانية الشاملة، و جعلها محوسبة و خاضعة التحديث و المزامنة المستمرة. كما ينبغي أيضاً الاستفادة من التجارب العالمية من خلال زيادة متدرجة لميزة التوجه المباشر إلى معالجة المنتج اللساني في كل أبعاده و أشكاله؛ المكتوب، المنطوق، المنتديات، المنتقيات، التسجيلات و المذكرات الشخصية، سير الآراء، و غير ذلك من أشكال الاستعلام. كما ينبغي أيضاً عدم إنكار الاقتراحات و الأفكار الجديدة لا سيما تلك التي من المتوقع أن يخرج بها بعض الطلبة النابغين، و شباب الباحثين، و يمكن تشجيع هذا النوع من الروح الابتكارية باقتراح بعض اللجان العلمية أياماً دراسية و ملتقيات دولية مخصصة لهذه الفئة مضمونها هذا النوع من التجديد.

# الفصلُ الثَّاني:

## تُّجاهاتُ التَّفكيرِ اللُّسانيِّ العربيِّ المُعاصرِ

المبحث الأول: الاتِّجاه التَّأسيسيّ.

المبحث الثاني: الاتِّجاه الإجماليّ.

المبحث الثالث: الاتِّجاه التكوينيّ.

المبحث الرَّابع: الاتِّجاه المِهنيّ.

المبحث الخامس: الاتِّجاه النّقديّ.

## المبحث الأول:

### الاتجاه التأسيسي.

#### المطلب الأول: وجود الفكر التأسيسي في اللسانيات العربية.

إن الاتجاه الساعي إلى تأسيس بيئة لسانية عربية منتجة وفعالة استقطب مقدارا من الاهتمام و الدعم منذ البواكير الأولى لدخول اللسانيات إلى صلب الثقافة العربية، و من المعلوم أن هذه الأفكار التأسيسية تزامنت مع بروز الإيجابيات، و في الوقت نفسه المشاكل و الصعوبات التي نتجت بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن احتكاك اللسان العربي و المشتغلين عليه بهذا الوافد المعرفي الجديد.

أما الإيجابيات المباشرة و التي تركز على غطاء ملائم و مقنع من الآثار و التجليات الميدانية و المنهجية التي سمحت اللسانيات ببروزها فيمكن تقصيها في مجالات عديدة:

أولا: هناك انفتاح و مواكبة لمسار البحث العلمي اللغوي في العالم، و قد تكونت قناعة راسخة لدى الرواد الأوائل بأن التنمية اللغوية لا تقل عن بقية أجناس التنمية و أبعادها<sup>1</sup>، ثم إن هذه القناعات نُقلت من هؤلاء الرواد إلى طلبتهم و زملائهم الأصغر منهم سنا فامتدت على إثر ذلك دائرة هذه القناعات و ترسخت مع مرور الأيام شيئا فشيئا حتى أثمرت مشاريع منتجة و بناءة سواء في الصعيد الفردي أو الجماعي.

**في الصعيد الفردي** بدأت تظهر المحاولات و الجهود المتنوعة و المتفاوتة العمق لمعالجة اللسان العربي من كل الجوانب، و تطور هذا الاتجاه عند عدد قليل من العلماء الراسخين من خلال مشاريع تتطلع إلى صياغة نظرية لغوية شاملة يعالج بها اللسان العربي في كل مستوياته، و لا سيما تلك المستويات الوظيفية التي تظهر فيها قيمة اللغة العربية و مقدار حيويتها و نشاطها الفعال في نقل العلوم و التكنولوجيا و الثقافة و الأدب و الإعلام

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط2007، 1م، ص11.

المعاصر. و لعل هذا ما حمل فريقا معتبرا من الرواد العرب في مجالات الفكر و النقد و الإعلام إلى الإعلان صراحة بأن للسانيات شأنًا و دورا ضروريا في مساعدة هذه المجالات على تحقيق المدى الأقصى من الكفاءة التواصلية<sup>1</sup>. و تأسيا بما حدث في أوروبا و الولايات المتحدة بدأت بوادر العلاقة القوية المتينة بين البحث العلمي اللغوي و بقية المرافق الحيوية في مجتمع المعرفة.

و من الإنصاف بمكان الإقرار بأن البحث اللغوي كان يعيش حالة من الروتين، بل وضعا مزمنًا من الركود و الانكماش، و كان البحث التطبيقي و الميداني مُغفلا و شبه معدوم، بل وجد من فطاحل اللغويين و النحاة في الجامعات اللغوية العربية في تلك المرحلة - خلال الأربعينيات و ما بعدها- من سخر من مفهوم البحث التطبيقي، و عد القائلين به و الداعين إليه هواة<sup>2</sup>. مع العلم أن هذا الاتجاه الذي يربط البحث اللغوي بمرافق الحياة و ميادينها الحية و الفعالة هو دأب مؤسسي علم العربية الأوائل، و منهجهم الذي لم يروا به بديلا، و هو الطريق الذي أنتج الأفكار و النظريات المبكرة التي ما زلنا على عهدنا في زماننا هذا نعجب من نظامها و عمقها و سلامة ترتيباتها.

و محصول القول أن تصحيح النظرة إلى اللغة باعتبارها ظاهرة عامة الوجود عند بني البشر، ثم إلى اللغة العربية باعتبارها وسيط التداول و الاتصال الأكثر استعمالا بين

<sup>1</sup> - أنظر: محمد عابد الجابري و آخرون، التواصل؛ نظريات و تطبيقات (ضمن سلسلة فكر و نقد)، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، لبنان، ط1-2010م. و كتابه الآخر: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2-1990م.

<sup>2</sup> - كان هناك اختلاف حاد في وجهات النظر داخل الجامعات اللغوية، و بخاصة في مجمع القاهرة الذين كان يهيمن عليه شيوخ اللغويين المتشبعين بالثقافة النحوية المتونوية القديمة، و يشير الأستاذ علي القاسمي إلى أن الأستاذ أحمد الأخضر غزال بوصفه رجلا محبا للتطبيق و داعيا إلى أفكار عملية جديدة مثل إصلاح نظام الكتابة العربية و الاستعانة بالحواسيب في البحث اللغوي الميداني كان كثيرا ما يخرج من الجلسات و يستقل الطائرة عائدا إلى المغرب نتيجة سوء التفاهم الشديد بينه و بين بعض الأعضاء. و لا يعني ذلك أنه كان محقا في هذا السلوك، و هو كان معروفا بمزاجه المتقلب. غير أن هذا الشاهد يوثق جانبا من الأحكام التي ظلت تسري في الخطاب اللساني و لقيت القليل من التمهيص و الاعتراض. أنظر: حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1-2009م.

الأمم الناطقة بالعربية، وكونها المخزن الحاضن للثقافة و التراث، و فوق هذا و ذاك كونها الوضع الذي خاطب الله تعالى به نبيه الكريم ﷺ فهي الواسطة في هذه المستويات الثلاثة؛ التداول و الاتصال اليومي، فهم و تذوق الفكر و الثقافة و العلوم العربية، فهم الوحي و الامتثال له و العمل به. إن هذا التصحيح الذي حصل منه مقدار معتبر، و ينتظر استتمامه و إنضاجه أكثر في المستقبل، قد ساهمت اللسانيات في صرف الأفكار و الأنظار إليه بطرق مباشرة و غير مباشرة.

ثانياً: السماح بحصول توسع هام في المدارك و المعارف اللغوية ظهرت بوادره من خلال المحاولات الجادة لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي مع الاستعانة بمقاربات و أدوات منهجية و تحليلية تم تطويرها و تجربتها في معالجة التراث العالمي و حظيت بقبول واسع عند علماء اللسان في العالم.

و إذا كنا نعتقد في تراثنا الثراء و التنوع فإن هذه المحاولات العلاجية أو التأويلية الجديدة ينبغي أن تُحسب لصالح هذا التراث. و إذا استثنينا حالات شاذة و قليلة أظهر فيها التحليل العلاجي أو التأويلي المسلط على التراث نتائج باعثة على الريبة و مستفزة أحياناً، فإن العدد الوافر من المحاولات العربية الأخرى سمحت بتكوين إطار نظر أرحب و أوسع لمصادر الإبداع و التميز التي يزخر بها التراث اللغوي العربي؛ و قد تناولت هذه الجهود المطردة معظم الجوانب الممكنة للمعالجة؛ الكمية و النوعية، الأفقية و العمودية، العامة و الخاصة، الكلية و الجزئية، النظرية و التطبيقية. و من شواهد إيجابية هذا الاتجاه ظهور دراسات في أعلى مستويات البحث تطرقت إلى التراث اللغوي العربي باعتباره **نموذجاً معرفياً نظيراً أو منافساً أو مولداً للسانيات الغربية الحديثة في حد ذاتها؛** و كمثال على ذلك الإثباتات التاريخية و المنطقية المقنعة التي توصل إليها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في دراسته حول "علم العربية" بوصفه مثلاً متميزاً عن اللسانيات الغربية؛ سواء من حيث المنهج أو من حيث الأسس المعرفية الإبستمولوجية التي قام عليها؛ و يتعلق الأمر بوجهة النظر إلى اللغة و طريقة كل طرف في تفسير الحدود بين الذاتي و

الموضوعي في هذا الإطار و يتعلق الأمر أيضا بحدود البحث، و المسلك الذي ينبغي على الباحث أن يسلكه في تعامله مع الكلام الخام أو مع المجاميع و المدونات؛ فالنظرة الغربية و خاصة البنوية تقتصر على النشاط الوصفي و تعتقد بأن **التصنيف و الترتيب الصحيح** للعناصر اللغوية الصغرى و الكبرى هو الغاية النهائية للباحث اللغوي، و كل تحليل يؤول إلى العلل و التفسيرات فهو تأمل و استطراد ذو طبيعة فلسفية ليس من شأن اللغوي و لا يدخل في مجال حرفته و اختصاصه. أما النظرة العربية الراجعة إلى علم العربية و رواده الأوائل فلا تنكر الوصف و التصنيف إلا أنها تقول بأن الآراء و النظريات غير المعللة تفتقر إلى أهم ركن من أركان العلم و هو المبرر لقبولها، **فكل نظرية غير معللة تتساوى مع أي فكرة أو ادعاء، و هذا لا يهدد النظرية أو الإطار الفكري الواحد، بل يهدد العلم كله أن يقوم و أن يواصل تقدمه و نشاطه النافع.**

**ثالثا:** تكوّن نخبة كبيرة من الكوادر العلمية المتميزة التي تجمع بين المعرفة العميقة لأسرار التراث اللغوي العربي، و في نفس الوقت تتحكم في أدوات المعالجة اللسانية في أحدث نظرياتها و مناهجها سواء في المجال النظري أو التطبيقي، و بناء على ذلك لوحظ تنامي للاتجاه الإجرائي الذي يشترط على الذات الباحثة الاستحضار المستمر للأهداف النفعية و العملية للبحث العلمي، و نتج عن ذلك جهود و مشاريع كثيرة نجحت في عقد أواصر الصلة المباشرة بين البحث العلمي في اللغة العربية و أكبر المرافق حيوية و ديناميكية في حياة المواطن العربي عموما و الباحث العربي على وجه الخصوص، و يتعلق الأمر بالإنجازات التي تمكن الباحثون العرب من تحقيقها في مجال العلاج الأوتوماتيكي للسان العربي<sup>1</sup> و التحسينات الواضحة التي طرأت على فعالية هذه الإجراءات فيما يخص

<sup>1</sup> - للتفصيل يراجع: نبيل علي (و هو من مؤسسي اللسانيات الحاسوبية العربية). الثقافة العربية و عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع265، يناير 2001م. و دراسة الباحث نزار حبش بعنوان: (مدخل إلى التحليل العلاجي للغة العربية بوصفها لغة طبيعية) Nizar Y.Habash, Introduction to Arabic Natural Language Processing, Morgan & Clypod Publishers, New-York, USA, 2010.

الانترنت على وجه الخصوص. و هناك أسباب كثيرة مقنعة يعضد بعضها بعضا تدفعنا للقول بأن تأخر الإنترنت العربي بوصفه مشروعاً قومياً مستقلاً يعد حالة خاصة بعيدة كل البعد عن حقيقة المسارات المنتجة لأغلب المشاريع النظرية أو التطبيقية التي استولدتها الورشات و المخابر، سواء في أروقة الجامعات أو من طرف الباحثين المتفرغين، و لا شك أن هنالك صعوبات و مشاكل عديدة تواجه هذا الاتجاه، إلا أن نظرة فاحصة تكشف لنا أن القسم الأكبر منها و الأخطر تأثيراً لا علاقة له بالبحث العلمي و لا يرتبط بتعقيدات في الأفكار أو في المناهج و الأطروحات، بل له ارتباطات متشعبة مع قضايا إدارية و تنظيمية و اجتماعية و في بعض الحالات - كما في حالة مشروع الانترنت العربي - تكون للعوامل الثقافية و السياسية اليد الطولى في حسم الأمور.

**رابعا:** توفير الغطاء الموضوعي لمتطلبات تطوير اختصاص اللغة العربية و الاختصاصات المرتبطة به كالأدب و النقد اعتماداً على المجالات الفسيحة التي أصبح علم اللغة حول العالم يفتحها كل يوم لهذه الميادين، و من شواهد ذلك ظهور البحوث الميدانية و المخبرية، و تمكن الباحثين و المختصين من غير اللغويين من الاستفادة المتبادلة و صولا إلى المشاريع و الأطروحات المشتركة ثم المتعددة ثم المندجة.

و من النماذج المباشرة في هذا الإطار استفادة أطباء التلييب (أمراض الكلام) من تحليلات علماء اللسان حول الحبسة الكلامية خاصة عند الأطفال، و قد استفاد علماء النفس العيادي و المستشارون التربويون من هذه النتائج ثم أعاد هؤلاء تصويب بعض أفكار اللسانيين استناداً إلى شواهد و معائنات ميدانية<sup>1</sup>. فهذا مثال من الاستفادة المتبادلة و قد أعطى ثماره وقت تنفيذ خطة الرصيد الوظيفي المشترك لأطفال المغرب العربي. و من النماذج أيضاً المشروع المشترك بين خبراء الحاسوبيات في المايكروسوفت و خبراء اللسان العربي في مؤسسة الفكر العالمية الذي أثمر أول مرصد إحصائي للمحتوى العربي في

<sup>1</sup> - أنظر: كمال فرات، التحليل الفيزيائي لتقييم إعادة التأهيل لحالة الاستئصال الكلي للحنجرة في وسط استشفائي بالجزائر، كراسات مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع2006، ص3-49.



الإنترنت و اصطلاح على تسميته (مأرب)<sup>1</sup>. و ما زال الشطر الخاص بالمشاريع المندمجة لم يتبلور بشكل لافت في الوطن العربي حتى يومنا هذا، و هناك معلومات غير رسمية عن توجه في هذا المسار داخل الجامعات السعودية و لاسيما القطب التكنولوجي الكبير في الرياض<sup>2</sup>.

إن ما تم ذكره آنفا لا يمثل كل إيجابيات اللسانيات على اللغة و الثقافة العربية الحديثة و المعاصرة، فهناك مسائل دقيقة و جزئية تخص كل قطر عربي على حدة و كل قطب جامعي على حدة، و هناك ما يرتبط بالخصائص و المميزات الايجابية في المشاريع و الأفكار المطروحة و كذلك ما يرتبط باختيارات الشخصيات العربية الباحثة و مستوى تحررها من القوالب الجاهزة و قدرتها على الإبداع و التجديد.

و كما نوهنا في مستهل هذا المدخل فإن هيمنة الأفكار التأسيسية على أذهان الرواد الأوائل من اللسانيين العرب كانت مدفوعة بدافعين قوين متناقضين؛ أولهما ايجابيات اللسانيات التي لم يكن من الممكن، و لا من المعقول غض الطرف عنها أو حرمان المواطن و المثقف العربي منها، و ثانيهما المشاكل و الصعوبات التي ظهرت كلما لامس البحث منطقة من المناطق الحساسة، أو الطابوهات المقدسة في التراث و الثقافة اللغوية و هي كثيرة و متنوعة. و من أجل ذلك نعتقد بأن هذه المشاكل رغم اتصالها الوثيق بدخول اللسانيات إلى الساحة الأكاديمية و الثقافية العربية فإنها لا ترتبط ارتباطا عضويا باللسانيات في ذاتها

<sup>1</sup> - أطلق مشروع (المرصد الإحصائي للمحتوى الرقمي العربي) بتاريخ: 2013/03/08م. اضطلعت به مؤسسة الفكر العربي في لبنان مكللا برعاية مركز الملك عبد العزيز بن سعود الثقافي العالمي، و المبادرة من تمويل عملاق النقط السعودي شركة أرامكو. المحتوى الرقمي - حسب الخبراء القائمين عليه - ليس محرك بحث، لكنه يقدم قاعدة بيانات (data base) إحصائية تفاعلية ترتبط بالوجود النوعي و الكمي للمحتوى العربي المتاح في مختلف قنوات النشر المتوفرة في الإنترنت المكتوبة باللغة العربية (أو بالحرف العربي إن جاز التعميم) و الذي تتراوح نسبته بين: 1 و 2.3% من إجمالي المحتوى الرقمي العالمي الذي تهيمن عليه اللغة الإنجليزية بنسبة تتجاوز الخمسين من المئة. الموقع الرسمي للمرصد في الإنترنت هو: [www.arabdigitalcontent.com](http://www.arabdigitalcontent.com).

<sup>2</sup> - مدينة الملك عبد العزيز للعلوم و التكنولوجيا و فيها معهد علوم الحاسب يرأسه الخبير منصور الغامدي الذي له إسهامات هامة في مشروع الإنترنت العربي.

من حيث هي منظومة معرفية لها استقلال مسلم به في المناهج و الموضوعات و كثير من طرق المعالجة و التحليل، و الدليل الأكبر على سلامة هذا الزعم عدم ظهور نفس أجناس هذه المشاكل عند الأمم العالمية الأخرى التي استوعبت اللسانيات لغويا و ثقافيا منذ بواكيرها الأولى؛ و كمثال واضح و مفيد في المقارنة المنصفة مع الحالة العربية نشير إلى الحالة اليابانية باعتبارها واحدة من أبكر حالات التأثير المباشر و العميق بثورة اللسانيات<sup>1</sup> و في المقابل أيضا الحالة الأمريكية باعتبارها حاضنا لهذا التغيير العلمي الهائل<sup>2</sup>.

**أول المشاكل:** مشكلة التموضع و هي مشكلة معقدة و ما تزال قائمة حتى يومنا هذا، أي بعد نحو سبعين سنة من المبادرات الأولى. و المقصود هنا أن اللسانيات عندما تُقدم بوصفها دراسة علمية للسان البشري، كما جرت عليه العادة في كل الكتب و المحاضرات التمهيدية، فإن كلاً من علماء اللغة و النحو العربي و المهتمين بالأدب و التراث لم يستوعبوا الجديد الذي ينطوي عليه هذا العلم، و نتيجة لذلك ظهرت الآراء و الأحكام المتسرعة التي زعم فيها البعض أن المسألة لا تعدو أن تكون تلاعباً بالألفاظ و المصطلحات؛ فبدل أن نقول علم اللغة نقول علم اللسان أو اللسانيات، و ما دامت علوم اللغة العربية قائمة و مستقرة فما حاجتنا إلى هذا العبء الإضافي؟

و هناك من جهة أخرى نمط من التقبل المشروط الذي يقبل اللسانيات و لكن بشرط أن يكون مضمونها هو النحو العربي الكلاسيكي أو التحليل الغربي الأحادي الجانب. و كلا الطرحين لا مانع منه من حيث المبدأ، نظراً لكون اللسانيات لا تقوم على مصادرة حق الباحث في اختيار مدونته أو مسلكه المنهجي، و لكن الجانب الخاطيء في

<sup>1</sup> - ترجم كتاب دي سوسير الى اليابانية سنة 1928م، و تعد من أبكر الترجمات، و تأثيره هناك قوي جداً، راجع في هذا الإطار: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1-2007م، ص 154.

<sup>2</sup> - قدم الأستاذ نهاد الموسى دراسة مفيدة في التعرف على عدد من جوانب الاختلاف بين نمط نمو اللسانيات و تعاطيها أكاديميا و ثقافيا في الولايات المتحدة و في الوطن العربي، يراجع: نهاد الموسى، اللغة العربية في مرآة الآخر: مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1-2005م.

هذا النوع من التفكير هو الاعتقاد الذي يتسخ شيئا فشيئا بأن هذه المعالجات الجزئية و اللسانيات هما صنوان مترادفان.

و بالجملة كانت المساعي المبكرة منطقية أيضا إذا أخذنا في الحسبان عاملا مهما و هو أن نواة انتشار و تعريف اللسانيات لجمهور المثقفين العرب كانت الجامعات، و تحديدا الأقسام اللغوية و الأدبية<sup>1</sup>؛ لقد حمل اللغويون العرب الذين رجعوا للتوّ من بعثاتهم العلمية إلى الغرب على عاتقهم المهمات الشاقة المرتبطة بهذا المشروع الطلائعي المتميز، و لم تكن متطلبات التأسيس تقتصر على أعمال معقدة و دقيقة مثل الترجمة و التعريب و التدريس الأكاديمي، لقد كان ينتظر هذا المشروع أعباء و أنواء أعمق أثرا و أشد خطرا، و على رأسها محاولة إقناع جيل كامل من النخب اللغوية و الفكرية نشأوا على طرق التعليم التراثية، و لا شك في أن البعض منهم ارتبط بهذه الطرق إلى درجة الإدمان، و صار دفاعه و استمساكه بها مأخوذا بالتعصب و طول الألفة أكثر بكثير من أية عوامل علمية أو موضوعية.

و في المشرق العربي أو في المغرب العربي، نفس التعقيدات كانت تنتظر هذا المشروع، إلا أن المغرب العربي كان يزيد على ذلك تأخره عن المشرق حوالي عشر سنوات إضافية تحت وطأة استعمار استيطاني يعرف المؤرخون جميعا أنه ضيق و شدد على الحريات الثقافية، و اللغوية بالذات بشكل لا مثيل له.

إن التأسيس لعلم جديد كليا، أو لعلم يُجدد بعض ما درس من علومنا العربية، كلا الطرحين أصعب من الآخر؛ إذا افترضنا أن اللسانيات نموذج معرفي مستقل عما سبقه استقلالاً تاماً من حيث الموضوع و المناهج التحليلية فإن أبسط ما يقال، و هو مما قيل فعلا لمن تحمس لهذا المنظور في البدايات: لماذا نُثقل كواهلنا و نحمل على ظهورنا بضاعة مزجاة من علوم غربية مخترعة في لغاتهم و منطقتهم و عندنا النحو و الصرف و البلاغة و

<sup>1</sup> - أكثر المساهمات في هذا الإطار جاءت من أقسام اللغة و الأدب العربي، إلا أن ذلك لا ينفي جهود أقسام اللغات الأخرى: الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية، بالإضافة إلى الجهود الحاسمة لأقسام الترجمة.

العروض فيها الخير و البركة؟ ألا ترون أن طلابنا هم في قلق و ضجر مما هو عندهم، فبدل أن تفكروا معنا في سبل التخفيف و التيسير جئتم بكل ما فيه تنفير و تعسير!

و أما إذا أخذنا بالاقتراح الآخر الذي يرى اللسانيات امتدادا طبيعيا لمنظومة البحوث اللغوية السابقة كما يزعم مؤرخو العلوم اللغوية الغربيون، فإن أول المشاكل التي تواجهها هي مشكلة المقارنة بين الحالة التاريخية للسانيات العربية و اللسانيات الغربية؛ فمن الواضح أن الجزئيات المكونة لتطور علوم اللغة العربية و مجموع الجهود المرتبطة بدراستها و بحثها تختلف من عدة أبعاد عن تلك الجزئيات التي شكلت الإطار الموضوعي لما يصفه المختصون بالانقلاب أو بالثورة اللغوية العلمية الحديثة التي غيرت صورة البحوث اللغوية و موضوعها و مضمونها و أهم من ذلك كله غيرت مكائنها و مركزها في مراتب العلوم المعتمدة. ذلك أن العلوم اللغوية أحدثت بفضل تصحيحات اللسانيات طفرة بتحولها من علم فرعي أو مكمل إلى واحد من أهم العلوم الرئيسية التي يتسابق الطلاب و الباحثون على النهل منه. و قد عبر الحاج صالح باعتباره شاهدا على الأحداث بعد سنوات قليلة من الانقلاب الجامعي الكبير الذي شهدته الجامعات الفرنسية خلال أواخر الستينيات، و تحول كراسي علوم اللغة إلى كراسي اللسانيات عن هذه المعطيات على النحو الآتي: «لاحظ المختصون [في العلوم الأخرى كعلم الاجتماع و علم النفس] النجاح الباهر الذي كللت به جهود زملائهم في الـ (Linguistics) بعد أن أعاد هؤلاء النظر في كل المعلومات و المناهج التي تركها لهم الباحثون السابقون. و ما كانت في الحقيقة إعادة نظر فحسب بل ثورة على الأساليب و المفاهيم المسلمة التي ما كان يجرؤ احد قديما على جدالها و إنزالها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر و التمحيص. بل كانت في الواقع ثورات توالى طيلة قرن و نصف أنعشت البحث العلمي أيما إنعاش»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1: 2007، ص7.

لقد انطلقت الرؤية التأسيسية للسانيات في الغرب من أحد منطلقين؛ إما اعتبار اللسانيات نموذجاً معرفياً مستقلاً في إطار المنظور التصنيفي التخصصي الذي غزا العالم بعد الثورة الصناعية في أوروبا، وإما اعتبارها شكلاً من أشكال التطور الكمي والنوعي في المعرفة اللغوية يجسد تاريخاً متطاولاً من الجهود اللغوية الإنسانية.

و في أوروبا و أمريكا يستمر الجدل بين هذين المنظورين، لكنه عملياً لم يمنع تأسيس البيئة اللسانية القادرة على الإنتاج والإبداع، بل لعله أثار طريق هذه البيئة و وسع لها الآفاق، أما في الوطن العربي فلم يكن الأمر على تلك الحال من الانسجام، ما زال الجدل محتمداً بين أكثر من منظور، و مما لا شك فيه أنه قد ظهرت مع الأيام آراء و أفكار هنا و هناك تريد أن تخرج بحل يفيد البحث اللساني العربي و يتقدم به.

### المطلب الثاني: مفهوم التأسيس.

منذ البواكير الأولى للسانيات وجد هذا النوع من التفكير الذي يهدف إلى إنشاء فضاء خاص للسانيات أو لعلم اللغة كما كانت تسمى في أول الأمر<sup>1</sup>، و كان على الرواد الأوائل و خاصة في المشرق العربي أن يتحلوا بالكثير من الرضى و القناعة، و في هذا الإطار توجب عليهم أن يتحركوا بهدوء و أن يتجنبوا أية صراعات أو هجومات على العلوم اللغوية المقررة، و أن يبحثوا في الفراغات المكانية و الزمانية الضيقة ليعملوا لبنة خفيفة هنا أو هناك.

و يتبين لنا من تحليل مواقف اللسانيين المشاركة هذا المفهوم التدريجي البطيء للتأسيس، فهم جميعاً كانوا على قناعة بأن تمكين اللسانيات أمر ممكن و غير مستحيل، لكنه لا يكون إلا قليلاً قليلاً على المدى البعيد، و أثبتت الأيام أن هذا المنظور لم يجد نفعاً، و أن أشهر اللغويين المشاركة اضطروا ليعيروا من تفكيرهم ليقبلوا الأوضاع المملة التي

<sup>1</sup> - من أوائل المصطلحات المستعملة للإشارة إلى هذا العلم الجديد: علم اللغة، و ما زال هذا التعبير ساري المفعول في بعض الدراسات المشرقية، لا سيما عند المصريين، على أن المصطلح الأكثر شيوعاً هو اللسانيات.

كانت تحيط بهم. يعبر الأستاذ تمام حسان عن هذه الأفكار قائلا: «حين كنت أتولى تدريس علم الأصوات العلمية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة - فيما بين عامي 1953 و 1959 - كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، و لاسيما عند تطبيق منهجها و أفكارها على دراسة اللغة الفصحى... لقد أشفقت أول الأمر على ما يدور في رأسي من أفكار المنهج الوصفي أن تهب عليها رياح اللوائح و السلطة الرسمية و مطالب تنشئة الطلاب في النحو العربي التقليدي... من هنا آثرت أن أبتعد بأفكار المنهج الوصفي عن طلبة السنوات الأربع التي تنتهي بالدرجة الجامعية الأولى، و لكنني أكدت وجود هذه الأفكار و أصررت عليها بالنسبة لطلبة الدراسات العليا»<sup>1</sup>

أما في المغرب العربي فإن الأمور و إن بدأت متأخرة إلا أنها كانت أعمق أثرا، و قد تتفاجئ عندما نجد حماس الرواد المغاربة للسانيات أعلى و أنصح من حماس الغربيين أنفسهم في بعض الأحيان، و قد يكون انتشار كلمات مثل: (ثورة/ ثورة علمية/ ثورات متتالية)<sup>2</sup> في كتابات هؤلاء الرواد مؤشرا مفيدا يؤكد هذا المنطلق المعظم لشأن اللسانيات، ثم إننا نجد لأول مرة عند هؤلاء الرواد من المغاربة فكرة جديدة في مضمونها و أهدافها، إنهم لا يسعون إلى نقل علم غربي إلى الثقافة العربية، بل يسعون إلى تأسيس لسانيات عربية مستقلة. هذا يعني أن اللسانيات في أذهان هؤلاء العلماء توقفت عن أن تكون لازمة من لوازم الفكر الغربي، و تحولت إلى فكرة ذات إشراق عالمي لا مانع أبدا من أن يوجد لها صدى و إشراق خاص مميز في الثقافة الناطقة بالعربية<sup>3</sup>، و يفسر هذا المنظور تحولا عميقا في مواضيع الاهتمام العلمي انعكس في الكتابات، و الإجراءات التنظيمية على مستوى المعاهد و الكليات، و كذلك في الملتقيات و المؤتمرات.

<sup>1</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994م، ص 7-8.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ط 1-2007م، ص 7-11.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 2-1986م، ص 24 و ما بعدها.

في الفقرات الموالية نريد أن نقرب من هذا التفكير التأسيسي الذي صرح به البعض و طواه البعض الآخر في ثنايا الإنجاز، و لم يظهر له أي ملمح عند البعض الآخر، و نحاول أن نستنبط من كل هذه المواقف الانشغالات الرئيسية التي جعلت العقول العربية تتحرك نحو هذا المشروع، و ما الخصائص التي ميزت هذه الجهود، و ما الذي تم تحقيقه، و ما الذي ينتظر تحقيقه في حيز الإمكان و التجسد.

### المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات التأسيسية.

إن كلمات مثل: علم و علمية و عالمية و عولمة، هي مؤشرات واضحة لنوع جديد من التفكير يريد أن يرتبط بالنزعة السائدة في الحياة المعاصرة، و يعكس هذا الانزياح المعجمي المقصود تصورا لما ينبغي أن تكون عليه المؤسسة اللسانية العربية من التزام تام بالمنطلقات الصارمة التي تمنح أصحابها الحصانة الملائمة في التفكير و المعالجة التحليلية للسان البشري، و هذا الإطار الفكري في صورته الخام له جملة محاور يرتكز عليها و يدافع عنها باستمرار.

أهم هذه المرتكزات التمييز بين النشاط الاحترافي للعلم و المقاربات الأيديولوجية للمشاكل، إذ يستعمل التمييز بين العلم و الأيديولوجيا بصورة مكثفة في التحليل الذي ينشد التأسيس لبيئة لسانية مخصصة للعلم البحت، و يجب أن نقول بأن كلمة العلم لا تعني شيئا واحدا مستقرا في السياق الفردي، لكن هذه المفاصلة تبدو مريحة لبعض ممن تقوده المقارنة بين الأوضاع العربية و الغربية إلى مثل هذه الأحكام التي هي صعبة التعميم، و استنادا إلى عبارة عبد القادر الفاسي الفهري فإن المطلوب في هذا الإطار هو الاحتراف كبديل عن النضالية<sup>1</sup>؛ و لا بد أن تكون الموضوعية و الصرامة من أهم مكونات هذا الاحتراف بالنظر إلى أنه مقابل للنضالية التي تضمنت العاطفية و العشوائية. أما عبد الرحمن الحاج صالح فإنه يضع الفكرة في سياق قراءته التاريخية للعناصر التي أحدثت

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة و البيئة، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، ع38، ط2003، ص45-50.

المشاكل و التعقيدات التنموية، و كمثل على ذلك يعتقد أن الخلط بين النظريات العلمية و الاختيارات الأيديولوجية تسبب في كارثة تعليمية في الجزائر منذ أواسط السبعينات، و يعتمد على هذا التمييز الصارم ليؤكد بأن مفهوم واحد كالمساواة بين الطلاب يكون له تفسيران مختلفان بل متناقضان أحدهما راجع إلى نظرة ذات أساس علمي معتبر، و الآخر راجع إلى اختيار فلسفي يوجه القرار السياسي<sup>1</sup>.

فإذا بدأنا بالتساؤل عن المراجع التي تسند هذا التفكير فينبغي أن نلاحظ المشتركات الفعالة و التي على رأسها التحول نحو مجتمع المعرفة و تأثيرات النزعة التجريبية الحرفية<sup>2</sup> التي تغزو البحث العلمي المعاصر بدعم غير مسبوق من مؤسسات البحث الأمريكية، و فكرة الوحدة و الشمولية العلمية التي انتقلت من فلسفة العلوم إلى اللسانيات و وجدت قبولاً واسعاً، و قليلاً جداً من التحفظ و النقد و خاصة في الأوساط الثقافية و العلمية العربية، سواء في الجامعات أو خارجها.

لقد زعم تشومسكي أن الهدف النهائي لدراسة اللغة بطريقة علمية يجب أن يتوج بالوصول إلى النموذج المعرفي الموحد ذي الخصائص الكونية، و يجب أن تلعب

<sup>1</sup> - في إطار ما يسميه الحاج صالح التسوية نحو الأسفل، يلاحظ بأن النظريات و المناهج العلمية المعتبرة تقر بالتفاوت و الفوارق الفردية بين التلاميذ، و هذا التفاوت سيظهر في نتائج الاختبارات و المعدل العام للتحصيل، لكنه أمر طبيعي. لكن بعض المسؤولين في قطاع التربية خلال السبعينات و الثمانينات و نظراً لتشبعهم بالأيديولوجيات الماركسية قالوا بأنه لا يمكن السماح بهذا التفاوت في المدرسة الوطنية، لأنه يعني عدم المساواة في الفرص بين التلاميذ!، و هنا يصطدم الرأي العلمي الموضوعي بالتوجه الأيديولوجي و يفرض الثاني بقوة المراسيم و القرارات، لا بقوة الإقناع و الحجج المنطقية المعقولة.

<sup>2</sup> - الأمبيريقية (Empiricism) يقصد بها البحث التجريبي البحث الذي لا يتوخى التعليل بحال من الأحوال، و لا يفترض أي افتراضات تحدف إلى فهم الظاهرة أو تفسير العلة العميقة لوجودها، و كل اعتماده على الخبرة الحسية فقط لا غير. أكبر المتشددين له حالياً هم الباحثون في الولايات المتحدة، أما في بقية بلدان العالم فالباحثون يدجون بين المستوى التجريبي و التطبيقي بشكل معقول، يراجع: موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة، الجزائر، ط1-2004م، ص: 472. و كذلك: هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، سلسلة عالم المعرفة- الكويت-عدد 227 نوفمبر 1997م/99، 195.



اللسانيات دور الوسيط الحيوي في هذا الإطار<sup>1</sup>، و رغم أن كلام تشومسكي اتسم بكثير من الاستنتاجات الحرة غير المستندة إلى قاعدة كافية من المعطيات التجريبية<sup>2</sup>، فإن أفكاره كانت مشوقة و غير قابلة للرفض، و ربما مفحمة كما يرى نيل سميث من جامعة لندن، ثم سيطرت هذه الأفكار بشكل مفرط على بعض رواد الاتجاه التأسيسي من اللسانيين العرب، و منذ فترة مبكرة نسبيا عبر عبد السلام المسدي عن اعتقاده بأن هذا التوحد ليس فكرة طموحة بل هو حقيقة و مظهر ملازم و ضروري للتصور الكامل و الموضوعي للسانيات<sup>3</sup> و يجب أن نحذو حذوه في تجربتنا العربية الفتية.

و بالعودة إلى الاحتراف كمؤشر في هذا المنظور يجب أن نلاحظ أن هذه الدعوة ليست جديدة، إن التمييز بين الهواية و المهنية حديث له تاريخ، و له عمق مديد في الحضارة العربية بالذات، و لا يمكن -على الأقل بالنسبة لهذا التيار المؤسس- أن نعتبر المؤثرات الغربية السابقة عوامل وحيدة بشكل مطلق في إحداث هذه النزعة.

#### المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات التأسيسية.

##### أ- إنتاج النظرية اللغوية العربية.

يُعد تطوير الأطر النظرية عند الباحث العلمي بمنزلة تطوير الأدوات و التجهيزات عند الصانع المحترف، كلما تطورت أدواته كان عمله اقرب إلى الكمال و الدقة، و قد يكسبه ذلك ميزة أخرى هامة جدا في عصر التكنولوجيا و الاتصالات السريعة و هي اختصار

<sup>1</sup> - أنظر: نوام تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1990، 61، 175. و : Neil Smith ,Chomsky ;Ideas and Ideals,Cambridge University Press,2nd Eduction-2002.

<sup>2</sup> - و قد اعتبر عبد الرحمن الحاج صالح تعويل التوليديين و بخاصة نوام تشومسكي على الاستنتاجات العقلية بشكل مطلق و عدم التفاتهم إلى التحقق التجريبي من أكبر عيوب اتجاههم، و هو محق في هذا الزعم، لأن مصدر المعرفة اللغوية لا ينحصر في الاستخبار العقلي وحده بل له مصدر ثان ملاصق و داعم باستمرار و هو المشاهدة أو النقل، أي المعاينة الشخصية للكلام الخام أو تلقي خبر موثوق عنه. أنظر: بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 25-26.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1986م، ص 11-20.

المدد الطويلة في انجاز المراحل التمهيديّة من البحوث، و هي تلك المراحل التي تتطلب جمعا تفصيليا للمادة العلمية قد يستغرق سنوات، و جهود عشرات من الباحثين المتفرغين.

و رغم هذه المزايا المقطوع بها فإن عدم توفر الباحث على إطار نظري متماسك يجعله كمن يطحن الماء، و من أجل ذلك اشتدت العناية بهذا الجانب. و البحث فيما يسمى النظرية اللغوية لفت اللسانيين العرب، و انغمس فيه بعضهم بكيفيات و مستويات متفاوتة، و يمكن تقسيم هذا البحث إلى قسمين؛ بحوث ترمي إلى كشف النظرية اللغوية العامة و هي نظرية وصفية أو تفسيرية أو إجرائية مباشرة لا ترتبط بلسان معين و إنما تضع فرضيات قابلة للتعميم على الظاهرة اللغوية بوصفها ميزة إنسانية فوق العادة. و القسم الثاني يشمل بحوثا تهدف إلى تغطية نفس المطالب في لسان محدد و هي النظرية الخاصة، و داخل القسمين هناك بحوث جزئية، و هذه البحوث تتطرق إلى نفس المطالب و لكن في حدود مجال واحد من مجالات الدرس اللغوي، كالمجال الصوتي أو الفونولوجي أو التركيبي أو الوظيفي.

## 1. إنتاج النظرية اللغوية العربية العامة:

### 1.1. ملاحظات أولية:

يجب أن نوضح في مستهل هذا البحث الجزئي أن نسبة النظرية العامة إلى العربية نعني به تخصيصها باللسانيات العربية، فقط لا غير، و من أجل ذلك لا نستبعد في هذا الإطار الجهود العربية التي حُررت في مجال النظرية العامة بلغات أخرى غير العربية، سواء أكانت مركزة على النظرية العامة لكل اللغات أم خاصّة باللسان العربي، أو أخصّ من ذلك كالتّي تبحث في اللغة الفصحى أو لهجاتها المعاصرة، أو التراث العربي القديم بصورة جزئية أو حصريّة.

و منطلق هذه المقاربة يقيننا بأن اللسانيات من حيث هي ميدان بحث علمي له مادته و موضوعه و مناهجه المخصوصة لا يكون عربيا و لا أوربيا و لا أمريكيا، و إنما هو كغيره

من ميادين العلم و مجالاته المستقلة، مساحة للعقول و الأفكار النظرية و التطبيقية، يمكن أن تُنجز في أي قطر أو بلاد من العالم إذا توفرت شروطها و أدواتها.

## 2.1. الإطار المرجعي:

لقد شكل شغف الإنسان و حاجته الفطرية و الوجودية إلى فهم الظواهر المحيطة به، و السيطرة على الكثرة المختلطة من العناصر و الجزئيات أكبر الحوافز الباعثة على التفكير في إمكانية ترتيب العناصر الكثيرة المتفرقة عشوائيا و ردها إلى عدد قليل من المجموعات و الأصول من أجل أن يتمكن الذهن البشري من عقلها و إدراكها، و هذا يعني أن التفكير في إنجاز أطر و تمثيلات عامة للظواهر الكونية ضارب في القدم. يقول اللساني الفرنسي جورج مونان: «يحدد تاريخ نشوء اللسانيات بحسب نظرة الباحث إليها، فمن الممكن أن يقال إنها نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد أو في سنة 1816م مع بوب (Bopp) أو في سنة 1916م مع سوسير، أو في سنة 1926م مع تروباتسكوي (Troubetzkoy) أو في سنة 1957م مع تشومسكي»<sup>1</sup>.

و قد فكر اللغويون في النظريات العامة منذ آلاف السنين، و يعتبر هذا الاتجاه منطقيًا بالنظر إلى طبيعة الظاهرة التي كانوا يتصدون لدرسها و بحثها يوميًا، و من المعلوم أن اللغة البشرية من أعقد الظواهر و أشدها تداخلًا و كثافة، و هذا مبرر و حافز إضافي يدفع إلى مزيد من التفكير و الجهود نحو النظرية اللغوية العامة.

و مع ذلك كله، فإن الهدف النهائي لهذا النشاط اللغوي الأساسي و هو إنتاج أو إبداع النظرية اللغوية العامة ما زال بعيدًا، مع العلم أن هذه النظرية النموذجية ينبغي أن تفسر الظاهرة اللغوية البشرية في كل جوانبها و مستوياتها و تحيط بكل عناصرها و جزئياتها من دون أن تغفل تداخل هذه الظاهرة مع ظواهر أخرى لها نظرياتها و أطروحاتها الخاصة المستقلة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 47 نقلا عن جورج مونان: Georges Mounin, Clefts pour La Linguistic, Paris, 1968, p23.

إن هذا الهدف ما زال بعيداً، و لعل هذا البُعد الذي يتأرجح فيه العلماء و المنظرون بين بوارق الأمل و خيباته على مرور أربعة أو خمسة آلاف من السنين المديدة مما يسمح لميدان البحث العلمي اللساني بمزيد من الطموح و كثير من الأفكار و الآفاق.

### 3.1. الاقتراحات العربية المعاصرة في مجال النظرية اللغوية العامة:

يمكن أن نميز في الخطاب اللساني المعاصر نوعين من الجهود التي حاول أصحابها أن يعالجوا مشكل النظرية العامة في التحليل العلمي للسان العربي؛ النوع الأول يصح أن نطلق عليه الجهود الوصفية، و هي المحاولات التي قاربت مشكل النظرية اللغوية العامة من جهة ما ينبغي أن يكون عليه شكل هذه النظرية و الحد الأدنى من التغطية الذي ينبغي أن توفره لمن يعول عليها بعدئذ في العلاجات التطبيقية على وجه الخصوص. و قد طرح الأستاذ جعفر دك الباب محاولته في هذا المجال و هي ذات مرتكز تأصيلي و لم تخرج في حقيقة الأمر عن الإطار النظري الذي ظل الباحث وفيأ له و هو جهود أبي علي الفارسي. كما طرح الأستاذ مازن الوعر محاولته الخاصة في هذا الباب و هي ذات بعدين الأول مقارنة و الثاني وصفي، و طرح الأستاذ عبد السلام المسدي محاولته لإثبات المعادلة التي تفيد بأن (النظرية اللغوية العربية=التفكير اللساني العربي)<sup>1</sup> و تحتاج هذه النظرية لتنجلي و تظهر إلى فلسفة تأسيسية أو أصولية علمية عرفانية<sup>2</sup> لأن عناصرها و مكوناتها مبثوثة في عموم التراث العربي اللغوي و غير اللغوي.

و يعتقد المسدي أن العلماء غير اللغويين هم أجدر بالقول الفصل في هذا الباب من اللغويين المتفرغين، و قد يفهم من سياق تحليلاته ترجيحه أن يكون عبد الرحمن بن خلدون هو ذلك العالم الذي حَبَّأ أسرار النظرية اللغوية العربية في ثنايا مصنفاة، و بخاصة مقدمته

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2-1986م ص33.

<sup>2</sup> - هذه مصطلحات الأستاذ المسدي (التأصيلية/العرفانية/التأسيسية/الإبستمولوجية) و يدل تعاقبها في مواضع بعض أنه يستعملها على سبيل الترادف الاصطلاحي، و قد يكون غرضه في ذلك زيادة التوضيح، أو ذكر كل المقابلات المتداولة في البحوث العربية للمصطلح الأجنبي (épistémologie) و مهما يكن فهو خلل و التباس غير مبرر. أنظر المرجع السابق، ص 14 و ما بعدها.

المشهورة، و قد قال المسدي في شأن المقدمة كلاماً مُطلقاً إلى حد بعيد هذا نصه: «تعد (مقدمة ابن خلدون) -حسب رأينا- نموذجاً لفلسفة المعارف في تراث العرب. إنها منظومتهم الإبتيمولوجية الأصولية التي ختمت من أعلى قمة الاكتمال في الغوص والتجريد حلقة حضارية في تاريخ الإنسانية»<sup>1</sup>. ولماذا لم يفلح القدامى و لا المحدثون في كشف مفاتيح هذه النظرية؟ الجواب عند المسدي: لأن التخصص العلمي غلب عليهم و لا يطبق كشفها إلا الموسوعيون<sup>2</sup>. و هذا تليل قد نسلم به ابتداء فيما يخص المحدثين، فأما العلماء الأوائل فليس الأمر كذلك عندهم، بل العكس هو الصحيح في الأعم الأغلب، ذلك لأننا نادراً ما نجد عالماً نبغ في فن أو علم من العلوم و لم يكن مع ذلك ملماً بأشهر الفنون و العلوم المعروفة في زمانه.

و من المحاولات الوصفية التي توخت التنظيم المصطلحي و تحديد الأطر و الحدود لأنواع المقاربات النظرية الممكنة في التراث اللغوي العربي محاولة الأستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم الذي عبر عن اعتقاده بأن الحاجة ملحة في ميدان البحث اللغوي العربي إلى إعادة قراءة شاملة للتراث و ربط متفرقاته في إطار نظري واحد، كما يرى أن أهم الجوانب التي يمكن الانطلاق منها في إنجاز هذا المشروع هي الثنائيات المفاهيمية و ترتيب شبكة علاقاتها المتداخلة، و يضرب لذلك أمثلة شائعة عديدة من قبيل (الفصحى/اللهجات، و الضرورة/السعة)<sup>3</sup> و بالجمع بين المقدمات التي عرضها الباحث بين يدي المهتمين و المختصين إضافة إلى محاولته الإجرائية العامة يمكن الاستنتاج بأنه شرع في إنجاز هذه المرحلة التي يدعو إليها و هي إعادة النظر في الجهاز المفاهيمي للتراث اللغوي العربي، و إنتاج صورة نموذجية للترتيب المنطقي الذي تندرج فيه ثنائياته المتداخلة.

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص34-37.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص27.

<sup>3</sup> . محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص4

و يطرح الباحث تقسيماً ثنائياً للنظريات التراثية؛ القسم الأول يشمل النظريات العامة، و يفترض من جهته أن هذا القسم ينبغي أن تندرج فيه نظرية واحدة فقط، و هي النظرية العامة للتراث اللغوي العربي كله، و هذا تقدير منسجم من الناحية المنطقية. أما القسم الثاني فإنه يشمل النظريات الخاصة، و الباحث يختار أن يسميها: (النظريات الأساسية) و هي النظريات الجزئية الخاصة بكل فرع من فروع الدرس اللغوي (الأصوات/الصرف/النحو...). و داخل هذا القسم الثاني هناك نوع ثالث من النظريات يسميه الباحث: (النظريات غير الأساسية) و هي النظريات الجزئية التي تخص فروع الدرس اللغوي [أنظر المخطط].

و من جهة أخرى كان الباحث واضحاً حين جزم بأن ما يعطي النظرية اللغوية العامة هذه الصفة هو الإجراءات النظرية المفعلة فيها، و عند تطبيقه لهذا الرأي على التراث العربي خلص إلى وجود خمس إجراءات كبيرة ناقشها الباحثون و هي: (النزعة الفلسفية/النزعة المعيارية/النزعة المقارنة/النزعة التصنيفية/النزعة التحليلية)، و استنتج بأن ما يعد مميذاً للنظرية اللغوية العربية منها هما الإجراءات الأخيران فقط، و عليهما نسج أطروحته، و بنى تصوره الحلقي دمجاً بين الإجراءات المتضمنة في مخططي التحليل و التصنيف؛ و قد اشتمل مخطط إجراءات التصنيف على ثلاث حلقات متدرجة باعتبار الخصوص و العموم، و دائرة خارجية مفتوحة؛ أما الدوائر الثلاث الداخلية- و هي تمثل الإجراءات المعتمدة- فتشمل:

1. دائرة المركز (المطرود=اللغة المشتركة القياسية).

2. دائرة الوسط (القليل و النادر و السماعي و الشاذ=اللغة المشتركة السماعية).

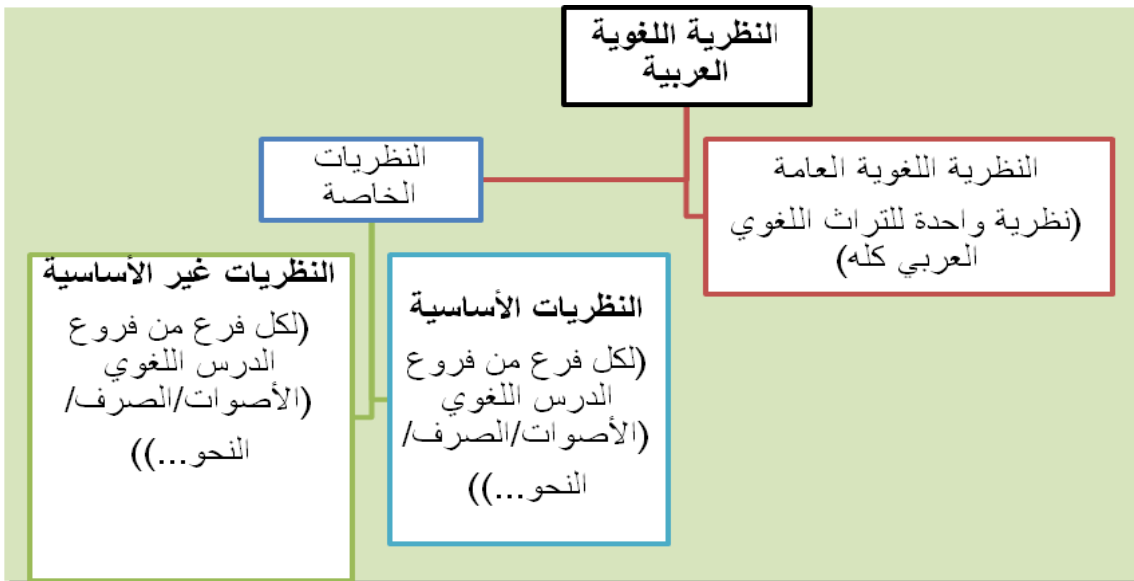
3. دائرة الحد (الضرورة و اللهجة = اللغة الخاصة).

و أما الدائرة الخارجية المفتوحة فهي تمثل الإجراءات غير المعتمدة، و تشمل الظواهر اللغوية الثمانية التالية: 1- التحريف/2- الوهم/3- اللحن/4- التصحيف/5- الغلط/6-

الخطأ/7. جهل القائل/8. الصنعة. و هكذا تتضح نزعة الباحث و انشغاله الواضح بإعادة ترتيب الجهاز المفاهيمي للتراث اللغوي العربي.

أما مخطط التحليل فهو أكثر تجريدا من الناحية الصورية، و قد طرح فيه الباحث وجهة نظره في تقسيم النظريات التراثية المعنية بالإجراء التحليلي حيث صممها في إطار حلقي . كما فعل مع إجراءات التصنيف . داخل أربع دوائر متدرجة بدلالة الخصوص و العموم على النحو التالي: [النظرية الأساس ← التكميلية ← البديلة ← المتداخلة].

و من الواضح أن الباحث استفاد من تماثل مخططي إجراءات التصنيف و التحليل في محاولته إجراء التركيب بينهما، و هو أهم شيء في هذه المحاولة، و لا ندري إن كان تعمد تكييف المعطيات حتى يتسنى إخراج هذا التماثل، و لا نستطيع أن ندعي عليه ذلك، إلا أن الملاحظة الدقيقة للمخططين تكشف جوانب القصور فيهما، كما تكشف التكييف المبالغ فيه الذي اضطر الباحث إلى إدخاله؛ و على سبيل المثال نجد مفهوم (اللحن) موضوعا في الدائرة الخارجية، علما أن اللحن في ذاته أقسام؛ فمنه الجلي و الخفي و المقبول و المرذول و المستحسن أحيانا، و بناء على هذا التقسيم الجزئي يمكن أن نجد اللحن في كل الدوائر من المركز إلى الخارج.



شكل7: أقسام النظريات اللغوية في التراث العربي (نموذج محمد عبد العزيز عبد الدايم2006).

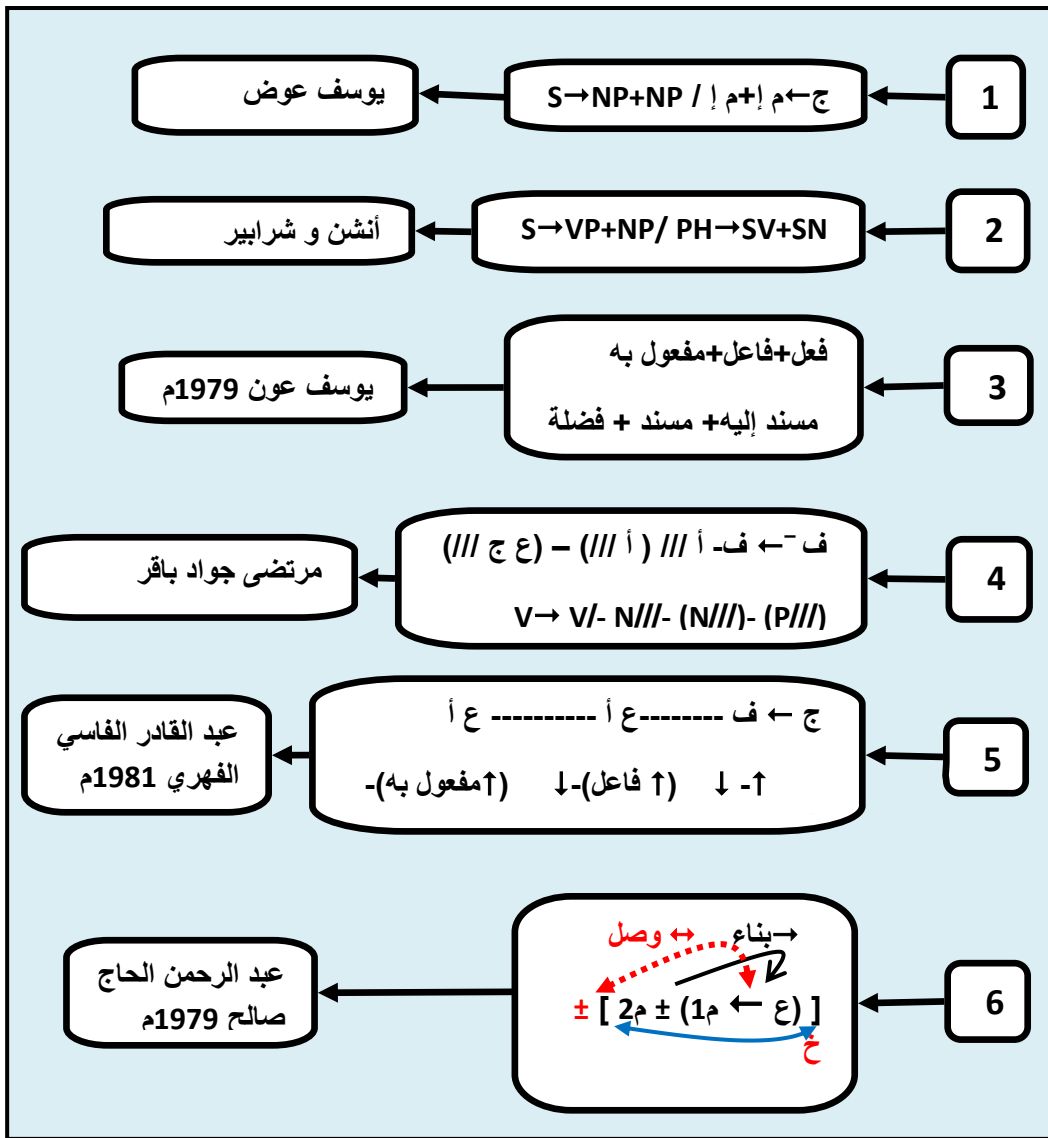
أما النوع الثاني من الجهود العلمية المبذولة في مجال النظرية اللغوية العامة فهي المحاولات التي اشتملت على مقدار لا بأس به من جهة استقلال النظرية التي تنحو إليها، و لذلك سنطلق عليها اقتراحات. و يتعلق الأمر بصياغات صورية محددة لمعالجة مختلف المستويات و لا سيما مستوى التراكيب الذي قدمت فيه اقتراحات عديدة، منها اقتراح يوسف عوض و يوسف عون و جواد باقر و عبد القادر الفاسي الفهري<sup>1</sup>.

إلى جانب ذلك هناك نظريات أكثر شمولاً أبرزها نظرية تظافر القرائن للأستاذ تمام حسان، و منطق اللغة للأستاذ ياسين خليل و النظرية الخليلية الحديثة للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح. و قد أطلق كل العلماء الأنف ذكرهم اسم النظرية على اقتراحه، و قد التزمناه في تحليلنا، و نعتبره صحيحاً من حيث النسبة، ذلك لأن هذه المقترحات استوفت ما هو لازم في النظرية العلمية من جهة الشكل، و هو ثلاثة أركان؛ المعجم المفاهيمي المستقل و معجم المصطلحات و التعريفات المولدة، و التصور الإنجازي مع بيان مجال الحلول و مستوى التغطية الأقصى، و قد يضاف إلى ذلك ركن رابع و بخاصة في النظريات العلمية العامة و هو الصياغة الصورية، و تكون مشمولة في الرموز الرياضية الدولية و هذا اختيار جمهور العلماء و المنظرين المعاصرين.

سننتظر في الفقرات إلى كل من نظرية تظافر القرائن و النظرية الخليلية الحديثة ملتزمين إيراد أصولها كما توخاها واضعوها، مع التقييم و النظر في تطابق تصوراتها النظرية مع مؤشرات الإنجازية، و مدى استفادة البحث اللساني العربي المعاصر منها.

<sup>1</sup> - قبائلي عبد الغاني، النظرية اللسانية العربية الحديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية عند مازن الوعر، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو-الجزائر، ع2-2011م، ص 58-83.





شكل 8: نماذج من الاقتراحات الصورية لتحليل التراكيب العربية.

### الاقتراح الأول: نظرية تظافر القرائن.

التأمت أصول هذه النظرية في موضع واحد و هو كتاب (اللغة العربية معناها و مبنائها) ألفه العالم اللغوي المصري تمام حسان و حظي الكاتب و الكتاب بسمعة و صيت لا ينكره أحد من الفاعلين في مجال البحث اللغوي العربي الحديث.<sup>1</sup>

### أولاً- المبادئ العامة للنظرية:

<sup>1</sup> - أنظر : تمام حسان رائدا لغويا ، عبد الرحمن حسن العارف وآخرون ، عالم الكتب ، ط 1 ، 2002 ، ص 49 -

### 1. المعنى هو هدف كل دراسة لغوية:

الدراسة التي تتناول اللغة الإنسانية ينبغي أن تُعلن عن هدف واحد مشترك و هو المعنى و كيف يرتبط بأشكال التعبير و أنماطه (المبنى). و لتكن هذه الروابط و الصلات الشغل الشاغل للباحث. في إطار المعادلة الآتية:

$$\text{اللغة (غ)} = \text{مجموع الروابط (مج ر)} / \text{الشكل + الوظيفة}^1$$

### 2. كل نظرية لغوية ينبغي أن تُراعي مفهومي النظام و مشاكل التطبيق:

للغة حالتان يسجلهما الملاحظ؛ حالة الحركة، و حالة السكون. و النظام اللغوي في الحالتين يتقابل سلبيا مع السياق، و ينشأ عن هذا التقابل ظواهر تشذ عن قواعد النظام و لا سيما في حال الوصل أو جريان الكلام (الحركة) و ينبغي أن يعدل النظام بمراعاة هذه الاستثناءات التي تظهر في أثناء تنفيذه و إجرائه، و من أجل ذلك يتوجب أن يضاف إلى النظرية العامة في كل نظم من أنظمة اللغة القيم الخلافية<sup>2</sup> الناشئة من التقابل السليبي بين النظام و سياقات الكلام، و بخاصة عندما تتعارض مطالب السكون و مطالب الحركة.

### 3. الحالة الخاصة لدراسة المعجم:

المعجم ليس واحدا من أنظمة اللغة، كالنظام الصوتي و الصرفي و النحوي، إنما هو قائمة من الكلمات ذات المعاني المتباينة و ليس بينها تقابل مستمر أو ضروري، و ينبغي أن تستقل به دراسة خارجة عن منهجية دراسة الأنظمة اللغوية<sup>3</sup>.

### 4. التجربة الاجتماعية كمحدد للمقام اللغوي:

<sup>1</sup> - أنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص9. و لم يرسم الباحث المعادلة بهذا الشكل الرمزي غير أننا عبّرنا عنها كذلك ليقيننا بأن الصياغة الصورية ممكنة في هذا الباب.  
<sup>2</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص9-10.  
<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص10.

يتحدد المقام في ضوء التجربة الاجتماعية و لهذا تتعدد المقامات بتعدد الأطر الثقافية و داخل الإطار الثقافي الواحد، و يتطور المقام لأن المجتمع يتطور و الثقافة أيضا<sup>1</sup>.

### ثانيا- الإطار المرجعي لنظرية القرائن:

يستند تمام حسان في اقتراحه إلى ملاحظات عديدة يبيدها حول الظروف العلمية و الاجتماعية المحيطة بالبحث اللغوي في زمانه، و كانت هي الباعث الرئيسي لما بادر إليه في هذه النظرية من إصلاح و تجديد.

أول ما لاحظته هو الجمود الذي طبع النشاط اللغوي من خلال غياب التجديد و الإبداع، و بخاصة في ظل الحكم التركي. و أشار مثلا إلى أن نشأة الدراسة اللغوية العربية كانت من أجل علاج ظاهرة اللحن، و أن مهمة النحو أن يكون (أداة إدارية قانونية) تعصم اللاحنين، و بالتالي تحوّل النحو إلى مجموعة من المعايير و الأحكام الضابطة التي تفرض سلطانها على المتكلم اللغوي. كما لاحظ أيضا أن النحو له معنيان؛ معنى ضيق و هو الخطأ الإعرابي، و معنى موسع و هو الخطأ الصوتي و الصرفي و النحوي و الدلالي، و في كلتا الحالتين هو خطأ في المبنى، و لذلك سجل اعتقاده بأن الدراسة اللغوية العربية توجهت دائما و بشكل حصري إلى العناية بالمبنى بما في ذلك الدراسات البلاغية. و خالص من ذلك إلى تقييم سلبي لهذه الدراسة مقارنة إياها بالمنهج الوصفي الحديث الذي ينهض على شرطين:

الأول: اختيار لهجة واحدة فقط من لهجات اللغة الواحدة.

الثاني: تسليط الضوء على فترة زمنية محددة.

و في الجملة انتقد معيار النحاة في جمع اللغة و عدّه مُلغقا و هو السبب في تأثر المعنى النحوي و الصرفي للغة العربية. و من وجهة نظره لم يخرج النحاة العرب القدامى في جهودهم عن ثلاث شعب من النشاط:

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص10.

الأولى: الأصوات العربية.

الثانية: علم الصرف و التصريف.

الثالثة: النحو (التحليلي الوظيفي).

كما انتقد أيضا طُغيان التعليل على منهجهم، و هذا الجانب لا يمس معنى الجملة، لا الوظيفي (النفي، الإثبات...) و لا الدلالي و الاجتماعي. و لذلك كان يرى بأن النحاة ساد عندهم اعتقاد بأن التحليل يقود إلى التركيب، و قد غفلوا عن التضارب بين النظام و السياق المنطوق الذي تظهر فيه معالم موقعية جديدة تفرض نفسها في تحديد معنى التركيب. و من هنا لخص الدراسة النحوية بأنها دراسة أبواب أو دراسة في المعنى التحليلي الوظيفي.

و يفهم من كلامه أنه يعمم هذا الحكم على الدراسات البلاغية، غير أنه يرى علم المعاني قمة النحو لأنه يهتم بالتركيب، و علم البيان هو قمة المعجم لأنه ينظر في العلاقة بين الكلمة و مدلولها. و قلة عموما من شأن البديع و هو عنده صنعة فنية.

أما الدراسات الغربية- في رأيه- فقد ركزت على المعنى أيما تركيز، و دخلت في علوم كثيرة، و منطلقها العام هو العلاقة بين الدال و المدلول. و تتحدد اللغة في هذه الدراسات بأنها عرف اجتماعي غير قابل للتعليل المنطقي، مثلا: لا تعليل للعد و لا للصيغ الصرفية. و الفكر أوسع من اللغة. و نتاجا لذلك يُنظر إلى المعنى في الدراسات الحديثة على أنه قطب الرحى و تنقسم هذه الدراسة عندهم إلى ثلاث فروع: المعنى الوظيفي و المعجمي و الاجتماعي.

ثالثا: التأسيس المرحلي في نظرية تظافر القرائن:

المبدأ الرئيسي الذي تقوم عليه نظرية القرائن أن اللغة نظام عام يشتمل على أنظمة خاصة أو جزئية، مرتبة تنازليا؛ من الصوت إلى الصرف إلى النحو، و يغلف هذا النظام من الخارج الظاهرة الإفرادية أو المعجم بوصفه مخزنا أو مورد إثراء. و طبقا لمبدأ التقابل بين

الأنظمة يبني درس كل منها على ما نتج فيما تحتها؛ فنتائج علم الأصوات تدخل في بناء النظام الصوتي و نتائجه تدخل في بناء النظام الصرفي و نتائجهما معا بالإضافة إلى نتائج علم الأصوات تدخل في بناء النظام النحوي، وفقا للتصور الآتي:

1		<u>المرحلة الأولى: التمييز بين قطبي الظاهرة: اللغة و الكلام</u>	
اللغة	الكلام	طابع عمل اللغوي (موضوع دراسته)	طابع عمل المتكلم (إنجازه الفردي)
بنية اللغة:	بنية الكلام	1. الحدود	1. نشاط
2. النظام	2. حركة	3. الميزة الاجتماعية	3. الميزة الفردية
2		<u>المرحلة الثانية: الدراسة اللغوية؛ المعطيات و المكونات.</u>	
1-2	النظام الصوتي: (مكونان اثنان)		
1- المعطيات المستخرجة من علم الأصوات العام (Phonetics) و يشمل: الأوصاف العلمية للأصوات، المخارج، الصفات، التسجيلات الصوتية.	2- العلاقات الإيجابية (الروابط) و القيم الخلافية السلبية.		
	<pre> graph TD     B[ب] --- M[م]     B --- MX[المخارج (هفوي)]     M --- MX     M --- MH[المخالف]     B --- MH     </pre>		
2-2	النظام الصرفي: (ثلاث مكونات)		

<p>3- العلاقات الإيجابية (الروابط) و القيم الخلافية السلبية.</p> <div style="border: 1px solid black; padding: 5px; margin: 10px 0;"> <p style="text-align: center;">ضرب      شتم</p> <p style="text-align: center;">↙      ↘</p> <p style="text-align: center;">المخالف      المشترك</p> <p style="text-align: center;">↓                      ↓</p> <p style="text-align: center;">الأول مصدر و الثاني صفة مشبهة</p> </div>	<p>2- المباني أو الصيغ (Morphemes) و تشمل (اللواحق و السوابق و الزوائد و الأدوات...)</p>	<p>1- المعاني الصرفية: الاسم و الفعل الإفراد و التثنية و الجمع...</p>			
<p>النظام النحوي: (خمس مكونات) 3-2</p>					
<p>5- القيم الخلافية الناتجة عن تقابل المكونات الأربعة السابقة.</p>	<p>4- معطيات النظام الصرفي (22)</p>	<p>3- القرائن المعنوية و هي العلاقات الرابطة بين المعاني الخاصة (الإسناد و التخصيص (...)</p>	<p>2- المعاني النحوية الخاصة و هي معاني الأبواب (الفاعلية و المفعولية و الإضافة (...)</p>	<p>1- المعاني النحوية العامة (الخبر و الإنشاء و النفي و الإثبات...)</p>	

جدول 4: الأساس المرحلي التدريجي في تشكيل نظرية تظافر القرائن.

### الاقتراح الثاني: النظرية الخليلية الحديثة.

#### أولاً- أسس النظرية الخليلية متدرجة من الخاص إلى العام:

تشمل النظرية الخليلية الحديثة<sup>1</sup> التي اقترحها عالم اللسانيات الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح منذ 1979م إطاراً محدداً من المفاهيم العلمية، وصياغة رياضية عامة تم استنباطهما

<sup>1</sup> - النظرية الخليلية الحديثة (New Khaliliene Theory) و رمزها الدولي المختصر هو: (NKT). أما بالنسبة لاسم الخليل الذي تنتسب إليه النظرية الخليلية فقد وجدنا أنه يكتب في بعض المراجع العلمية وفق الكتابة الصوتية الدولية هكذا (AL-Ĥalīl). يراجع المقال الذي أعده الباحث الحاج صالح بعنوان: الرموز العربية الخاصة بكتابة الكلام المنطوق، و قد تم تحريره لمساعدة المشرفين على جمع الرصيد اللغوي العربي عام 1961، و نشر في كتابه: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج1: 423-432. وكذلك مقال عن الخليل بن أحمد للباحثة الأمريكية: سارة أس آي:

في ضوء القراءات المتكررة لكتاب سيويوه وشروحه الخمسة الكبرى، مع الاسترشاد و المقارنة المستمرة بالنظريات اللسانية الحديثة، و هي عبارة عن إطار متدرج من المفاهيم الإجرائية نوضحه كما يلي:

### 1- منطلق التحليل العلمي اللغوي: البحث عن الانفراد.

ينطلق التحليل اللغوي الأساسي في النظرية الخليلية الحديثة (NKT) من تقنية يسميها الخليليون: الانفراد، و هي تركز على إجراءين متزامنين: الانفصال و الابتداء، و تفسيرها العملي كالآتي:

يبدأ التحليل اللغوي بجمع المادة اللغوية أو المدونة المكونة من عينات عشوائية لكلام الفئة المدروسة في كل الأحوال و الظروف، و أول ما يبحث عنه اللغوي هو **الوحدات الصغرى التي يتركب منها الكلام**، و للوصول إليها بطريقة عملية خالية من التحكم و الافتراضات المسبقة ينطلق الباحث من تقنية **الانفراد** فيبحث عن الوحدات اللغوية التي تنفصل و تبدئ؛ و معنى الانفصال قابلية الوحدة لأن تُعزل عن السياق الكلامي المتسلسل من دون أن تتلاشى أو تنحل إلى ما تحتها من وحدات أصغر منها، أو تفقد وظيفتها التبليغية الأصلية المشحونة في كتلتها اللفظية. و الابتداء عكس ذلك، و معناه قابلية الوحدة المنتزعة لأن توصل بغيرها في سياق كلامي متسلسل.

و قد باشر النحاة العرب عمليات علاجية واسعة على المدونة السماعية التي جمعوها، و لا نملك بيانات تفصيلية حول هذا النشاط الدقيق، إلا أن نتائجه المبتكرة مثار إعجاب و جدل في الآن معاً؛ حدد سيويوه في مستهل موسوعته العلمية هذه العناصر الصغرى في ثلاث أصول يجري عليها القياس و التوليد باعتبارها أمثلة مجردة بالإنشاء و التركيب الذهني؛ و هي الاسم المطلق و الفعل المتصرف و حرف المعنى؛ و كلها محددة إجرائياً اعتماداً على التقنية المشار إليها آنفاً، فالاسم و الفعل متميزان عن بعضهما تمايزاً غير

قابل للتداخل من خلال العناصر المطردة التي توصل بهما و تفصل عنهما يمينا و يسارا،  
فما يدخل على اللفظة الاسمية لا يدخل على اللفظة الفعلية مطلقا.

أما حرف المعنى فتمتيز عن الاسم و الفعل بأنه يتصل بهما كليهما و أنه يجري عليه  
الوصل و لا يمكن فصله مطلقا. و يلاحظ أن حرف المعنى مُفتقر إلى شرط الانفصال و  
هو شرط مهم جدا في مجموعة الكلم، إلا أن الخليل و طبقته وضعوه معها بجامع فرعي و  
هو دلالاته على معنى ذاتي مستقل. و أضاف صاحب النظرية الخليلية عنصرا رابعا إلى  
مجموعة الكلم يسميه (ترك العلامة)<sup>1</sup>.

إن الخليل ابن أحمد الفراهيدي هو العقل الأول الذي استنبط هذه التقنية الإجرائية،  
كما قام تلميذه سيويه بتطبيقها على سبيل التعميم في كتابه، لكن الحاج صالح تمكن من  
تحديدها باللغة العلمية المعاصرة و وضعها في رتبها المنطقية داخل التسلسل الإجرائي  
لفعاليات النظرية الخليلية.

يرى الحاج صالح أن منهجية التفكير الرياضي التي يتميز بها الخليل بن أحمد في  
هجومه الذهني على المسائل و المشكلات هو العامل الحاسم في إبداع هذه التقنية الفريدة  
من نوعها، و يبدو هذا التأويل هو الأقوى من بين كل التأويلات الأخرى لهذه الأفكار  
العجيبة التي يطرحها الخليل<sup>2</sup>. إن تميز شخص معين بتفكير رياضي يعني قدرته أولا و ميله  
ثانيا إلى التعامل مع العناصر التخيلية غير المعينة كتعامله مع العناصر الفيزيائية الواقعية، و  
هذه القوة التصورية هي أكبر خصائص التفكير الرياضي<sup>3</sup>.

و نلاحظ هذه النزعة التجريدية في تقنية الانفراد من خلال الضبط المزدوج للكائن  
الافتراضي (الوحدة اللغوية الصغرى) حيث إنه له بداية و له نهاية، و كلتاها إجرائيتان لا  
تنفكان عنه و لا تفارقانه البتة. و قد لخص رضي الدين الإستراباذي الناتج العملي لهذا

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 191-192.

<sup>2</sup> - ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد الجملة العربية، ص 5.

<sup>3</sup> - أنظر في هذا الصدد حوار الأستاذ مازن الوعر مع نعوم تشومسكي، مجلة التراث العربي، دمشق، ع 48، س 1992.



التحليل بأنه يُظهر العناصر اللغوية التي يتحقق فيها و بشكل حصري خاصية الاستقلال المعنوي<sup>1</sup>، و هي الكلم المتمكنة. و استنادا إلى المنطق الرياضي فإن هذه الوحدات يجب أن تكون قليلة العدد أولا، و حاصرة لكل الأفراد من العناصر التي تشتمل عليها المدونة المعتبرة في الاستقراء التحليلي.

## 2. تقاطع اللفظ و الإفادة: اللفظة أو منوال الكلام.

بعد أن يكتشف الباحث الوحدات اللغوية الصغرى، و هي الأصول، أو أقل ما ينطق به من ذوات المعنى مما ينفصل و يبتدىء، ينتقل إلى المرحلة الموالية و هي وصل الوحدات في سياق كلامي متسلسل لمعرفة مواضعها؛ و مواضع الوحدات هي المواقع المخصصة التي تدخل فيها الوحدات اللغوية و تكون مختصة بها و محصورة لها، و هذه المواضع هي قوالب ذهنية يجردها الباحث اللغوي اعتمادا على حمل العبارات و إجراء بعضها على بعض، وهذا التقابل قد تم غالبا على طريقة دخول و خروج، حيث تؤكد النحاة بطريقة واقعية أن بعض الوحدات تتعاقب على موضع واحد بالنيابة<sup>2</sup>.

إن أول اكتشاف أظهرته إجراءات تجريد المواضع داخل السلسلة الكلامية هو وجود عناصر لغوية صغرى ترتبط بالكلم المتمكنة التي تحقق فيها شرط الانفراد ارتباطا مستمرا و لازما في مواضع محددة، و قد تمكن الخليليون من ضبط أغلب هذه العناصر و تحديد شبكة العلاقات القائمة بينها، و رسموا تصورا تخطيطيا لهذه البيئة العلائقية<sup>3</sup>.

و الأهم من ذلك، أن المجموعة المكونة من العنصر اللغوي المنفرد مضافا إليه العناصر اللغوية الملازمة له في سلسلة الكلام مرتبة عن يمينه و يساره في داخل مواضعها الاعتبارية،

<sup>1</sup> - رضي الدين الأسترابادي، شرح كافية ابن الحاجب، ج3ص240.

<sup>2</sup> - مثال ذلك طريقة اكتشاف النحاة أن المضاف إليه و التنوين يتعاقبان في موضع واحد و رتبة واحدة عن يسار الإسم (كتاب/ كتاب زيد) فعلاقتهما هي الدخول و الخروج: إذا دخل أحدهما يخرج الآخر. قارن ما ذكره سيبويه: «المجروح داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين»، الكتاب، نج: عبد السلام هارون، ط3، 1988م، ج1، ص14.

<sup>3</sup> - أنظر على سبيل المثال المخطط التقريبي للمثال المولد للاسم (اللفظة الاسمية)، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص250، 220. ج2 ص14، 85.

كل هذا ينتج كيانا لغويا جديدا متميزا<sup>1</sup>، ليس كلما و لا كلاما مركبا، اقترح له الخليليون القدامى اسم اللفظة، و التزم به صاحب النظرية الخليلية، و هي محاولة لتمييز المستوى الدقيق الذي يتقاطع فيه الحد اللفظي للكلام بالحد المعلوماتي أو الإفادي. إن الحاج صالح يعتبر هذا المستوى منوالا للكلام، و هذا التوصيف ملائم و غير بعيد، لأن المنوال (Mode) هو القيمة الأكثر تكرارا في مجموعة معلومة من البيانات<sup>2</sup>.

### 3. العناصر المشرفة على تركيب الكلام: (العامل و معمولاته).

خارج مجال اللفظة الاسمية و الفعلية تتحكم في التركيب عناصر أعلى تجريدا و هي العوامل، و قد اكتشف العلماء العرب أن الحالة الابتدائية حيث لا يظهر في التركيب اللفظي عنصر لغوي تشتمل بدورها على تأثير من جنس ما تحدته العوامل الظاهرة فلو قلنا مثلا: (زيد منطلق) ثم قلنا (إن زيدا منطلق) نلاحظ بأن العامل اللفظي من الدرجة الأولى (إن) حرك عنصر التركيب حركة مخصوصة، و بما أن العنصرين قد تحركا فإنهما كانا في وضع مختلف في الحالة الأولى و لا بد لهذا الوضع من محرك، و من هنا اعتبروا العامل في حال خلو الموضع من العنصر الملفوظ حالة عاملية من الدرجة الصفر، و جعلوها أصلا للتفريع، و اصطلحوا عليها مصطلح الابتداء الذي يشير في النظرية الخليلية إلى عدم التبعية التركيبية، و لا علاقة له ببداية الجملة.

كما سجل العلماء ملاحظة أخرى تفيد بأن العامل يربط معه عنصرا يتحرك معه في حركته بالترتيب؛ العامل هو الأول و هذا العنصر هو الثاني، و يستحيل أن لا يشغل

<sup>1</sup> - سماه ابن بعيش في شرح المفصل و رضي الدين الإستراباذي في شرح الكافية: اللفظة. و هو المصطلح الذي حافظ

عليه صاحب النظرية الخليلية و تنقسم اللفظة بهذا الاعتبار إلى اسمية و فعلية لكل منهما مثال مولد قياسي.

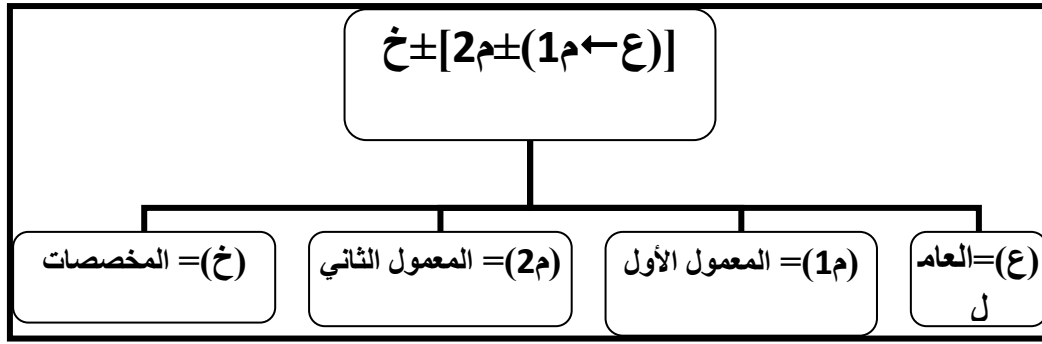
<sup>2</sup> - في علم الجبر و الإحصاء: المنوال هو المقابل لأعلى قيمة أو لأعلى تكرار، و كذلك في الفضاء الاحتمالي. أ- لو فرضنا أن لدينا الأعداد (1,5,2,1,4,7) المنوال في هذه الحالة = 1 لأنه الأكثر تكرارا. و لو فرضنا أن لدينا جدول يبين فئات وأسفلها التكرارات، نرى أي الفئات أكثر تكرارا ولنفرض أنها الفئة من (2-4) ونحسب مركز الفئة =  $2/(2+4)$ ، #المنوال = 3. وقد يكون احادي المنوال إذا كان له منوال واحد، وفي أحيان أخرى قد يكون هناك منوالين يجب ان تجمع العددين و تقسمهم على 2. لا يشترط أن يكون في الفضاء الاحتمالي منوال. مثال: 1,2,4,5 في هذه افضاء لا يوجد منوال.

العامل هذا الحيز، و يسمى المعمول الاول و علاقته بعامله داخلية، و بالتعبير الرياضي هما زوج مرتب (couple ordonnée). ثم هناك عنصر ثان يشغله العامل له حرية نسبية في الحركة التركيبية، تقديما و تأخرا، و قد يحذف في حالات جد محصورة، و هو المعمول الثاني، علاقته بالعامل داخلية و كذلك بالمعمول الأول. و هذه الثلاثة (العامل و معمولاها) هي العناصر المركزية العامة الوجود في أي تركيب عربي فصيح.

ينطلق النحاة من نفس المبدأ: (أقل ما يتركب و ينفرد بنفسه في الكلام) و ذلك مثل: زيد منطلق، و قام عبد الله، و يأخذون هذه القطعة على أنها (الأصل) و تسمى في النظرية الخليلية (نواة = Noyau)، ثم يحملون هذه النواة على قطع أخرى بمنزلتها أي: تحتوي على نفس النواة التركيبية، فيحصلون على مثال تحويلي يتكون من أعمدة و سطور، كما يلي:

1	∅	زيد	قائم
2	إن	زيدا	قائم
3	كان	زيد	قائما
4	حسبت	زيدا	قائما
5	أعلمت عمرا	زيدا	قائما
	1	2	3

إذا جمعنا العلاقات و النسب القائمة بين العناصر السابقة (ع/م/1م/2م/خ) فإنه بالإمكان إنجاز صياغة جامعة للتركيب العربية، و هذا ما قامت به النظرية الخليلية بالفعل و قدمت بذلك أول و أهم معادلة للتركيب العربية يمكن استثمارها في العديد من المجالات التطبيقية، صيغت هذه المعادلة كما يلي:



#### 4. النظام الباطني للسان:

ينبني نظام اللسان العربي على ستة مستويات متدرجة من الأدنى إلى الأعلى، و في كل مستوى يزداد النظام تركيباً، و يحتاج المحلل اللغوي إلى عناصر أكثر تجريداً ليتمكن من اكتشاف مجموع علاقاته و نسبه، و قد أظهر اللغويون العرب براعة كبيرة في اختراع المفاهيم الإجرائية و تطبيق نموذجهم الخاص من القياس التمثيلي للقيام بالتحليل الشامل لمدارج الكلام و اكتشاف مجاريها، و قد تم في النظرية الخليلية إعادة تصنيف و تدقيق هذه المستويات، فأصبحت ستة مستويات من الأدنى إلى الأعلى، حيث إن مستوى اللفظة أو (الوحدة اللغوية القابلة للامتداد) هو بمنزلة الرابط بين القسم العلوي (التراكيب و ما فوقها) و القسم السفلي (أبنية الكلام و ما تحتها). و فيما يلي مخطط<sup>1</sup> يوضح هذا التصور الخليلي:

<sup>1</sup> . يراجع: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 190-192. و محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية، ص: 23.

اتجاه النظر التحليلية: ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↓	المستوى 6	الحديث أو الخطاب
	المستوى 5	↑ أبنية الكلام أو البنى التركيبية
	المستوى 4	↑ اللفظيات (ج لفظة)
	المستوى 3	↑ الكلم أو الكلمات
	المستوى 2	↑ الدوال (العناصر الدالة كالصيغة والمادة والتجرد من العوامل)
	المستوى 1	↑ الحروف
	المستوى 0	↑ الصفات المميزة للأصوات

شكل 8: مستويات اللسان العربي حسب النظرية الخليلية الحديثة.

### 5. دور اللسان في أداء وظيفة التبليغ و التواصل:

لقد اهتم اللغويون الخليليون بظواهر التبليغ اهتماما كبيرا، و يمكن القول: «إن اللسان لا يهمهم (في ذاته) بقدر ما يهمهم ما يفعل به مستعمله و كيف يتوصل إلى أن يعبر بالمتناهي من الألفاظ عن اللامتناهي من المعاني»<sup>1</sup>، و نبههم هذا السلوك المنهجي الصارم إلى التمييز الحاسم بين وجهي الظاهرة اللسانية و هما: الوضع و الاستعمال.

فاللسان هو أولا و قبل كل شيء وضع أي: «مجموعة منسجمة من الدوال و المدلولات ذات بنية عامة ثم بني جزئية تتدرج فيها»<sup>2</sup> و هو في الظاهر ذلك الاتفاق العربي غير المُعلن بين الناطقين بلسان واحد مشترك، فهم يطبقون في كلامهم تلك المجموعة من الأوضاع و يرفضون غيرها طواعية.

<sup>1</sup>. الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان: 20.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه، ص: 195.

إلا أن هذا الوضع يجري استعماله و تداوله من طرف الناطقين، و هذا الاستعمال هو: «كيفية إجراء الناطقين لأوضاع لسانهم في واقع الخطاب»<sup>1</sup> و ليس كل ما هو موجود في الوضع يستعمل، و ليس كل الاستعمال جاريا على القياس.

و حاصل الأمر أن للوضع قوانينه و هي بنوية محضة، كما أن للاستعمال قوانينه و هي ترجع إلى أحوال الإفادة و التبليغ، فتدخل فيها قوانين الحفة و الثقل و الاختصار. و جِماع الأمر أن المتكلم أثناء إرسال رسالته يتنازعه قانونان هما: (الاقتصاد اللغوي) من جهة، و(البيان و الإفهام) من جهة أخرى؛ و الملاحظة و الاستقراء تبين أن المتكلم يميل إلى الاختصار من الجهد اللغوي و يحذف بعض الوحدات اللغوية أو يخففها إذا ما شعر أن المتلقي لا يجد صعوبة في فهم مقصوده، و يحدث هذا على الخصوص في مقام الترخص و الأنس. و كلما شعر المتكلم أن المتلقي لا يفهم مقصوده أو يجد صعوبة في تحليل الرسالة مال إلى الزيادة في الوحدات اللغوية و الصوتية حتى يستقيم المقصود.

و يترتب على هذا أن اللفظ و المعنى يختلفان بين الوضع و الاستعمال؛ فهناك لفظ وضعي و معنى وضعي، كما أن هناك لفظا استعماليا و معنى استعماليا. و لقد تفهم العلماء العرب كل العناصر السابقة، و أدركوا جيدا ذلك التمييز الحاسم بين اللفظ و المعنى في كل من الوضع و الاستعمال، و كانت دورة التخاطب كما فهموها تأخذ في الاعتبار خمسة أطراف رئيسية هي: الخطاب نفسه أو(الرسالة) و الوضع(Code) و المتكلم و المخاطب، بالإضافة إلى السيالة الهوائية الناقلة للصوت. فالمتكلم(المرسل) يستعمل الوضع لإحداث الخطاب، و ينقل بذلك بالتدرج من الأغراض إلى المعاني إلى الألفاظ، و المخاطب(المرسل إليه) يحمل الخطاب(الرسالة) و يجريه على الوضع، فتعكس الرسالة كأنها صورة طبق الأصل على مرآة؛ من الألفاظ إلى المعاني إلى الأغراض<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>. المرجع نفسه، ص: 195.

<sup>2</sup> -عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب و علم الدلالة و البلاغة العربية. سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج1، ص336-351.

6. المستوى الثالث: الصدارة:

لاحظ النحاة أن بعض الوحدات اللغوية تختص بالتقديم دائما مهما كان التركيب الذي بعدها، و لاحظوا أن هذه الوحدات تسبق العوامل لكنها لا تؤثر فيما بعدها، و على هذا الأساس صُنفت هذه الوحدات في النظرية الخليلية<sup>1</sup> في أعلى مستوى من التركيب و هو مستوى الصدارة. و يضم مستوى الصدارة كل أدوات الاستفهام و الشرط و ما هو بمنزلتها، و لها نفس الطريقة في التحليل مع بعض التعديلات<sup>2</sup>؛ يأخذ الاستفهام الرمز(س) و يأخذ الشرط رمز(ش) أما مستوى الصدارة فتضاف له خانة في أول الجدول التحليلي قبل العامل و رمزه المختصر(ص) و ترتيب مستوى الصدارة هو(0) لأنه لا يؤثر إطلاقا فيما تحته. في الجدول الموالي مجموعة من الأمثلة تمثل تحليل مستوى الصدارة ( بالنسبة للاستفهام) حسب منظور النظرية الخليلية:

4	3	2	1	0		
خ	م2	م1	ع	ص		
كالبرق	منطلق	زيد	∅	#	1	
كالبرق	منطلق	زيد	∅	أ	2	
كالبرق	منطلق	زيد	∅	هل	3	
كالبرق	منطلق	زيذا	إنّ	أ	4	
كالبرق	منطلق	زيذا	إنّ	أو	5	

7. الإطالة و التداخل [Recursivness /Embedding]:

<sup>1</sup>. الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1/254-255.

<sup>2</sup>. المرجع السابق، ص: 332-333.

ظاهرة الإطالة بالغة الأهمية تفتن إليها النحاة العرب الخليليون و أظهروا براعة كبيرة في وصفها و تتبعها، و المقصود بالإطالة<sup>1</sup> ذلك الميل الطبيعي الذي يجعل المتكلم يتوسع في كلامه و يضخم من المادة التركيبية مع بقاء التركيب صحيحا من الناحية النحوية و معبرا من الناحية الوظيفية الاستعمالية.

كان النحاة العرب يطلقون على هذه الظاهرة اسم التكرار أو التوسع في الكلام، أما مصطلح الإطالة فهو الترجمة الخليلية لمصطلح [Recursivness] الذي أصبح الآن مصطلحا عالميا بعد أن طوره تشومسكي و برهن على أهميته الكبيرة في التحليل اللغوي الذي من شأنه أن يقدم مساعدة كبيرة لبرامج العلاج الآلي للكلام.

و يقود الكلام على ظاهرة الإطالة إلى ظاهرة أخرى مشتركة معها ألا و هي ظاهرة التداخل [Embedding] و هي ظاهرة في منتهى الأهمية، برهن التوليديون على أنها إحدى أسس النحو العالمي، و هي بالتالي تشمل كل اللغات البشرية.

المعتمد حاليا في الدراسات الخليلية أن مستويات اللسان<sup>2</sup> (الصوتي/الصوتي الحرفي (الفونولوجي)/الكلمة المفردة/اللفظة/التركيب العاملي/الخطاب) ليست قسمة بسيطة كأنها درجات لا تتعلق السفلى بالعليا و لا العليا بالسفلى، بل هي قسمة تركيبية شديدة الترابط و التعقيد، و لا يمكن فهمها إلا بتحليل حركي يأخذ في الحسبان تحولات و مجاري الوحدات المنفردة و المركبة على محوري الكلام الأفقي و العمودي كليهما<sup>3</sup>. إن المصفوفة

<sup>1</sup> الإطالة (Recursivness) هي التداخل الذي يقع بين مستويات اللغة الإفرادية و التركيبية: « أول من تفتن إلى الأهمية القصوى التي تكنسها هذه الظاهرة بالنسبة لجميع اللغات هو نوام تشومسكي و أعطاه اسم Recursivness أي قدرة الشيء على التكرار إلى ما لا نهاية، و يسمى سيبويه هذه الظاهرة « إطالة » الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1/330.

<sup>2</sup> -اللسان بوصفه ظاهرة عامة الوجود، و ستطبق هذه الملاحظة على اللسان العربي من باب دخول الخاص فيما يصدق على العام.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية في العالم العربي، سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص207-229.



اللفظية الآتية توضح بعض مواضع التداخل و الإطالة، و خصوصا ظاهرة دخول المستويات العليا في السفلى و العكس.

ع	1م	2م			خ
يقول	زيد	ذاك			
أ قائل	زيد	ذاك			اسم فاعل في موضع العامل
	ع	3م	2م		
Ø	زيد	يقول	Ø	ذاك	واقفا
فعل و فاعل و مفعول في موضع المعمول الثاني (2م).					
كان	زيد	يقول	Ø	ذاك	واقفا
ع+1م	2م	3م			
حسبت	زيدا	يقول	Ø	ذاك	واقفا
فعل و فاعل في موضع المعمول الثالث (3م).					
رأيت	زيدا	--	--	--	ينطلق Ø
فعل و فاعل في موضع المخصص					

### الاقتراح الثالث: تأسيس المدرسة اللسانية العربية.

#### أولا: المجال الاصطلاحي و المفاهيمي.

المدرسة في الاصطلاح العلمي المعاصر هي النسبة المتعلقة بواحد من ثلاثة أشياء؛ الموقع الجغرافي أو الشخصيات العلمانية أو الفكرة العلمية الغالبة، و هذا يعني أن في النشاط اللساني العربي المعاصر مدارس منها الصريح المعلن و منها المندرج في ثنايا الإنجازات. و قد استعمل بعض الباحثين تقسيما مدرسيا شائعا متعلقه الإطار الإقليمي،

بين مدرسة مشرقية و أخرى مغربية<sup>1</sup>، و هذه حقيقة موضوعية و لو أنكرها أو تجاهلها الكثيرون، و المقصود هنا هو المسلك المتميز في الإجراءات و المقاربات و العديد من الجوانب المنهجية و طرق الاستدلال الذي قد يكون مختلفا عند المشاركة مقارنة بما يذهب إليه نظراؤهم في المغرب العربي.

و لقد أشرنا في مطلع هذا الفصل إلى أن هذا التميز موجود لكنه لا يعني خطاب المفاضلة أو المهاجمة أو تحميل المسؤوليات الذي تثقل به العديد من الأطروحات و الدراسات المعاصرة، و إنما المقصود فيه اختلاف عميق منشؤه نمط استقبال اللسانيات و طبيعة المشاكل العلمية التي انبثقت عنه؛ فنحن نعلم أن الجسر الذي انتقلت منه اللسانيات إلى الجامعات المشرقية في مصر و سورية و لبنان ثم إلى بقية الأقطار المشرقية تمثل في النخب العلمية التي وفدت إلى أوطانها بعد رحلة علمية أخذت فيها حظا مما كان يروج في أوروبا من هذا العلم الجديد، و دارت نظرتهم إليه بين مدارين؛ الأول منهما، و هو الغالب، اعتقد جازما بأن هناك جديدا طرأ في البحث العلمي اللغوي و هذه فرصة هامة لنقل ما تيسر منه إلى الباحث و المثقف العربي. و هذا الاتجاه لم يفتح مشاكل التراث، و لم يصنع قطيعة أو جدلا في التعامل معه، لأنه لم يفهم في اللسانيات أي ثقل فلسفي أو أيديولوجي يجعل منها علما مُقنعا ما لبث أن يكشف بعد حين عن وجهه الحقيقي الذي يُقصي التراث العربي و يزدري الماضي بشكل عام.

و يمكن القول إن الباحثين الذين التفتوا إلى الاكتشافات الجديدة كما في مجال علم الأصوات و التصحيحات الهامة في الفونولوجيا (علم الأصوات الوظيفي) هم أكثر من يمثل

<sup>1</sup> - يستخدم هذا التصنيف بطريقة سلبية في أغلب الأحيان، على أنه قد يستخدم بطريقة التميز و الإثراء الإيجابي في حالات قليلة. أنظر على سبيل المثال: جعفر دك الباب، المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة: عرض موجز لأسسها العامة، مجلة اللسان العربي، الرباط، ع37، 1993م. ص75-91. الجدير بالذكر أن تسمية (المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة) هي من صنع الأستاذ محمد شحرور في تعليقه على كتاب: طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية. الذي عرض فيه ذلك الباب نظريته في علم دراسة اللسان العربي مرتكزة بصورة كبيرة على فهم عميق لآراء الإمام أبي علي الفارسي.

هذه النزعة المباشرة في الاستحضار و التلقي، و قد نذكر للأهمية الدراسة الحافلة للأستاذ كمال بشرو محاولات إبراهيم أنيس و محمد حماسة عبد اللطيف و عبده الراجحي<sup>1</sup>. هؤلاء جميعا يعكس خطابهم حُلوا شبه كامل من الالتفات إلى العضلات و النقاط الجدلية في حدود التماس بين اللسانيات و مدارسها من جهة، و بين التراث العربي و مآثره من جهة أخرى. و لذلك لم يحفلوا كثيرا بمشكلة المصطلح و ترجمة المستجد من المفاهيم بل كانوا يعملون على ملء الفراغ الكبير في مجال الدراسات اللغوية وفقا لاختيارات و مقاييس فردية، فكانت الترجمة خيارا ملائما في المرحلة الأولى، ثم توالى محاولات مستقلة غلب عليها المنحى التكويني.

المدار الثاني انطلق أصحابه من فكرة أن الجديد الذي في اللسانيات يصادم كثيرا من الجوانب التي رسخت و أصبحت جبالا شاهقة لا يفكر أحد أن يرفع إليها طرفا و كلها من تركة الطرق العقيمة في شرح التراث و تمتين عراه، و هنا يُفترض بعلم اللغة و الدراسات المرتبطة به أن يساهم في إنعاش هذا الركود المزمّن، فهذه نظرة يجوز أن يقال فيها إصلاحية أو تجديدية أو إبداعية، يمثلها خير تمثيل الأستاذ تمام حسان الذي بادر إلى مناقشة سيوييه و خطأه هو و الخليل بن أحمد في مسائل يسيرة منها رؤيته في مبحث الإدغام و مذهبه في أصل الاشتقاق. و كانت أقوال عالم من حقه أن يرد و خليق به أن يقبل الرد، و لم يأت ببدع، فإن من قبله من الراسخين فعل مثل ذلك، و لقد وجدنا رضي الدين الإستراباذي على تعظيمه للخليل و أخذه مذهب سيوييه غالبا، صدر منه تحطئة مباشرة لكليهما في غير موضع كما في شرحه على كافية ابن الحاجب.

أما في المغرب العربي فكان انتقال اللسانيات مباشرة من غير وسيط، و الجسر الذي بينهما هو الوحدة اللغوية. و بما أن الازدواجية بين العربية و الفرنسية حقيقة لا غبار عليها

<sup>1</sup> - للأستاذ كمال بشر كتاب حافل في علم الأصوات، و له أيضا كتاب: دراسات في علم اللغة، و لإبراهيم أنيس عدد من الدراسات في مجال الصوتيات العربية و اللهجات منها: الأصوات اللغوية (1950)، من أسرار اللغة (1958)، في اللهجات العربية (1973). و لحماسة عبد اللطيف كتاب: النحو و الدلالة. و لعبده الراجحي دراسات عديدة في تعليمية اللغة العربية منها: النحو العربي و الدرس الحديث، و التطبيق النحوي.

في الأقطار المغربية فقد كان حضور اللسانيات مشعباً بخلفيتها الفكرية وكونها نموذجاً للتححر الغربي من براسن الماضي و مآسيه و دخولا إلى الحداثة و المدنية المفعمة بالحرية و الاستقلالية. و لهذا نجد الخطاب اللساني في المغرب يمزج بين الطرح العلمي البحت و الطرح الثقافي، و لم نلاحظ عند المشاركة تأثير اللسانيات في الميادين غير اللغوية، و لكننا نرى ذلك الانعكاس واضحاً في الجامعات المغربية، في النقد الأدبي بكل أطواره؛ الجاهلي و الوسيط و المعاصر، و في الإنتاج الأدبي نفسه؛ في الرواية على وجه الخصوص.

#### الاقترح الرابع: المدرسة الخليلية الحديثة.

هناك نموذج مميز في الفضاء اللساني العربي هو *المدرسة الخليلية* و هي تترجم حالة مدرسانية نظيرة لما ظهر في أوروبا و الولايات المتحدة من مدارس بالمعنى الاعتباري و الهيكلي؛ فريق من العلماء بينهم زمالة و تقارب في وجهات النظر يتفقون على جملة أسس و مبادئ يدافع عنها الجميع و تكون نزعة يتميزون بها و يعرفون بها.

و المدرسة الخليلية هي من هذا النوع: فريق من علماء اللسان المغاربة أولاً ثم من أغلب الأقطار العربية في الوقت الحالي اتفقوا بشكل رسمي أو بالتراسل أو عن طريق التبني و الاعتراف الطوعي مجموعة من المواقف و الآراء تخص التراث اللغوي العربي تتلخص في صيغتها المركزة على لسان أبرز روادها و أهم الداعين إليها بأنها: «النزعة التي تصف نفسها بأنها امتداد منتقى للآراء و النظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأولون و خاصة الخليل بن أحمد»<sup>1</sup> و معنى هذا الكلام أن هذه المدرسة هي إحياء لمدرسة سابقة عليها في الزمان، و لهذا يستعمل الخليليون المحدثون هذه النسبة الزمانية في كثير من الأحيان عندما يقولون: المدرسة الخليلية القديمة أو الخليليون القدامى.

و لا شك في وجود قواسم مشتركة ذات وجهة و اعتبار كبيرين لينعقد هذا التجسير الذهني و المعرفي بين هؤلاء المتأخرين و ما اكتشفوه أو غلب على ظنهم اكتشافه من

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص208.

إبداعات الأولين، و هذا تفسير ما ذكر آنفا باسم الآراء و النظريات المثبتة، و هي الحقائق و النتائج العلمية ذات الطابع الإنجازي مما وُفق النحاة الأولون إلى التنويه به صراحة أو ضمنا. يتبقى لنا تعبير مهم وهو (امتداد منتقى) و نفهم من كلمة امتداد استحضارا للمشروعية التاريخية و العلمية في الإقدام على هذا المشروع الدقيق، كما نفهم من كلمة منتقى التحرر النسبي الذي يفترضه الخليليون في منهجهم و مسالك تعاطيهم و تناولهم، و هذا قد تم شرحه في عبارة أخرى أكثر وضوحا على النحو الآتي: «اهتمامنا بالعلماء الأولين لا يعني أننا نسلم لهم كل ما قالوه، و الدليل على ذلك أننا وضعنا أوصافهم لمخارج الحروف و صفاتها و كل ما جاء في كتبهم من التعليقات تحت محك الاختبار الآلي في مخبر الصوتيات الإلكترونية. فجاءت هذه الأوصاف في الغالب موافقة للصواب... ثم إننا وجدنا فيما يجريه مهندسونا في معهدنا و غيرهم في المعاهد العلمية من البحوث في الإشارة الصوتية ما يثبت الكثير من المفاهيم العربية الأصيلة من تلك التي لا يوجد لها مقابل في الحضارات الأخرى كالحركة و السكون و حرف المد»<sup>1</sup>.

أما الضلع الثاني من دعائم هذه المدرسة فهو النسبة الخليلية و المقصود هنا الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>2</sup> العالم اللغوي العربي الذي طبقت شهرته الآفاق و شهد له أساتذته و

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص19-20.

<sup>2</sup> - نسبه و مولده و نشأته: هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن مالك بن فهم المعروف بالفراهيدي نسبة إلى جده الأعلى الفراهيد بن مالك، (100هـ/175هـ) ولد في منطقة الأزد من عمان، ثم وفد البصرة صغيرا و جد في الطلب على علمائها و كبرائها، و سرعان ما انتبه الناس إلى مستواه العجيب من الفطنة و الذكاء، و اشتهر بهذه الصفة حتى قال عنه المؤرخون الأوائل نقلا عن جمهور علماء جيله: (أذكى العرب بعد الصحابة الخليل بن أحمد الفراهيدي).  
 . مآثره و إنجازاته العلمية: قال الأستاذ الحاج صالح: «الخليل بن أحمد هو أكبر لغوي شهده التاريخ» بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1/149، و هو كذلك؛ فكترة إنجازاته و سبقها لزمانها بقرون يشهد: اختراع شكل الكتابة العربية الذي ما زال يعمل به إلى اليوم، و كان قد اقترحه بديلا عن نقط أبي الأسود الدؤلي، و اكتشف مفتاح الصرف العربي الذي هو الميزان الصرفي(فعل) و مفتاح التراكيب النحوية العربية الذي هو مفهوم العامل و معمولاته، و ألف أول معجم عربي يصنف على مخارج الحروف و بوبه بمنهجية فريدة من نوعها بناها على مفهوم التقلبات أو العملي (factoriel) كما تعرف في الرياضيات الحديثة، و بنفس هذا المبدأ طور نظاما فخما متكاملا لوزن البحور الشعرية العربية و تمييز

أقرانه و تلامذته بالرسوخ في النحو و اللغة و علو كعبه في الاستنباط و حل المشكلات النظرية و التطبيقية على حد السواء، و كانت للخليل بن أحمد سمعة طيبة و شهادات متطابقة تفيد كلها بأنه رجل عالم ثقة. و تتطابق الروايات المعتمدة في الحديث عن ظاهرة الذكاء الاستثنائي الذي أوتيته الخليل و نزوعه الطبيعي إلى التجديد و الابتكار و اقتحام الصعوبات. و هذه المميزات العلمية و الشخصية هي التي يقصدها الخليليون في ربط مشروعهم بهذه الأيقونة التراثية. و الحق أننا لم نعثر على نص يصرح فيه أحد من الخليليين بأنه هو الداعي إلى هذه النسبة، و ظاهر كلام الحاج صالح يفهم منه في الأغلب أنه ليس هو الذي اقترحها، و ترجيحنا أن صاحب هذه التسمية هو العالم اللساني المغربي أحمد الأخضر غزال - رحمه الله - صديق الحاج صالح و رفيق دربه، و المعروف أيضا بأنه الأب المؤسس للهندسة اللسانية العربية.

و يزعم الخليليون أن هذه النسبة وضعت على سبيل التغليب و الغرض فيها التعريف أولا و التشريف ثانيا؛ التعريف و الأشتهار بنسبة واسعة الانتشار و شخصية تجاوزت الحدود العربية و وصلت إلى المحافل الدولية، و التشريف بالمجاورة و الزمالة الاعتبارية عندما يرتبط نشاط هذه المدرسة الجديدة بما كان بصده أولئك الأوائل من رباط على ثغرة من

---

أنغامها، و أسهم بتعليقات نحوية و لغوية لم يسبق إلى مثلها أحد من اللغويين قبله و لا بعده و قد اعتمد تلميذه المخلص أبو بشر سيبويه على علمه و نظرياته اعتمادا كبيرا فأسند إليه مباشرة في أكثر من 600 موضع من كتابه .  
تأثر به صاحب النظرية الخليلية الحديثة أيما تأثر و كان يقول باستمرار: (لقد أجهري الخليل بن أحمد) و تأثر به كبار اللغويين و العلماء أيما تأثر، و أحييت الأمة العربية ذكراه و مجدت مآثره أكثر من مرة، و اختارته المنظمة العالمية للثقافة و التربية و العلوم (UNESCO) الشخصية الثقافية و العلمية العالمية لعام 2006م. يراجع ترجمة الخليل في المصادر الآتية: أخبار النحويين البصريين ص: 38، معجم الأدباء ج72/11، بغية الوعاة ج577/1، و مجلة اللسان و اللسانيات (Encyclopedia Of Language And Linguistics) ص: 168.

أخطر الثغور التي كانت الأمة العربية الإسلامية مهددة أن تخترق من طريقها و هي ثغرة اللسان، لكونه طريقا إلى البيان و البلاغ و التواصل بين الإنسان و ربه و غيره و نفسه<sup>1</sup>. يبقى الضلع الثالث المندرج تحت صفة (الحديث) و لها معنى واحد فقط عند الخليليين و هو الحدائة الزمانية في مقابل القدم. أما معنى الجدة أو التميّز فيعبرون عنه بمصطلح آخر هو (الأصالة) و من حيث العمق المفهومي تتشكل الأصالة عندهم باجتماع ثلاثة شروط هي: أولا عدم النسج على منوال الغير و متابعتهم حرفيا لأن: «الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره»<sup>2</sup> و الأصالة بهذا المعنى تقابل التقليد و لا تقابل الحدائة أو التجديد، و يستوي في ذلك إن كان المقلد و المقلد عنه من علماء العرب أو من غيرهم. و ينتج عن ذلك أن الشيء الذي يظهر في الزمان الحديث و المعاصر من الأفكار و النظريات لا يكتسب ميزة الجدة و النفع لهذا السبب، و العكس صحيح أيضا؛ فلا مانع عقلا و حكما من وجود الأشياء الجيدة و النافعة فيما ظهر قبل قرون طويلة، بل قد يكون فيه الجديد الذي لم يكتشف في زمانه و تفتح مغاليق أسراره في زمان متقدم عن زمانه. و هذا مثبت عند الخليليين في كثير من مفاهيم النحاة و بخاصة في مجال الصوتيات و تحليل الكلام.

ثانيا: مطلق التجديد و الإبداع: «الأصيل هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمن الذي يعيش فيه»<sup>3</sup>. ثالثا: عدم تقليد اللغويين الغربيين: «الأصالة في زماننا هذا هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة»<sup>4</sup> و على هذا فإن الأصيل من اللغويين العرب المعاصرين - حسب هذا المعيار - هو ذلك الباحث الذي لا يتخذ من تقليد

<sup>1</sup> - شرح الاستاذ مازن الوعر الفلسفة الاسلامية في البحث اللغوي بما يفيد هذا المعنى الشمولي، و هو معنى يفتقر اليه اللسانيات الغربية، و نعتقد أن وجهة نظره معتبرة و ادلته صحيحة فيما ذهب اليه. مقال صلة التراث اللغوي باللسانيات، مجلة التراث العربي، ع48، ص86 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ص11.

<sup>3</sup> - الحاج صالح، بحوث و دراسات، ج1، ص11.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص11.

اللغويين الغربيين و مناهجهم و مدارسهم أساسا مسلما به غير قابل للمراجعة و إعادة النظر، بل انه يأخذ و يترك، و يوازن و يقارن و يسدد و يقارب و يعطي الأولوية لفهم كلام العلماء العرب انطلاقا من كلامهم ليصل إلى مرادهم و لا يسبق فكر غيرهم أو يتسرع في إسقاط الجديد. و محصول القول أن الخليليين يصنفون اللسانيات الحديثة في منزلة المورد المساعد وظيفته الاسترشاد و زيادة التدقيق و التوضيح.

### الاقتراح الخامس: مدرسة اللسانيات العربية.

النموذج الثاني الذي حقق انتشارا معتبرا في الآونة الأخيرة هو المدرسة اللسانية العربية في مقابل الغربية، و هذا التصنيف بادر إليه بعض الباحثين الغربيين و فريق من العرب الذين شاركوهم في البحوث، و أغلب هذه البحوث لم تحرر باللغة العربية، رغم ما فيها من أهمية تاريخية و تحليلية. و يدخل في هذا الاتجاه أبحاث اللغوي الهولندي كيس فرستيج من جامعة نيجمنجن و هو متخصص في تاريخ النحو العربي القديم، و زار البلدان العربية و خاصة المغرب مرات عديدة و ساهم في الملتقيات و الندوات، و كل ما نشره باللغة الإنجليزية، و بحوث اللغوية الأمريكية كارين ريدنج (Karin C. Riding) المتخصصة في لسانيات القرون الوسطى و لها دراسات هامة حول كتاب سيوييه، و صدر لها مرجع شامل في النحو التعليمي ممتاز في تبويبه و تنوع موارده عنوانه (الدليل النحوي للغة العربية المشتركة المعاصرة)<sup>1</sup>.

و من الإصدارات الهامة موسوعة علوم اللغة العربية و اللسانيات العربية أصدرتها جامعة بريل العريقة و اشتملت على أكثر من 500 مدخل شارك في إعدادها ما يزيد على 300 مؤلف . و دراسة الباحث الأمريكي جوناثان أوانز (التاريخ اللغوي للغة العربية) و مجموع أبحاث شارلز فيرغيسون، و دراسة الباحث كارتر حول سيوييه، دراسة الباحث آري ليفين من جامعة القدس (اللسانيات العربية: الفكر و اللهجات) و من

<sup>1</sup> Karin C. Riding, **A Reference Grammar Of Modern Standard Arabic**, Cambridge University Press, 2005



الأعمال المشتركة كتاب (اللغة العربية و اللسانيات) إعداد ريم بسيوني و غراهام كاتر، و كتاب (المختصر في تدريس اللغة العربية للمختصين خلال القرن الحادي و العشرين) إعداد الثلاثي: قاسم وهبة و زينب طه و لينز أنجلد. و من البحوث العربية دراسة (اللسانيات في عصر العولمة، نظرات حول اللغة العربية و اللسانيات) إعداد زينب إبراهيم و سناء مخلوف، (اللغة العربية المستعملة) لمهدي علوش<sup>1</sup>.

و الملاحظة الرئيسية على هذا الاتجاه أنه يستعمل مصطلح اللسانيات العربية بمعنى النحو العربي و يشمل البحث في القواعد اللغوية كما تعني كلمة (Grammar) في التراث اللغوي الغربي، و هذه مشكلة كبيرة، و يبدو أن الباحثين العرب الشباب الذين انخرطوا في هذا المضمار لم يتفطنوا إلى أن هذا المصطلح إذا غلب و انتشر مع ما فيه من الالتباس و الخطأ فإنه سيكون من العسير إخماده أو تصحيحه، و نشير هنا إلى أن مضامين البحوث تفيد بان الباحثين الغربيين لا يعتقدون بوجود بحث في اللغة العربية إلا في مرحلة ما يسمونه **القرون الوسطى**، أما البحوث الحالية فهي جزء لا يتجزأ من اللسانيات الحديثة، و قد نسلم لهم هذا. و لكن لماذا لا يدرجون هذه البحوث في اعتبارهم و هم يتحدثون عن الفكر اللغوي العربي بصورة عامة دون تقييد تاريخي؟ ثم لماذا يفترضون بأن الدراسات النحوية هي مرادف لما يعرف حالياً باللسانيات؟

و من المفيد أن نشير إلى أن هذا الخلل حاصل بالفعل في محركات البحث الرقمية، فكلما أدرجت في النطاق اللسانيات العربية (Arabic Linguistics) أو ما يقاربها فإنك تحصل في الغالبية العظمى من الاسترجاعات على ثلاثة أصناف من المواد؛ الدراسات حول تاريخ النحو العربي، ثم بعض ما يخص المعجم، و بعض البحوث التقنية و أوراق العمل المتفرقة. و المشكل نفسه في مستوى المحركات المتخصصة كالباحث العلمي

<sup>1</sup> Mahdi Alosch, **Using Arabic: Introduction to Arabic Natural Language Processing**, Cambridge University Press, 1<sup>st</sup> Pub, 2005

لشركة غوغل وغيره. وهذا يعني بصريح العبارة أن وجود اللسانيات العربية المعاصرة في البيئة الافتراضية العالمية هو قضية كبيرة و تحتاج إلى قدر أكبر من العناية والاهتمام.

### المطلب الخامس: تقييم الاتجاه التأسيسي.

إن المفهوم المشترك للتأسيس في الخطاب اللساني العربي المعاصر هو الاستفادة من الجديد الذي طرأ في الدراسات اللغوية وأصبح حديث العام والخاص من الأكاديميين و رجال الفكر و الأدب في العالم بأسره. و اندرجت تحته وجهات نظر هي: الاعتراف أو كسب الشرعية العلمية و الثقافية، ثم التجسير مع التراث من جهة و مع الحداثة الغربية من جهة أخرى، ثم خلق البيئة و الفضاء الذي يسمح لهذا الوافد الجديد بالنمو و التزعرع و التفرع، و ذلك فيه أطروحات أبرزها: الالتفات إلى البحوث اللغوية الشاملة في مقابل البحوث القطاعية و الجزئية، و ذلك من خلال البحث في النظرية اللغوية العامة إما إنتاجا إبداعيا خالصا أو استمدادا من التراث إحياء للمخمد منها أو إعادة قراءة و تشكيل للمجهول فيها. و طرح إلى جانب ذلك فكرة المدارس اللسانية العربية نظير ما في الحالة الغربية، و طرح أيضا التأسيس العولمي أو استثمار البيئة الرقمية و التفوق التكنولوجي في بلوغ هذه الغايات.

**الملاحظة الأولى** أن التفكير في التأسيس ليس مشروعاً منطلقاً من الفضاءات العربية بل هو تأسيس على تأسيس، فقد أشرنا إلى أن رواد اللسانيات العالمية أكثرها من طرح مشكل تموضع اللسانيات، و قضية استقلالها المعرفي و المنهجي، و فيما إذا كانت قطعة مع البحث اللغوي السابق أو امتداداً و استمراراً له.

و يمكن القول: إن المجال الأكبر من أطروحات التأسيس و خطابه في البحث اللساني العربي دخل بصورة تلقائية باعتباره مكوناً من مكونات اللسانيات، و دليل ذلك أن المنطلقات التي تمد هذه النزعة هي هنا في العالم العربي كما كانت و لا زالت هناك خارج هذا النطاق الإقليمي، و تنحصر في التقابل بين نظرتين في المستوى الاستيمولوجي؛ الأولى

تعتقد أن اللسانيات نموذج معرفي له استقلال خالص عن الدراسات اللغوية التي سبقت و يصبح وضع اللسانيات بهذا المنظور هلاميا، ذلك لأنها إن كانت مفارقة في جوهرها لكل تقسيمات العلم و فروعه الإنسانية و التجريبية و الصورية فهي ليست علما في المحصلة النهائية، و لهذا تحول هذا الطرح في أقصى تحليلاته الى التماهي مع الفلسفة العامة و أغرق البحث اللغوي بمقاربات عصية على الإجراء في مجال اللغة و النقد الأدبي. و تذهب النظرة الثانية إلى القول بالاستمرارية و الامتداد و هي نظرة أكثر وضوحا بطبيعة الحال غير أنها فتحت ثغرة خطيرة تتعلق بشرعية هذا العلم إن كان جزء من تحول و تطور في علم سابق، و هذا تناقض ظاهر، فإما أن تكون الدراسات اللغوية و الطور الحديث و المعاصر هو جزء منها، و إما أن تكون اللسانيات و لا علاقة لها بهذا القديم كما في المنظور الأول، و لا يجتمع على المحل الواحد موجودان في الزمان الواحد.

و بالنسبة لكثير من الباحثين متعلق الجدل هو التضخيم و المبالغة في الحدود الاصطلاحية أما جوهر المسألة إذا وضعناها في سياق تطور النظريات و الأنساق العلمية فانه لا تناقض فيها على الإطلاق، و هذا ما ذهب إليه فريق من العلماء العرب بعد محاولتهم المستقلة لتدقيق النسب الاسمية و تحقيقها من أن اللسانيات يمكن أن تتحدد انطلاقها في نقاط زمانية كثيرة يستوي فيها القديم و الحديث. و هكذا تكون اللسانيات صورة معدلة أو موسعة أو في الحد الأدنى نمطا و اختيارا تعبيريا ارتضاه المزاولون للنشاط اللغوي في نقطة زمانية معلومة على وجه الإجماع و الأغلبية فيما بينهم، و لا يعني ابدا أنهم يتفقون حرفيا على حدود هذا النشاط أو مضامينه المنهجية و الإجرائية.

و إذا كان الفضاء الغربي قد تخلص تدريجيا من العمق الأيديولوجي لمشكلة اللسانيات في خطابه الحالي فان الفضاء العربي - و من دون مبالغة - ازداد غرقا في هذا المستوى العقيم من التأملات و التقسيمات التصنيفية و كثير من التحييد و الاقصائية، و أعيد إنتاج كثير من القضايا المعضلة التي اندملت و أوشك البحث اللغوي أن يتعافى من عدواها مثل مشكلة نشأة النحو العربي و الجدل حول أصالته و أصالة العلماء الأوائل في فكرهم و

نواياهم و ما طرأ حديثاً من استحضار سيء لمشاكل التواصل في أبحاث اللسانيات الاجتماعية مثل الازدواجية بين الفصحى و اللهجات من جهة و بينهما و بين اللغات الأجنبية واسعة الانتشار من جهة أخرى. و في كل ما سبق نقول إيماناً بالعلم و مبادئه أنه لا بأس على الباحث عربياً أو غريباً أن يطرح من الإشكالات كما يشاء غير أنه لا يعفيه شيء من تمحيص أقواله و عرضها على محك منهجي معتبر، لئلا يذهب مع مذهب مغال أو آخر متراخ فتكون نتائجه متكلفة أو واضحة التعسف، و يقال هذا بخاصة للباحثين الذين شاركوا الغربيين و تعاونوا معهم في بحوثهم و جاءت أغلبها مولية شطر القبليات و التسيبقات الواهية التي بثها جيل المستشرقين و من تلاهم من الأدباء و المفكرين العرب.

### الملاحظة الثانية أن الجهود الفردية و الأفكار الطموحة الشخصية غلبت على

التعاون و المشاركة الواسعة، و لا حديث عن تأسيس حقيقي في غياب هذا الشرط الهام. و الوجود من وجهة نظر معرفية هو وجودان في الأصل؛ وجود ذهني أو في مستوى الفكر و النظر، و هذا منه الكثير، صريحه و مضمرة، و وجود إنجازي متحقق، و طالما كان الأول و الثاني غير متناسين؛ أفكار و أطروحات بالجملة تتبنى العمل الجماعي و تدعو اليه في الكتابات و الدوريات و المنتقيات و في كل منفذ و على رأس كل منبر، فإذا بحثنا عن المنجز من هذا الفكر و هذه الطموحات ألفيناه قليلاً و بعيداً عن المنتظر و المأمول، بل ذهب بعض الباحثين إلى أن النقص و الافتقارية كما و نوعاً شامل في الإنتاج اللساني العربي كله الفردي و الجماعي و لهذا فإن المشكلة ليست في التفكير السليم و إنما في الآليات الموصلة إلى تحقيقه.

و يعتقد بعض الباحثين أن المفارقة هنا تكمن في أن أغلب المنظرين لهذا الاتجاه تعودوا على النشاط الذهني التحليلي و لم يختلطوا كثيراً بالظروف و الحثيات الواقعية للأفكار، و لذلك عندهم مشكل في تقدير الفارق في المسافة بين النظري و التطبيقي، مع العلم أن تحقيق العمل الجماعي على نطاق واسع هي قضية تتخطى الروح العلمية و المبادرة الشخصية و تدخل في حيز الإجراء و الإدارة التنفيذية بصورة مباشرة. و يؤكد هذا

المعنى نجاح النشاط الجماعي في الفضاءات غير الأكاديمية و بخاصة في الفضاءات الرقمية، و نقصد هنا نجاح فكرة الجمع و التأليف بين عدد كبير من الباحثين أو المهتمين أما مسألة النوعية و القيمة العلمية و الجدوى النفعية فلها معطيات أخرى و مسار آخر من التحليل.

**الملاحظة الثالثة أن التأسيس الميكلي جار على قدم و ساق، فهناك تزايد في عدد الخريجين و عدد المؤطرين و تراكم التدوينات و هذه ظاهرة تعم العالم العربي. و قد أشار الباحث ساري حنفي في تقرير حول الابحاث في العلوم الاجتماعية في المشرق العربي لفائدة منظمة اليونسكو سنة إحدى عشر و ألفين (2011م)<sup>1</sup> إلى نمو عدد المراكز البحثية المستقلة (غير الحكومية) في منطقة المشرق العربي و تحديدا في أبع دول هي: (لبنان/ فلسطين/ الأردن/ مصر) و أثبت الإحصاء وجود حوالي 122 مركز بحث من هذا النوع تتلقى التمويل في الغالب من المساعدات الأجنبية و من بعض مخصصات الأوقاف الإسلامية (خاصة في أمريكا الشمالية و بعض مناطق اوربا). و انتقد التقرير بشكل واضح النشاط العشوائي لهذه المراكز، و فسر ذلك بأنه نشاط غير بناء، كما أنه غير مستقل في الأساس، و الدليل على ذلك توجيهه نحو القضايا الإحصائية و سبر الآراء و أنواع من الدراسات السطحية غير المنتجة و لا المفيدة للبحث العلمي و لا للمجتمع العربي. كما لاحظ التقرير معائب الطرق الانتقائية في التعاقد مع الباحثين، و هو الأمر الذي لا يسمح لخريجي الجامعات من باحثي الدراسات العليا الانخراط و المساهمة في هذا النشاط، و النتيجة أن هذا النوع من المراكز أفرز تعقيدات و مشاكل جديدة ناءت بكلكلها على البحث العلمي في العلوم الانسانية و الاجتماعية.**

**الملاحظة الرابعة: أغلب النظريات اللغوية العامة ظلت في حيز التصور، و لم تنزل منزلتها الإجرائية المنشودة، و لم تجد لها موطئ قدم حتى في المقررات البيداغوجية أو كموضوع كبير للنقاش أو للكتابة. قد يستثنى من ذلك نظريتان حققنا هامشا لا بأس به**

<sup>1</sup> - ساري حنفي، موجز سياسة إدارة التحولات الاجتماعية: الأبحاث في العلوم الاجتماعية في المشرق العربي، مكتب اليونسكو الإقليمي، بيروت، لبنان، 2011م.

من الشهرة، و إحداهما حققت اعترافا و شرعية دولية. النظرية الأولى تعرف اشتهاارا بتظافر القرائن و هي خلاصة جهود اللغوي المصري تمام حسان المعروف بتقيده و دفاعه المتكرر عن المذهب الوصفي في صيغته البريطانية أو على مقاييس المدرسة السياقية كما في جهود فيرث و هاليداي و كاتفورد - و ما زال بعض هؤلاء الرواد ممن عمر منهم أحياء يزاولون نشاطهم في البحث و التدريس - و قد امتاز الأستاذ تمام حسان بميوله التكوينية فتحلق من حوله عدد كبير من الطلاب، و كان له أسلوبه الجذاب في التدريس، فكثرت إشرافه على الرسائل و الأطروحات، و زار أغلب البلدان العربية باستثناء واحدة أو اثنتين فقط كما قال هو نفسه، و كانت له فترة انتداب في المغرب و في السعودية و مكث فترة في سلطنة عمان في إطار رسالة الماجستير و في الجملة كان لاسمه وقع و لمؤلفاته تلق و طلب و بخاصة كتابه الحافل (اللغة العربية معناها و مبناها) الذي طبقت شهرته آفاق العالم العربي، و لا يمكن بعدئذ إلا أن نستنتج تأثيرا مهما لهذه النظرية في المجال المعلن من النشاط اللساني العربي خاصة في مصر و الخليج العربي.

و تستمد نظرية القرائن شهرتها من ميزة في الأدوات الداخلية و هي وضوح اللغة التعبيرية و هامش البساطة المقبول لأغلب مفاهيمها. و على كل حال لم تتخط النظرية **حدود التوظيف الأكاديمي** أكثر استحضارها في الدراسات و البحوث العلمية، و أقل من ذلك في التدريس و التكوين الجامعي الرسمي. و تبقى الكفاية التطبيقية في مجال تحليل الكلام و علاجه لفائدة المرافق الحيوية التي تتقاطع فيها النظريات اللغوية مع التداول و الاستعمال اللغوي هي نقطة ضعف كبيرة لهذه النظرية، و لم يأخذ بها الحاسوبيون في مصر و لا خارجها، و لا يمكن الاستعانة بها في الصناعة المعجمية التقليدية ناهيك بالآلية لأن المستوى المعجمي غير معتبر فيها، و المجال الوحيد تقريبا الذي اتصلت به إلى حد ما هو **مجال تعليم اللغة العربية** و بخاصة ما صار يعرف حاليا بالنحو الوظيفي. و ليس هناك برنامج تعليمي متكامل ارتكز مصممه أو واضعه على هذه النظرية -فيما نعلم- إلا أن

عددا لا بأس به من الأكاديميين و أساتذة الجامعات في المشرق يدجونها في بعض النصوص التحليلية، و يوجد منهم في المغرب العربي أيضا.

النظرية الثانية هي النظرية الخليلية الحديثة، و هي معروفة في المجال اللساني الدولي منذ عقود، فقد كتب عنها الباحثون في فرنسا و تكلم عنها الأستاذ الكبير جون كلود كورباي (Jean Claude Corbeil) من كندا ( و هو مدير المعهد الدولي للسانيات النظرية و التطبيقية)<sup>1</sup> و نشرت المجلة العلمية "عالم" (Hemesphere) في الولايات المتحدة ضمن سلسلة: (اللسانيات العربية التطبيقية و الإشارة اللغوية و علاج المعلومات)<sup>2</sup> دراسة تطرقت إلى التحليل العلاجي (الأوتوماتيكي) للغة العربية في ضوء مبادئ النظرية الخليلية، أعدها عبد الرحمن الحاج صالح نفسه و عنوانها (علما اللسانيات و الصوتيات العربية). و معروفة على نطاق معتبر في ألمانيا. ثم جاء الاعتراف العربي بها سنة 2010م في إطار جائزة الملك فيصل الدولية لخدمة اللغة العربية. و قد حظيت باهتمام الباحثين و بخاصة من شباب الأكاديميين في الجزائر و بعض منهم في فرنسا و في الأردن و المملكة السعودية.

إن الميزة الرئيسية للنظرية الخليلية أنها وضعت بعد التصور و ليس قبله، و هذا شيء تنفرد فيه عن نظيراتها في ذات المجال، و معنى ذلك أنها صُبت كقالب يلائم مشاكل تقنية و عملياتية محددة؛ فقد نظر أصحابها إلى المشاكل التي تعانيها اللغة العربية في مقارنة مع اللغات الأخرى التي أفلح أهلها في تطويرها، فوجدوا أن أكبر هذه المشاكل هو انزواء العربية و توقعها في مجالات تعبيرية محدودة، و نتج عن ذلك خصاصة و افتقار للنجاعة التواصلية (التبليغية)<sup>3</sup> و لا سيما في المرافق الحيوية و اليومية، فلا أحد يتكلم العربية (النمطية أو المدرسية) في قضاء حاجاته كطلب مساعدة أو زيارة طبيب أو عقد صفقة

<sup>1</sup> - و من المنشطين البارزين للهيئة العليا للغة الفرنسية (Haut Comité de La Langue Française)

<sup>2</sup> - Applied Arabic Linguistics and Signal And Information Processing,

Hemisphere. P.C, New-York, 1987,pp3-22

<sup>3</sup> - يصير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على مصطلح التبليغ كقابل (Communication) و وجهة نظره أنه مصطلح تراثي (بل ورد في القرآن الكريم أيضا) و لا يصح إخماده ما دام معبرا عن المعنى بغير لبس.

تجارية أو حوار مع صديق، ففي هذا كله إما العاميات الصريحة، وإما الهجين اللغوي الذي يأخذ من العربية و من اللغات العالمية فيخلط وعاء ثقافيا مع وعاء آخر و تصبح الهوية و الاستقلالية الحضارية في مهب الريح. من أجل ذلك جاءت فكرة النظرية الخليلية في تطوير صياغة عامة قدر الإمكان تستجيب لتحليل اللغة العربية في مستويها الكتابي و الشفوي أولا و في جانبها الرسمي و العفوي ثانيا، و كان واضحا أن صياغة كهذه لا يمكن أن يعبر عنها بالخطط أو المراحل التحليلية، و لا يحلها حلا نهائيا إلا توفير صياغة مجردة يستعان فيها بالرموز الرياضية لتكون فعالة في التحليل العلاجي على الحواسيب. و تبلورت هذه الصياغة في صورتها الأولية كما عرضها الحاج صالح في أطروحته سنة 1979م. ثم تم تعديلها و تكييفها لتلائم الرمز العربي، و عرضت على العلماء أول مرة سنة 1992م في جلسة عامة لمجمع اللغة العربية في القاهرة.

أكبر مشكل يعترض النظرية الخليلية هو **مشكل الصياغة**، أو بعبارة أدق، تنزيل الصياغة التصويرية في إطار من الأطر المعتبرة التي يعمل بها الحاسوبيون، و هذه مشكلة عامة قد صرح بها الحاج صالح نفسه. المتوفر حاليا في هذا المجال هو (رباعية تشومسكي)<sup>1</sup> و تُنزل حاسوبيا طبقا للتصميم الشجري (Arborescent Graph) الذي طوره هو أيضا. و له فوائد و مميزات كبيرة، غير أنه يتبنى التحليل الخطي فقط، و له بناء هرمي (Hierarchical) يُظهر اندراج الوحدات و تفرعها عن بعض، لكنه لا يظهر مراتب الوحدات و لا حالتها في أثناء التسلسل و الحركة، و لذلك لم يبالغ من قال بأن هذا التصميم الشجري و إن كان عظيما في إبداعه إلا أنه لم يزد شيئا عن نظرية التحليل إلى

<sup>1</sup> - رباعية تشومسكي، هي النمط الذي يسميه: نحو بنية العبارة (Phrase Structure Grammar) و هو الأساس في النحو الصوري (Formal Grammar) الذي ينتج بواسطته الكلام الصوري (Formal Language) و تنحصر أركان النحو الصوري في أربعة حدود رياضية، يراجع: الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج1: 235. و كذلك: -67-62: Neil Smith, Chomsky Ideas and Ideals, p



مكونات قريبة، و جوهر المقصود فيه و هو عمليات التحويل، لا تظهر إلا بتعسف و تكييف شديد، و حتى المنصفون من تلامذة تشومسكي يقرون بذلك<sup>1</sup>.

بناء على ما سبق كان الجهد المطلوب في النظرية الخليلية أو المرحلة التالية من كمالها هو تكييف التصميم الشجري، و قد حاول الحاج صالح و بعض تلامذته في ذلك مرارا و لم يصلوا إلى النتائج المطلوبة<sup>2</sup>، بل على العكس من ذلك، اتضح أن هذا التصميم يُلغي جوهر النظرة العربية التي تقوم عليها النظرية الخليلية و هي شرطان: الأول أن ينظر اللغوي إلى محوري الكلام كليهما؛ الأفقي و العمودي، الثاني: أن يراعي الميزة الحركية الديناميكية للكلام. و قد جرب بعض الباحثين تنزيل الصياغة في النمط المصفوفي (matrices) و هو ممتاز إذ يظهر المحورين معا، لكنه لا يلي الشرط الثاني. و في المحصلة النهائية نقول بأن هذا المشكل ما زال مطروحا، و لم تصدر حتى وقت إعداد هذه الدراسة معلومات توضح إلى أين وصلت جهود الباحثين في تغطيته.

المشكل الثاني يخص المادة الخام اللغوية، إذ يمكن أن نتصور هذه النظرية بمنزلة الآلة المتطورة التي تشتمل على عدة وظائف؛ التعرف الآلي على الكلام، ترجمة المكتوب إلى منطوق و العكس، الترجمة من العربية و إليها بسرعة و نجاعة دلالية فائقة، تحليل المدونات و التعرف على مكوناتها الصغرى و الكبرى، تحضير و إعداد البرامج التعليمية لكافة الفئات، و غير ذلك من الوظائف الحيوية الهامة. و هنا نعود إلى مشكلة المادة الخام و هي المدونات و المسموعات اللغوية، و تحتاج كل نظرية من هذا النوع إلى قاعدة بيانات (Data Base) غاية في الضخامة و كل الفاعلين في هذا الميدان يعرفون أن هذا النوع من الموارد غير متوفر فيما يخص اللغة العربية، و لهذا يكون الحكم على النظرية الخليلية كالحكم على الآلة الجديدة التي ليس فيها وقود، لا يمكن أن يقال إيجاب مطلق و لا سلب مطلق.

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: Chyrlil Black, **A step by step Introduction to the government and binding theory of syntax**, North Dacotta University, 1998.

<sup>2</sup> - أنظر مثلا: الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص256-258.

و لحل هذا المشكل الكبير اتجه الخليليون إلى بناء قاعدة البيانات العربية، و كانت تسمى في أول عهدها الذخيرة العربية و أصبحت تسمى حاليا الإنترنت العربي ( Arabic Internet) و هناك مؤشرات متفاوتة حول وتيرة إنجازها، و بالاعتماد على ما صرح به رئيس هذا المشروع (عبد الرحمن الحاج صالح) فإن المرحلة الأولى الصعبة قد أوشكت على الانتهاء فعليا و هي مرحلة إدخال البيانات، و هذا يعني أن المهندسين قد توصلوا إلى حل مشكلة التخزين (Stockage) التي كانت تعترض طريقهم خلال السنوات الماضية، و لا شك أنهم مطالبون ببذل جهود أكبر لحل مشكل العلاج الرقمي للبيانات و هو المشكل التقني الذي يتعلق بالمرحلة الثانية الحاسمة من هذا المشروع.

المبحث الثاني:

## الاتجاه الإجماليّ.

### المطلب الأول: وجود الفكر الإجماليّ في اللسانيات العربية.

إن النزوع إلى الإجراء هو دأب الباحث العلمي، و البحوث المعاصرة لا تكاد تنحو إلا هذا المنحى، و من المعلوم أن اللسانيات عدت ثورة منهجية لتركيزها الشديد على هذا الجانب الهام من جوانب البحث العلمي. و في الوطن العربي سجل هذا الاتجاه تصاعدا مطردا و لقي أنصارا كثيرا حتى من خارج الأروقة الأكاديمية. و لا يعد التركيز على نتائج البحوث هو العامل الوحيد الجذاب في هذا الاتجاه، بل هناك عوامل و مؤشرات أخرى نذكر أبرزها على النحو الآتي:

### أولاً: البحث عن المبادئ و القوانين في إطار النظرة التعميمية.

إن كل بحث علمي يقع على ظاهرة معينة تتركز غايته على جمع عناصرها الجزئية و التأليف بينها، ثم ترجمة هذا التأليف في صورة من الصور المتداولة بين أهل الاختصاص؛ فقد تكون معادلة أو قانونا أو عبارة لفظية لها مدلول يغطي القدر المعبر من العينات المشاهدة. و عند التعامل مع أي ظاهرة فإن الباحث الذي ينزع إلى الإجراء يركز على الجزئيات التي تتميز بأكبر هامش من الاستقرار و الاستمرارية فيحاول أن يفهم سلوكها و يرتب مظاهرها قدر الإمكان. و ذلك لأن الجزئيات المضطربة و غير المستقرة تطفو و تظهر إلى حيز الملاحظة سريعا، و قد يتوهم الملاحظ أن اضطرابها هو شيء جديد و جدير بأن يبحث عن أسرارها، و هكذا يضيع وقت و جهد كثير -في غالب الحالات- من دون الوصول إلى نتائج عملية. و لهذا اتفق جمهور العلماء المعاصرين على التحلي بمزيد من الصبر و الدقة في المعاينة من أجل الظفر بالوقائع و الحالات التي تطرد و تستمر، و هذا يدخل تحت مفهوم التعميم<sup>1</sup> العلمي. و العام (General) في هذا المنظور يطلق على

<sup>1</sup> - التعميم (Généralisation) انتقال من الجزئي إلى الكلي، أو من الخاص إلى العام. أنظر: المعجم الفلسفي، مجمع القاهرة، المطبعة الأميرية، ط(1402هـ/1983م) ص50.

الأحداث و الوقائع التي تتحد في حالة واحدة على الأقل أو يجري عليها نفس الحكم في نفس المكان و الزمان مع اعتبار التسلسل و الاستمرارية و هذا يخص العناصر المنقولة بالحس من الظواهر الطبيعية سواء كانت معانيات أو أخبارا. أما العام في الظواهر الرياضية الصورية فيطلق على ما وضع وضعاً غير معين و لا مرتبط بشيء خاص ليكون وسيلة في العمليات المنطقية و الجبرية. و نلاحظ هنا أن هذا المفهوم الذي يدور عليه العلم المعاصر لا يرتبط بالجوامع أو الكليات التصورية التي تنشأ عن التأمل و التدبر العقلي المجرد في الذوات، و الذي يهتم بهذا النشاط الأخير هو الفلسفة العامة. و لما تحقق هذا التمييز في المواضيع و النظرة إليها استقل العلم عن الفلسفة العامة و عن فلسفة العلوم أيضاً. و هو استقلال مفيد لمسيرة العلم، لأنه يفصل البحوث الإجرائية التي تمتاز بقابليتها للتحقق و الإثبات في حينها، عن التأملات و الخواطر التي لا يقال فيها القول الفصل بل هي سلسلة من الأخذ و الرد و العكس صحيح.

لقد عبرت الباحثة ميلكا إفيتش عن هذه النظرة العلمية الجديدة على النحو الآتي: «شهد القرن العشرون الاتجاهات العامة لمنهج علمي جديد. و بدأ البحث العلمي، في عمله بالتنظيم المنهجي و التعميم، ملحا على أهمية استنباط الخصائص غير المتحولة للظواهر. و لهذا كان من الضروري-عند ملاحظة مجموعة من المعلومات التي تجمعها صلات معينة- أن نعثر على النموذج النمطي لها (ما يمكن أن يصطلح عليه في علم الأحياء الطراز الوراثي Genotype في علاقته بالطراز الفيزيقي Phenotype). و ينتج النموذج النمطي "المثالي" الخاص بنوعه من إلقاء الضوء على الخصائص الشائعة و المهمة في سلسلة من الظواهر المتعينة، و إهمال الخصائص غير الأساسية، و هي الخصائص الفردية و المتغيرة و الخاضعة للمصادفة. و هكذا بدأ المنهج العلمي في التحليل يميل نحو تجريد الثوابت من المتغيرات القائمة بالفعل»<sup>1</sup>. و النظرة العلمية تؤمن بأن خلف الكثرة

<sup>1</sup> - ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2000م، ص100.

الكثيرة من العناصر المختلطة التي تنتشر في عالمنا هناك جامع يربطها أو حكمة تعللها، و في المصطلح العلمي هي النظام الذي تنقاد به الظواهر، و يجب أن يكون هذا النظام أكبر من مجموع أجزائه، و سابقا عليها في الوجود، و غير مرتبطا بأعيانها الجزئية، فيكون له استقلال صوري، و هذه الميزة الصورية أو التجريد النظري هو الرافعة التي يعتلي بها بنيان العلم المعاصر و تتكاثر إنجازاته و تتحقق تطبيقيا.

و فتح هذا المفهوم الجديد للعلم منذ مطلع القرن العشرين نقاشا مهما حول الإجراءات المعتبرة في وصف الأنظمة و نتائجها، و لاحظ الفريق الغالب من العلماء أن اللغة الطبيعية تفتقر إلى الدقة في الوفاء بهذه الغاية، و حينئذ اتجهت الجهود لتطوير اللغة العلمية الواصفة (Meta-language) من خلال تعاون بناء و مثمر بين علماء الرياضيات و المنطق و اللسانيات و العلم المعاصر يشهد لهذا التضافر الاختصاصي بما وصلت إليه لغته التعبيرية من علو في رتبها التوضيحية (explicit)، فقد أصبحت مفاهيمها غير ملتبسة ببعضها.

و قد انعكست هذه التحولات العلمية الهامة إلى ظاهرة كونية بفعل تأثير الجيل الرقمي من التكنولوجيا و أصبحت مشكلة انتقال المعلومات و النظريات و تراسلها بين الباحثين حول العالم من الضالة و الصغر يقارب العدم. و تظهر تجليات النزعة الإجرائية في كل مناحي العلم الحديث و تظهر في البحوث اللسانية في المناحي الآتية:

1. التنظيم المنهجي للمعرفة.

2. إعادة تفسير الحقائق المتداولة على نحو جديد.

3. توسيع مجال الاهتمام (البحوث التطبيقية و الميدانية و المعملية).

4. توجه الباحثين إلى التعاون مع زملائهم في الاختصاصات الأخرى لإنجاز بحوث على

نطاق أوسع. و لهذا ظهرت التخصصات الجديدة المشتركة و ظهر ما يسمى باللسانيات

التطبيقية (Applied Linguistics) بوصفه الميدان الحاضر لهذا التوجه التعاوني.

5- نقل الإجراءات المنهجية و التقنية من الاختصاصات الأخرى و إعادة تكييفها في مجال تحليل و معالجة الظواهر اللغوية. و من الإجراءات الهامة التي تم نقلها المفاهيم و الرموز المنطقية الحديثة و هي التي لعبت دورا هاما جدا في تحقيق الشراكة و الدمج بين اللسانيات و التكنولوجيا و بخاصة بعد التطور الهام في نظرية المعلومات، و ما توصل إليه تشومسكي و مدرسته في مجال التصميم الشجري و الرباعية المنطقية<sup>1</sup>.

يتعامل المنطق الحديث مع نوعين من أنواع الحساب: حساب القضايا، و هو منطق الروابط، عبارة عن نسق من المتغيرات و الارتباطات في القضايا أو الملفوظات. النوع الثاني هو حساب المحمولات، أو المنطق الحكمم، و هو نسق من المتغيرات الفردية و الثوابت المترابطة بالمحكم، أو هذه الثانية منفردة، و هي تقوم بوظيفة رموز حسابية لبعض المتغيرات و الثوابت.

#### ثانيا: التطوير المستمر للأدوات و الإجراءات.

بما أن الهدف النهائي المشترك للأبحاث العلمية هو الاستكشاف و حل المشكلات و العوائق التي تجعل الغموض و الحيرة يسيطران على حياة الإنسان، فإن الباحث مخول في أن يستفيد من كل تطور أو تجديد يطرأ خارج مجاله مما يساعده على زيادة الفهم و التحكم. و بما أن اللسانيات و آكبت الثورة العلمية الثالثة<sup>2</sup> فإنها تركز على الاستفادة من وسائلها و بخاصة الوسيط التقني و التكنولوجي، إضافة إلى تدعيم منهجية البحوث و التحريات الميدانية و التحقيقات في عين المكان، و لا يعني ذلك انتقاصا أو إقصاء للمناهج التحليلية و التفسيرية، بل النظرة إليهما متوازنة، و الباحث الذي ينشد التطوير لا يرفض الطريقة المنهجية بحجة أنه لم يسبق لأحد من ميدانه أن سلكها أو جربها، بل القبول و الرفض مرتبط بالمخرجات و النتائج العملية.

<sup>1</sup> - بيتر كونزمان و آخرون، أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط2-2007م، ص210.

<sup>2</sup> - أنظر مقال (الثورة المعلوماتية) إعداد موفق دعوبل، في الموسوعة العربية العالمية، مج7، ص378.

و من التطورات الهامة التي حدثت من تفاعل العلوم اللسانية و التقنية ما يعرف بنظرية الإفادة أو نظرية المعلومات (Information Theory) التي وضع صياغتها الأولية عالم الاتصالات الأمريكي شانون (Clude Shannon). و تختص بالتقدير الكمي لمفهوم المعلومات. و بإيجاد مقياس للمعلومات يُمكن من الإجابة على أسئلة من الشكل الآتي: إلى أي حد يمكن إرسال المعلومات وتخزينها بشكل مختصر أو مقتضب؟ وما هي كمية المعلومات الأعظمية التي يمكن إرسالها خلال قناة الاتصال؟ وكيف يمكن تأمين سرية هذه المعلومات؟<sup>1</sup> و حاصلها أن كمية المعلومات (ك) في إشارة (ش) يساوي اللوغاريتم الثنائي مضروباً في معكوس احتمال (ح) وقوع الإشارة.

و قد طبق عبد الرحمن الحاج صالح المفهوم السابق في تحديد مبادئ النظرية الخليلية **فالكلم فيها أربعة؛** الثلاثة التي ضبطها سيبويه في كتابه؛ الاسم المطلق و الفعل المتصرف و ينتج عنهما (الأصل و الصيغة) ثم حرف المعنى، و هو فيها عبارة عن كلمة محسوسة بنيت بناء لازماً و وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء و الأفعال<sup>2</sup>. و الرابع هو ترك العلامة، و هو كل ما يدل على معنى غير ثابت في اللفظ لكنه مقابل لآخر ثابت، و ذلك مثل علامة التذكير (و هي العدمية أو الخلو من التاء و ألف التأنيث) في مقابل علامة التأنيث

<sup>1</sup> - يمكن أن يتألف أبسط نظام اتصال من منبع للمعلومات و متلق أو متسلم للمعلومات، و يوجد فيما بينهما ما يسمى بقناة الاتصال. يمكن أن تكون هذه القناة ناقلاً سلكياً أو كيبلاً ضوئياً؛ أو يمكن أن تكون النطاق الجوي الذي يمكن أن تنتشر فيه الموجات الكهرومغناطيسية من المرسل إلى المستقبل. و يلاحظ أن هذه المعلومات معرضة للتشويه أو الضياع جزئياً بسبب الضجيج الموجود في كل الأنظمة الكهربائية أو الحياتية أو بسبب عدم ملائمة القناة المستخدمة لمنبع المعلومات المفترض. أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مقال: نظرية المعلومات، أعداد: عادل خضور علي، الهيئة العلمية-دمشق، مج19 ص117.

<sup>2</sup> - و هذا يدل على أن الحروف لها معنى ذاتي لا يوجد إلا بها، و هو سر دخولها في باب الكلم، رغم أنها لا تدخل في ثنائية الأصل و الصيغة، و إنما استقلالها المعنوي كما يقول الرضي الإسترابادي هو العلة الجامعة لها في هذا الباب. و قد رجح أبو سعيد السيرافي في شرحه على الكتاب الرأي الآخر الذي يرى أن ليس للحروف معنى ذاتي و حجته أن الحرف معناه ليس فيه و إنما في الاسم أو الفعل الذي يدخل فيه، لأنك إذا قلت: الإنسان أو قام ففهما معنى يعقل تحتها، فإذا قلت: من، لم يعقل تحتها غير الجزء و الكل، و لهذا فهي تؤثر في المعاني و لا يعقل معناها غيرها. أنظر: شرح أبي سعيد السيرافي على كتاب سيبويه، تح: جماعي، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ط1-1986م، ج1-ص52.

(و هي ظاهرة لفظا و رسما في التاء و الألف اللتين للتأنيث). و مثل ذلك في المفرد (علامة عدمية) في مقابل المثنى و الجمع. و مثل ذلك أيضا في المصغر مقابلا للمكبر<sup>1</sup>. و يتضح أن هذه الثنائية تشمل الكلم كلها و لذلك تنقسم من هذه الجهة إلى ثابتة و عدمية، و يمكن ترجمتها بدلالة نظرية الإفادة السابقة؛ فالكلم الثابتة الأصول تأخذ (1) و تترتب صيغها مع بقية الأعداد تنازليا عن يمين الأصل و يساره و الكلم العدمية تأخذ (0) و لها نفس الحركة التفريرية.

### ثالثا: التركيز على العناصر القابلة للتنفيذ.

هناك مسافة بين النشاط النظري و النشاط التطبيقي، و ليس كل ما صحت أرضيته الاستدلالية و المنطقية من النتائج و التصورات يتيسر تنفيذه كما هو مرسوم و متصور. و هذا يعني أن هناك قضية تقريبية أو ترجيحية ينبغي أخذها في الاعتبار عند الانتقال من النشاط الأول إلى الثاني، و قضية ثانية هي التصحيح عند الحالة العكسية، أي الرجوع من التطبيق إلى العلاجات و التكييفات النظرية. و من أجل استدراك هذا الأخذ و الرد قدر الإمكان يركز الباحث على العناصر التي هي أقرب ما تكون للتنفيذ، و يتعد عن المسائل الملغزة و التي حولها جدل مزمن.

و الحق أن الباحث من حيث هو كذلك لا يكون مسؤولا عن النجاح المطلق لفرضياته بكيفية حتمية، و لكنه مسؤول أن يبادر إلى ما من شأنه أن يكون فعالا في الإجراء قدر الإمكان. و على سبيل المثال هناك جدل كبير بين اللغويين العرب حول مسألة الترجمة و بخاصة ترجمة الكتب العلمية المتخصصة، و المزاولون لهذا النشاط يدركون حقيقة المشاكل و الصعوبات الموضوعية التي تجعل هذا النشاط قليل النجاعة و الفعالية. غير أن المترجم لو تتبع كل ما يثار من آراء و انتقادات و أراد أن يلتزمها مع ما فيها من تعارض و اختلاف في المقاربات و الأصول المدرسية، لظل جامدا في مكانه و لم ينجز

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 191-192.



شيئا، و المسلك البديل أن يبذل قصارى جهده في اختيار المراجع التي تقل فيها الصعوبات و أن يدعم عمله بالمقدمات و التوضيحات الوافية، بمعنى أن يختار العناصر التي يكون إنجازها ممكنا و أقل ارتباطا بالتعقيدات و المشاكل المطروحة من طرف الباحثين و المجتمع من حوله.

و في مجال تحليل المدونات و بخاصة التحليل الرقمي، هناك مشكلة عامة تتمثل في ضعف البنية التحتية الهيكلية لقواعد البيانات، و قد أكد جميع خبراء المعلوماتية المشاركون في قمة "توصيل العالم العربي" المنعقدة في الدوحة من 5 إلى 7 مارس 2012م أن المشكل الهيكلي لن يحل بسهولة، و أشار تقريرهم بعنوان ( المحتوى الرقمي العربي) إلى أن نسبة مساهمة مجموع البلدان العربية في مواقع الميادين العامة المصنفة في أعلى مستويات الانتشار و الزيارة (gTLD) تقدر ب: 0,187% كما أن نسبة تطبيق خدمة الاستضافة لا تتعدى 0,198% و على حد تعبير أحد الخبراء فإن أحدا من الباحثين أو المسؤولين العرب لم يطلع من قبل على هذه النسب الهزيلة، مع العلم أن المصدر المسؤول عن الإحصاءات هو مجموعة نيلسون (Neilson)<sup>1</sup> المختصة في هذا النوع من التحريات، و قد ظهرت تجليات و انعكاسات هذه الحالة الهشة في الاجتماع الأخير للجنة الذخيرة العربية (الإنترنت العربي) في الأردن، و ذلك من خلال الصعوبات التقنية و المادية الكبيرة التي يجب أن تستعد لها كل لجنة مستقلة بناء على التجربة الأردنية في هذا المجال.

و لا ننسى أن نشاط تحليل المدونات يكتسي أهمية و حيوية كبيرة لأنه همزة وصل تتقاطع عندها مجموعة ثرية من التخصصات اللغوية؛ يأتي في مقدمتها النشاط المعجمي و نشاط الترجمة إضافة إلى التحليل العلاجي للتراكيب، و بالنظر إلى الارتباط المحكم بينه و بين منظومة الاتصالات الرقمية في كل البحوث الكبيرة التي تجرى حول العالم. و اعتمادا

<sup>1</sup> - مجموعة أعمال أمريكية مختصة في البحوث الميدانية و استطلاعات الرأي، و التقرير الذي ساهمت به في قمة توصيل

العالم العربي عنوانه: : Arab Media Outlook 2009-2013 : Inspiring local content :

Forcates and Analyse of Traditional and Digital Media in Arab World.

على الحقائق الموضوعية حول المحتوى الرقمي العربي فإن الباحثين الفاعلين في هذا الميدان ينبغي أن يجدوا حلوًا أقل ارتباطًا بهذه المشاكل، و من هذا التوجه اقترح الباحث إسماعيل حجير فيما يخص المدقق الإملائي العربي حر المصدر بديلاً للتصحیحات الفوضوية التي يقترحها محرك غوغل (Google Search Engine) الشهير<sup>1</sup>. و يدخل مشروع المدقق الإملائي المفتوح المصدر ضمن مشروع شامل، هو مشروع آيسبل ( Ayaspell Project)<sup>2</sup> الذي يهدف توفير أدوات المعالجة الآلية للغة العربية في بيئة البرامج الحرة. وقد دأب المشروع على بلوغ هدفين أساسيين: **الهدف الأول برمجي**: و يتوخى تحسين عمليات دعم اللغة العربية في برامج التدقيق الإملائي الحرة المتداولة في البيئة الافتراضية. **الهدف الثاني لغوي**: بناء قاموس التدقيق الإملائي العربي الحر. و هذا القاموس له فوائد جد هامة للباحثين في مجال المعاجم و مجال الترجمة و تعليم اللغات. و كان الباحثان طه زروقي من الجزائر و محمد كبدي من المغرب قد اشتركا في مشروع يلبي الشروط الآتية<sup>3</sup>، فتولى الأول مجال الدعم التقني البرمجي، و تكفل الثاني بالبناء و التخطيط الهيكلي و القضايا اللغوية. و كان افتقار البيئة الرقمية إلى قاموس عربي حر المصدر مقارنة بالخيارات المتعددة في اللغات الأجنبية الأخرى هو المبرر الأكبر لمثل هذه المشاريع، و هو تفكير سليم يهدف إلى سد الفراغ الواضح الذي يشكو منه كل الباحثين في هذا الجانب الحيوي من حياتنا المعاصرة.

<sup>1</sup> - أنظر البحث الآتي: إسماعيل حجير ( من أجل مدقق إملائي مفتوح المصدر) رسالة ماجستير، تخصص: علوم اللسان و التبليغ اللغوي، فرع: العلاج الآلي للغة، مركز البحوث العلمية و التقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م، أشرف على الرسالة: الدكتور عمار بالة.

<sup>2</sup> - أكثر البرامج شيوعاً في الوسط البرمجي الحر (بالإضافة إلى برنامج هانسبل (Hunspell) و قد طورا للغات اللاتينية، و بعد إضافة خاصية اليونيكود و دعم ثنائية الاتجاه (في القراءة) إليهما أصبحا مؤهلين لدعم اللغات غير اللاتينية و من ضمنها اللغة العربية.

<sup>3</sup> - عرض الباحثان مشروعهما في الندوة الدولية حول الأداة المعلوماتية في خدمة اللغة العربية في مواجهة تحديات العولمة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، في الفترة من 15-16 نوفمبر 2008م. عنوان الورقة (المدقق الإملائي العربي الحر لمشروع آيسبل).

و من هنا جاءت فكرة العمل على بناء قاموس عربي يلي شروط التدقيق الإملائي بالاعتماد على المعاجم اللغوية العربية المتداولة التراثية منها والحديثة. و أهم المعاجم المعتمدة معجم الأفعال العربية (مجموعة Besherelle) المعجم الوسيط ( التابع لمجمع اللغة العربية في القاهرة) و قاموس المغني الأكبر للأستاذ حسن سعيد الكرمي<sup>1</sup> و القاموس المحيط للفيروز أبادي و لسان العرب لابن منظور. و هي الروافد المهيكلة لقاموس آيسبل الذي أصبح أول قاموس عربي إملائي حر متوفر في شبكة الإنترنت. و المقصود بكونه حرا خضوعه للرخصة العمومية الشاملة [GPL]. التي تجعله متاحا في الشبكة بصورة مجانية.

يتكون القاموس من ملفين أولهما **ملف المفردات** الذي يحتوي على المفردات مرفقة بعلامات تدل على القواعد التي يمكن تطبيقها عليها، بينما نجد القواعد في ملف الزوائد. وقد تطلب إنشاء القاموس بشقيه (أكثر من 2000 ساعة عمل على مدى قرابة سنتين من النشاط المتواصل من (أبريل 2006 إلى يناير 2008) وتحليل آلاف المفردات من فعل واسم وأداة وحرف وتصنيفها وتوليدها حسب القواعد اللغة العربية النحوية والصرفية، ثم تحديد معناها لتمييز الفعل اللازم والمتعدي لعاقل أو غير عاقل والصفة العائدة على عاقل أو غير عاقل ومعرفة الشاذ منها والعادي. و بصفة إجمالية تمت معالجة أكثر من 50.000 مفردة تتوزع على أكثر من 10.000 فعل عربي و حوالي 40.000 اسم إضافة إلى عشرات الحروف والأدوات النحوية وما استثنى من هذا أو ذلك<sup>2</sup>.

و الذي ينبغي قوله أن هذا السلوك من الباحثين هو السبيل الوحيد لتقدم المشاريع العملية في العالم العربي في ظل التعقيدات و العوائق الإدارية و المادية التي يعرف عنها كل الفاعلين، و تتضح أيضا القيمة الإضافية الهامة للتعاون و التشارك بين الباحثين بصورة يكمل الواحد منهم فيها الآخر، و هذه ميزة عامة للاتجاه الإجرائي و هي سعي أصحابه للاستفادة المباشرة من نشاط زملائهم، فإن تعذر ذلك فلا بديل عن التراسل و المواكبة

<sup>1</sup> - صدرت طبعته الأولى سنة 1991م عن مؤسسة لبنان ناشرون.

<sup>2</sup> - طه زروقي و محمد كبدي (المدقق الإملائي العربي الحر لمشروع آيسبل) ص5.

المستمرة للفعاليات و الملتقيات، لأن الباحث الذي يتفوق على نفسه، و لا يبذل أي جهد لمعرفة مسارات البحث في ميدان اختصاصه و الحالة الراهنة للبحوث و الأفكار و النظريات المطروحة يكون إبحاره ضد التيار، مهما جاهد و كابد يظل مسبوqa.

### المطلب الثاني: فكرة الإجراء و التطبيق.

أصل مفهوم الإجراء قديم نسبيا في تراثنا العلمي العربي، بل و في التراث اللغوي بالذات لقد استعار سيبويه كلمة المجاري مشيرا بها إلى المناطق المتحركة من الكلم العربية، و لا شك في أن نظرتهم الحركية هي الدافع الرئيسي خلف هذا التمييز الحاسم الذي أقاموه بين العناصر الثابتة و العناصر المتحولة، فكأنهم قارنوا إلى حد ما بين الظاهرة اللغوية و نظائرها من الظواهر الكونية.

و بالنظر في الطرق و الخيارات التي سلكها الباحثون العرب و هم يقاربون المواضيع اللغوية، نلاحظ أن النظرة الإجرائية انطلقت من فكرة أن العلم يتحدد في المقام الأول من خلال إنجازاته و الجديد النافع الذي ينتجه مع صلاحية هذا الجديد لتغطية النقائص أو إحداث تغيير نحو الأحسن. و تبلورت لدى فريق من رواد هذا الاتجاه فكرة التمييز بين نوعين من المشاكل و الصعوبات التي يمكن أن يصادفها الباحث في كل موضوع يطرقه من المواضيع العامة أو الخاصة؛ النوع الأول هو المشاكل التي طال بها الأمد و أصبحت مزمنة و تغلغت في كثير من المناحي و المجالات، أما النوع الثاني فهو المشاكل الطارئة و الظرفية أو التي تحدث عرضا بفعل عوامل استثنائية سرعان ما تزول بزوالها، و الباحث الإجرائي ينبغي أن يركز جهوده على النوع الأول من المشاكل، لأن حله يعني فك عشرات بل آلاف المشاكل المنعقدة فيه.

و لو مثلنا لذلك بالبحوث الخاصة بتعليم اللغة العربية بشكل عام و الفرع المهتم بتعليم العربية لغير الناطقين بها على وجه الخصوص، نجد فيما يكتبه المعنيون بهذا المجال عشرات المشاكل و الصعوبات التي تواجههم، و من الوجاهة و الإنصاف القول بأن معالجة هذا

الكم الغزير غير مرتقب في القريب العاجل، و في الوقت نفسه، جميع هؤلاء الباحثين يقرون بأن تأجيل المشاريع و الخطط في انتظار أن تحل جميع هذه المشاكل هو اختيار لا نجاعة فيه على الإطلاق، و لا أحد يقبله، و حينئذ لا بد من مقاييس يحتكم إليها في تقديم نوع من المشاكل و عده أولوية مرحلية. و لهذا كانت مشكلة الإعراب هي الشغل الشاغل ثم أصبحت مشكلة الرسم و الكتابة و حاليا المشكلة هي في سلاسة التعبير و مرونته. و نحن نعتقد أن كتابا واحدا أو برنامجا يغطي جميع هذه المتطلبات هو تفكير غير منتج، و البديل أن يقسم البرنامج إلى فروع متدرجة قدر الإمكان، و أن يتخصص الكتاب الواحد في جزئية محددة من المهارات أو التقنيات حتى يغطيها تغطية وافية نظريا و تطبيقيا.

### المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات الإجرائية.

#### أولا: التحري الميداني.

يعد نزول الباحث اللغوي إلى الميدان و الاحتكاك المباشر مع الأداء اللغوي في أصدق صوره و أكثرها وضوحا من الأفكار الأولى التي جربها الناس منذ زمان قديم، و في كل عصر و حضارة وجد ذلك الصنف من الناس الذين بهرتهم الظاهرة اللغوية و راحوا يقصون أثرها من ناطقيها. و لذلك يمكن القول إن هذه الفتنة و الجاذبية الملحة كانت واحدا من أكبر أسباب نشوء البحث اللغوي و تطوره المستمر، أو هي موهبة الاندهاش التي يملكها بعض الناس إزاء ما يمر عليه غيرهم ممر التسليم.

و في كل زمان وجد هذا النوع من التفكير الذي يُعظم الظاهرة اللغوية بالنظر إلى فوائدها اللامحدودة في توطيد الحياة و التواصل البشري، أو بالنظر في كمالها مع تعقيدها و تفرعها و اختلاف مظاهرها، و هذه الميزة قل التركيز عليها في البحث العلمي المعاصر، نظرا لغلبة النزعة التجريبية البحتة على جل أطواره، و هي نزعة ترتكز على أساس سليم لا يخالفه أحد من العلماء المعتبرين، لكن تغليب جانب واحد و فرضه بصورة تحكمية على مسارات العلم هو الخطأ الكبير. تقول المؤرخة الأمريكية فوكس جينوفيس ( Elizabeth

(Fox-Genovese): « الحكمة الجاهزة التي تقدمها الثقافة المؤسساتية حول الانتظام و حول معادلة الأسباب و النتائج و الذاتي و الموضوعي، كل ذلك لم يعد مقنعا... هل سيكون للشجرة الساقطة صوت إذا لم يكن هناك من يسمع سقوطها، أو بتعبير حديث، هل للفكر وجود إذا لم يكن هناك من يكتبه...؟!»<sup>1</sup>.

و إذا رتبنا النشاط اللغوي الذي انبثق في العالم العربي بعد بزوغ فجر الإسلام في إطار مراحل تاريخية متعاقبة، فإننا نجد المؤرخين يذكرون شيئا يسمونه خروج العلماء إلى البوادي و القبائل النائية لتدوين كلامهم المنظوم و المنثور بما في ذلك مخاطبات الحياة اليومية، و قد يستعملون مصطلحاتهم الخاصة للتعبير عن نوعية نشاطهم و ما كانوا يفعلونه بالتحديد و تقف أمامنا في هذه التوثيقات النفيسة عبارات مثل: **المورد**، و هو الشخص الذي سمعت منه العبارة، و غالبا ما يتم تحديده بأكثر من دلالة زيادة في الدقة و الاحتياط فيذكر اسمه و نسبته القبلية و درجة وثوقيته أو مستوى فصاحته و قد يصل الأمر إلى تسجيل معلومات أكثر تفصيلا عن هيئته و مكانته في قومه و غير ذلك. و نقف أيضا على عبارة أخرى و هي **الاستلغاء** و مؤداها أن يأتي اللغوي إلى المورد فيستحنه على الكلام في مواضيع سبق أن حددها مسبقا، و الهدف من ذلك إجراء المقارنة بين نطقه و نطق غيره من الفصحاء في اللفظ الواحد.

و هناك أيضا **التلقين** و هو أن يطلب اللغوي من المورد النطق بعبارة فيها لفظ أو أكثر من لفظ مخالف لما تعود عليه في نطقه، و يتم تسجيل ردة فعله في كل هذه الأحوال<sup>2</sup>. هذا كله يمنحنا المجال للقول بان منهجية البحوث الميدانية كانت مبكرة جدا في مشوار نشأة الدرس اللغوي العربي الذي يتخذ الفتح الإسلامي المبين منطلقا له.

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص48.

<sup>2</sup> - للتقصيا: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية. دار الجيل، بيروت، ط7-1988م. و بخاصة الباب الثالث (الرواية و السماع) ص188-221.

و يرى بعض الباحثين أن أبا عمرو بن العلاء واحد القراء السبعة الأعلام هو أول من سن الرحلة إلى أراضي الفصاحة لجمع اللغة، و قد ندب نفسه لهذا العمل مدة طويلة، قدرها بعض من عاصروه بحوالي أربعين سنة<sup>1</sup>، و تكون تحت دعمه و تشجيعه فريق من العلماء الرحالة الذين جمعوا من كلام العرب شعرا و نثرا مدونة لا نظير لها في الضخامة و التنوع، و ممن صار علما محترفا في صناعة الرحلات اللغوية عبد الملك بن قريب الأصمعي و أبو عبيدة و أبو زيد الأنصاري و الخليل بن احمد و يونس بن حبيب و الأخفش الأكبر أبو الخطاب و سيبويه، و من الكوفة الكسائي احد القراء السبعة الأعلام و الفراء و أبو عمرو الشيباني، و بالنسبة للعلماء المعاصرين أصبحت هذه الجهود نواة لما صار يسمى في أيامنا اللسانيات الجغرافية<sup>2</sup>، و عد أبو عمرو بن العلاء رائد هذا الاتجاه في التراث العربي.

و يعد تأثر اللسانيين العرب المعاصرين بمنهج الرحلات اللغوية أمرا بالغ الوضوح، و قد توصل بعضهم إلى يقين بأهمية هذا النوع من النشاط في توفير قواعد البيانات الشاملة التي يبني عليها الفهم الصحيح للعينة المختارة من الناطقين و التحقق من سلوكهم اللغوي و اختلاف مستويات الكلام عنهم فيما بين الشفوي و الكتابي و بين الرسمي و المرتجل و غير ذلك من الظواهر التي تحتاج ان يكون الباحث على تماس و احتكاك مباشر بمن يريد أن يصف كلامهم أو أن يستفيد من نتائج ذلك في البرامج و المشاريع التعليمية و الإعلامية و الثقافية. كما ان تأثر بعضهم بجهود العلماء العرب الآنف ذكرهم أمر واضح و بتصريح و إقرار منهم، لكن هذا لا يعد عامل التأثير الوحيد، فبالنسبة للباحثين الذين تعرفوا على تاريخ اللسانيات الغربية و نظرياتها لا شك في أنهم احتكوا بصورة مكثفة مع نزعة التحريات الميدانية التي تعد أساسا من أسس المنهج اللساني الحديث، و بخاصة النزعة الوصفية في بريطانيا و أيرلندا، و لعل ابرز ما يركز عليه الغربيون في هذا الإطار هو جهود

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العربي و مفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، ط1-2007م.

2 - مازن الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين و الرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة،

مدرسة بورت رويال التي دشنت اتجاهها ظل متصاعدا حتى يومنا هذا يتمثل في الجمع بين التحري الميداني محدد المكان و الزمان و التركيز في العينات على الكلام الشفوي<sup>1</sup>.

و من الأفكار المرتبطة بهذا النوع من البحوث فكرة المدونات اللغوية، و قد تم اقتراح نوعين من المدونات؛ الأولى المفتوحة و الثانية المغلقة، و الحق إن الخبراء ما زالوا يتجادلون حول أفضلية النوعين، و يمكن القول إن أصحاب النزعة البنوية الوصفية في أوروبا يفضلون المدونات المغلقة بصورة شبه مطلقة. و قد وافقهم بعض الباحثين العرب في ذلك، و أكثرهم من أتباع المدرسة الوصفية.

و بناء على ما سبق نقول بان كلا العاملين أثرا في قدح فتيل فكرة المدونات و رفعها إلى حيز الإدراك المعلن عند عدد مقدر من علماء اللسان العرب المعاصرين، و البرهان الأكثر وضوحا هو معجم المفاهيم و المصطلحات التعبيرية التي ترد في خطابهم فهو مثقل بمفاهيم الرحلات اللغوية التراثية إلى جانب مفاهيم اللسانيات الحديثة الخاصة بالمدونات و اللهجات و الميزة بين الكلام المكتوب و المنطوق و غير ذلك من الأفكار التي يعد طرحها مرتبطا ارتباطا عضويا بهذه المدرسة اللسانية المعاصرة أو بتلك.

و هذا لا يعني أن التأثير ثنائي القطبية بشكل فيه صدام و تدافع بين النزعات، و قد يكون ذلك حاصلًا غير انه يعد شاذًا تماما قياسا إلى الصورة العامة المطردة، و نستطيع أن نقول بان الباحثين ذوي النزعة الإجرائية استفادوا بشكل معقول من مصادر التأثير أو مراجع المعلومات و كانت بالنسبة لهم مخزونا من الأدوات و الإجراءات ينير الطريق و يرشد البحث كلما اقتضت الحاجة. و قد يميل بعض الباحثين في جزء معين من خطابه إلى بعض الأحكام المطلقة أو المشبعة بالعواطف و هو أمر يمكن تفهمه بوضعه في سياقه الملائم من مجموع أفكار صاحبه.

### ثانيا: الاختبار و التجريب.

<sup>1</sup> - و هذان هما المبدآن الأوليان الذان اشتراطهما تمام حسان في كل دراسة لغوية وصفية جادة. أنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبنائها، ص 9-10.



تتميز المعرفة العلمية بأنها إما اختبارية عقلية أو تجريبية حسية، و على ذلك فهي حاصل مجموع التحويلات و التنظيمات التي يجريها العقل على مادة الحواس. و كان العلماء العرب يعادلون بين هذين المصدرين تحت مسمى الحس و النظر، و لهم تعبير نمطي مشهور يلخص هذا المعنى فيما يخص المعرفة النحوية و هو قولهم: «النحو معقول من منقول»<sup>1</sup>. و يتم الاختبار العقلي عن طريق المادة الخام الحسية غالباً، و هي-بالنسبة للبحث اللغوي- الأخبار المتواترة، أو المعينات المباشرة، هذه هي الحالة النمطية.

غير أن اتجاهات البحث المعاصرة و خاصة بعد تطور الأنحاء الصورية و ثبوت نجاعتها الفائقة في مجال الحوسبة و عموم التطبيقات التكنولوجية طرحت إمكانية إجراء البحث العلمي في ميدان اللسان و ظواهره من دون الحاجة إلى المادة الخام الحسية كشرط أولي، و هذا طرح ممكن و صحيح، و قد باشره عدد غير قليل من الباحثين في الآونة الأخيرة، أين تمكنوا من تصميم عدد معتبر من النماذج الصورية و قدموا تصورات جريئة فيما يخص تركيب الكلام و التعرف الآلي عليه و الترجمة الآلية من العربية و إليها و أفكار التخزين الرقمي للمعلومات، و غير ذلك من الاقتراحات الممتازة التي كانت في طي العدم لو ظل الباحثون ينتظرون المدد التجريبي للخوض فيها.

أما بالنسبة إلى البحوث التجريبية فقد كانت أوفر حظاً بصورة عامة، و يأتي في مقدمة هذه البحوث التجارب العملية على النظام الصوتي للعربية الفصحى و تأكيد أغلب أوصاف القدامى و تصحيح النظرة إلى بعضها، و وضعت بعض المفاهيم موضع التجريب مثل مفهوم المقطع و مفهوم المصوتات و مفهوم الحرف و كانت هناك بحوث تجريبية جيدة في مجال اللهجات و في مجال تحليل التراكيب الصرفية و النحوية و في مجال أمراض الكلام و مجال البرامج التعليمية الآلية و غير ذلك من الأفكار.

### ثالثاً: التكميم الرياضي.

<sup>1</sup> - أنظر مقدمة كتاب نزهة الألباء لابن الأنباري.

إننا نعيش ثقافة الكم و العصر الذهبي للبرهان الرياضي، و لعل ارتباط اللسانيات بهذا الاتجاه الساعي إلى أدق النتائج و أقربها إلى التحديد و الضبط يرجع إلى النزعة الغالبة على مؤسسيها أمثال دي سوسير و هيامسليف و أغلب أتباع مدرسة براغ إضافة إلى نعوم تشومسكي. و قد اعتنق كثير من رواد اللسانيات العربية هذا التصور و دافعوا عن شرعيته العلمية، و لذلك كانت فكرة البحث الكمي تشغل حيزا كبيرا من نشاطهم.

و مفهوم الكم في أبسط تحديداته هو النتيجة القابلة للقياس<sup>1</sup> و أفضل النتائج من هذا النوع هي ما كان في صورة عددية، و طالما ردد الوضعيون عبارة أن الرقم لا يكذب<sup>2</sup>، و الصحيح أن الرقم لا يُكذَّب، بالضم و التشديد و ذلك لأنه كائن تخيلي افتراضي وضع وضعاً غير معين ليكون محلاً للعلاجات الجبرية و المنطقية.

و من الأفكار الأولى ذات الأساس الكمي الصريح التي طبقت بصورة واسعة في التحليلات اللسانية العربية مفهوم الدالة الذي طبق كثيرا في البحوث المعجمية، و هو ملائم لهذا النوع من المعطيات، و قانون الاحتمال و نظرية المجموعات خاصة في التحليل الإفرادي و الصرفي، و قد طبقها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في استنباط مفهوم اللفظة (Lexie) و مفهوم الباب النحوي بوصفه أداة إجرائية. و مؤخرا حساب التكامل و التفاضل و نظرية المصفوفات كما في أعمال الباحث محمد غاليم<sup>3</sup> من معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب في الرباط و الباحث توفيق قريرة<sup>4</sup> من الجامعة المركزية في تونس. و كلاهما تخصص في تقريب مفاهيم النظرية التوليفية، أو نظرية الدلالة التصورية

<sup>1</sup> - البحث الكمي (recherche quantitative): «عملية جمع معطيات تتوفر فيها ميزة القياس» يراجع:

موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة، الجزائر، ط1-2004م، ص 469.

<sup>2</sup> - عبارة نمطية يرددتها أتباع الوضعية المنطقية في بحوثهم و على رأسهم كارناب و فيغنشتاين. أنظر: بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع165-سبتمبر 1992م، ص 85-88.

<sup>3</sup> - أنظر بحثا له بعنوان: هندسة التوازي النحوية و بنية الذهن المعرفية، ضمن (آفاق اللسانيات) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-مارس 2011م، ص 51-66.

<sup>4</sup> - أنظر بحثا له بعنوان: الترابط الذهني بين المستويات اللغوية، ضمن (آفاق اللسانيات) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-مارس 2011م، ص 67-102.

(Combinatoriality) التي اقترحها راي جاكندوف (Ray Jackendoff) أحد أبرز تلامذة تشومسكي الذي انشق عنه و خالفه في نظريته. و جوهر بحثها حول مفهوم التوازي الذهني أو هندسة النحو في بنية العقل البشري المعرفية. و ما تزال هذه النظرية في ريعانها و لما تستكنه بعد في مهدها، و من المنطقي أن تتطلب وقتا لتجد مناخا ملائما، و أنصارا من الباحثين في العالم العربي.

#### المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات الإجرائية.

##### أولا: مشروع الرصيد اللغوي الوظيفي لأطفال المغرب العربي.

طرح فكرة إنجاز هذا المشروع ثلاثة من علماء اللسان المغاربة و هم أحمد الأخضر غزال من المغرب و عبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر و محمد العايد من تونس، و كانت تربط بينهم أواصر أخوة و زمالة في إطار التكوين العلمي المزدوج بين المعرفة الواسعة للتراث اللغوي العربي و التمكّن من اللسانيات الحديثة منهجا و إجراء، و يعد هذا الثلاثي نواة ما أصبح يعرف فيما بعد بالمدرسة الخليلية الحديثة. و تطلب الأمر أفواجا من الباحثين لمساعدة هذا الفريق على إتمام هذا المشروع الكبير.

و من المنطقي أن تكون هناك دوافع قوية و مقنعة لكي يوافق المسؤولون على مشروع مكلف ماديا و تنظيميا يتم تعميمه على كل المدارس في البلدان المغاربية الخمسة، و بالإضافة إلى الحافز و الشغف العلمي الذي آمن به الباحثون، كان هناك دوافع أخرى أولها كثرة شكوى المربين و المدرسين من نقائص الكتب الدراسية الخاصة باللغة العربية، و تكرر نفس الملاحظات و الانتقادات لهذه الكتب في كل الملتقيات و الندوات الرسمية و غير الرسمية، و بدا الأمر و كان إجماعا غير معلن حول ضرورة إجراء تعديلات جوهرية على المحتوى التعليمي للغة العربية اخذ محله و تبلورت رؤيته، و كان بعض الباحثين المشار إليهم أنفا منحرفا بصورة مباشرة في هذه النقاشات، و هذا ما حمل الأكاديميين في علوم اللسان و التربية و غيرها من الفروع الإنسانية ذات الصلة إلى الإعلان بان الجامعة يمكن

أن تلعب دورا في حل هذه المشاكل و تقديم خدمة للمجتمع و هي في الوقت نفسه خدمة و تطوير للبحث العلمي.

و في هذا الإطار قام الأستاذ احمد الأخضر غزال بدراسة تحليلية لمحتوى الكتب المدرسية الخاصة باللغة العربية للبلدان المغاربية الثلاثة؛ المغرب و الجزائر و تونس، و خلص في دراسته إلى نفس الانطباع الذي عبر عنه المربون و المدرسون، و قد لخص نتائج بحثه في كلمتين الكتب جميعها تشتمل على إفراط و تفريط؛ و معنى الإفراط وجود عدد كبير جدا من المفردات في الكتاب الواحد يطالب التلميذ بان يستوعبها جميعا في الموسم الدراسي، و قد وصل المعدل حسب الدراسة المذكورة إلى حوالي ثمانمئة مفردة مستقلة، أي من دون حساب المكرر، و بعض الكتب قد يزيد فيها المعدل عن ألف كلمة، و هذه كمية ضخمة من المادة الافرادية يستحيل أن يتمكن الطفل و لا حتى المراهق من استيعابها كلها فضلا عن أن يرسخها و يحولها إلى سلوك أو عادة لغوية عفوية، و لاحظ خبراء التربية و أيدهم علماء النفس أن هذه الظاهرة تتسبب في إصابة المتعلم الصغير بالعي، و هو ارتباك نفسي متفاوت الحدة ينشا عن تجاوز المعلومات المدخلة إلى الذهن للطاقة الاستيعابية فيقع شبه شلل إدراكي و تتوقف عملية الإنتاج أو عملية التعلم لمدة زمنية، و هذا من شأنه إذا كان متكررا بشكل يومي أن يقطع الطريق أمام التغذية المعلوماتية و الإدراكية الراجعة، و من المعلوم أن هذه التغذية هي الممد الرئيسي لرد الفعل الدوري و هذا الأخير هو المسؤول عن تكوين العادات و السلوكات السليمة عند الإنسان.

و خلاصة القول أن هذا الإفراط يبدأ كميّا في أول مراحل و ينتهي نفسيا و معنويا بأن يضجر التلميذ من المدرسة و تترأى عنده مكانا غريبا لا يجد فيه الراحة أو المنفعة. أما التفريط فهو قلة الألفاظ التي تعبر عن مستلزمات الحياة اليومية و الاكتشافات و الاختراعات الحديثة و كثير من العبارات المستحدثة في لغة الإعلام خاصة الرياضة بالإضافة إلى ألفاظ الحضارة و مصطلحات العلم و المعرفة، فهذه الخصاصة التعبيرية تجعل الكتاب المدرسي محشوا بالمفردات التي لا يستعملها التلميذ في أي مجال من المجالات

الحيوية السابقة، و هذا يعزز شعوره بغرابة اللغة، و يكون عنده صورة مشوهة للغة العربية وهي أنها لغة الخطب و الشعر فقط لا غير. و من أجل سد هذه الثغرات فكر العلماء في هذا المشروع و تم توجيهه إتجاهها إجرائيا عملياً بتأ، و هو إتجاه أصحابه و نزعتهم التي غلبت عليهم في معظم بحوثهم، كما انه الإتجاه الذي اقنع المسؤولين السياسيين و حملهم على دعمه و تفعيله بصورة رسمية.

لقد أطلق على المشروع اسم ثلاثي (الرصيد اللغوي الوظيفي) و هي تسمية تؤكد على الخصائص أو الأبعاد الثلاثة التي يتميز بها هذا المشروع؛ فكونه رصيذاً معناه أنه ذخيرة حية و فعالة، أو كالرصيد المصرفي، يمكن للتلميذ أن يسحب منه و يستفيد به كلما اقتضت الحاجة، و هذا يقتضي أن يكون رصيذاً كافياً و مغطياً لهذه الحاجات من حيث الكم، و يتميز هذا الرصيد بأنه لغوي، و يعني ذلك أنه يشتمل في المقام الأول على قائمة من المفردات مرتبة وفق قائمة تواتر تنازلية، بالإضافة إلى قائمة أخرى من التعبيرات أو التراكيب مرتبة بنفس الطريقة.

و نعتقد بان هذا التحديد يأتي من قناعة العلماء المذكورين أعلاه حيث إنهم يميزون بين اللغة و النحو، من جهة أن الأولى هي بحوث متن اللغة أو المعجمية بالمعنى الواسع، و الثانية هي بحوث ضروب الكلام و أنماطه المبنية على الكثرة، و هكذا كانت الصورة الإخراجية للرصيد قريبة من المعجم، ناهيك عن كونه زود بالصور، و اقترح الحاج صالح إدراج الصور المتسلسلة، و هذا كان صعباً نوعاً ما في ذلك الوقت لكنه متاح بكل سهولة في الوقت الراهن.

و يأتي المعيار الأخير الذي يعطي الرصيد اللغوي ميزة الوظيفية تعبيراً عن القناعة الراسخة عند الفريق العلمي المشرف على المشروع و هي تركيز الجهد للتعرف على ما يوظفه و يستعمله المتعلم فعلياً في كل مجالات حياته داخل المدرسة و خارجها، و تم تلخيص هذه الأفكار في المقدمة التعريفية للرصيد على النحو الآتي: «إن الرصيد من اللغة الذي يجب أن يعلم للطفل هو مجموعة من المفردات و العبارات العربية الفصيحة أو ما

كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سن معينة من عمره حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض و المعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة، و من ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية و العلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة<sup>1</sup>

### ثانيا: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية.

قام بهذه المبادرة المستشرق الألماني فيشر، و حاول بعض المعجميين العرب إتمام هذا العمل الكبير اعتمادا على المادة العلمية الغزيرة التي جمعها هذا العالم، و صدرت محاولة في هذا الصدد للأستاذ محمد حسن عبد العزيز عضو مجمع القاهرة، لكنها أقل كثيرا من المتوقع و لا تستجيب للشروط المعقودة على هذا النوع من المعاجم الموسوعية. و الحق أن الباحث المنفرد يستحيل أن ينجز هذا العمل، و ينبغي أن نشير إلى أن عمل فيشر المذكور وصل فيه إلى جمع قرابة أربعة ملايين من الجذاذات، و لم يكن قد وصل بعد إلى نهاية المرحلة الأولى من عمله.

و فكرة فيشر استلهمها من المعجميين الغربيين الذين برعوا في هذا النوع من المعاجم و أنجزوا كثيرا منها في إطار اللسانيات التاريخية خلال القرن التاسع عشر. و يقوم المعجم التاريخي بعدة وظائف هامة جدا، أولا تتبع تطور معاني كل كلمة عبر العصور و إثبات أصلها إن كانت دخيلة أو ما يقاربها من المواد أو المفردات السامية الأخرى، ثانيا بيان أول استعمال للكلمة و إثبات النصوص التي وردت فيها مع ذكر المراجع، ثالثا تحقيق آخر استعمال للكلمة التي خرجت تماما عن الاستعمال. هذه مواصفات المعجم التاريخي في التصور الغربي و أراد فيشر أن يطبقها على اللغة العربية إلا أنه توفي قبل أن يتم عمله و ضاع جزء غير يسير من الجذاذات التي دونها لهذا الغرض.

### ثالثا: مشروع الذخيرة العربية أو الانترنت العربي.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 119-121.

طرح هذا المشروع أول مرة في مؤتمر التعريب الذي انعقد في عمان سنة ست و ثمانين و تسعمائة و ألف (1986م) و نشر في مجلة المجمع الأردني للغة العربية في نفس العام، و في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة (1988م). و قدم المشروع الأول تحت مسمى الذخيرة اللغوية العربية للمؤتمر الحادي و الستين لمجمع اللغة العربية في القاهرة سنة (1995م) و رحب اتحاد الجامعات العربية بهذا المشروع سنة (1998م) و قرر مجلس جامعة الدول العربية في إحدى جلساته الترحيب لهذا المشروع كمشروع قومي. و تبناه المجلس الوزاري بجامعة الدول العربية بالقرار رقم 6457.د.ع (121) بتاريخ 14 سبتمبر 2004م. و تطور المشروع من الجانب اللغوي البحت ليشمل الجوانب العلمية و الثقافية و اتفق على تسميته (الإنترنت العربي). و يعد وصول هذا المشروع إلى مرحلة الاعتراف الرسمي من أعلى الهيئات الرسمية العربية، و تحوله في هذه الفترة الصعبة من فكرة إلى مشروع يحظى بالدعم و التمويل حالة من الحالات النادرة إلا أنه دليل مادي على أن الأفكار العلمية الجادة يمكن أن تتحقق إذا تكلفت بما ينبغي من فهم للظروف و كانت موصولة بمشاكل المجتمع و حاجاته العاجلة، و نحن نعتقد بأن الطابع الإجرائي و الميزة المالية البحتة لمشروع الذخيرة منذ بواكيره الأولى هو أكبر الأسباب لتمكنه من قطع هذه المسيرة الصعبة و تذليل كثير من العراقيل و الصعوبات التي وقفت في طريقه، و على كل فان النسخة النهائية لهذا المشروع لم تكتمل بعد و بسبب توسع مجال إشعاعه أصبحت جهود التحليل و المعالجة للبيانات أكثر تطلبا بكثير مما كانت عليه في التصور الأول.

و مما يعد ايجابيا في هذا الإطار أن العلماء المشرفين على هذا المشروع توصلوا منذ مدة وجيزة إلى حلول ناجعة و شبه نهائية لواحد من اعقد المشاكل التقنية التي عرقلت هذا المشروع و هي مشكلة تخزين البيانات، و لا شك في أن الجهود المشتركة للمهندسين و اللغويين من جهة و للجهات و المؤسسات الممولة من جهة أخرى هي التي أثرت هذا الفتح الهام و الذي من شأنه أن يوفر الوقت و الجهود لكي يتجه التركيز إلى حل المشكلة

الأخرى العويصة و هي مشكلة برامج المعالجة و هي مشكلة متداخلة تتطلب التنسيق بين عدة جوانب: تقنية و مادية و هيكلية.

## 1. أهداف المشروع:

### 1.1. بنك آلي للمعلومات:

الهدف الرئيسي لهذا المشروع هو تمكين الباحث العربي من العثور على المعلومات الوفيرة و الدقيقة باللغة العربية مهما كان المجال الذي يبحث فيه، و مهما كان الزمن أو المكان، و ذلك باستغلال الإمكانيات و الفرص العملاقة التي تتيحها البيئة الافتراضية، فهي مكان للتخزين يتسع لكم غير محدود من البيانات، كما أنها وسيط للربط و التراسل يمد الباحث بالمعلومات المطلوبة أولاً بأول مهما كان بعيداً عن مصادرها الأصلية. و الاختلاف بينه و بين الذخائر اللغوية التقليدية أنه بنك نصوص و ليس بنك مفردات، كما أنه يضع اللغة العربية في مركز النشاط بوصفها الوسيط التواصلية المشترك بين جمهور الباحثين العرب، و من هنا نشأت العلاقة الوطيدة بين تطوير الذخيرة اللغوية العربية من جهة و تطوير و ترقية اللغة العربية في جوانبها الاستعمالية و التداولية من جهة أخرى، فمن الواضح أن كلا منهما يفضي إلى الآخر، مع العلم أن تصور الذخيرة في مستواه اللغوي البحث يتطلب إمداده بكم ضخم من التسجيلات اللغوية العفوية للغة العربية في زماننا الحالي، اعتماداً على أوفر المرافق حظاً في استعمالها و على رأسها الإعلام الفضائي و التسجيلات اللغوية في المدارس و الجامعات و غير ذلك من المواضع التي تنقل الصورة المتكاملة عن لغة حية فاعلة و مؤثرة.

### 2.1. مصدر إمداد للصناعة المعجمية الاحترافية:

يصطلح المهندسون في البرمجة على الذخيرة اللغوية اسم (قاعدة البيانات النصية) و يمكن أن تقدم هذه القاعدة مساعدة كبيرة للبحوث اللغوية الأساسية و خاصة في مجال صناعة المعاجم. سيستفاد بها في إعداد المعجم الآلي لألفاظ اللغة العربية المستعملة، و



المعجم الآلي للمصطلحات العلمية و التقنية، هذا فيما لا يمكن إنجازها إلا بقاعدة بيانات رقمية كثيفة المحتوى، كما أنه سيقدم مساعدة كبيرة في تطوير المشاريع المعجمية الأخرى كمعجم الطفل و مجموع المعاجم المدرسية، و المعاجم المختلطة و المزدوجة و غير ذلك من الأصناف المعجمية.

## 2. مزايا و فوائد مشروع الذخيرة اللغوية العربية:

لهذا المشروع الكثير من المزايا و الإيجابيات نذكر أبرزها فيما يلي:

1. أنها تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية، و هذا يكسبها المصادقية لدى كل الباحثين.
2. الموسوعية و الشمول؛ فهي تغطي جميع الأقطار العربية، و جميع العصور اللغوية، و جميع مستويات الاستعمال.
3. جمعها بين المكتوب و المنطوق.
4. اعتمادها على وسيلة سهلة الاستعمال و هي الانترنت.
5. فتحها عشرات بل مئات الأفكار و الخدمات العلاجية و التصفحية للباحثين و لعموم المواطنين إضافة إلى خدماتها الهامة في مجال صناعة القرارات الإدارية و التدابير و الإصلاحات الإستراتيجية و السياسية.

## 3. مستوى تقدم الإنجاز في مشروع الذخيرة:

أقيم في كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة حسبية بن بوعلي - الشلف - الجزائر، المؤتمر الدولي الأول بعنوان: ( حوسبة المعجم العربي في ضوء مشروع الذخيرة العربية ) في 05 و 06 ديسمبر 2011م، كما أقيم في المكتبة الوطنية بعمان عاصمة الأردن مؤتمر الذخيرة العربية برعاية وزير الثقافة الأردني صالح جرار خلال يومي السادس عشر و السابع عشر جوان 2012م، و تضمن جدول الأعمال المصادقة على النظام الأساس للذخيرة العربية

والتدخل لدى الحكومات العربية، وتوحيد منهجية التقييم، وعرض الإجراءات المتضمنة إعداد مناقصة دولية للحصول على برمجيات ومحركات بحث وعدد من الأجهزة.

أوصى المشاركون في فعاليات مؤتمر الذخيرة العربية الدول العربية التي لم توقع بعد على النظام الأساسي للهيئة العليا للذخيرة العربية من أجل التعجيل بالتوقيع إضافة إلى بناء موقع على شبكة الإنترنت خاص بكل لجنة قطرية يكون بمثابة همزة وصل بين أعضائها من جهة، وبينها وبين مثيلاتها في بقية البلدان العربية وبناء موقع آخر خاص بالهيئة العليا للذخيرة العربية.

ودعا المشاركون في اختتام المؤتمر، الحكومات العربية إلى توحيد منهجية التقييم، وعرض الإجراءات المتضمنة إعداد مناقصة دولية للحصول على برمجيات ومحركات بحث وعدد من الأجهزة. واشتملت التوصيات على عقد اجتماعات دورية كل ستة أشهر للتنسيق والتشاور بين أعضاء اللجنة، وإنشاء لجنة إعلامية لتوعية المجتمع المثقف والمسؤولين بأهمية المشروع. ودعا المتحدثون إلى الاقتداء بالتجربة الأردنية في شراء حقوق التأليف والترجمة، وعقد اجتماعات دورية كل ستة أشهر بغرض التنسيق والتشاور، وإنشاء لجنة إعلامية لتوعية المجتمع المثقف والمسؤولين بأهمية المشروع<sup>1</sup>.

#### المطلب الخامس: تقييم الاتجاه الإجرائي.

الإجراء كما تترجمه جهود اللسانيين العرب هو النشاط العلمي الذي يحقق مشروعياته من خلال الإنجازات و العناصر التنفيذية، و يحاول أن يبني جسورا وطيده الصلة بين البحث العلمي و مشاكل الحياة خارج أروقتة فيما يتصل اتصالا وثيقا بمواضيع اهتمامه. و الفكرة الإجرائية الرئيسية تنطلق من ملاحظة وجيهة فحواها تمييز المشاكل الأساسية التي تتصف بتشعبها و كثرة ارتباطاتها و محاولة كشف جذورها و ردها إلى أسبابها و عللها الجوهرية. و تطبيق ذلك على الحالة العامة للبحث في اللسان العربي و قضاياها يفضي إلى

<sup>1</sup> - جريدة الغد الأردنية، 2012/06/18م.

ملاحظة أن أكبر مشكل تعاني منه اللغة العربية هو تفوقها و انزواؤها و بعدها التدريجي عن التداول الفعال في المرافق الحيوية التي تم المواطن العربي و يحتاج فيها إلى التواصل اللغوي كل لحظة، و لا يمكن أن نعطي اللغة صفة الحياة فنقول إنها لغة حية إذا كانت لا تجد لها موطئ قدم في هذه المجالات الديناميكية. و الكلام هنا عن اللغة بوصفها أداة أو وسيطا يمكن الإنسان من توطيد نفسه داخل مجتمعه، و هذا اخطر و أعظم أدوارها. و كل المشاكل الأخرى متفرعة بصورة أو بأخرى عن هذا المشكل العام الكبير.

و من أجل ذلك ركز الإجراءيون على استعادة اللغة العربية حيويتها و فعاليتها الوظيفية في المواقف و الأحوال التي خرجت منها كلياً أو التي تخرج منها حالياً بوتيرة سريعة، و طرحت في هذا الشأن عدة اقتراحات لعل أبرزها اقتراح تفصيح العامية الذي نادى به أتباع المدرسة الخليلية، و هو الخطوة الأولى لكي تسترد اللغة العربية مستواها العفوي الاسترسالي الذي افتقدته منذ قرون بتحولها إلى لغة أدب و شعر فقط، فأخذ المستوى التعبيري العفوي و معه آلاف المفردات و التراكيب الفصيحة.

و لقد هوجم هذا الاقتراح هجوماً شديداً، لأنه يدعو إلى الانتقال إلى العامية، أو إلى الهجين اللغوي في أحسن الأحوال، و هذا غير صحيح، لأن اقتراح الخليليين المسمى (تفصيح العامية) لا يعني إحلال العاميات محل الفصحى، و إنما المقصود فيه استثمار الثروة اللغوية الكبيرة التي بقيت في العاميات العربية من المفردات و التراكيب الفصيحة، و هذه الثروة مثبت وجودها بأدلة موضوعية تشمل دراسات ميدانية قام بها الباحثون في عين المكان و أحصوا هذه الظواهر، و قد يصل منسوب الفصاحة في بعض المناطق العربية كما في جنوب اليمن و المناطق الغربية من سلطنة عمان و جل قبائل جنوب المملكة السعودية و جنوب شرق الجزائر إلى نسبة تتجاوز 80% من إجمالي المستعمل فيما يخص المفردات، و لاحظ عبد الرحمن الحاج صالح أن الغالبية الساحقة من هذه المادة تنتمي إلى مستوى من التعبير كان اللغويون القدامى كسيبويه و المبرد و غيرهم يسمونه سعة اللغة أو الاختصار، و هو المستوى الخفيف الفوي من اللغة العربية الفصيحة في أيام عنفوانها و

سؤدها، و الدليل الإسنادي على وجوده تصريح العلماء به في مصنفاتهم و كثرة تداوله و ذكر عشرات الأمثلة منه، أما الدليل الواقعي فهو الثروة الفصيحة في العاميات كما اشرفنا إضافة إلى وجود هذا المستوى في كل اللغات الحية المعروفة في عالمنا المعاصر فما الذي يمنع العربية من أن يكون فيها هذا المستوى؟

و بناء على ما سبق يكون مشروع تفصيح العامية هو المحاولة العلمية لاسترداد المستوى العفوي للغة العربية باستخراج أوصافه من بطون المصنفات القديمة و جمع ما تبقى من مادته في اللهجات العربية التي حافظت على منسوب من الفصاحة مرتفع.

و يجب أن نذكر نقطة هامة جدا و هي أن هذا المستوى تدل عليه بكل صراحة و وضوح اختلافات وجوه الأداء في القراءات القرآنية<sup>1</sup>، فمن يقرأ بتحقيق الهمز كعاصم و قالون و غيرهما و من يقرأ بنقله كورش و أبي عمرو و غيرهما كلاهما في الفصاحة لم يخرج منها، و يقال مثل في اختيارات السادة القراء عند أبواب المد و الإدغام و الإمالة.

إلا أننا نعتقد وجود التباس في المصطلح الذي أطلق على هذا النشاط الهام، فالتركيب الذي يقول (تفصيح العامية) يوقع ظاهره في سوء الفهم، لكونه يحمل معنى تطبيق قواعد العامية على الفصحى، و هذا كان مشروعاً قديماً و ما زال له أصوات تدعو إليه، و ليس هو مقصود الخليليين، و من أجل فض هذا اللبس يتعين إعادة النظر في العنوان لكونه مدخلا للمشروع، و قد يكون عنوان: إحياء العربية الخفيفة، أو إحياء العربية العفوية أبلغ و أدنى إلى المفهوم المقصود.

### المبحث الثالث:

### الاتجاه التكويني.

<sup>1</sup> - أنظر مجموعة من الأمثلة في هذا الصدد في البحث التالي: عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية الفصيحة المنطوقة و دورها في المجتمع، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 13، السنة 7 (1432هـ/2011م) ص 19-24.

### المطلب الأول: وجود الفكر التكويني في اللسانيات العربية.

ركز فريق من اللسانيين العرب على قضية التكوين و التأطير، و انشغلوا بالتفكير في تطوير الجوانب البيداغوجية و التعليمية لمادة اللسانيات انطلاقا من طرق و مناهج التدريس و صولا إلى تصميم المقررات و البرامج التعليمية. و طرح بعضهم أفكارا تصب في هذا الباب بصورة مباشرة وذلك مثل فكرة المخاير و الورشات و الحلقات الدراسية. و وجدت أفكار أعلى من هذه مثل المعهد العالي للسانيات<sup>1</sup> و المعاهد الإقليمية لتكوين المكونين<sup>2</sup>، و المعهد العربي للإجازة في اللسانيات العربية<sup>3</sup>. و بغض النظر عن تحقق هذه الأفكار أو عدم تحققها فإنها مؤشر صريح على وجود هذه النزعة إلى التكوين و تغلغلها عند كثير من الرواد و تلاميذهم، و هي نزعة تشتمل على عدد من المزايا و الإيجابيات.

لقد بذلت جهود كبيرة لتوفير المادة العلمية الخاصة باللسانيات لتكون في متناول كل من الطالب و الأستاذ المحاضر و الأستاذ الباحث، و قد شعر كل المعنيين بهذه المشكلة. و من حيث المبدأ يعد هذا النقص منطقيا بالنظر إلى كون اللسانيات علما جديدا و متجددا؛ جديدا من حيث فترة ظهوره و انتشاره في العالم، و أكثر جدة من حيث دخوله و اكتسابه المكانة و الاعتراف في الأوساط الجامعية العربية. كما أنه دائم التجدد و سريع التطور، تتلاحق فيه الاكتشافات و تظهر النظريات تلو النظريات.

و شهد المجال نفسه اتساعا و تشعبا يقر بصعوبة الإمام به كل المختصين و الفاعلين، و كنا في البداية نعرف اللسانيات العامة و عددا يسيرا من نظرياتها و بعض الاتجاهات التي يطلق عليها في التصنيف الغربي مدارس لسانية، أما في وقتنا الحالي فقد اختلفت اللسانيات العامة تحت مسمى اللسانيات النظرية و تحولت إلى فرع واحد من فروع اللسانيات، و قد

<sup>1</sup> - من أبرز الداعين لذلك عبد القادر الفاسي الفهري

<sup>2</sup> - أبرز من ركز على أهمية تكوين المكونين من الباحثين و الأساتذة عبد الرحمن الحاج صالح

<sup>3</sup> - من أفكار مازن الوعر، و العديد من علماء اللسان في المغرب و المشرق

وصل عدد هذه الفروع في بعض البحوث المعاصرة إلى أكثر من خمسين فرعاً. كما ظهر المجال الجديد المسمى اللسانيات التطبيقية، و تطور تطوراً عجيبياً سرعة و امتداداً منذ الأربعينيات و هو اليوم ميدان واسع متعدد الاختصاصات يتميز بحيوية و فعالية جد كبيرة، و قد تكون اللسانيات النظرية جزء منه، كما يرى بعض الباحثين، و هذا ليس بعيداً عن الصواب في حقيقة الأمر<sup>1</sup>.

و في الوقت الذي ركز فيه فريق من الأكاديميين على قضية تعريف اللسانيات انطلاقاً من تاريخها العام و تاريخ مدارسها و نظرياتها الكبرى، كان فريق آخر منهم يبحث مشكل المحتوى بصورة أكثر عمقا؛ و يشمل تاريخ اللسانيات البحث في أصول التفكير اللغوي عند بني البشر، و هذه نظرة المؤرخين الغربيين، تبدأ عادة بالجهود الهندية و تركز على مدرسة بانيني و باتنجالي، و تحقيقات الهنود في مجال الصوتيات و النحو، ثم تفتح باباً واسعاً للجهود اليونانية و فيه حديث عن التأسيس الأول لعلم اللسان النظري في أفكار أفلاطون و بخاصة محاورة كراتيلوس التي ناقشت مشكلة العلامة اللغوية كما يزعم المؤرخ روينز. و ظهرت نظرية أرسطو في اللغة و مفادها أن الألفاظ هي وحدها التي تتغير أما المعاني فواحدة أو كلية، و ظهر أيضاً نمطه في القياس الذي يسميه (السيولوجيسموس) و طبقه على التحليل اللغوي فقال بأن تكافؤ الصيغ واجب لتكافؤ أصناف الكلمات التي صيغت عليها، و هذا يستلزم القول بالاصطلاح أو التواضع الذي يسميه (Analogia).

و بعد المرحلة الرومانية التي ظهر فيها النحوي اللامع فارو (Varo) و عمله الموسوعي في قواعد النحو التي تعد امتداداً لليونانية تففز التحليلات اللغوية إلى العصور الوسطى الأوروبية. ثم يلاحظ المتتبع أن أغلب الدراسات التاريخية تستثني الفترة العربية الإسلامية أو تذكرها على استحياء، و هذا سلوك يتنافى مع الروح العلمية، و فيه تحيز معيب. ثم يصل مسلسل التحليل بعد ذلك إلى فترة ازدهار الدراسات اللغوية و ظهور نظريات كبيرة في

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: M Berns & K Matsuda, **Applied Linguistics : Overview & History**, Elsevier Encyclopidia, 2006, pp 394-404.

التحليل التاريخي التطوري ثم القفزة الكبيرة التي حققها هذا الميدان بظهور اللسانيات العامة و النظرة الجديدة التي أضافتها سواء في طرق البحث و مناهجه أو في التصور المتكامل لظاهرة اللسان البشري بوصفها مركز التواصل و نقطة إشعاعه.

أما المنحى الآخر فهو الذي ركز اهتمامه على الجوانب المنهجية و التقنية؛ و أول ما خصص بالتأليف من المناهج اللسانية الجديدة هو المنهج الفيلولوجي الذي ترجمه عدد من اللغويين العرب بفقهِ اللغة.

و من أوائل المؤلفات التي نحت هذا المنحى (نشوء اللغة العربية و نموها و اكتهاها) الذي ألفه أنستاس ماري الكرملي<sup>1</sup> و صدر أول مرة في القاهرة و بغداد بالتزامن سنة 1938م. تطرق فيه إلى مجموعة من المفاهيم الجديدة مثل مفهوم تناظر اللغات و هو قريب جدا من مفهوم المقارنة اللغوية في الوقت الحالي، و المعارضة بين لغة و أخرى و الحرب بين اللغات و بخاصة بين عناصرها الإفرادية أو الكلم على حد تعبيره، و فيه بحث موت الكلمات و خلودها، كما تطرق إلى ما يسميه تكامل العربية و اكتهاها<sup>2</sup>. و بالجملة فدراسته نظير لما يسمى في اللسانيات الغربية بالفيلولوجيا لأنها دراسة تختص بالنصوص التراثية القديمة و لا تخرج عنها.

و في هذا المنحى أيضا كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) ألفه جرجي زيدان<sup>3</sup>، و كان أكثر رسوخا و شمولا في منهجه و مادته من الكتاب السابق، و رغم أن عنوانه يوهم بمطلق التتبع التاريخي فإنه اشتمل على مقدار غير قليل من التحليل، و استفاد فائدة كبرى مما كتب عن العربية في هذا المجال و بخاصة جهود المستشرقين الألمان. و لذلك كان استعماله مصطلح تاريخ الأدب بمعناه الواسع الذي يشمل كل الإنتاج العقلي و الشعوري للأمة في

<sup>1</sup> - يلقب بالأب (لعله من ألقاب الطائفة المسيحية الكاثوليكية) و كلامه في هذا الكتاب يدل على اطلاع واسع و إلمام بالقرآن و عيون اللغة و الأدب العربي، و هو من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي (الاسم القديم لمجمع القاهرة).

<sup>2</sup> - أنستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربية و نموها و اكتهاها، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1-1938م.

<sup>3</sup> - جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة دار الهلال، د. ت (مكلمة بتعليقات الأستاذ شوقي ضيف).

مختلف الميادين العلمية و الفلسفية و الأدبية عبر التاريخ و مع دوراته المختلفة<sup>1</sup>. و تاريخ آداب اللغة العربية بهذا المعنى، يصور الجانب الحضاري للأمة العربية في وجوه نشاطها العقلي و الفلسفي و الأدبي.

و من المحاولات الحديثة دراسة الأستاذ محمد إبراهيم الحمد الصادرة سنة (1425هـ/2005م) و عنوانها (فقه اللغة ؛ مفهومه، موضوعاته، قضاياها) و لها مرتكز تعليمي بحت، و تميزت بالتقسيم المنهجي المنظم، و غزارة مادتها من القرآن الكريم و الشعر القديم و المعاصر، و كانت بذلك أشبه بنسخة معدلة على النمط الإخراجي الحديث لمصنفات الثعالبي و ابن فارس.

و صدرت مؤخرا سنة 2012م، دراسة للباحث اللبناني خالد سعد كوي عنوانها (المحاكاة، دراسة في فلسفة اللغة العربية)<sup>2</sup> تطرق فيها إلى ما يسميه مسلمة الإعجاز و محاكاة الحرف العربي للطبيعة، و طرح فيها رأيه في أن النظرية اللغوية العربية موجودة بالفعل في التراث العربي متمثلة في علم الكلام، كما تبني مبدأ فطرية اللغة و ميزتها الإبداعية و كونها أداة معرفية في ضوء توجهات المدرسة التوليدية. و بالجملة فهي مجموع أفكار فيها القديم و فيها الجديد و قد تتميز الدراسة بمنهجها التقسيمي، و وضوح لغتها التعبيرية، و يمكن اعتبارها مستندا للمحاضرات و الدروس في ميدان فلسفة اللغة العربية.

و توالى من بعد ذلك المؤلفات و الدراسات تستحضر المناهج و النظريات الغربية لأغراض تعليمية، و لم يكن هذا النشاط منظما بطبيعة الحال، لأنه كان مبادرات فردية في الأعم الأغلب، و لم يدخل تحت هيئة أو مؤسسة رسمية ترعاه و تتكفل بتخطيطه و تنسيق الجهود الرامية إلى تطويره و تحسينه.

1 - أنظر تعليق شوقي ضيف في المرجع السابق، ص 13.

2 - خالد سعد كموني، المحاكاة: دراسة في فلسفة اللغة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1-2012م.



و من أبكر المؤلفات التعليمية كتاب (علم اللغة) ألفه الأستاذ علي عبد الواحد وافي و حظي بعناية فائقة، صدر أول مرة سنة 1940م (بينه و بين محاولة الكرملين سنتان فقط) و طبع عدة مرات (آخر ما بلغنا الطبعة 11 سنة 2006م)<sup>1</sup> و ما يزال مرجعا يعتد به كثير من الأساتذة و بخاصة في مصر، رغم أن أغلب الأفكار التي طرحها قد تجاوزها البحث العلمي الحالي، و لا يعني ذلك أنه فقد كل فائدته، بل يكفي أنه قطعة رئيسية في فهم الفكر اللساني العربي و توجهاته المبكرة، كما يمتاز أيضا بما ينقله حرفيا عما شاهدته و سمعه هو بنفسه في الجامعات الفرنسية من أساتذته المباشرين أمثال دولاكروا (Delacroix) و دوزا (Doza)، و جلهم من شيوخ المنهج التاريخي و الفيلولوجي.

ثم جاءت مساهمة الأستاذ محمود السعران (علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي) التي كتب لها انتشار و ذبوع واسع، و لا تكاد دراسة في ميدان اللسانيات إلا و قد أخذت منها القليل أو الكثير، و ظاهر كلام المؤلف في مقدمتها أن تكون مستندا ثقافيا لعامة القراء و محبي العلوم من أبناء الوطن العربي، إلا أنها سلكت مسلكا أكاديميا واضحا، سواء في تقسيم الموضوعات أو في طرق الإحالة و توظيف المفاهيم و المصطلحات.

و نذكر أيضا محاولة الأستاذ التهامي الراجحي الهاشمي و عنوانها (توطئة لدراسة علم اللغة: التعاريف) صدرت سنة 1986م و مثلها محاولة حاتم صالح الضامن (علم اللغة) صدرت سنة 1989م، و محاولة محمود فهمي حجازي (مدخل إلى علم اللغة) صدرت سنة 1997م، و (أسس علم اللغة) صدرت سنة 2003م، و محاولة محمد محمد يونس علي (مدخل إلى اللسانيات) صدرت سنة 2004م، و محاولة الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي (مبادئ في اللسانيات) صدرت سنة 2006م. و تميزت بتطرقها إلى المدرسة الخليلية و أهم مفاهيم النظرية الخليلية. و من آخر ما صدر في هذا الاتجاه كتاب الأستاذ مصطفى غلفان (في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها) صدر سنة

<sup>1</sup> - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نحة مصر للطباعة، القاهرة، ط11-2006م.

2010م<sup>1</sup>. و امتاز بتنظيمه الموضوعاتي و وفرة اقتباساته. فهذه الإصدارات جميعها كانت ترمي إلى هدف علمي محدد و هو توفير مادة للأستاذ أو للطالب و بشكل عام للمكتبة العربية في هذا العلم أو المقياس التعليمي، و يتأكد هذا الاستنتاج إذا تتبعنا المضمون و التقسيم الموضوعاتي لجل هذه الأعمال، فسنجده يسعى باستمرار إلى ملاءمة حاجات و متطلبات محددة مسبقا و هي متطلبات الفئة الطلابية في المقام الأول، ثم الفئة من الأساتذة المكونين في المقام الثاني، و هذا النوع من التفكير لا يوجد إلا عند أولئك الذين لهم احتكاك و انشغال مباشر بالمسائل البيداغوجية.

هذا ما يخص المؤلفات التعليمية الأساسية، و في نفس الإطار كانت هناك محاولات مبكرة -نسبيا- تطرقت إلى المنحى التكويني من خلال نظرة أكثر عمقا و تخصصا، نذكر منها سلسلة (مدخل إلى اللسانيات) التي أنجزها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ابتداء من سنة 1971م و آخر ما نشر منها صدر سنة 1996م حول المدرسة الوظيفية عنوانه (مدخل إلى الفونولوجيا)<sup>2</sup> و طريقته في كل مداخلة الخمسة أن يعرف الموضوع الرئيسي تعريفا شديدا التركيز ثم ينتقل إلى أهم مبادئه و يحللها تحليلا نقديا و يذكر دائما الأفكار العربية الخليلية المقاربة أو النظرية لما في المدارس الغربية، و يذكر غالبا وجهة نظره الخاصة في كل قضية بناء على الاختبار العقلي أو التجريب المخبري.

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1-2010م.

<sup>2</sup> - صدر المدخل الأول سنة 1971م، عنوانه (مدخل إلى علم اللسان الحديث: تحليل ونقد لأهم مفاهيمه و مناهجه)، و المدخل الثاني في نفس السنة تطرق فيه إلى نشأة علم اللسان و تطوره، و المدخل الثالث صدر سنة 1972م، واصل فيه النشأة و التطور ابتداء من القرن التاسع عشر وصولا إلى القرن العشرين، و المدخل الرابع صدر سنة 1974م تطرق فيه إلى أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، و المدخل الخامس في الفونولوجية (علم الأصوات الوظيفي) صدر سنة 1997م. أنظر مجلة اللسانيات (تصدر حاليا عن مركز البحوث العلمية و التقنية لترقية اللغة العربية C R S T D L A) و كتاب: بحوث و دراسات في علوم اللسان، ط2007م، و كتاب بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2-ص240-266.

و سلسلة بحوث الأستاذ ميشال زكرياء التي تركزت على نقل مضامين الاتجاه التوليدي النظرية و محاولة تطبيقها و تكييفها على اللغة العربية، و هي من المحاولات الأكاديمية القليلة التي تجمع بين النظرية و التطبيقات في محل واحد تحت غطاء معرفي محدد. و لعل هذا الوضوح الإجرائي أكسبها اعترافا و شهرة لا بأس بها عند أساتذة اللسانيات و طلابها. و ظهرت في الوقت نفسه محاولة نظيرة للسابقة قام بها الأستاذ أحمد المتوكل فيما يخص مبادئ الاتجاه الوظيفي، و مقارنته مختلفة عن ميشال زكرياء، لأنه يعتبر المعطيات الوظيفية مددا معرفيا و ليس إطارا جاهزا، و الهدف من الاستعانة به هو ضمه إلى محرزات التراث العربي من أجل الوصول الى النظرية المثالية، و قد وظفت أبحاثه في كثير من المقررات التعليمية، رغم أن تنظيمها لا يناسب هذا المجال.

و على كل حال فان النزعة إلى تكوين الطلبة و الباحثين، أو تثقيف عموم المثقفين هي اتجاه وجد عند عدد غير قليل من علماء اللسان الأوائل، و يمكن القول إن هذه النزعة تمكنت من تحقيق هدفها الأساسي و هو سد الفراغ الكبير الذي كانت مادة اللسانيات مفتقرة فيه إلى المادة العلمية المحررة باللغة العربية، ظهرت في فترة متقاربة مجموعة من المؤلفات التي تلبي هذا المطلب الملح، و كانت هذه المؤلفات على ثلاثة أنواع؛ الكتب التمهيدية و الكتب المترجمة و بعض الدراسات الأكاديمية.

الجدير بالذكر أن لهذا الاتجاه مجموعة من المشاكل و الصعوبات مختلفة المصادر ينبغي التفطن إليها، و فيما يلي تنويه و إشارة إلى أبرزها:

أولا: مشكل الثقافة اللغوية المسبقة للطلاب، و هذه حقيقة موضوعية لا يستطيع أحد أن ينكرها، و كل من زاول التعليم الأكاديمي يلاحظها و يصطدم بها، و أصعب جزئية في هذا المشكل أنها ناشئة عن تأطير و تكوين سابق مختلف عن التأطير اللاحق، و كون الأستاذ الجامعي و الجامعة عموما غير قادرة حتى الآن على التصرف الأمثل مع هذا الملف المعقد و ذلك لأن إقرار مادة اللسانيات في الأقسام الأدبية لا يحل المشكل، بسبب أن

الطلبة الموجهين إلى كليات اللغة و الأدب العربي يأتون من كل الاختصاصات في التعليم العام، و هنا تصبح القضية في مستوى الصلاحيات المتنازع عليها بين الوزارات المعنية، و لا يبدو أن المشكل قابل للحل في هذا المستوى خلال المدى المنظور.

ثانيا: مشكل آراء الطلاب و بعض الأساتذة المكونين حول طبيعة المادة، فبسبب طبيعة المادة و غلبة الجوانب التقنية و النظرية عليها لا تعد مفضلة عند كثير من الطلاب، و بخاصة أن أغلبهم يحمل خلفية أدبية أو فلسفية و لا يعرف عن علوم اللغة إلا القليل، فضلا عن التطورات الحديثة في علوم اللسان. و قد يساهم بعض المؤطرين في تعميق هذا التصور عندما يصرحون بوجود صراع بين النحو العربي القديم و المناهج اللسانية الحديثة. بل قد يرى بعضهم أنها سبب مباشر في الرسوب، و هذا ما كشفه استبيان وزع على طلبة شعبة اللغة العربية و آدابها (جامعة الحسن الثاني- المغرب) في السنة الجامعية 1995-1996م<sup>1</sup>، حيث تبين من خلال هذا الاستطلاع الأحكام الفضفاضة التي تنتشر بين الطلاب، و قد تنقلها دفعة سابقة للأخرى اللاحقة و هكذا يترسخ هذا الوهم، و تلخصت نتائج الاستبيان الآنف كما يلي:

يعتقد الطلاب ما يلي:

1. اللسانيات هي السبب الأول في الرسوب.
2. اللسانيات مادة صعبة و معقدة.
3. ليس في اللسانيات مراجع باللغة العربية.
4. تحتاج دراسة اللسانيات إلى اللغات الأجنبية.

<sup>1</sup> - أنظر البحث الآتي: مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية، سلسلة آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-2011م، ص 43.

ثالثاً: محتوى التدريس هو مشكل عويص، نظراً للخيارات القليلة المتاحة بين يدي الأستاذ، فإذا عول على تعبئة المادة بتاريخ اللسانيات من دون أن يلتفت إلى أي شيء آخر يكون كمن يقف عند إناء فارغ و يقول قد كان هنا ماء، و هذه حقيقة ملموسة و مجربة، و لا يعني ذلك أن تاريخ العلم ليست له أهمية، و لكن مدرس اللسانيات ليس مؤرخاً، و لو كان كذلك، لكان موقعه في كليات التاريخ مختصاً في تاريخ اللسانيات كما هو الشأن في بعض الجامعات العالمية. و بعد ذلك، أي تاريخ يذكر و أيه يتغاضى عنه؟ و بعد ذلك كيف يعرض مادته على طلابه؟ و بعد ذلك كيف يتيقن أن مادته أدت وظيفتها؟ هذه هي المحاور الكبرى للتفكير البيداغوجي الذي لا يعد مدرس اللسانيات مستثنى من التفكير فيها.

الطريقة الثانية المعتمدة هي طريقة النصوص؛ يختار الأستاذ مجموعة من النصوص يقتطفها من مؤلفات مشاهير علماء اللسان، دون تحديد للتاريخ، و بعض الأساتذة المخضرمين يغفل عن قصد ذكر العناصر المفتاحية كاسم المؤلف و عنوان الكتاب و نحو ذلك. أما طريقة التفعيل فتكون بتوزيع النصوص على الطلاب و تكليفهم بانجاز تقرير عنها ثم يعرض الطالب عمله و يناقش جماعياً، و هذا مسلك جيد لكنه يتطلب تحكما بيداغوجياً، و الطريقة الثانية أن يتكفل الأستاذ بشرح كل نص يمليه على الطلاب أو يطبعه و يوزعه، فيذكر ما يرتبط بالنص و يتوسع فيه و يجعل التطبيق تدريباً للطلاب على استيعاب المفاهيم الجديدة.

و التصور التكويني لطريقة النصوص ينطلق من فتح المجال لأن يتواصل الطالب مع المادة اللسانية الخام و يتعرف بنفسه على مشاكل استقبالها و يطور بالتدرج طريقته الخاصة في القراءة العلمية المثمرة، و إذا ركز الأستاذ على دعم مهارات القراءة الأكاديمية<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - كالقراءة السريعة و طريقة المسح و طريقة التلخيص و طريقة الكلمات المفتاحية و غير ذلك من طرق القراءة التي تزيد فعالية النشاط الاستقبالي و تضاعف الفائدة من جهة الوقت و المعلومات.

بالموازاة مع تطبيق طريقة النصوص إضافة إلى جعل النصوص متدرجة من حيث صعوبتها أو متدرجة من مدرسة إلى أخرى بصورة منظمة فإن هذه المنهجية المتكاملة تعطي نتائج جيدة.

و لعل الصعوبة الأكبر التي تواجه طريقة النصوص هو الجمع بين المورد المعرفي التراثي مع المورد اللساني الحديث و التوفيق بينهما، أو توصيل فكرة عدم تصادمهما و تعارضهما إلى الطالب. و يعترض بعض الباحثين المهتمين بهذا الشأن على الجمع بين الموردتين في المقياس التدريسي الواحد، و بخاصة المادة التراثية لأن إقحامها يؤدي غالبا إلى تشويش فكر الطلاب، كما أنه يهدم البناء المنهجي للتفكير اللساني الحديث عندما لا يضع الفوارق و الحدود الضرورية بين المنجز العربي القديم و نظيره الغربي الحديث<sup>1</sup>.

إن الاعتراض الآنف مبالغ فيه -من وجهة نظرنا- لأن توخي إقامة هذه الحدود بصورة تؤدي إلى عزل الموردتين تجعل الطالب يتصور أنهما لا ينتميان إلى مجال علمي واحد، أو قد تسيطر عليه بعض التصورات المتسرعة كأن يعتقد بأن علم اللغة القديم (الكلاسيكي) -الذي هو تحفة أثرية لم يعد مطبقا- يمثله التراث العربي، و علم اللغة الجديد (آخر طراز!) تملكه اللسانيات الحديثة. و هذا ما يروج فعلا، و لذلك يتساءل بعضهم لماذا مازلنا ندرس هذه الأشياء القديمة التي لا نستفيد منها في واقعنا المعاصر؟ مع العلم أن اللسانيات بوصفها دراسة علمية موضوعها اللسان البشري فقد وجدت في كل لحظة من تاريخ وجود الإنسان.

**رابعا:** مشكل لغة التدريس و النشاط التحليلي الخاص باللغة العربية. و هذه المشكلة مرتبطة بالمخزون من الوثائق و المصادر الذي يكون في متناول الأستاذ و الطالب حول مادة اللسانيات، و فيها بعدان؛ **البعد الأول** هو نقص المعلومات في بعض الجوانب الهامة

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية، سلسلة آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-2011م، ص 45.

باللغة العربية، و بخاصة في تقريب و تبسيط النظريات العلمية الدقيقة، و من المعلوم أن تبسيط العلوم هو فن و اختصاص في حد ذاته، و يتطلب إلماما واسعا بوسائل التوضيح و الوسائط التقنية المعينة على الشرح، و لا يوجد إلى الآن محررون مختصون في هذا الجانب، و لذلك تبقى المفاهيم العلمية الجديدة كأنها قصور خلف سياج من حديد، يرى الرائي جمالها و يسمع عن حسنها و يغلب على ظنه أنها كذلك لكن اقترابه و دخوله إلى فنائها مسيح بهذه الموانع العاتية.

و حتى في المعاهد و الأكاديميات الغربية لا بديل إطلاقا عن هذا النوع من المؤلفات البينية التي تتوسط النظريات العلمية و الأفكار العميقة الجديدة حتى يتاح لكافة المهتمين و المختصين أن يهضموها بأسرع وقت. و كمثال على ذلك استعانة مجلة العلم بخبراء الرسوم التوضيحية و منهم الرسام جون يانسن (John Yanson) الذي أعد الرسوم التوضيحية في مقال تشومسكي و زميليه حول المقدرة اللغوية<sup>1</sup>.

**البعد الثاني** هو مشكل اللغة التعبيرية، و نقصد بذلك الأسلوب الذي تحرر به هذه المادة العلمية من حيث كثرة المصطلحات و غزارة المفاهيم، و ترابط عناصر الموضوع، و تظهر أكثر ما تظهر في الأعمال المترجمة، و قد تضاعف عددها و ارتفعت وتيرتها بصورة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة، لكن التعجل في مثل هذا المجال يمكن أن يتسبب في مشاكل عويصة على المستوى البعيد، و بما أن الترجمة يعملون في جزر نائية لا يكاد الواحد منهم يتواصل مع زملائه في الأقطار الأخرى من الوطن العربي فإننا نجد الكتاب الأجنبي الواحد يترجم في سنة واحدة عدة ترجمات عربية (مرخصة بالتقييم الدولي)<sup>2</sup> و البون بينها شاسع في المنهجية و الأسلوب ناهيك عن ترجمة المصطلحات الجديدة.

### المطلب الثاني: الأطر و الأطروحات التكوينية:

<sup>1</sup> - أنظر مجلة العلم (الأمريكية)، ع 298، تاريخ 2002/11/22م، ص 1569-1579.

<sup>2</sup> - كما حدث في محاضرات دي سوسير، و بعض مؤلفات نوام تشومسكي.

أولاً: اللسانيات باعتبارها مدخلا إلى الحداثة الغربية:

ظهر هذا الطرح في البدايات الأولى لإقرار اللسانيات مادة رسمية في كليات اللغة و الأدب العربي في جامعات المغرب العربي و بخاصة في بداية الثمانينيات، و قد سجل كثير من الباحثين روح الحماسة و الدافعية القوية التي استحوذت على المؤطرين الأوائل لهذه المادة الجديدة<sup>1</sup>، و لا شك في أن المستوى الأيديولوجي الذي عبر منه إلى هذا الطرح لم يكن مسلما به عند الجميع، و لكن الأمور سارت على هذا النحو طيلة عقد و نصف تقريبا، ثم بدأ الحماس يفتر و الإشكالات التنظيمية و الهيكلية تظهر و تتفاقم في كل موسم جامعي جديد.

و لا شك أن من العوامل الهامة التي دفعت هذا الطرح خاصة في الجزائر و المغرب هو المشاركة و الحضور المباشر لقطاع اللسانيات الغربية، من أمثال أندري مارتيني و رولان بارث و جوليا كريستيفا، و الحالة العكسية؛ حضور العلماء المغاربة و مساهمتهم الفعالة في المنتقيات و الفعاليات، بل احتضانهم و ترؤسهم لبعض أحدث هذه التنظيمات، و قد تأسست جمعية اللسانيات في المغرب سنة 1986م، و يرأسها حاليا الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري، و نظمت هذه الجمعية أول ندوة دولية حول اللسانيات في العالم العربي سنة 1987م، شارك فيها حوالي 60 متدخلا من علماء اللسان في العالم. و تبنت هذه اللجنة الندوة العربية الأولى حول تقدم اللسانيات في الأقطار العربية برعاية اليونسكو في الرباط من الأول إلى الحادي عشر نيسان (أفريل) 1987م. و في سنة 1997م، انتخب عبد القادر الفاسي الفهري رئيسا للجمعية الدولية لللسانيات التوليدية (GLOW) و نظمت ندوتها في المغرب (و هي أول مرة تنظم خارج أوروبا و آخر مرة حتى الآن). و تأسس في الجزائر معهد العلوم اللسانية و الصوتية في بداية الستينيات، و كان فريدا من نوعه لأنه متعدد التخصصات، و كانت مجلة اللسانيات التي يصدرها هذا المعهد حافلة

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية، آفاق اللسانيات، ص 42.



بالدراسات العلمية بعدة لغات و كتب فيها مشاهير علماء اللسان في أوروبا. و بعد إلغائه سنة 1984م، تأسس مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، و فيه أيضا تخصصات مشتركة حتى يومنا هذا.

### ثانيا: اللسانيات باعتبارها وسيطا فعالا في تحقيق التجسير العلمي و الثقافي:

للسانيات دور في مد الأواصر و الجسور أولا بين المشرق و المغرب، و ثانيا بين المجتمع النخبوي الأكاديمي و ما يليه من دوائر و مستويات تجهله أو تشكك في قيمته و جدوى وجوده. من خلال تحقيقاتها و إثباتاتها الإنجازية. و هذا التفكير يمنح هذا الميدان العلمي المشروعية للنشاط و الاستمرارية، لأنه يفصح عن المبررات المقنعة لوجوده. و قد تأكد ذلك من خلال الفوائد الجديدة التي لمسها المربون و معلموا اللغة العربية من نتائج هذا العلم في مستوى تدريس اللغات، و بخاصة مسائل تنظيم و تصميم المحتوى الدراسي من المفردات و التراكيب، و المعلومات الهامة عن أنماط اكتساب الطفل للغة، و طبيعة التداخل بين نشاط الذاكرة و نشاط المراجعة المنظمة، و ساهمت أيضا بتوضيح مشاكل النطق و أمراض الكلام عند الأطفال ببيان أن كثيرا منها يمكن علاجه بطرق بيداغوجية مخصصة، و أن كثيرا منها يمكن الكشف عنه في وقت مبكر قبل أن ينتشر و يستفحل.

### المطلب الثالث: المشاريع و الاقتراحات التكوينية.

#### أولا: معجم اللسانيات.

فكر عدد من الباحثين في توفير مخزون مصطلحي يساهم في إثراء الثقافة اللسانية عند الطلاب، و يساهم أيضا في توحيد المفاهيم و التصورات عند مجموع الفاعلين في هذا المجال و هذه أفكار بناءة و مفيدة. و من الأعمال التي تغطي هذا المطلب (معجم المصطلحات اللسانية) صدر سنة 2009م، أعده الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري و الأستاذة نادية العمري، و هو ثلاثي التخريج؛ إنجليزي-فرنسي-عربي. مرتب على الألفباء اللاتينية. و

كانت قد صدرت قبله سنة 1983م، محاولة عربية جماعية تحت مسمى (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) و هو مزدوج (عربي-إنجليزي/ إنجليزي-عربي) شارك في إعداده نخبة من اللغويين و المختصين في المعجم و هم (محمد حسن باكلا و محمود إسماعيل صيني من المملكة السعودية، و كمال محمد بشر و عبد الحميد الشلقاني من مصر، و صالح جواد الطعمة من العراق) و هو معجم ألبائي على طريقة المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة. و من الأعمال التي تقترب من هذا المجال و تساعد المهتمين به (معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب) أعده الباحثان: مجدي وهبة و كامل المهندس، صدر سنة 1984م.

و تعد الترجمة من الخيارات الأكثر تداولاً في هذا المجال، فقد ترجمت الأستاذ محمد يحياتن كتاب (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب) سنة 2008م، و صاحبه هو الفرنسي دومينيك مانغونو. كما قام مجموعة من الباحثين التونسيين بإشراف الأستاذ عز الدين المجدوب بترجمة كتاب (القاموس الموسوعي للتداولية) و قد ألفه الثنائي (جاك موشلر و آن ريبول) و هو مترجم عن الفرنسية أيضاً كالكتاب الأول، و صدرت طبعته العربية الأولى سنة 2010م، مع العلم أن طبعته الفرنسية الأصلية صدرت قبل ذلك بأكثر من خمسة عشر عاماً في 1994م. و هناك كتاب آخر ذو أهمية و هو (المصطلحات المفاتيح في اللسانيات) صدر سنة 2007م، ترجمه الباحث عبد القادر فهمم الشيباني، و هو مترجم عن الفرنسية، و ألفه الثنائي (ماري نويل و غاري بريور).

و يلاحظ غلبة الترجمة على المؤلفات العربية الخالصة، و هذا مبرر نوعاً ما، بحكم أن التأليف المعجمي في المصطلحات مرتبط بالجديد الذي يظهر و يستولد منها، و هذا الجديد شحيح جداً في الفضاءات العربية، و قد يعد التركيز الشديد على المصطلح الفرنسي واحداً من النقائص في ظل عولمة تكنولوجيا و معرفية تقود قاطرتها الثقافة الأنجلوسكسونية، و هذه مشكلة جزئية، لأن الاعتماد الكلي على اللغة الإنجليزية غير

ممكن حتى الآن في المغرب العربي الذي يشهد ثنائية بين العربية و الفرنسية لا ينكرها أحد من الناس و الباحثون ليسوا في تحلل من هذه الظاهرة، بل كثير منهم متغلغل في الثقافة الفرنكوفونية.

و يلاحظ أيضا إهمال غير مبرر لتحقيقات العلماء الألمان و الإسكندينافيين في هذا المجال، فقد تطلعتنا الدوريات المنشورة و بخاصة في الإنترنت على كم غزير من الإنتاج المعجمي و البحث اللساني المتخصص باللغة الألمانية.

### ثانيا: المعهد العالي للسانيات العامة و العربية.

طرح عدد من علماء اللسان العرب هذا المشروع الذي يقترح استقلال اختصاص اللسانيات بمعهد يضم اللسانيات العامة و العربية و التطبيقية، و قد نادى بهذا الأمر و شدد عليه مرارا كل من عبد الرحمن الحاج صالح و عبد القادر الفاسي الفهري، و كادت المغرب تنجز هذه الخطوة الكبيرة لولا العراقيل و المشاكل الإدارية الداخلية.

و كان الحاج صالح من جهته قد اقترح معاهد إقليمية على مستوى المقاطعات الاقتصادية أو الأقطاب الجامعية في الجزائر من أجل إعداد الفئة التي يسميها خبراء اللسان أو المستشارين في علوم اللسان و هؤلاء يوظفون في الهيئات التكوينية في الجامعات و المدارس بوصفهم متابعين و ملاحظين يقدمون النصائح و التوجيهات و يشرفون على التكوين المستمر للأساتذة و المعلمين، و هذا اقتراح مشوق، و لكنه أصعب تحقيقا من اقتراح الفاسي، رغم أن إطاره النظري يمنح الفرصة لحل مشكل التأطير، و تخلف الطرق و المناهج التعليمية المعتمدة في تعليم اللغات، ناهيك عن المفاهيم و التصورات الهشة التي يحملها المدرسون عن الظاهرة اللغوية و عن اللغة العربية بصفة خاصة. و اقترح باحثون آخرون المعهد العربي للسانيات العربية تحت مظلة الجامعة العربية، و قد تساهم فيه

اليونسكو و الألسكو و منظمة التعاون الإسلامي، و الجامعات العربية، و هو كسابقيه اقترح لا يقال فيه فصل و لا هزل بما أنه ما زال حبرا على ورق.

#### المطلب الرابع: تقييم الاتجاه التكويني.

الاتجاه نحو التكوين هو مجموعة من الأفكار و الانشغالات التي راودت الباحثين و الأساتذة العرب أثناء محاولتهم نقل هذا العلم و توصيله إلى طلابهم من أجل أن تتواصل حلقة البحث و يظهر جيل جديد أكثر انفتاحا و تفهما لمشاكل بيئته و محيطه المحلي و العالمي و متسلح في ذات الوقت بالعدة اللازمة من الموارد و المصادر العلمية التي تجعل قدميه راسختين و هو يشق هذا الطريق الوعر المسالك.

و الملاحظ أن المؤلفات العربية الأولى كانت صورة طبق الأصل عن هذا الذي ذكرناه فكأنها ترجمة حرفية لكتب اللسانيين الغربيين، و الدليل الواضح على ذلك، أنها لم تتكفل بتغطية المرحلة العربية التي قفزت عليها الدراسات الغربية، و هذا يعني أن مؤلفيها كانوا ينقلون و لم يكونوا يؤلفون، أو كانوا يخزنون ما تيسر من معلومات رأوا أنها جديدة، و كل جديد مفيد! و لم يكونوا يفكرون أو يراجعون أصول هذه المعلومات و ما انطوت عليه في جوهرها من حقائق، و ما هي الطرق و المناهج التي زالت و اندثرت و صارت من تحف التاريخ و الأخرى التي ظهرت قريبا و لما يتضح مجال نجاحتها بعد، و هكذا جمعت هذه المؤلفات التمهيدية كل ما يمكن جمعه، فكانت كالألة الحاصدة تبتلع ما صادفها.

و لا نستطيع أن نقول إن الفريق الأول كان متسرعاً و لم يتحل بالصبر و التريث المطلوب لأن إقدامهم على تحرير المداخل و الكتب التمهيدية كان اضطرارا و لم يكن اختيارا، و مهما كانت النقائص التي اشتملت عليها تلك المحاولات المبكرة فإنها كانت العامل الرئيسي لإقناع المعنيين بهذا الميدان سواء من المسؤولين أو من الطلبة أنفسهم بأن تدريس هذه المادة الجديدة ممكن و تحقيق النجاح فيها كما نجح الأوروبيون و غيرهم ممكن.

و كانت هذه الجهود مبادرات فردية مدفوعة بما يمكن اعتباره شعورا أو قناعة تولدت لدى أولئك الرواد حثتهم على بذل بعض الجهد لخدمة أمتهم و نقل كل ما هو جديد إليها، و قد يكون الدافع هو الانبهار أو اللذة التي يحدثها كل جديد، و هذه اللذة من شأنها أن تخمر الإدراك و تغطي الحاسة النقدية عند الإنسان، و الباحث ليس مستثنى من هذه الظاهرة.

و قد طُرح أمام هذا النشاط العديد من الإشكالات؛ أولها إشكالية القيمة العلمية الفعلية لما تم إنجازه، و هل يقدم للطلاب أفضل ما في هذا العلم. و لا شك أن تحديد هذه القيمة العلمية تحول بعد حين إلى مشكل في حد ذاته، و يظهر لنا الخطاب اللساني جدلا مستحكما حول المقاييس و الأسس التي ينبغي أخذها في الحسبان عند الكتابة الذاتية أو عند ترجمة شيء أو نقله إلى العربية بصورة من الصور المتاحة، و هناك ثلاث مشكلات رئيسية ينبغي للباحث العربي الذي ينشط في ميدان اللسانيات أن يستوعبها و يعثر لها على الحلول الملائمة.

**المشكلة الأولى هي مشكلة اللغة العلمية و المصطلحات، فمن المعلوم أن المصطلحات و المفاهيم بالنسبة إلى الباحث العلمي هي كالأدوات و المفاتيح بالنسبة للصانع أو صاحب الحرفة، كلما كانت دقيقة و غير ملتبسة كانت أفيد و أنجع، و بما أن اللسانيات هي من العلوم الدقيقة التي تمتاز بمعجم مفاهيمي و اصطلاحية بالغ التعقيد و دائم التجدد فان الباحث ينبغي أن يدرك هذه الحقيقة و خاصة عندما يريد أن يقرب معطيات هذا العلم إلى أفهام الكافة من الطلبة و المثقفين أو غير ذوي الاختصاص. و الحق أن مشكلة تقريب المفاهيم العلمية الجديدة و النظريات المستجدة هي مشكلة عالمية يواجهها كل باحث في الدنيا مهما كانت اللغة التي يكتب بها، إلا أن الباحث العربي يواجه هذه المشكلة بثقل مضاعف، و سبب هذا الثقل المضاعف أن اللغة العربية التي نستعملها في وقتنا الحالي فقدت منذ القرون الوسطى المتأخرة ميزة الدقة العلمية التي كانت**

تمتاز بها في قرونها الأولى، و أصيبت مصطلحاتها بتعويم شبه كامل، فأصبح تعبيرها كله من قبيل الإنشاء الأدبي، و لذلك يجد الباحث صعوبة كبيرة في اختيار المصطلحات، و إن هو غط الطرف عن هذه الحقيقة أو لم يكن مدركا لها من الأساس فان خطابه العلمي سيصاب هو الآخر بظاهرة التعويم و يفقد ميزة الدقة الاصطلاحية نظرا لكون أكثر ألفاظه الافرادية تتميز بحملها لأكثر من معنى من دون أن يكون هناك قرائن أو مقاييس تحدد المعنى المفرد الأصلي و تجعل ذهن القارئ منصرفا إليه دون أن يصاب بالتردد و الحيرة.

و لذلك نجد اللفظ الواحد مستخدما عند أكثر من مؤلف للدلالة على مفاهيم مختلفة، و الحالة العكسية، عدة ألفاظ مختلفة الأصل للدلالة على مفهوم واحد؛ و من أمثلة الحالة الأولى مصطلح التركيب؛ يقصد به البعض الأبنية اللغوية المركبة كالجمل و نحوها مقابلا للمصطلح الغربي (syntax) و يقصد به البعض الآخر النشاط اللغوي التركيبي أي الآلية الذهنية التي تقابل التحليل (Analyse) و يقصد به بعضهم الصورة التجريدية الناشئة عن ضم الأشياء بكيفية مرتبة و هو مفهوم (System) أو (Structure) الذي يغلب تسميته و نظام و بنية على التوالي.

و من أمثلة الحالة الثانية مصطلحات: (البنوية- التركيبية-الميكلية- البنائية- البنيانية) كلها ترجمة لمصطلح أجنبي واحد هو (Structuralism)، هذا فيما يخص نقل المفهوم الغربي الحديث.

و تكون المشكلة أكبر و اخطر عند نقل المصطلح التراثي و مقارنته بما هو نظير له في اللسانيات الحديثة، و مثال ذلك مفهوم العامل الذي لا يسلم استحضاره في الخطاب المعاصر من تسرب الجدل الكبير الذي أثير حوله خاصة من طرف الفلاسفة و علماء الكلام، و نلاحظ بان اللسانيين العرب المعاصرين لم يتمكنوا من توحيد نظرتهم العلمية إلى هذا المفهوم، بل لم يتمكنوا من تخلص نظرتهم إليه من توابعها الأيديولوجية الأنف ذكرها.

و محصول القول أن طالب اللسانيات سيجد نفسه أمام مصدرين من المعلومات التي تهدف إلى تعليمه و تكوينية و لكنها تفتقر و تصطدم بشكل مباشر و صريح إلى درجة مستفزة، و علينا أن نتوقع بأن الدرس الأول الذي يحتل أن يفهمه الطالب أو عموم من يطالع هذا الخطاب هو أن معارضة الطرف الآخر واجب مقدس أو أساس من الأسس الراسخة للبحث العلمي الممتاز.

و هذا يعني أنه بغض النظر عن سلة الحجج الدسمة التي يواجه بها كل طرف نظراءه في هذه المعارك الجانبية، فإن نقل هذا الخلاف الذي يعد معقولا بين العلماء الكبار الراسخين بحذافيره إلى اصغر الطلاب قد يوجههم وجهة في البحث و التلقي غير محمودة على الإطلاق، بل انه قد يقطع الطريق دونهم و دون التعمق الجيد في هذا الميدان و اكتساب لوازم البحث الخاصة بتقبل الاعتراض و عدم التعجل في الحكم و التقصي الدقيق عن موارد المعلومات و مصادرها و غير ذلك من خصال الروح العلمية و مؤهلاتها الإيجابية.

و هذا يجعل بعض العلماء يقولون بان اللغة التي نستعملها قد تتحول إلى عائق لنا في التنمية الفكرية و الثقافية إذا كانت قاصرة عن أداء مهمتها الرئيسية في نقل المعرفة و العلم و التوسط بين الإنسان و حاجاته الماضية و الحاضرة و المستقبلية، و نعتقد أن هذا الرأي أشبه بالصواب، و معنى ذلك أن جزء من عقدتنا الحضارية المزمنة كامن في قناة الاتصال بمعناها السيميائي الشامل، و بمعناها اللغوي و اللساني على وجه التحديد.

و يتبين من العرض السابق أن مشكل اللغة العلمية أو لنقل الخطاب العلمي هو مشكل كبير و له الكثير من المؤشرات الصريحة التي تدل عليه، و من اجل ذلك ينبغي أن يتكامل نزوع الباحثين إلى التكوين و الإعداد العلمي الجيد مكللا بالثقات مستمر الى تنمية و تطوير المؤهلات و المهارات التي من شأنها أن تعين الطالب في المقام الأول على القراءة و الفهم السليم، ثم على الكتابة و التأليف المنضبط في المقام الثاني، و يفسر التأليف المنضبط بأنه ذلك الخطاب العلمي المحرر الذي لا يعيد استنساخ المعلومات أو تغيير

مراكزها بصورة متعجلة و ركيكة، بل هو التأليف الذي يعكس عمق الفهم و المبادرة إلى التجديد و الإبداع بالإضافة إلى إنصاف الزملاء و النظراء من الباحثين الذين يقاسمهم نفس الانشغال في العالم بأسره.

و في هذه الأجواء تنمو الملكة العلمية التي يطالب الجميع بثمينها و صرف مزيد من الأوقات و الموارد في سبيل التأكد من وضعها في المسار الذي يخدم ميدان اللسانيات سواء العامة أو التطبيقية، و هذه لا محالة ستكون خدمة نافذة لقطاع البحث العلمي و هي حينئذ مندرجة في سلسلة التنمية و حل مشكلات المجتمع المعاصر.

### المشكلة الثانية هي مشكلة المنهج العلمي و طرق عرض المادة العلمية:

عند التطرق إلى المنهج العلمي ينبغي أن نميز بين منهج الباحث و هو سلوكه الإجرائي الذي ينعكس في خطابه المحرر؛ ذلك لان المناهج هي مسالك و مسارات يياشرها الباحث يوميا بحكم اختصاصه المهني، و تتحول هذه المناهج إلى سلوك راسخ أو عادة محكمة، و هذه حالة لا يعصم منها أي باحث، غير أن الخلل قد يطرح في حال لو تحولت هذه المناهج بحكم كثرة إلفها و التعود عليها إلى قناعة أو عقيدة راسخة لا يرضى الباحث بغيرها بديلا، و هذا يحصل عندما ينقل الباحث بعض المناهج و النظريات انطلاقا من إلفه أو رضاه الشخصي عنها، دون أن يلتفت إلى نقائصها أو النقد النزبه الموجه إليها.

و من الأمثلة على ذلك تمسك كثير من الباحثين بالنظرة الفيلولوجية و محاولة فرضها و تعميمها على كل زوايا البحث اللغوي و أبعاده، علما بان هذه النظرة تمثل وجهة نظر غير مجمع عليها، و حتى في أوروبا التي تعد موطن هذه النزعة لا يعترف جميع الباحثين بهذه النظرة، كما أن هناك نقدا منصفا وجه إليها ينبغي للباحث أن يُعلم القارئ به، و هناك تطورات في تقنيات البحث و إجراءاته التنفيذية و من شان الباحث أن ينوه بها، و يبذل جهده في التعريف بها و توضيح قيمتها في تطوير البحث.



و قد يؤدي هذا التأييد المبالغ فيه لنزعة منهجية معينة إلى مشاكل أو قد يصنع مشاكل لم تكن موجودة من قبل، و كمثل على ذلك جهود جرجي زيدان في التأريخ للغة العربية، و هي جهود موضوعة تحت مظلة بحوث ما يسمى بفقهاء اللغة، الذي يعده فريق معتبر من الباحثين مقابلاً للفيلولوجيا الأوروبية، و ليس الأمر كذلك، لأن فقه اللغة علم من علوم العربية مستقل عرفه العلماء الأوائل و حددوا موضوعاته بدقة، أما الفيلولوجيا فهي منهج في الدراسة و ليست علماً، و يقصد بها التحليل الذي يجمع بين رصد التطور التاريخي و تبين وجوه الشبه و الاختلاف فيما يخص اللغات، و ميزته الرئيسية أنه يقصر حيز الدراسة على النصوص القديمة أو ذات الإشعاع الأدبي و الثقافي بشكل حصري، و لا يعترف رواده إطلاقاً باللغة المتداولة أو اللهجات، و هو حالة أوربية خالصة، لأنه يحتاج أول ما يحتاج إلى تقسيم معين للأسر اللغوية، كتقسيم شليشل المشهور، ثم إنه لا يعتبر من المادة إلا النصوص القديمة.

و لذلك قلنا إن محاولة جرجي زيدان تطبيق الفيلولوجيا الغربية على اللغة العربية تطلبت إحداث اختراق غير مسبق في هذا المجال، و ذلك هو البحث في اللغة العربية داخل الأسر اللغوية، و شمل هذا البحث إسقاط نظريات الغربيين بحذافيرها.

و نحن نعتقد أن هذا النوع من البحوث (إضافة إلى بحوث الأب فلايش و مركس و فريق المستشرقين) هي التي فرشت الطريق للباحثين العرب الذين أعلنوا اعتناقهم منهج الشك، و اعتبروا التراث اللغوي لاغياً جملة و تفصيلاً حتى يتم التحقق منه بالبرهان العلمي، و ربما اشترط بعض من تطرف في هذا المجال أن يكون البرهان تجريبياً فقط لا غير و إلا فلن يدخل في حيز القبول و الاعتراف.

و بهذه القوة البرهانية الباهرة اندفع الأديب اللامع طه حسين يهدم التراث المادي و المعنوي، بل وصل به الأمر في مرحلة معينة إلى الاقتراب من وحي السماء بهذه الروح الناقدة المتشككة، و قال كلاماً، و كتب ما كتب، ثم تراجع بعد أخذ و رد، و لكن كما

قلنا سابقا، إن العلماء الراسخين ينبغي أن لا ينزلوا بنقاشهم المختص إلى المستويات الأقل حظا و رسوخا حتى يحصل عندهم يقين مكلل بالأدلة غير القابلة للدحض، أما نقل وجهات النظر أو الخواطر و النزوات و البدوات التي لا يطلع عليها النهار إلا و قد تلاشت و تبخرت فهذا مسلك له أضرار و عواقب وخيمة على المستوى البعيد.

و ظهر جيل من تلاميذ طه حسين لم يفرطوا كإفراطه غير أنهم كانوا على نهجه قلبا و قالبا، و هؤلاء هم الذين فتحوا الملفات الثقيلة و غير المجدية، و خاصة ملف التعليل الفلسفي و قضية العامل، و من لا زال حيا من هذا الاتجاه مثل علي الوردي تلميذ إبراهيم مصطفى يقولون في كل مناسبة إن الإعراب و التخلف الفكري هما توأمان مترادفان<sup>1</sup>، و هذا يعني أن أفكار أنيس فريحة و قاسم أمين و جيل النهضة الأول ما زالت لم تخدم بعد.

### المشكلة الثالثة هي ظاهرة التطور:

اللسانيات بدأت فكرة ثم تحولت إلى علم مستقل ثم تفرعت مدارسها و نظرياتها، ثم تفرعت هي نفسها إلى علوم لسانية كثيرة، فماذا ينبغي أن نقدم لطلابنا و باحثينا؟ و على أي أساس نختار؟

و تطرح في هذا الصدد و بصورة أساسية قضية العينة أو الجمهور المستهدف، فمن المعلوم أن الكتب التمهيدية كانت موجهة لجمهور واسع، و بعبارة بعضهم كانت موجهة إلى كل من يحسن القراءة و الكتابة باللغة العربية، و هذا واضح في كلامهم. بالإضافة إلى قضية لغة الكتابة؛ فالكتابة باللغة العربية كانت اختيارا سليما و غير معترض عليه في المشرق، إلا أن ذلك لم يكن ممكنا في المغرب العربي لان التعريب لم يكن له وجود في ذلك

<sup>1</sup> - يقول علي الوردي: «إن الإعراب يصور عقلية بدائية ساذجة، و كلما تقدم الإنسان في حضارته استغنى عن الإعراب في لغته. و لهذا نجد الاتجاه في تطور اللغات الحية يتعد عن الإعراب تدريجيا»، أنظر كتاب: النحو بين التيسير و التعسير. (و هو من أضاء الجمع العلمي في بغداد). و قد قال أنيس فريحة في كتبه: نحو عربية ميسرة، ص122، ما يلي: «إن الإعراب عقبة في سبيل التفكير، ذلك مما لا شك فيه، و سقوطه من اللهجات المحليو خطوة هامة نحو تيسير الكلام حتى يصبح الكلام طريقا ممهدا للفكر».

الحين، و الغالبية المثقفة أو المتعلمة كانت فرنسية اللسان و الجنان. و قد اختلف الحال الآن، رغم أن مشروع التعريب ما يزال يشق طريقا مليئا بالصعوبات و التعثرات.

#### المبحث الرابع:

#### الاتجاه المهني.

#### المطلب الأول: وجود الفكر المهني في اللسانيات العربية.

قبل دخول اللسانيات بوصفها وافدا معرفيا و ثقافيا جديدا على العالم العربي كانت النظرة الشمولية للمعرفة العلمية هي المهيمنة على تفكير صناع الثقافة و العلم، و هذه النظرة لها عمق و امتداد طويل يرجع إلى القرون الهجرية المبكرة التي ازدهر فيها البحث العلمي و امتزجت فيها الاختصاصات و أصبحت سمة العالم الحقيقي في تلك المرحلة أن

يأخذ من كل علم حظا و من كل فن طرفا، و مقياس العلمائية و الرسوخ هو التبحر و الإحاطة في كثير من الميادين المختلفة عن بعضها مأخذا و منهجا «و قد تكاثرت مواد العربية و رجالاتها، حتى رأينا في القرن الرابع (المجري) غلام ثعلب النحوي اللغوي (ت 345 هـ) يملئ من حفظه ما يشغل ثلاثين ألف ورقة، مع ثبوت بطلان ما اتهمه به حساده من الوضع و الاختلاق»<sup>1</sup>.

و نقل ابن الأنباري في النزهة أن أبا بكر الأنباري (ت 328 هـ) كان يحفظ ثلاثة عشر صندوقا من الكتب، و مائة و عشرين تفسيراً من تفاسير القرآن بأسانيدها<sup>2</sup> و كان للخلفاء و الأمراء في تلك العصور الموسومة بالذهبية تأثير واضح في دعم هذا المنظور و تشجيعه و إعطائه الغطاء الرسمي ليكون مذهب الأمة و (موضة) العصر.

و كان أكابر اللغويين و النحاة يشرفون على تعليم الأمراء و أبناءهم، و كان المعلم وقتئذ يسمى (المؤدب) من الأدب، و هو حكمة العرب و أخلاقهم، و فطنتهم في كلامهم، فكان الزجاج (تلميذ المبرد) يؤدب القاسم بن عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد بالله)، و كان المازني يشرف على امتحان المعلمين بطلب من الخليفة الواثق، و كان اليزيدي يؤدب المأمون و علي بن المبارك (الأحمر) يؤدب الأمين، و كان الفراء يلحق النحو للهادي و المهدي و لدي المأمون، و كان ابن السكيت يؤدب ولد الخليفة المتوكل<sup>3</sup>.

و هذا النشاط كانت له إيجابيات و نتائج ملموسة، إلا أنه بمرور الزمن، و بازدياد التنافس بين الباحثين على المكانة و الخطوة بدأت تظهر المشاكل و عوامل التراجع، و من أبرزها ظهور التساهل المفرط في طلب العلوم الأساسية، و كان الناس في ذلك الزمان يقولون بالإجماع قولاً واحداً أن أساس العلوم و رأس سنامها هو الوحيان؛ كتاب الله  $\Psi$  و

<sup>1</sup> - فخر الدين قباوة، التحليل النحوي، أصوله و أدلته، لونجمان للنشر، ط1-2002، ص11.

<sup>2</sup> - محمد ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص 367

<sup>3</sup> - يراجع في هذا الموضوع: طبقات النحويين و اللغويين لليزيدي، ص 92 و ما بعدها، و نزهة الألباء لابن الأنباري، ص 81 و ما بعدها.

سنة رسوله P، و اجمعوا على انه لا يتوصل إلى فهمهما إلا بمعرفة اللسان العربي الذي تنزلا به، و الجمهور الأعظم منهم يرى أنه لا تكفي في ذلك المعرفة العامة أو السطحية لعلوم العربية بل ينبغي أن تكون المعرفة عميقة و دقيقة إلى أبعد الحدود.

و تحت دفع و ضغط من هذه الآراء انقادت جموع العلماء على اختلاف ميادينها تعطي الأولوية القصوى لعلوم العربية، و تدريجياً أصبحت الإحاطة التفصيلية بدقائق اللسان العربي نحو و صرفاً و تجويداً من جملة الذخيرة العلمية التي ينبغي لكل طالب علم أن ينهل منها مهما كان الفن أو الاختصاص الذي يميل إليه أو يرجو أن يتوسع فيه، و لذلك وجدنا في تراثنا العلمي و الحضاري المديد هذه الظاهرة الشمولية حيث يكون الفقيه و القاضي و الطبيب و الفيلسوف في نفس الوقت لغويًا مشاركاً بصفة مباشرة في النقاشات و الجدالات اللغوية. و مع ذلك وجد الباحث اللغوي المتفرغ، و ظهر الجدل بينهم و كثر التخطيء و الاتهام إلى حدود مفرطة تجاوزت حيز الخلاف العلمي إلى مسائل في الإيمان و الاعتقاد<sup>1</sup> و اختلط البعد الأيديولوجي بالنظر العلمي البحث اختلاطاً هدد الأمة و كان من أسباب انخطائها.

أما في زماننا الحاضر، و بعد ما يعرف بثورة اللسانيات، فقد أعيد إحياء بعض هذه الأفكار بصور مختلفة، و من أبرز هذه الصور نزوع فريق من اللسانيين العرب المعاصرين إلى البحث عن النظرية اللغوية العربية العامة في التراث غير اللغوي، اعتقاداً منهم بأن هذه النظرية موجودة بلا شك في التراث العربي، إلا أنه لم يتوصل إلى تطويرها عن طريق النحاة و إنما من طريق جهود العلماء و المفكرين في الميادين الأخرى ممن شارك النحاة هذا الانشغال؛ و في هذا السياق قدم عبد السلام المسدي أطروحة تركز على قراءة تأويلية للتراث الخلدوني، و اقترح جعفر دك الباب نفس الإجراء مع تراث أبي علي الفارسي، و للباحثين في المملكة السعودية محاولات مشابهة فيما يخص تراث ابن تيمية.

<sup>1</sup> - و من هذا القبيل ما رواه أبو حيان في التذكرة أن المازني سئل عن سبب قلة روايته عن الأصمعي فقال: رميت عنده بالقدر، و الميل إلى مذاهب أهل الاعتزال. أنظر: أبو حيان الأندلسي، تذكرة النحاة، ص 130-131.

أما الباحث الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح فقد ذهب ابعده من ذلك عندما جزم بأن التراث العربي ليس كتلة معرفية واحدة منسجمة يستوي فيها الأول و الأوسط و الأخير، بل هناك تراث أول مبكر حافل بالإبداع و التميز و الأصالة، و تراث ثان متخلف يترجم كل عوامل الانحطاط و التدهور الفكري و العلمي و الأخلاقي التي داهمت الأمة العربية في القرون الوسطى و ما بعدها<sup>1</sup>.

و التراث الأول الأصيل -حسب رأيه- لا يشتمل على نظرية واحدة بل على نظريات عديدة، و أفكار و أطروحات مبتكرة تحتاج إلى قراءة نقدية متجردة من الأحكام و الإسقاطات المسبقة، و في ذات الوقت مدعمة بأفضل المناهج التحليلية و الإجرائية التي طورها اللسانيون المعاصرون في تحليل المدونات، و إعادة تركيب الأطر النظرية و التثبيت المخبري من الأوصاف التجريبية و رفع مستوى اللغة الرمزية التجريدية من خلال توظيف المنطق الرياضي الذي هو نفسه منطق الخليل بن احمد<sup>2</sup>.

و يحتتمل بصورة أولية أن لا يكون هذا التمييز الحاسم قابلاً للتعميم المطرد من دون أن تتخلله استثناءات ذات أهمية في السياق المحلي التاريخي أو في السياق المناهجي و الفكري، و قد حاول الحاج صالح أن يسد هذه الثغرة من خلال النماذج التي يطلق عليها صفة الشذوذ، و هم أعلام برزوا في أزمنة متأخرة غير أنهم امتازوا بنفس ميزات الرعيل الأول من حيث إبداعهم و أصالتهم، و يدخل في هذه القائمة الاستثنائية أسماء مشهورة مثل ابن تيمية و ابن خلدون و أخرى مغمورة بعض الشيء مثل الرضي الإستراباذي و السهيلي و ابن سوار.

و ينبغي أن نشير إلى الأهداف الصريحة التي دفعت إلى المضي قدماً في هذا الاتجاه، و على رأسها الرغبة الملحة و العاجلة في تطوير البحث اللغوي و التمكن من إنجاز أشياء ملموسة تكون أكبر حافز على تقبل اللسانيات و تصحيح النظرة تجاه البحث اللغوي، و

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص169.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص 23-57. بحث (النحو العربي و البنوية: اختلافهما النظري و المنهجي).

هذا هدف وجيه لأن النظرة إلى العلوم اللغوية في داخل الأروقة الأكاديمية كانت و لا تزال نظرة اقرب إلى الكمالية، و أن وجود هذا البحث هو وجود تجميلي أو تكميلي في أحسن الأحوال، و انعكست هذه النظرة إلى المجتمع، و قد شعر الباحثون اللسانيون بهذه المشكلة و توقعوا أن يكون لها تأثير خطير على مستقبل هذا النشاط و على المساهمة المأمولة منه.

و قد وضع عبد السلام المسدي هذه المسألة في إطارها النفسي و الاجتماعي عندما تطرق إلى ما يعتبره ضعفا في الوعي العربي بأهمية علوم اللسان على النحو الآتي: «درجة وعينا بخطر علوم اللسان ما زالت في خطاها الأولى» و خلص في تحليله لهذه الظاهرة إلى أن المشكلة التي تواجه العالم العربي لا تتمثل في انعدام البحث اللساني و لكن مصدر المشكلة هو غياب أو خمود «إشعاع الفكر اللساني» و لا يتحقق هذا الإشعاع -حسب رأيه- إلا بتحول عميق في الوعي ينعكس في الانجازات، أو من خلال شرطين يشترطان على هذا الفكر اللساني؛ أولهما أن يصبح مكونا ثقافيا على نطاق واسع في المجتمع، و ثانيهما أن تكون له مساهمة في صناعة مسار التفكير العالمي<sup>1</sup>. و من المظاهر التي تشير إلى هذه النزعة في الخطاب اللساني المعاصر الدعوة إلى خصخصة البحث اللغوي و أن لا يتكلم في هذا الميدان إلا المختصون الراسخون. و هذه نزعة لها دوافع عديدة و بعضها متناقض، و قد يكون بعيد الصلة عن البحث العلمي. و من الدوافع الأكثر بروزا:

توفير الحصانة الموضوعية (المنهجية و الإجرائية) للبحث اللغوي و المزاويلين له أسوة بزملائهم حول العالم، و الجدير بالذكر أن البعد النفسي المختزن خلف هذه الأفكار ليس حكرا على اللغويين العرب، بل هو ظاهرة عالمية، صحيح أن التفاوت و شدة الوطأة فيها أمر خارج عن السيطرة في الأجال القريبة، إلا انه لا يلغي حقيقة شكوى الخبراء و المختصين من هذا الازدراء و التهميش.

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، ص12.

و محصلة هذا الكلام أن افتقار العلوم النظرية و التجريبية التي تحتكر صفة الدقة و ربما صفة العلمية أيضا إلى الوسيط القادر على تحويل نتائج الملاحظات و المشاهدات الميدانية المنحوسة في الذهن أو في الحس إلى رموز مفهومة يشترك كل الباحثين في أي زمان و مكان في تداولها و التواصل بها هو حقيقة تجعل هذه العلوم متخلفة برتبة واحدة على الأقل عن اللسانيات، لأن هذه الأخيرة تتعامل مع أكثر الوسائط الاتصالية شيوعا و تداولاً بين بني البشر. و معنى ذلك أنها لا تحتاج وسيطا، و بالأحرى أنها هي الوسيط في حد ذاته.

فهذه الدقة إن كان المقصود بها الناتج القابل للتكميم، فقد ثبت أن المعلومات مهما كان نوعها قابلة للتكميم وفق معادلات رياضية صريحة بعيدة عن الارتياح و العشوائية، و في كل الأحوال كما سبق التنويه في الاقتباس أعلاه فإن هذه الأحكام هي وحيدة المصدر، و تحمل في ثناياها حكما بالغ السطحية، و من المؤكد أن الباحثين في العلوم التجريبية لم يزاولوا البحث اللغوي و لم يتفطنوا إلى خصائصه و طبيعة التحليل و الإجراءات المعتبرة فيه، و حينئذ يكون حكمهم على نتائج هذا النشاط دونه حجاب سميك من التسرع و التجاوز، و قدر غير قليل من النزعة الانتقاصية المشار إليها آنفا.

و قد ذهب الباحث منصور الغامدي إلى نفس هذا الرأي، و اللسانيات في رأيه واحد من أدق العلوم، و بعض نتائجها المخبرية كما في التحليل الطيفي للصوت مدعمة بالأدلة التي تتجاوز هامش دقتها الرقمي كثيرا من نتائج التحليل الفيزيائي<sup>1</sup>، و بعض الفيزيائيين لا يعرفون أن ميدان الصوت هو في الأصل حقيقة فيزيائية.

و حقيقة الأمر أن هذا التمييز بين العلم في شقيه النظري و التطبيقي ثم في مستوى الدقة و عدم الدقة هو واحد من نتائج الإفراط في النزعة التخصصية، و من الواضح أن هذه التصنيفات تضر البحث العلمي و تصنع في داخله أروقة و دهاليز لا ينتهي الجدل

<sup>1</sup> - منصور الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1-2001م، ص 12 و ما بعدها.



فيها إلى أي شيء مثمر، هذا بالإضافة إلى أن هذا التقسيم القطاعي للاختصاصات و الميادين مخالف بشكل واضح لحقيقة تموضع الظواهر و وجودها في الحياة الاجتماعية؛ و إذا انغلق الباحث على نفسه في المجال الضيق لاختصاصه و لم يفتح على جهود زملائه في الاختصاصات القريبة و البعيدة فان فرصته في حل المشاكل و الانسدادات تتضاءل تدريجياً. و يمكن القول ان اللسانيات ساهمت بشكل واضح في إعادة النظر حول هذه المسائل، و ساهمت بصورة عملية في كسر الحواجز بين الاختصاصات من خلال البحوث المتعددة و المندمجة و المشتركة.

و من المظاهر الصريحة للنزعة التخصصية النقد الشديد لكتب اللسانيات المبكرة التي حاول أصحابها أن يعبروا بعلم اللسانيات متخطين حاجز اللغة، و حاجز التمايز الثقافي و الأيديولوجي، و كانت هذه المحاولات بؤادر على استشعار النخب العلمية العربية بأهمية هذا الوافد الجديد، و لم تسلم من الهنات و النقائص.

و من أكثر النقد الموجه إليها مشكلة أنها تسطح المعلومات و النظريات العلمية بدعوى تبسيطها بين يدي القارئ<sup>1</sup>، و هذا يكون فقط عندما ننقل معلومات عامة لنا فيها السبيل لأن نتخير أسهلها و أقربها إلى الأفهام، أما نقل العلوم فلا يدخل فيه هذا المعيار، و العلوم الدقيقة كاللسانيات تمتاز بتعقيد مادتها، و هذا من طبيعتها، و هي ليست كتباً تثقيفية إنما هي علوم بحثية، يزاولها أشخاص مكونون يعرفون كيف التعامل مع مادتها العلمية و مفاهيمها.

و قد لاحظ النقاد أن الكتب التمهيدية لم تهتم بتحديد الأوليات المفاهيمية و لم تبين للقارئ إطارها النظري و المنهجي، و لا المدرسة التي تنتمي إليها. كما أنها غلبت لغة الشرح و التفسير الإنشائية و لم تركز على الإجراءات و التطبيقات. و لم تلتفت إلى

<sup>1</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 99.

التطورات المتسارعة في النظريات و الأفكار العلمية. و من نقائصها الواضحة عدم احتفائها بتكثيف الأمثلة و النماذج من لغاتها الأم إلى اللغة العربية<sup>1</sup>.

و بعض هذا النقد لا يستقيم إلا إذا حذفنا عن هذه الكتابات سمة التمهيدية، فإصلاح تلك العيوب هو الكتابة اللسانية المحترفة، و هي نشاط من يتفرغ لهذا الميدان و يتعرف على تفاصيله، و يتكون عنده تصور مقنع لكيفية التأليف و غاياته.

و مظهر آخر من مظاهر هذا الاتجاه يتجلى في تقييم مناهج تدريس اللسانيات في الجامعات العربية، و البحث في سلبياتها، و طرق إصلاحها، و البدائل الممكنة في هذا الإطار. و هذا تفكير يريد أن ينتقل بهذا الميدان، من حالة سد الفراغ التي هو عليها حالياً، إلى حالة تمركز و إنتاج، و مقدار كاف من الاستقلالية.

و قاعدة هذا الهرم النقدي تدور حول تصحيح النظرة إلى المادة الخام اللغوية، من حيث الاختيار، و التصنيف، و طرق العرض، مع مراعاة الأسس البيداغوجية اللازمة<sup>2</sup>، و هذا توجيه له ما يبرره في واقع تدريس اللسانيات، و لكنه يتطلب آليات جذرية ليتحقق، و لعل أولها إعادة التفكير في تكوين الأساتذة و المكونين هم أنفسهم، و هذه قضية لا تخص ميدان اللسانيات و حدة، بل هي مشكلة عامة في التعليم العالي العربي.

أما رأس الهرم فهو الأفكار و المقترحات التي أطلقها عدد من العلماء المخضرمين و منها إنشاء معاهد مستقلة للسانيات، أو معاهد إقليمية لتكوين المكونين، أو معهد عربي مختص في هذا الميدان<sup>3</sup>، و هذه الاقتراحات لا تبدو مفرطة، و لكنها تريد أن تحرك وتيرة البحث اللساني بسرعة و امتداد يتجاوز القدرة الحقيقية لهذا القطاع، و من أجل ذلك ظلت في حيز النظر و التصور و لم تنتزل إلى الواقع بعد.

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 116-117.

2 - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية، سلسلة آفاق اللسانيات، 2011، ص 41-50.

3 - طرح هذه الأفكار باحثون من مختلف القطار العربية، و بخاصة في الملتقيات و المنتديات، و منهم نهاد الموسى و عبد القادر الفاسي و عبد الرحمن الحاج صالح.

### المطلب الثاني: مفهوم التفكير المهني.

ليس غريباً أن يوجد عند المشتغلين على البحث و التحقيق في ميدان علمي معين نزوع إلى تمييز أنفسهم باعتبار منهجهم و إجراءاتهم و خطابهم العلمي المشترك، إن هذا التفكير له جذور و امتدادات في التراث العربي، بل هو سمة مشتركة لمن يزاول البحث العلمي منذ بواكير هذا النشاط. و بناء على ذلك نقول إن اتجاه اللسانيين العرب المعاصرين إلى مثل هذه التوجهات يعد طبيعياً أو هو في حكم البدهة بالإضافة إلى زملائهم في العالم. أما بحث هذا المستوى من الأفكار و الانشغالات في الخطاب اللساني المعاصر باعتباره اتجاهها فله أبعاد أخرى تخص شكل هذا الخطاب و مدى تأثيره و تأثيره في إنتاج هذا الاتجاه.

**البعد الأول:** يتحدث مؤرخو اللسانيات عن تزامن هذه المعرفة مع تغيرات عميقة في الفهم و التناول الفكري و الفلسفي لمفهوم العلم، و تزامنت أيضاً مع تصدع النظرة المعرفية الشمولية و تصاعد فكرة التصنيف و تمايز الاختصاصات، و بعبارة الباحثين في مجال الاستيمولوجيا بداية فصل الفلسفة العامة عن فلسفة العلم و فصل هذه الأخيرة عن العلم البحث في حد ذاته<sup>1</sup>، و حينئذ لن نجد صعوبة في استيعاب المقولات التي صدرت عن أكابر اللغويين و المفكرين في تلك الفترة و هي تصف اللسانيات بأنها ثورة معرفية تعيد تشكيل العلاقة الصحيحة بين العلم و موضوعه و منهجه و طرق البحث.

و من المؤكد أن هذه الأفكار الجديدة و الثورية قد ألهمت الباحثين و خاصة الشباب منهم، و نحن نجد هذا النفس الطويل في عرض هذه الأسس المعرفية عند كبار اللسانيين العرب المعاصرين من جيل الرواد؛ و لعل تمام حسان في كتابه الأصول تجاوز سريعاً مرحلة النقل و العرض إلى الإجراء و التطبيق، كما أسهب عبد الرحمن الحاج صالح في تحليل المفهوم الجديد للعلم في ثنايا شرحه للعبارة النمطية المتداولة في تعريف اللسانيات، تلك

<sup>1</sup> - محمد محمد قاسم، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط 1986م، ص 253 و ما بعدها.

العبرة التي تقول: «اللسانيات هي الدراسة العلمية للسان البشري»<sup>1</sup>، و يحسن التنويه إلى أن الحاج صالح في تحليله الآنف الذكر لم يقف عند عرض المواقف الغربية و بيان مراجعها و تجلياتها النظرية و التطبيقية فحسب، بل خطى خطوة في غاية الأهمية عندما وجه نقدا صريحا للاتجاه الايجابي، المعروف أيضا بالوضعي (positivism) الذي كان و لا يزال يهيمن على عقول العلماء و ناقش منطلقاته الواحدة تلو الأخرى معارضا إياها بما يقابلها من الحجج و الاستدلالات التي نعتقد أنها مقنعة بل و من الضروري للباحثين عموما و المشتغلين في ميدان البحث اللساني على وجه الخصوص أن يأخذوا تلك التحفظات المسجلة على النزعة الايجابية في اعتبارهم و يجب ألا ننسى أن هذه التحفظات نتيجة بحث و تقص طويل قام به عدد معتبر من العلماء و المفكرين حول العالم.

و من جهته ركز عبد السلام المسدي على النظرة الكلية لللسانيات، هذه النظرة التي تخولها الارتقاء إلى مستوى العلوم الكلية التي تتحقق فيها وحدة العلوم، و هذا الرأي مساند تماما للأطروحات التوليدية، أو بعبارة أكثر دقة لأطروحات نوام تشومسكي على وجه التحديد، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يثينا عن الاعتراف بوجود ملكة فاحصة عند بعض الرواد من اللسانيين العرب جعلتهم لا يستقبلون الأطروحات و الأفكار الغربية بسهولة أو تراخ، بلى، كان لهم رأي و خاصة إذا دققنا في الجوانب التفصيلية من هذا الخطاب، يقول المسدي: «اللسانيات تنشد منزلة العلم الكلي في تقرير حال الظاهرة اللغوية مبتدئة بالحدث العيني و قاصدة الى الحقائق الكونية»<sup>2</sup>.

و جاء تلخيص المسدي للمحصول المعرفي الذي أنتجته اللسانيات مركزا في حقيقتين على قدر كبير من الأهمية؛ تفيد الحقيقة الأولى بان اللسانيات -بوصفها ثورة معرفية- أعادت تعريف اللغة اعتمادا على وظيفتها و دورها الأساسي الذي هو الإبلاغ أو

<sup>1</sup> - أنظر: جون لاينوس (مدخل إلى اللسانيات النظرية) J. Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge University Press, 1960, p 1. و أندري مارتيني (مبادئ اللسانيات العامة).

A. Martinet, Eléments de Linguistique Générale, Paris, 1976, p6.

<sup>2</sup> - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص31.

التوصيل و التواصل. أما الحقيقة الثانية فتلفت إلى أن الأولوية القصوى للبحث و النظر اللغوي أصبحت مركزة على الصورة الأدائية للخطاب أو الجانب الاستعمالي من اللغة البشرية، هذا الجانب الذي يترجمه المسدي بعبارة الهوية الوظيفية للغة<sup>1</sup>.

و في الإطار نفسه تحدث عبد القادر الفاسي عن غياب الزمن العلمي في النشاط اللساني العربي، و هذا يعني أن التراكم المنظم الذي يبني بعضه على نقد و تقييم بناء للبعض الآخر السابق عليه، غير متوفر في الفضاءات الموجودة، و إذا لم يكن هناك مسار يرسخ الثقافة اللسانية في العالم العربي فالحديث عن تقدم هذا الميدان و تطوره مؤجل حتى تنضج هذه الرؤية، و تتحول إلى فعاليات تنفيذية في أرض الميدان<sup>2</sup>.

و من الملاحظات المسجلة على نشاط الباحثين (التسيب المرجعي) و يظهر في جانبيين مهمين من الخطاب العلمي، الجانب الأول هو عدم توضيح الإطار النظري و المنهج المعتمد، و الجانب الثاني هو إغفال ذكر المصادر و المراجع بكيفية دقيقة، و قد يكون هذان المظهران نتيجة ما يسود من اعتقاد لدى بعض الباحثين من أن هذه الأمور تلزم المبتدئ و لا تلزم الخبير<sup>3</sup>، و هذا غير سديد، بل العكس هو الأصح، لأن من شأن الخبير أن يكون أسوة لمن دونه في الالتزام، ثم إن عدم التصريح بالمصدرية قد يعذر إذا كان كل ما ينتجه الباحث هو من إبداعه الخالص، و الأمر أبعد عن ذلك.

و الذي يهمنا هنا أن الاقتباسات السابقة تظهر التفكير المتحفظ أولاً، كما تظهر إلى جانب ذلك تحرراً نسبياً من النزعات المدرسانية الغربية، و أهم من هذا و ذاك قدرة الباحث على إنتاج رأيه الخاص المستقل، بما في ذلك توجيه النقد المنصف للاتجاهات

1 - المرجع نفسه، ص 35.

2 - أنظر: أبحاث ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، الرباط 1987م، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م، بحث (اللسانيات العربية: نماذج للحصيلة و نماذج لآفاق) ص 11.

3 - المصدر نفسه، ص 12.

السائدة و الأفكار التي يطرحها الباحثون و المختصون من حوله، و هذه المميزات ينبغي أن تكون مبادئ و أسسا للتفكير المهني الذي يطالب به جميع الفاعلين في هذا الميدان.

### المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات المهنية.

#### أولاً: التنسيق بين البحث النظري و البحث التطبيقي.

تطرق فريق من علماء اللسان العرب المعاصرين إلى مسألة تعامل الباحث مع نشاط البحث في شقيه النظري و التطبيقي، و الظاهر أنهم لا يحفلون كثيراً بالتمييز الصارم الذي يقيمه خبراء المناهج في المدارس الأوروبية و الأمريكية بين البحوث النظرية و الأخرى التطبيقية، و رأيهم أن البحث هو البحث، و قد يكون هذا التقسيم المطلق من أخطر ما يمكن أن تصاب به العلوم؛ لأن العلم إذا قطع عن الواقع و لم تختبر نتائجه على محك التطبيق، فسيبقى مجرد فلسفة، كما أن التطبيقات إذا أبقيت على أوضاعها الأولى و لم يدخل على أسسها النظرية أي تجديد و أي تطور فسيكون مآلها الجمود و و الدخول في حلقات مفرغة من الروتين<sup>1</sup>.

أما انقسام البحث إلى شق عقلاي و آخر تجريبي بصورة مطلقة فهو أمر غير مسلم به، و يرى بعضهم أنه نتيجة لمخلفات النظرة اليونانية التي تزدري العمل الحرفي و النشاط اليدوي و تنسبه إلى الطبقات الدنيا و العبيد، أما الفلاسفة و المفكرون فليس ذلك شأنهم، فكأن رواسب هذه التقسيمات النفسية و الطبقيّة لقيت مرتعا و ملاذا عند بعض المعاصرين و خاصة في أوروبا.

و من المعلوم أن العلم العربي لم يتأثر بهذا النوع من التفكير، و لم يكن بالإمكان إنتاجه في هذه البيئة لأنه يتعارض صراحة و بوضوح تام مع المبادئ و التعاليم الأخلاقية و الإيمانية التي جاء الإسلام لتثمينها و غرسها، و من أجل ذلك نقرأ في سجلات التاريخ و

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص178-179. بحث (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية).

سير العلماء و النبلاء أن أكثرهم زاول النشاط المهني و كانت له حرفة أو صنعة بالإضافة إلى جهوده في البحث و التعليم، و ذلك لا يقتصر على من كان يشكو الضعف و قلة ذات اليد، بل حتى الموسرون كانوا يفتخرون بالعمل الذي تحصله أيديهم لأنه دليل التواضع، و فيه تأس بمعلم الناس الخير  $\rho$ ، فهذه كانت حالة طبيعية في الحضارة العربية.

أما المؤيدون لهذا التقسيم فيرون أن تحديد مرتبة البحث من شأنه أن يزيد تركيز الباحث على موضوعه، و فيه تطوير للبحث العلمي لأنه يحفز غالبا إلى تطوير الأدوات، و هذا رأي غير بعيد عن الصواب.

### ثانيا: التمييز بين الغايات النفعية و الذاتية للبحث العلمي.

إن ميدان البحث العلمي بوصفه مرفقا من مرافق الحياة لا يمكن أن يتم استحداثه من دون أن تكون له أهداف و غايات ترمي إلى الإصلاح و التطوير و حل مشكلات المجتمع و التنمية في مختلف صعداتها و مجالاتها، و هذا المستوى يمثل الأهداف الانتفاعية للعلم، و هي أهدافه التي تربط نشاطه بالمجتمع و قضاياها، و تربط أواصره به و لا تجعله متوقفا أو بعيدا عنه، و ميزة هذه الأهداف أنها مشتركة يفكر فيها الإداري و الباحث و المواطن كل من زاوية نظر مختلفة يجمعها التطلع إلى حل المشكلات التنموية. و هذا يتطلب تلاهما بين هذه الأطراف، كما يتطلب أيضا تجاوزا للأفكار و الاتجاهات التي تطالب بزيادة التربية و التعليم، و بخاصة التعليم الجامعي، و هي المظاهر السلبية من تداخل القناعات و الصلاحيات في الموضوع الواحد الذي يكون للعلم فيه وجهة نظر، و للتنظيم الإداري وجهة نظر أخرى، و لهذا يتصاعد الفكر الذي يدعو إلى تفعيل (بارد) لقطاع البحث العلمي<sup>1</sup>، و ذلك يعني أن يزاول أصحابه نشاطهم من دون أن يتدخلوا في واقع التنمية و تعقيدها.

<sup>1</sup> - فهد العرابي الحارثي، المعرفة قوة.. و الحرية أيضا، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1- (1431هـ/2010م) ص 233-235.

غير أن العلم له جانب من الغايات لا يفكر فيها إلا المزاولون لهذا النشاط بصورة مستمرة، أو الممتنون لنشاط البحث العلمي، وهذه الغايات ذاتية، بمعنى أنها خاصة بهذا المجال، وهي التي ينبغي أن تشكل معظم تفكير الباحث، لأن تطور ميدانه مرتبط بهذا الانشغال ارتباطاً عضوياً.

و من المعلوم أن البحث العلمي هو في جوهره نشاط متعدد الكفاءات يرمي إلى الاستكشاف والتطوير وحل المعضلات الناتجة عن المشاهدة أو عن الخبر اليقين<sup>1</sup>، وهذا يعني أن مقاييس اعتبار الأفكار والنظريات العلمية لا يرجع في الأساس إلى مقدار مساهمتها في الغايات الانتفاعية، بل إلى علو كعبها في تحقيق الاستكشافات والحلول العملية بنتائج أقرب ما تكون إلى اليقين.

و لو غلب على الباحث في اللغة و ظواهرها الجانب الانتفاعي من العلم، لأداه ذلك إلى الاستغراق في العلل و الأمراض الاجتماعية و النفسية، و لم يتحرر فكره منها بسهولة، و ينعكس ذلك في خطابه من حيث النزوع إلى الوصف المجرد، أو اقتباس الوعاء الوعظي و الإرشادي، فيلبس نشاطه بنشاط من هم متفرغون لذلك الشأن. و هذا يحدث كثيراً في الخطاب اللساني العربي المكتوب و المنطوق<sup>2</sup>.

و قد أثر الإدمان على هذه القوالب التعبيرية أبلغ الأثر على المركزية الاستدلالية في الخطاب اللساني، فأصبح الاستدلال واهنا و تقريباً شأنه شأن التوضيح الذي يبادر إليه المعلم في مسألة مستجدة، أو الصحفي في تحليل إعلامي لظاهرة، في حين أن قوة الاستدلال العلمي تأتي من مصادر مختلفة.

<sup>1</sup> - رحيم يونس كرو العزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، عمان-الأردن، ط1 (1429هـ/2008م)، ص 22-23.

<sup>2</sup> - و يحدث ذلك في عموم اللغة العلمية، و هو في لغة الإعلام أشد وضوحاً. أنظر ملاحظات و نماذج في هذا الصدد في المرجع التالي: علي محمد الدرويش، أزمة اللغة و الترجمة و الهوية في عصر الإنترنت و الفضائيات و الإعلام الموجه، منشورات رايكوب المحدودة، ملبورن-أستراليا، ط1-2005م، ص 25-102.



وهذا ما يجعل التفكير في استعادة هذه الخصال، و تدريب الباحث على إفراغ ذهنه للموضوع، من أجل رفع سقف الفهم و تعميق الملاحظات، و الحصول على براهين قوية الإقناع تفكيراً جديراً بالتنويه.

### ثالثاً: شمولية التصفح.

#### 1. التأكيد من صحة الأخبار و الروايات:

إن البحث في التراث يتطلب تعاملًا و احتكاكًا مباشرًا مع مصادره المختلفة التي كانت تتميز بطرق منهجية مخصوصة في شرح الأفكار و نقل الآراء و الحديث عن جهود العلماء، و لم تكن الروايات و الأخبار المنقولة فيها في مستوى واحد من جهة المصادقية و الدقة، و يمكن القول إن المنهج العام الذي كان مشتركًا بين العلماء الأوائل في استقبال المرويات هو منهج علماء الحديث الذي ينقسم إلى علم المتن أو الدراية، و علم السند أو الرواية، و يحتاج هذا الثاني إلى الجرح و التعديل فيما يخص الرجال، أو سلسلة الأشخاص الذين نقلوا الخبر. و مبلغ تخرج العلماء في هذا الباب يتضح من رد أغلبهم الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف<sup>1</sup>.

و يلاحظ أن كثيرا من الباحثين المعاصرين لا يتقيدون بهذه المعطيات الهامة أثناء نقلهم للمعلومات من بطون مصنفات التراث، و قد يحدث في حالات مثل هذه أن يبني الباحث تصورا أو حكما على عينة من التراث ثم يعممه و قد أخذه من خبر أو رواية لم يفحص سندها و لا متنها على المقاييس المعتمدة في هذا الميدان، و قد يكون الخبر أو الرواية واهيا أو موضوعا، و قد كثر الانتحال و الوضع في الشعر و في الحديث الشريف أيضا، و بخاصة في فترة الخلافة الأموية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية-طنطا- مصر، ط 2006م، ص 74-99.

<sup>2</sup> - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص 321-351.

و الحق أنه كما وقع في الحديث الشريف وضع و انتحال و تصحيفات كثيرة، فقد وقع في أخبار اللغة و الأدب أضعاف ذلك، و قدسية الحديث الشريف لا جدال فيها، غير أن الكذب و الانتحال واحد و لا يقبله أحد لا في النصوص الشرعية و لا في الأفكار و الاجتهادات العلمية. و من أجل ذلك دعا فريق من علماء اللسان إلى أن يتدرب الباحث المضطلع بقضايا التراث اللغوي على أصول تنقيح الروايات بنفس الحرص و التشدد الذي يوصي به علماء الحديث<sup>1</sup>، و هم محقون في هذا الطرح، لأن تحصيل موارد المعلومات هو الخطوة الأولى في طريق الفهم و الاستنتاج الصحيح.

و قد لا يحدث الخطأ أو الحمل المتسرع للروايات من قبل الباحث العربي بصورة مباشرة بل يكون مما يأخذه هو عن غيره و بخاصة من المستشرقين الذين روجوا لأفكار و تصورات بهرجوها و ألبسوها لبوس المنهج العلمي و اللغة التقنية الحديثة فانبهر بها بعض الباحثين، و أعجبوا بها كما يعجب كل إنسان بالشيء الجديد النظر.

و مما يدخل في هذا الباب الأفكار حول الصلة بين نشأة الفكر النحوي العربي و التراث الفلسفي اليوناني و بخاصة التأثير المزعوم لمنطق أرسطو في إنجاز كثير من أمهات أبواب النحو المبكرة، و لا مانع هنا من أن يطرح الباحث عربياً كان أو غربياً ما يعن له من القضايا، غير أنه مطالب في كل الأحوال أن يمحس أدلته و موارده، و لا سيما إن كان رأيه يتأسس في ضوء أخبار و مرويات تاريخية.

و قد روى القفطي<sup>2</sup> أن الخليل كان يجتمع بحنين بن إسحاق و يقع بينهما حوار و أخذ و رد، و بناء على ذلك فإن مفاهيم يونان أخذها الخليل من هذه الحوارات. مع العلم

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة، ص 15-18. و كتابه الآخر: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، بحث (الأصالة و البحوث اللغوية الحديثة)، ص11-21.

<sup>2</sup> - جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (568 - 646 هـ = 1172 - 1248 م) مؤرخ و طبيب عربي. ولد في قفط (من صعيد مصر) و سكن حلب، فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة 633 هـ) و أطلق عليه لقب «الوزير الأكرم»، و توفي بحلب. أنظر ترجمته في كتاب: الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002م، ج5، ص23.

أن هذا الخبر واه، لأن الخليل توفي قبل عشر سنين أو أكثر من ولادة حنين، و لو فرض أن الخبر صحيح، فأين هو الدليل في العبارة المروية بأن حوار الرجلين كان في مفاهيم المنطق اليوناني، لأننا لو افترضنا أن هذا المجال كان حرفة حنين و مصدر انشغاله فما دخل الخليل بن أحمد الذي تصرح روايات أخرى عديدة معتبرة بأنه كان ينأى بنفسه عن الفلسفة و الجدل، و هو صاحب العقلية الرياضية الإبداعية<sup>1</sup>. فهنا مثال نجد فيه السند و المتن كلاهما على شفا جرف من المصادقية، و بعد حين تصبح هذه الآراء مصدر إزعاج و قلق في الخطاب اللساني المعاصر.

ثم إن المصادر التراثية ليست سواسية في منهج عرضها و نقلها، و درجة الدقة في نسبة الأقوال و عزوها، فهناك مصادر موثوقة بإجماع أهل العصر، و قول جمهور غفير من خبراء التراث الحاليين، و ذلك مثل مصنفات أبي بكر ابن قتيبة، و محمد ابن سلام الجمحي، و أبي بكر بن الأنباري، و أبي إسحق الزجاجي، و أبي سعيد السيرافي، و غيرهم من العلماء الذين يكتبون كتابة علمية، و هم على يقظة و مراقبة دائمة لما تخطه أيمنهم.

و هناك مصنفات لم توضع لجمع العلم أو لتحقيق الأدلة، بل وضعت بغرض الفكاهة و الأناجزة، و ذلك مثل مصنفات أبي الفرج الأصفهاني و الموشح الذي صنفه المرزباني، و هي مصنفات تعتمد على مطلق الجمع لكل طريف و غريب من الأخبار و الأسمار و الخرافات و القصص الموضوعية و فيها كذب و انتحال فادح و ليست مصادر لمن يرجو العلم النافع أو الخبر الصحيح بإجماع العلماء في تلك العصور، و من حق الباحث المنصف أن يتطرق إليه الشك عندما يلاحظ أن أغلب الآراء و النظريات المشبوهة حول التراث و رجاله ارتكزت على كتاب الأغاني و أضرابه.

## 2. الاستيفاء و الإحاطة فيما يخص المراجع و المصادر:

<sup>1</sup> - أنظر: أبو إسحاق الزجاجي، مجالس العلماء، تح: عبد السلام هارون، (مجلس الخليل بن أحمد مع الليث بن المظفر)، ص 190-192.

إن الباحث مطالب دائما بأن يتوخى الإحاطة و الشمول في مصادره لئلا يقول قولاً أو يبادر إلى رأي يكون في مرجع من المراجع المعتبرة من الأدلة المعتبرة ما ينفيه أو يدحضه، وهذا يعني عدم الاكتفاء بالمطبوع وإهمال المصادر المخطوطة، وقد انتشرت في أوساط البحث اللغوي العربي آراء، بل نظريات وقع أصحابها في هذا المنزلق، إما لتساهلهم بقيمة المصدر المخطوط، وإما لتسرعهم و تفضيلهم إصدار أفكار غير تامة النضج على حساب أخذ المهلة الكافية في جمع الموارد و فحص المعطيات.

و من هذا القبيل النظرية التي تركز على مفهوم الخلاف بين النحاة البصريين و الكوفيين لتؤسس لاختلاف منهجي و فلسفي داخل الفكر النحوي العربي، و الغريب في الأمر أن نظرية كبيرة و خطيرة يُسترضى في القول بها مرجع واحد فقط هو كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات الأنباري، و لو فرض أن كل ما قاله هذا المؤلف صحيح فليس ذلك كافياً لتعميم نظرية على جزء كبير من التراث النحوي العربي.

و قد تعرض كتاب الإنصاف لدراسات نقدية أثبتت أن كثيراً من أقواله يرويها المؤلف عن غيره لكونه لم يلق أغلب النحاة المذكورين بسبب بعد الزمن بينهم. و لاحظ الباحثون أيضاً أن كثيراً من الآراء ينسبها لمن لم يقلها، و قد ينقل الرأي عن صاحبه مشوهاً إياه، و كل هذا توصل إليه من طريق مقارنة هذا الذي في كتاب الإنصاف بما قاله النحاة المعينون في مصنفاتهم الشخصية<sup>1</sup>. و كمثال واحد من هذا الباب فإن ابن الأنباري ذكر في كتابه الأنف أن الرماني هو أول من مزج النحو بمفاهيم المنطق اليوناني إلا أننا نجد في مصنفات من سبقه كابن السراج و ابن كيسان هذا المزج بصورة واضحة. فهذا الحكم بالأولية لاغ بفضل هذه الشواهد المعتبرة.

### 3. التجرد في الفهم:

<sup>1</sup> - أنظر كتاب الانتصاف من الإنصاف للمحقق محي الدين عبد الحميد، نشر في هامش تحقيقه لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، مذبعة السعادة، القاهرة، ط4-1961.

عندما يتحقق الباحث من سلامة الطرق التاريخية الموصلة إلى المصدر يلزمه عمل آخر أكبر أهمية و هو محاولة فهم النص الذي بين يديه كما أراد منه واضعه و مصنفه، و من الإجراءات العملية التي تعينه على بلوغ هذه الغاية أن يجرد ذهنه من قراءات غيره و فهمهم الذي سبق و أن حققوه على نفس النص، و إذا لم يفعل ذلك كان أسير هذه الفهوم، فكانت على عقله سياجا يمنع من التعمق في الفهم.

و من هذا الباب ما قاله بعض الباحثين حول ابن جني و هو أنه يحتمل أن يكون شيعي المذهب لتأويل بعض عباراته في المقدمة الاستهلالية لكتابه (سر صناعة الإعراب) فيأتي بعد ذلك باحثون يرفعون هذا القول من احتمال إلى حقيقة يقرؤون من ورائها كل مصنفات هذا العالم فيقع تحريف متكلف لكل عبارة من عباراته.

#### 4. اتباع الخطوات المنهجية السليمة في تحليل النصوص:

لقد تحول مجال تحليل النصوص إلى ميدان مستقل تطورت مناهجه و أدواته في الآونة الأخيرة بتطور النظرة إليه و تفتن القادة و الزعماء و غيرهم من ذوي الشأن إلى منافعه و مخاطره في الآن معاً<sup>1</sup>. و لا شك أن تطبيق الطرق الإحصائية يشكل جانبا هاما من هذا التطور، غير أن تطبيق الطرق التحليلية المتكاملة هو الذي شكل تحولا من العيار الثقيل. و عند الحديث عن المنهج العلمي المعتبر في تحليل النصوص يتعين على الباحث أن يلتزم بخطوتين أوليتين هما:

أ- المسح الكامل للنص المراد تحليله مهما كان طويلا، و يتم هذا المسح بتتبع عباراته الواحدة تلو الأخرى لإحصاء مواضع ذكر اللفظ أو المفهوم المقصود بالإضافة إلى سياقاته، و ذلك لأن المعنى الحقيقي الذي يحمله مؤلف ما في لفظ أو تعبير معين لا يوافق ما في

<sup>1</sup> - مجال تحليل النصوص أو تحليل الخطاب هو من فروع اللسانيات التطبيقية، و من أهم فروعها (sub-fields): بحوث الخطاب الإعلامي (media discourse research) أو تحليل الخطاب الإعلامي (media discourse analysis)، و يعده بعض الخبراء أسرع فروع اللسانيات نموا في الآونة الأخيرة.

المعجم، و لا يفيد الباحث أن يتقصاه من المعاجم، إنما بينه شيئاً فشيئاً بجمع مواضع ذكره مع السياق التركيبي المحيط به، أخذاً القرائن المقامية و الحالية في الحسبان.

و قد لاحظ الباحثون أن النص إذا طال و كان فيه وحدة عامة في موضوعه فإن الأقوال تتكرر بألفاظ و ترتيبات مختلفة، و وجدوا أن جمع كل هذه التكرارات و حمل بعضها على بعض يجعل الكلمات الغامضة في إحداها تتوضح و تنجلي بواسطة الأخرى، كأن النص يشرح نفسه.

ب. و من المنطقي أن لا يلجأ الباحث في استخراج هذه المعاني في مرحلته الأولى إلى أي مصدر سوى المصدر الأصل، و بخاصة إذا كان طوله يظهر هذه التكرارات بقدر يجعل حملها على بعض مفيدا و غير متكلف.

و قد طور عبد الرحمن الحاج صالح طريقة منهجية من هذا النوع يسميها (المقايسة الدلالية) طبقها في قراءته لكتاب سيوييه و تمكن بواسطتها من التوصل إلى مُرادات العلماء القدامى بمنهج موضوعي خال من التحكم و الافتراض، و هي الأساس في تحرير مفاهيم النظرية الخليلية و أصولها.

كما طبقت الطريقة الأنفة في استخراج المعنى الموضوعي لمفهوم الفصاحة عند اللغويين العرب الأوائل؛ فوجد في كتاب سيوييه بعد الاستقراء أو عملية المسح المشار إليها آنفاً أن عبارة (فصحاء العرب) تكافؤ (الموثوق بعريبتهم) و (الذين ترضى عريبتهم)، و بالجمع بين هذه المتكافئات يكون المقصود هو الفصاحة اللغوية و هي: «صفة الإنسان الذي لم تتغير لغته و يجوز الأخذ منه و الاستشهاد بكلامه»<sup>1</sup>. و ليس كل من نطق بالعربية يدخل في هذه الصفة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ج1، ص19.

و بتطبيق نفس الإجراء في كتاب البيان و التبيين للجاحظ نعثر على التسلسل الآتي (الفصاحة-اللكنة-الإغلاق-الإبانة-الملحون-المعرب)<sup>1</sup> فهذه جميعها مقابلات للفصاحة عنده، و ينتج من ذلك أن مفهوم الفصاحة في عصر الجاحظ هو: «الشخص الذي لم يتعلم لغته من معلم بل نشأ عليها و لم يتأثر بلغة أخرى و يصح على ذلك أن يستشهد بكلامه»<sup>2</sup> و هكذا نفهم أن اللغويين كانوا يجعلون شرط الاحتجاج أن يكون الناطق فصيحاً بالمعنى اللغوي، و هو عند سيبويه الذي لم تتغير لغته و إن كان ولد في غير بلاد العرب أو كان من البدو ثم دخل المدينة، و عند الجاحظ هو من نشأ على العربية في محيطه و بيئته، و الجامع بينهما هو دور المنشأ (المكان الذي يتلقى فيه الطفل تعلمه الأول للغة). و هو الذي يميز الفصاحة اللغوية عن الأخرى البلاغية.

#### خامساً: استقلالية الفكر.

##### 1. عدم التقييد بالأفكار المسبقة:

الفكرة المسبقة تتسرب بسهولة إلى التحليلات العلمية لتعدد مصادرها؛ فإنها تكون ناتجة عن فهم سابق منتشر يتعلق به الذهن لكثرة دورانه و شيوعه و لا يتفطن إلى أن مصدره هو أيضاً محل للنظر، و من ذلك مثلاً مفهوم المقطع فإنه فهم تصوره اليونان و ورثه الرومان و هكذا عنهم وصل إلى الأوروبيين، ثم كثر تداوله و انتشر في معظم التحليلات اللسانية المعاصرة، و أثبتته بعض الباحثين في اللغات الأوربية مخبرياً. ثم نجد إلى جانب ذلك كلمة (مقطع) مذكورة في مصنفات النحاة العرب، فإذا قرأها الباحث الذي سبق أن عرف مفهوم المقطع في اللغات الأوربية فإنه سيدخل في كلام النحاة ما ليس فيه، لأنهم لم يقصدوا بهذه الكلمة نفس المفهوم اليوناني، أو المعروف في الصوتيات الوظيفية المعاصرة.

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص162.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ج1، ص19.

و قد أثبت المهندسون في تجارب المعملية أن مفهوم المقطع في التحليل الطيفي للأصوات، و كذلك في تجارب التركيب الصناعي للكلام لا وجود له إطلاقا في درج الكلام و سريانه، و لا يحدث إلا في حال الانعزال أو الوقف<sup>1</sup>.

و من هذا القبيل أيضا مفهوم أقسام الكلام فقد ذهب مركس و من تابعه إلى أن النحاة العرب اقتبسوه من اليونان، في حين أن التقسيم العربي كما في كتاب سيبويه هو ثنائي، و ليس فيه معنى القسمة أي الانشطار و التفرق بل معنى التكامل التركيبي، و هو مفهوم إجرائي لا علاقة له بتأملات اليونان.

و فكرة أخرى روجها المستشرقون فيما بينونه من آراء يطبقون فيها أحوال لغاتهم على اللغة العربية و هي فكرة اللغة الأدبية المشتركة، و هذه الفكرة سرت بين الباحثين العرب و صارت قبلية من جنس المسلمات عند أتباع المنهج البنوي و الوصفين الذين اطلعوا على مفهوم المدونة اللغوية و حاولوا تطبيقه بحذافيره على اللغة العربية.

و قد تؤدي مثل هذه التسبيقات إلى استنتاجات شاذة لا أصل لها، و ذلك مثل الارتباط الذي يقيمه الباحث النمساوي بروشازكا بين اكتشاف المثقفين العرب للعالم الغربي ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر و ظهور ما يسميه باللغة العربية الحديثة الموحدة (Modern Standard Arabic- MSA) و ذلك أنهم لما ترجموا الروائع الأدبية الغربية بدأوا يتفطنون تدريجيا إلى مشاكل و نقاط ضعف اللغة العربية و بخاصة في المستوى الإفرادي أو الخصاصة المعجمية، و هذه مقارنة مباشرة بين اللغة العربية و اللغات الأوربية تتجاوز الخصائص اللغوية و الاجتماعية و الثقافية بدون تمحيص، و لهذا يجد الطريق أمامه معبدا لكي يسمي اللهجات العربية المعاصرة باللغة العربية الجديدة (New Arabic- NA)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 20.

<sup>2</sup> - أنظر: S Prochazka, Arabic, Encyclopedia of Language and Linguistics, Elsevier, 2<sup>nd</sup> edu, 2006, pp424.



و من هذا القبيل ما يسميه الباحث الأمريكي ماكارثي من معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا<sup>1</sup> (مشكلة جمع التكسير في اللغة العربية) و هذا الطرح فيه إسقاط ساذج للغاية لقواعد الجموع في اللغة الإنجليزية و غيرها من فروع الهندية الأوربية مع اللغة العربية التي هي من الفرع السامي، و من المعلوم أن التحليل في الفئة الأولى يكون أغلبه بناء على تصور السوابق و اللواحق لأن لغاتهم تجمع في الرسم بين الصوائت و الصوامت. أما الفئة السامية فبنيت على الاقتصاد و الاختصار الشديد و لم تظهر فيها الصوائت و بخاصة القصيرة، ثم إن بناءها يكون على المادة الأصل و الزوائد و هي نظرية المثال العربية، و أوضح نموذج لها هو الميزان الصرفي، و الزوائد على الميزان لا تكون سوابق و لواحق بل تكون هيئة و هيكلًا جديدًا يدخل فيه الحركات و السكنات و الترتيب.

## 2. عدم التقيد بوجهات النظر الرائجة و الآراء السائدة.

من الضروري أن يلتفت الباحث إلى كل ما يطرأ في مجاله، بالإضافة إلى ما يقوله غيره من الباحثين، و قد ينظر أيضا إلى ما يقوله من ليس مشهورا بصلوحه و اختصاصه، لأن الأفكار و النظريات الجيدة لا تأتي بالضرورة من المتفرغين، و في كل الأحوال ينبغي أن يضع مقاييس صارمة لنشاطه الاستقبالي، و إذا لم يفعل ذلك وقع بسهولة في ركاب الأقاويل المنتشرة عبر وسائط الاتصال، و التي أصبح تداولها في البحوث العلمية يتم بمقدار قليل جدا من الاحتياط و التحفظ.

و في هذا الزخم الذي يتدفق عبر الإنترنت يوميا، بل في كل لحظة، لا نتوقع أن كل ما يصادفنا و يحمل عناوين مبهرجة و جذابة هو العلم أو النظريات المعتبرة. و في داخل القليل المعتبر هناك درجات و مؤشرات يميز بها الباحث بين ما يكون رأيا عاما بيديه زيد

<sup>1</sup> - (ماكارثي) و هو زميل تشومسكي في (MIT) معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا التابع لجامعة هارفارد، قدم ماكارثي دراسات علمية عديدة عن اللسانيات العربية و من أبرزها (نظرات حول اللسانيات العربية)، قدمت كورقة في الملتقى الثاني حول اللسانيات العربية، أمستردام، هولندا، 1990، ص 1-54. أصبحت هذه الدراسة دليلا مرجعيا لكل من يريد أن يحصل على مقدمة تمهيدية حول اللسانيات العربية، و قد برع بشكل خاص في مناقشة الأصول الصوتية و الصرفية لأنه متخصص في هذا الميدان.

من العلماء أو وجهة نظر في مسألة تستجد بالإضافة إلى الإثباتات و النظريات التي تحظى بغطاء استدلالى منيع و قبول واسع من المختصين. و أحسن من هذا و ذلك أن تثبت نفسها بنتائجها و فعاليتها في الاستكشاف و التطوير.

### 3. حرية الافتراض:

يعتقد بعض العلماء، و بخاصة أصحاب النزعة الوصفية البحتة، أن إطلاق العنان للفرضيات لا يخدم مسار البحث العلمي لأنه تدخل في الظواهر. و الحق أن بناء الفرضيات المتينة هو جوهر نشاط البحث، و به يعتلي ببيان العلم و تتقدم الاكتشافات. و لعل ما شحذ بعض حجج هذا الاتجاه في المرحلة الراهنة هو ارتباطه بالفلسفة العلمية العامة التي سيطرت على البحث العلمي خلال أكثر من قرن (أواخر القرن التاسع عشر و معظم القرن العشرين)، و هي الفلسفة الإيجابية<sup>1</sup> و من أهم أسس هذا الاتجاه تقييده لحرية الباحث في الافتراض بحجة أنه تدخل و تحكم في الظواهر سيقود -بلاشك- إلى استنتاجات غير دقيقة<sup>2</sup>.

### 4. التركيز على الموضوع:

يتميز الخطاب اللساني ذو التوجه المهني بتحديد أهداف إجرائية قابلة للتنفيذ، و السعي إلى توحيد سياق التحليل بالتقليل من الاستطرادات، و النظر المستمر إلى تطوير فعالية اللغة التعبيرية.

و من الأهداف التي يكثر التنبيه عليها في هذا المجال تطوير نظم المعالجة الآلية و الرقمية للسان العربي باعتبار المعلوماتية و التكنولوجيا الحديثة هي السلطة المهيمنة على

<sup>1</sup> - الاتجاه الإيجابي (Positivism) و معروف أيضا بالوضعي، زعيمه الألماني إمانويل كانط.

<sup>2</sup> - مدار رأيهم أن العلم هو بناء من الجمل المرتبة ترتيبا منطقيا، و يقولون: إن الموضوع الوحيد للتجربة هو الإحساس (الحسي في مقابل المعنوي أو الغيبي)، و ذهب بعض أعضاء الوضعية الجديدة، و بخاصة فتغنشتاين إلى القول باستحالة التحليل المنطقي للغة. يراجع: إ. م. بوشنكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 165- سبتمبر 1992م.

تكوين المعرفة البشرية المعاصرة. و قد قال الباحث نبيل علي في هذا الصدد: «من منظور معالجة اللغات الإنسانية بواسطة الكمبيوتر، أثبتت العربية جدارتها كلغة عالمية بفضل توسطها اللغوي» و هذا يعني أن برامج معالجة اللغة العربية حاسوبيا يمكن أن تكيف لتغطي البرمجة العلاجية للغات أخرى في نفس الوقت، بما في ذلك اللغة الانجليزية، و مرد ذلك أن خبراء اللسانيات الحاسوبية يضعون اللغة العربية في الفئة العليا (superset) و هي التي تندرج في إطارها كثير من اللغات الأخرى بوصفها حالة خاصة منها. و قد أثبتت البحوث التطبيقية إمكان استخدام نظم الإعراب و الصرف الآلية المصممة للغة العربية في مجال اللغة الإنجليزية<sup>1</sup>.

و نظير ما سبق التطرق إلى عالمية اللغة العربية و اندماج ثقافتها و إشعاعها العلمي و الحضاري في مسار التطور الإنساني المعاصر، و يشار هنا إلى جملة التحديات التي تقف أمام هذا المشروع الطلائعي، و التي يتعين على علماء اللسان النظري و التطبيقي إيلاؤها مزيدا من العناية و التركيز. و من أبرز هذه التحديات منافسة اللغات الأجنبية، و بخاصة الإنجليزية، و الضعف المسجل على اللغة الفصحى في التعليم و الإعلام و الإدارة<sup>2</sup>. و جدير بالذكر أن مشكلة اللهجات المتفرعة عن الفصحى قد حظيت باهتمام متزايد، غير أنها لم تخل من المبالغة و البهرجة الإعلامية، و أول ما ينبغي ملاحظته في هذا المجال أن هذه الازدواجية (فصحى/لهجات) لا تسلم منها أية لغة معروفة في زماننا. و الملاحظة الثانية أن حالة الازدواجية و التعدد اللغوي الذي تعيشه اللغة العربية تعد نسبة و ضعيفة للغاية مقارنة بحالات أخرى، على سبيل المثال (نيجيريا 400 لهجة / أثيوبيا 80 لهجة/ جنوب أفريقيا 11 لهجة و لغة/ الهند حوالي 535 لغة<sup>3</sup>)<sup>1</sup>. و المجتمعات الفسيفسائية

<sup>1</sup> - نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة-الكويت، ع 265، يناير 2001م، ص 242، 293.

<sup>2</sup> - أحمد علي كنعان، اللغة العربية و التحديات المعاصرة و سبل معالجتها (بحوث المؤتمر الدولي للغة العربية: العربية لغة عالمية-بيروت-لبنان، 19-23 آذار (مارس 2012م))، ص 1-43.

<sup>3</sup> - في الهند 18 لغة رسمية معتمدة في المجتمع و الإعلام و التعليم، أما اللهجات فأكثر من ذلك بكثير.

(Mosaic Societies)، التي تشهد تعقداً و تنوعاً لغوياً شديداً كما و نوعاً، في أفريقيا (و كذلك في جنوب شرق آسيا) تشتمل على عدد كبير جداً من اللغات يتراوح من 1000 إلى 2000 لغة<sup>2</sup>.

### 5. استثمار الأدوات المكتملة و المطورة للبحث:

نحن نعلم أن بعض مناطق البحث في الظاهرة اللغوية تتطلب التعامل مع عينات كبيرة جداً و من أجل ذلك ينبغي أن يستعين الباحث بأدوات علم الإحصاء و بخاصة نظرية الاحتمالات و تطوراتها. و ميزة هذه النظرية أنها تمد الباحث بفئة من الأرقام تسمى الأوزان (weights) تتراوح من الصفر إلى الواحد الصحيح، تمنح إمكانية تقدير احتمال (فرصة) وقوع الأحداث التي تنتج من تجارب إحصائية. كل نقطة في فضاء العينة تعين وزناً حيث إن مجموع الأوزان يجب أن يساوي الواحد الصحيح<sup>3</sup>.

و من المفيد أن هذه النظريات تم تفعيلها في شكل برامج حاسوبية من اليسير استغلالها، و هي تقدم إضافة و تطويراً واضح المعالم سواء في دقة النتائج أو في سرعة الوصول إليها.

و هناك ثغرات في تفعيل هذه الإجراءات ينبغي أن يكون الباحث على بينة منها، و في مقدمتها انخفاض مستوى فعاليتها في تحليل المفاهيم، و بخاصة في البحوث التي تنطرق إلى نظرية من النظريات من خلال إحدى المدونات، لأن المعالجة الإحصائية تقوم بعمليات فرز آلية بناء على المدخل المحدد، و تعطي قوائم تنازلية في الغالب، لكنها لا تخبرنا عن الحقيقة الاصطلاحية للمفهوم، و هذا يحتاج إلى أنماط و طرق علاجية أخرى.

<sup>1</sup> - نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات، ص 243.

<sup>2</sup> - أنظر دراسة حول التخطيط و السياسة اللغوية: B. Spolsky & R. D. Lambert, Language Planning and Policy, Elsevier, 2<sup>nd</sup> Edu, 2006, p568

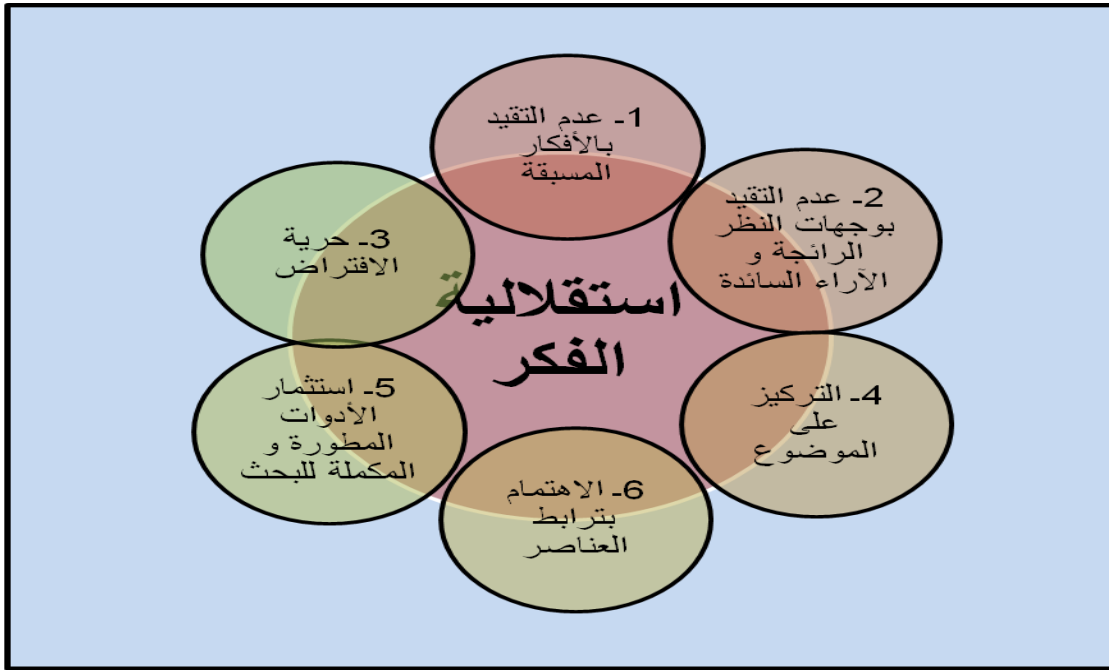
<sup>3</sup> - ثروت محمد عبد المنعم، مدخل حديث للإحصاء و الاحتمالات، العبيكان للنشر، الرياض-المملكة السعودية، ط2 (1428هـ/2007م)، ص40.

و حاصل الأمر أن الباحث ينبغي أن لا يعتقد بأن وجود هذه البرامج، أو مجرد تفعيل الخاصية الإحصائية في متن بحثه يعني أنه أنهى عمله. و لا يستغنى في البحوث التحليلية عن النشاط الذهني الخلاق الذي ينتجه عقل الباحث و قريحته، و هو الذي يكسبه الميزة الإضافية، و لو كان التعويل على البرامج الرقمية وحدها، إذا لتحولت البحوث إلى نسخ متشابهة، و لأدى ذلك إلى اندثار الإبداع العلمي.

### 6. الاهتمام بتراطب العناصر:

أول ما يدعو الباحث إلى النظر الشمولي في الظاهرة اللغوية هو تعدد المصادر التي تحدثها و التي تتأثر بها، و لذلك نجد عددا معتبرا من المجالات يتقاسم النظر إلى هذه الظاهرة كل من زاوية اهتمامه، و يمكن أن نستنتج من ذلك أن تطور البحوث اللغوية و تعاضد منافعها و ثمارها العملية يتوقف على مدى تفعيل ميزة التعاون و التشارك بين الاختصاصات التي لها نصيب في تكوين الفهم العميق نحوها. و كمثل على ذلك إشارة جامعة روتلج في مختصرها الخاص باللسانيات التطبيقية سنة 2011م، إلى أن الفروع المندمجة بين اللسانيات العامة و العلوم الإنسانية و التجريبية قد تحول كثير منها إلى فروع متعددة الاختصاصات، فمجال اللسانيات النفسية (Psycholinguistics) هو فرع متعدد الاختصاصات يفتح على تسعة فروع أخرى هي: علم النفس المعرفي و اللسانيات النظرية و علم الخطاب و الصوتيات و النمذجة الحاسوبية و اللسانيات العصبية و اللسانيات العيادية و تحليل الخطاب و التداولية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - أنظر: James Simpson, The routledge handbook of applied linguistics, 1st ed, 2011, p473



شكل 9: محددات استقلالية الفكر في الخطاب اللساني العربي المعاصر.

سادسا: عدم تقديس الموضوع.

اتخذت الدراسات اللسانية عبارة «الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن تدرس اللغة في حد ذاتها و من أجل ذاتها»<sup>1</sup> المنسوبة إلى فردينا ندي سوسير شعارا لها، و قد يفرط بعض الاتجاهات في تعظيم الظاهرة محل الدراسة، و هي اللغة، و يغفلون عن الهدف العلمي من الدراسة و هو الفوائد و العوائد التي تتحقق و تنجز بواسطة هذه الأداة. و بناء على ما سبق فإن اللغة تدرس لذاتها، أي بوصفها ظاهرة من ظواهر الوجود جديرة بأن يخصصها الإنسان بالبحث و التقصي، و الهدف من هذا الجهد العلمي هو الاستفادة من نواتج هذه الظاهرة و عوائدها الهامة على مختلف نواحي الحياة الإنسانية و مراقفها.

المطلب الرابع: تقييم الاتجاه المهني.

<sup>1</sup> - فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، سلسلة آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص 253. و كذلك: محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ص 49.

نلاحظ أن الاتجاه المهني في اللسانيات العربية هو الفكر الذي ظل يناضل من أجل أن يكون للنشاط العلمي الخاص باللغة العربية و قضاياها نمطه و مسلكه المستقل، و هذه أفضل طريقة لتطوير هذا الميدان، و تخلصه من الشرطانية أو الشعوذة الأكاديمية، على حد تعبير مصطفى غلفان<sup>1</sup>. و هو أيضا محاولة لترميم انقطاع السند المعرفي بين اللسانيات العربية المعاصرة و مورديها الكبيرين؛ التراث اللغوي العربي من جهة، و اللسانيات العالمية من جهة أخرى. و بما أن اللسانيات هي علم من العلوم الإنسانية يتصدى لظاهرة عامة الوجود و شديدة الكثافة هي اللغة البشرية، فمن أول المهام المنوطة بالباحثين المشتغلين في هذا الميدان أن يوفروا القواعد و الشروط التي تمنح موضوع بحثهم مناعة ضد الخطاب الذي لا يلتزم الحد الأدنى من شروط البحث و التعبير العلمي عن هذه الظاهرة في كل جوانبها و متعلقاتها.

و من الجهود التي ركز عليها هذا الاتجاه إعادة صياغة الأسئلة اللغوية، و إضافة لمسة العصر عليها متمثلة في الصياغة الصورية، و تقليص هامش المؤثرات الفكرية و الأيديولوجية و النزعات الشخصية، و ذلك انطلاقا من أن دمج أدوات التجريد و الصورنة مع التحليلات العلمية يمنحها قوة برهانية و مدى واسعا في المعاينة، و يجعلها قابلة للاستثمار التطبيقي في العديد من المجالات الحيوية، كما أن الصياغة الصورية للعبارة اللغوية تطلعنا على جوانب و خصائص في الظاهرة اللغوية لم تكن ظاهرة قبل تفعيلها<sup>2</sup>، و قد أشار الأستاذ طه عبد الرحمن إلى أربعة من أبرز هذه الخصائص:

1. البنيتان النحوية و الدلالية للجملة ليس بينهما تمايز في مستوى البنية المحمولية.
2. أقسام الكلمة: الاسم و الفعل و الصفة، لا تتمايز في مستوى البنية المحمولية العميقة.
3. محمولات الصياغة الصورية و الوحدات اللفظية للجملة لا يوجد بينها تقابل ضروري في

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية ما بين البحث العلمي و تحافت التهافت، مجلة دراسات أدبية و لسانية، فاس، المغرب، ع3 (1986م)، ص 57-110.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، المنطق و النحو الصوري، دار الطليعة، بيروت، ط1-1983م، ص44.

مستوى البنية المحمولية.

4. البنية المحمولية العميقة أكثر تجرداً من البنية النحوية التوليدية و أعمق منها<sup>1</sup>.

و يؤكد الاتجاه المهني و رواده على عدم انفصال مشاكل البحث اللساني عن مجموع مشاكل البحث العلمي في العالم العربي، و أول هذه المشاكل هو قضية المتابعة و المواكبة لآخر التطورات و المستجدات النظرية و التطبيقية، و لعل ذلك راجع إلى غياب التسويق المنهجي للمنتوج العلمي، أو المؤسسات السوسيو-اقتصادية التي تروج للعلوم و نتائج البحوث و الدراسات و تطبق قوانين الإدارة و التسويق في خلق التفاعل المثمر بين قطاع البحث العلمي و ما يوازيه في مرافق الحياة الاجتماعية و الاقتصادية الأخرى. يقول عبد القادر الفاسي في هذا الصدد: «أهم ما يثيرنا حين نبتغي الخروج بحصيلة في مجال اللسانيات في الأقطار العربية غياب الشعور بأن هناك زمناً علمياً، أو تراكماً، أو متابعة للحدث العلمي أو تقدماً في ما يمكن أن نسميه بالثقافة اللسانية العربية»<sup>2</sup>. و هذا يتطلب أن لا يتوقع العالم العربي في نظرة محلية أو قطرية ضيقة الأفق، لأن وضع الخطاب العلمي العربي في السياق العالمي يحتاج إلى محاورة على أساس المهنية و الاختصاص<sup>3</sup>.

و يلح هذا الاتجاه على ضرورة تكييف بيئة المعرفة في الثقافة العربية، و على مستوى الدوائر و الأجهزة الإدارية، من أجل توفير شروط اكتمال الدورة المعرفية، و ذلك بتذليل العوائق و الصعوبات أمام البحوث المتعددة و المندمجة التخصصات.

و اللسانيات بسبب وضعها المعرفي الخاص، و ما يحصل داخلها من توسع و تطور داخلي مطرد، معرضة للاهتزاز و الاختلال إذا لم يتكفل جهد الباحث في القواعد و الأبنية اللغوية بما يلزمه من معلومات دقيقة يضيفها إليه زملاؤه في الحاسوبيات و الرياضيات

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، المنطق و النحو الصوري، ص44-45.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، بحث (اللسانيات العربية: نماذج للحصيلة و نماذج للأفاق) ص11. ضمن أبحاث ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية برعاية اليونسكو، الرباط-أفريل 1987م.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص15.



التطبيقية و خبراء التربية و علم النفس و غير ذلك من المجالات، و هذا المسلك هو الذي يمكن أن تترقى به المعرفة العلمية كلها، و ليس اللسانيات العامة أو العربية وحدها، و هو مفتاح من مفاتيح التنمية المستدامة التي يحتاجها العالم العربي في هذه الألفية الثالثة.

و يرفض أصحاب النزعة المهنية النظر إلى اللسانيات بوصفها علما تكمليا أو كماليا، أو موضوعة في عصر العلم و التكنولوجيا، و ذلك لأن العلم بحكم التعريف هو حالة وجودية غير قابلة للتعليق الإقليمي<sup>1</sup>، و لا تطغى هذه العصبية الجهوية التي ترمي إلى احتكار العلم إلا في حالات التخلف و الانتكاس لدى الشعوب. و ذلك يتطلب مراجعة واسعة النطاق لوضعية الفئات المستقبلية للخطاب اللساني، و تحديد مستوياتها المعرفية، و مستوى اضطلاعها بهذه المادة، قبل مباشرة الإرسال و الكتابة<sup>2</sup>.

و أكبر مشكل تواجهه اللسانيات العربية في رأي المهنيين هو قضية الاستمرارية، و ما هي الطرق و السبل التي تمكن الجيل الحالي من نقل الرسالة إلى الجيل القادم مع الأخذ في الحسبان كل المتغيرات الجوهرية التي تطبع المعرفة الإنسانية المعاصرة، و بخاصة السرعة الفائقة في النشر و التوزيع، و التدفق الهائل للبحوث و الدراسات، و الزيادة المستمرة في الاختصاصات و الاكتشافات، و تطور اللغة الواصفة في مجالات غاية في الدقة. هذا كله في مقابل وسط عربي سوسيو-ثقافي يتميز بمشاكله التنموية الخانقة، و بقلّة المتابعة و المناقشة، إضافة إلى المسافة العميقة من التوقع و الانزواء التي افتعلها عدد غير قليل من الباحثين بينهم و بين مرافق الحياة الأخرى، و هذا السلوك كون نظرة غير صحيحة تجاه البحث العلمي، كما ساهم في النكوص و التردّي الذي شهدته القيمة الرمزية للعلم في سوق الرمزيات و النفيعات داخل المجتمعات العربية.

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1-2010م، ص10-12.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 5.

و من القضايا الحساسة التي ناقشها الاتجاه المهني مسألة وظيفة اللغة في المجتمعات العربية التي تعيش الازدواجية و التعدد اللغوي، و قد أشاروا إلى أن لهذا التعدد مزايا يمكن أن يستفاد بها إذا أحسن التدبير و السياسة اللغوية، و هذا التدبير يفرض وضع لغة معينة في المكان العقلاني المناسب لها بمقتضى ميزان التوازنات اللازم إقامتها بين الوظائف الرمزية و الهويات الخاصة بكل لغة حدة.

كما أكد الباحثون الداعون إلى تعميق التخصص العلمي في الفروع اللغوية إلى ضرورة أن تتجاوز البحوث اللسانية العربية العقلية النرجسية التي تحملها على التسليم المجاني بأن البحث اللساني باللغة العربية لا يمكن أن ينصب إلا على اللغة العربية وحدها. و تطوير اللغة العربية الواصفة يستلزم أن تشارك هذه اللغة في تناول اللغات الأخرى و البحث فيها، و على هذا الأساس فإن البحوث حول اللغات العالمية المحررة باللغة العربية هي مكون هام من مكونات اللسانيات العربية.

### المبحث الخامس:

### الاتجاه النقدي.

### المطلب الأول: وجود الفكر النقدي في اللسانيات العربية.

التوجه النقدي بوصفه فكرة أو انشغالا هيمن على العقول و الإدراكات العربية الفاعلة في هذا الميدان كانت له مظاهر و تجليات مختلفة لكنها تشكل في مجموعها الصورة الكلية

لهذا النشاط، و يحتاج كل متابع و ملاحظ للخطاب اللساني العربي المعاصر إلى أن يفهم فيه ميزتين رئيسيتين هما: الأولى الميزة الانتشارية، و الثانية الميزة التركيبية.

و الميزة الانتشارية تفهم بدورها انطلاقا من ثلاثة أبعاد؛ البعد الأول زماني لأنها بدأت مبكرة و مازالت متواصلة في الوقت الراهن بوتيرة متزايدة، و البعد الثاني إقليمي أو جغرافي لأنها لم تكن مقتصرة على المشرق دون المغرب كما هو الحال في اتجاهات و نزعات أخرى، و أما البعد الثالث فهو مناهجي أو مدرساني لأن كل النزعات المدرسانية في الفكر اللساني العربي المعاصر منخرطة بصورة مباشرة في تعميق هذه النزعة، و قد يظهر الخطاب الفردي أو الإقليمي مضادا و حادا إلا أن العامل المشترك بين جميع هذه المتناقضات هو محاولتها الدائمة لنفض الغبار و كشف العيوب و نقد الماضي و الحاضر، لدرجة أن بعض المحللين و النقاد أطلقوا تعبيرات نمطية شاعت و ذاعت حتى صارت في وقت من الأوقات أيقونات أدبية و إعلامية، و ذلك مثل عبارة "العرب ظاهرة نقدية"، أو "العرب ظاهرة كلامية" و هذا النعت يستلزم المعنى و ضده.

أما الميزة التركيبية فإنها تعكس المنظور الثاني الذي ينبغي أن نعاين من خلاله هذه النزعة التي تتجزأ و تنحل في التفاصيل الفردية و المؤسسية إلى ما لا يسع المجال لحصره من الأفكار و الأطروحات؛ ذلك أن كل مختص، بل كل مثقف له رأي يقوله في نقد الأشخاص أو النظريات أو الأحداث و الظواهر التاريخية، إلا أن ميزة النزوع إلى النقد هي الجامع الحقيقي الذي يخفيه هذا التناقض و التعقيد الظاهر، و معنى ذلك أننا لو ركبنا الصور المكونة للمشهد بالترتيب الصحيح فإننا أمام فرصة مواتية لفهم ما يجمع بين هذه المتفرقات، و هو الدافع إليها و يفيدنا ذلك فائدة واضحة في تبين ما حققناه و ما ينبغي المضي قدما في تحقيقه.

و تظهر أهمية النزعة النقدية في القراءات الشاملة ذات الإطار الوصفي كمحاولة مصطفى غلفان (اللسانيات العربية الحديثة: المصادر و الأسس النظرية و المنهجية)<sup>1</sup> التي حاول من خلالها أن يسائل الخطاب اللساني المنتج للتعرف على القيمة الحقيقية التي أضافتها اللسانيات للغة العربية و حقيقة وجود لسانيات عربية من عدمها. كما تطرق إلى مسألة هامة أخرى و هي النتائج النظرية و المنهجية المترتبة على تطبيق النماذج اللسانية الغربية بمخاطبها على اللغة العربية. و دراسته الأخرى بعنوان (اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين)<sup>2</sup>. كما تظهر أيضا في القراءات الإبستمولوجية، و ذلك مثل محاولة الباحث حافيظ إسماعيلي علوي (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)<sup>3</sup>. و قد طرح فيها الإشكاليات المتعلقة بأنماط استقبال اللسانيات باعتبارها رافدا و مكونا ثقافيا، و رغم أنه صنف بحثه في دائرة الاستقصاء الإبستمولوجي، فالظاهر أنه أقرب ما يكون للمنهج السوسiolساني.

و ما يمكن قوله أن إبراز الأسس و المميزات المشتركة لهذا الاتجاه الواسع لا يقتصر على التنويه بالأهمية القصوى لهذا النشاط العلمي فحسب، بل يتخطاه إلى وضع برنامج أو تصور لخطة ينظر من خلالها كل المهتمين بهذا الميدان إلى ما أحرزوه من إنجازات فعلية لا غبار عليها و يكون لديهم الفرصة الكاملة لتوحيد الجهود نحو إنجازات جديدة أكثر بروزا و أكبر جلاء.

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: المصادر و الأسس النظرية و المنهجية، كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1998م.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، شركة المدارس للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1-2006م.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته؛ دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان، ط1-2009م.

و هناك عوامل و مؤثرات مهمة ساعدت على ظهور هذا الاتجاه و ازدهاره، و هي في الوقت نفسه مؤشرات و دلائل على أهميته و ضرورة البحث فيه و النزوع إليه، و هي بمعنى آخر المبررات و الدواعي التي اقتنع بها اللسانيون و النقاد و انشغلوا بها و اشتغلوا عليها.

### المطلب الثاني: مفهوم النقد اللساني.

يعد النقد في ميدان الأدب و الفنون من المظاهر الفكرية و الثقافية التي لها تاريخ ضارب في القدم، قد يرجع بها بعض المؤرخين إلى الفترة اليونانية، و ربما ذهب البعض الآخر إلى ما هو أبعد من ذلك. و للعرب في أدبهم، و في شعرهم بالذات، تقاليد نقدية واضحة المعالم<sup>1</sup>. وجاءت اللسانيات الحديثة ثورة في العلوم اللغوية و وصلت تأثيراتها إلى معظم العلوم الإنسانية، و كان ميدان النقد الذي عانى بدوره من فترة ركود و ترحل في الرؤية و الإجراءات قد أعيد إحياءه، أو كتب له مع اللسانيات ميلاد جديد، و هذا كلام قريب إلى المصادقية نظرا لما نشهده من تغيرات و تحولات عميقة في الاتجاه النقدي وصلت في الفترة الراهنة إلى نشوء ما يسمى بالفريعات الاختصاصية (sub Fields) داخل كل ميدان تهتم بشكل حصري بالمتابعة و التقويم النقدي لهذه الميادين، و لا يقتصر هذا التحول الهام على ميدان الدراسة اللغوية أو الأدبية البحتة، بل تخطى ذلك إلى معظم الميادين التي اتصلت باللسانيات الحديثة و كتب لها معها تعاون و تنسيق مثمر؛ فعلى سبيل المثال ظهر اختصاص اللسانيات التطبيقية النقدية، و اختصاص البيداغوجيا النقدية. و كل هذا منح الملاحظ إمكانية ليستنتج وجود اتجاه نقدي عالمي يفرض رؤيته و إجراءاته على كل التجليات و التظاهرات التي تفرزها المعرفة الإنسانية المعاصرة، و قد أشار كل من جاكبسون و نعوم تشومسكي إلى أن تحول هذه النزعة الناقدة إلى قوة علمية برهانية يمثل خطوة كبيرة في طريق الوحدة العلمية المعرفية، و لا شك في أن هذه التوقعات لم تكن عبثا إذا أخذنا في الحسبان الحالة الالتحامية التي لم يسبق لها نظير بين النقد الأدبي

<sup>1</sup> - أنظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط7-1988م، (الفصل الرابع: الوضع و النحل) ص377-428.

و التحليل اللغوي الشكلي و الإبداع الأدبي و قطاع الدراما في الإعلام، و هي معادلة لم يكن أحد يتوقع أن تنسجم فضلا عن أن تحقق هذا الطوفان الهائل من الإنتاج المتنوع الذي نشهده حاليا.

و إذا تطرقنا إلى هذا الاتجاه من وجهة نظر الباحث المندمج فيه فينبغي أن نلاحظ بأن النقاد رغم رفضهم الاحتواء التصنيفي تحت مظلة البحث اللساني، و هذه ميزة الناقد على كل حال، فإنهم كانوا أقل الناس تحوطا من اللسانيات في العالم كله، و يمكن القول إن هؤلاء النقاد كانوا واحدا من أهم الأسباب المباشرة لدخول اللسانيات الى الثقافة العربية، و ليس ذلك غريبا فأغلبهم كانوا من رموز الفكر و الثقافة و الإعلام بالإضافة إلى فريق من اللغويين الذين كان لهم الثقافي العام و المشروع اللغوي في علاقته الوثيقة بالهوية و تطوير الذات و المجتمع شغلهم الشاغل، و لا يعني الكلام السابق أنهم أقدموا على اختيار صحيح عندما أسرعوا إلى تقبل اللسانيات و نقل ثقلها الأيديولوجي إلى العالم العربي الذي كان يعيش صعوبات و تعقيدات جد خطيرة على أكثر من صعيد.

أما النشاط النقدي الصريح و المباشر من علماء اللسان العرب المختصين فإنه أكبر ما يثير الدهشة و يدعو إلى مزيد من التأمل و التساؤل، و ذلك بالنظر إلى التمرير السلس الذي تعاملت به هذه العقول المهنية مع وافد منهجي و معرفي جديد أقل ما يطلب في حالة كهذه إظهار قدر من الاحتياط و التشكك و النقد العلمي البناء قبل قبول شيء أو رفضه، و حقيقة أن هؤلاء الرواد لم يرفضوا شيئا و لم يعلقوا على أي مبدأ أو مقياس، فيما عدا استثناءات قليلة جدا، هو في ذاته موقف غير مفهوم من ناحية الروح العلمية، و هذا لا يمكن أن يرد إلى ضعف المؤهلات أو نقص الأدوات و الإجراءات، بدليل أن هؤلاء الذين تصدوا لنقل هذا الموروث العلمي الغربي في بواكيره يجمع بينهم في النزعة الفكرية العامة موقف متحفظ من التراث اللغوي العربي، على اختلاف ذي أهمية فيما بينهم حول حدة هذا الموقف و حدوده و طريقة التعبير عنه علميا، و لكل منهم آراء و توجيهات

متفاوتة العمق في نقد هذا التراث تعكس الملكة الارتياحية التي يتميز بها العلماء إزاء التصدي لمجهول جديد.

### المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات النقدية.

#### أولاً: نقد التراث اللغوي العربي.

النقد كما هو معلوم هو تفاعل مع الموضوع يشتمل نطاقه التواصل على نشاطين مركبين؛ الاستقبال و هو المعبر عنه نقدياً بالتلقي أو تداولياً بالقراءة، ثم الإرسال و هو الإجراء النقدي في حد ذاته؛ الكتابة أو الخطاب. و كل قراءة تنتج خطاباً نقدياً مميزاً. فالقراءة البحتة أنتجت النظرية المكملة أو الثانية المعدلة و المتممة للنظرية الأولى المختزنة في التراث، و هذا الناتج الإجرائي لم يكن له وجود قبل حالة الاستقبال و الإرسال النقدية، و مع ذلك يجب أن نتساءل في إطار ما نحن بصدده من تحليل للمقاييس الأكثر ثباتاً و عمومية في تحريك التفكير اللساني و ضبطه إذا ما كانت النتائج المحصلة من هذا الإجراء هي نتائج قابلة للتعميم أم إنها حالة فردية معزولة عن السياق العام.

#### 1. القراءة التماثلية: أو القراءة البحتة.

يدخل في هذا المستوى ما يسميه بعض الباحثين قراءة التراث بالتراث، أو ما عبرنا عنه بالقراءة التماثلية أو البحتة، و المقصود بالقراءة التماثلية كل قراءة للتراث اللغوي تتوخى التطابق مع مضمون المقروء لفظاً و معنى، أو بتعبير آخر هي القراءة التي تقف عند حدود المعاني الحقيقية التي يريد بها المؤلف، و لا تقوله ما لم يقل. و يمكن من منظور آخر أن نصفها بالقراءة البحتة، و هي القراءة التي لا تعدو فعل القراءة، و لا تقحم في هذا النشاط التفاعلي مع النصوص أدوات أو إجراءات تتجاوز هذه الغاية.

و هناك وجهات نظر و أفكار مختلفة حول الطريقة المنهجية التي ينبغي أن تتبلور فيها هذه القراءة مع خلوها من عيوب الإسقاط المبكر لأفكار لاحقة على أخرى سابقة، و ذلك يفقدها شرط التماثل الذي تصبو إليه، و معنى ذلك أن يقرأ الباحث المدونة التراثية و

على عينية طبقات كثيفة من معلوماته الخاصة، فيقحمها في الفهم المستنتج، و أول هذه الأفكار تفادي قراءة التراث بمخزون معرفي يرجع إلى إطار حضاري سابق عليه كالإطار اليوناني-اللاتيني، أو لاحق بعده كالإطار الذي أنتجه النحاة و البلاغيون المتأخرون، أو إطار اللسانيات الحديثة.

و يعتقد عبد الرحمن الحاج صالح أن هذا المشكل عام بالنسبة لكل الباحثين في الدنيا، و يطرح المسألة في إطارها النفسي على النحو الآتي: «يوجد في باطن كل باحث مثقف بثقافة غربية (سواء كان من أصل أوروبي أم لا) رجل متشبع بأقوال الفلاسفة اليونانيين، و رجل مال إلى أوهام الايجابية بصراحة أو بدون ما شعور منه. و يوجد في باطن كل باحث تثقف بثقافة عربية رجل يقول بما قاله المتأخرون الذين تأثروا بفلسفة أرسطو و رجل آخر متشبع بأقوال ابن مالك و التفتازاني- إلا ما قل و ندر»<sup>1</sup>.

و هذا يشبه ازدواجية أو نوعا من الفصام في شخصية الباحث في مستوى مصادر معلوماته أو المرتكز المعرفي الذي يبنى عليه نظرتة و فهمه للأشياء، و قد ظهر في التحليل الأنف ثلاث موارد للمعرفة الباطنية و هي: الفكر اليوناني و الفكر الايجابي المعروف ايضا بالفلسفة الوضعية عند كانط و مدرسته، و الفكر النحوي العربي في صورته المتأخرة، و هذا يعني أن القاسم المشترك بين النموذجين في الباطن هو الفكر اليوناني، و قريب من هذا المعنى كلام آخر لنفس الباحث جاء فيه: «الاتصال الذي حصل بين اللغويين العرب و الثقافات الأجنبية المعاصرة من جهة، و انعزال البعض الآخر عن جل التيارات العلمية الحديثة من جهة اخرى قد جعل البحث اللغوي يختلف اشد الاختلاف (لا في مناهجه فقط بل حتى في جوهره و غايته). و لكن الذي ربما لم ينتبه اليه الكثير من المثقفين هو أن هذين الطرفين قد يتفقان على كل حال في شيء واحد و هو النظرة الى ما تركه لغويونا الاولون بعيون غير عيونهم و بمقاييس غير مقاييسهم. و ذلك يرجع الى تشبعهم إما بالمفاهيم الحضارية اليونانية اللاتينية، و اما بالمفاهيم الغثة التي ظهرت في العصور الحالكة

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص131.



المتأخرة»<sup>1</sup> ، و هذا يعني أن الخلفية المعرفية التي تقود الباحث تملي عليه مسارا معيناً خلال المعالجة التحليلية للمتن المقروء، كما تقيده بمجموعة محددة من المقاييس تجعل ترتيب الاستدلال عنده يوصل إلى نتائج غير تلك التي قصدها أصحابها.

و السبب في هذا التغير الإلزامي يرجع إلى أن القياس اليوناني مختلف في جوهره عن القياس العربي، و القياس الأرسطي بوصفه أرقى صور القياس اليوناني، و يعرف أيضاً بالسيولوجيسموس ينطلق دائماً من افتراض حيز متدرج أو طبقات يدخل فيها الأصغر فيما هو أكبر منه، و هو نشاط ذهني يقوم على البحث في العناصر المتداخلة، و نتيجته فك هذا التداخل و تصويبه إما بالمقولات المنطقية على مذهب أرسطو الذي نقله تلميذه فورفوريوس، و إما بالرسم و هي طريقة فيثاغورس عالم الرياضيات المشهور<sup>2</sup>.

أما القياس العربي في المدونات التي لم تتأثر بمنطق أرسطو فهو، في الغالب، عبارة عن عملية عملية قائمة على النشاط الذهني الذي يسميه العلماء العرب الاستنباط، و هو تجريد يقوم على انتزاع العناصر الجوهرية التي تجمع بين عنصر أو أكثر من العينة الملاحظة، و ينتج عنه كيان اعتباري أو مثال لم يكن له وجود قبل هذا النشاط، و هذا وجه التباين الكبير بين نموذجي القياس، ذلك أن الأول يعيد تنظيم العناصر الموجودة لإثبات ماهر موجود أصلاً و لكن بطريقة أكثر إقناعاً، و لهذا التحم تاريخياً مع نظرية الحجاج و نظريات الخطاب إلى يومنا هذا، و كل قضايا بحثه تنحصر في الممكن و لا يبحث المحال أو الغائب البتة، و لذلك يفر من الموضوعات غير الحسية بافتراض أنها تدخل في مجال الميتافيزيقا و ليس للاورغانون سلطان عليها، و هذا يجعله مشار إعجاب فريق كبير من العلماء التجريبيين المعاصرين.

أما الثاني و هو قياس العلماء العرب في كل العلوم و بخاصة ما يعرف بعلوم الوحي، فإنه يجمع ما لا يمكن جمعه بالحسبة التدرجية البسيطة بجامع مشترك موجود في مجموعها و

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص123.

<sup>2</sup> . المقصود هنا الرسم الرياضي، و هي الأربعة المتناسبة، أنظر: منطق أرسطو، تح: البدوي، ص63.

لا يوجد في الواحد من أفرادها، و لا يهيمه جنس الأفراد المعاينة، و لذلك يمكن أن يبحث الممكن و غير الممكن، أو بمعنى اصح، يمكن و يثبت ما لم يكن ممكنا، فهو نشاط قائم على فكرة التخطي و التجاوز، أو ما يسمى في العلوم النظرية **المستوى الافتراضي التخيلي**.

و قد نجد خيوط هذا الفكر الذي يشدد على نقاوة القراءة التراثية من المؤثرات اليونانية في نظرات اسبق من هذه، فالأستاذ أبو الحسن الندوي مثلا يتكلم عن ما يسميه الروح المميزة التي تسري في كتب التراث و الأخرى المخالفة التي تسري في كتب اليونان<sup>1</sup> و من الأفكار المعدودة في هذا الاتجاه ما يسمى بقراءة التراث بالتراث، أو القراءة بالقراءة، و معنى ذلك أن يؤخر الباحث المعاصر فهمه و تأويله الشخصي و يقدم عليه فهما هو أقرب و أحرى بالدقة و المصادقية منه، و ذلك باعتماد شرح عالم معاصر أو قريب في الزمان و في الاتجاه الفكري من صاحب المدونة الأصلية، و هكذا يعصم الباحث نفسه من التسرع أو طغيان معرفته السابقة على عينه القارئة، كما انه يفيد في تخطي كثير من حواجز اللغة العلمية و خاصة في المصطلحات و المفاهيم.

و على كل فان هذا الشرح أو القراءة الوسيطة تحتاج بدورها إلى قراءة، و إذا كان الشرح يزيد على الأصل كما و كيفا فلا يعد هذا الاقتراح مجديا بطبيعة الحال، و لهذا وجدنا بعض من خبر هذا الدرب يشدد على أن القراءة الأولى و الأساسية هي من المدونة الأصلية، أو على حد تعبير عبد الرحمن الحاج صالح لا يفهم كتاب سيويه إلا بكتاب سيويه<sup>2</sup>، و هذه أشبه بالقاعدة يقاس عليها جل نظائرها في التراث اللغوي.

إلا أن هذا الرأي يفترض تصورا معينا للعينة المقروءة قائما في ذهن الباحث، و هما كتاب سيويه غير المفهوم و الآخر المفهوم، أو بمعنى آخر، إن هذا الرأي يطرح **ثنائية في**

<sup>1</sup> - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، التربية الإسلامية الحرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2-1397هـ / 1977م، ص11.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 18.

استقبال كل مقروء تراثي حدها الأول غامض لا يتضح من أول وهلة و حدها الثاني واضح، ثم إن الباحث يحمل الثاني الواضح على الأول الغامض ليعمم الوضوح على كل المقروء، و هناك سند تاريخي يفيد هذا المعنى و هو كلام الجرمي عن كتاب سيبويه بانه يعلم التفتيش و النظر<sup>1</sup>.

## 2. القراءة الإسقاطية:

يشمل هذا النمط قراءة التراث من خلال نظرية حديثة، أو قراءة أي نظرية معتبرة من خلال نظرية أخرى سابقة عليها أو لاحقة. و يتم هذا الإجراء من خلال وسيط؛ إما وسيط النوع أو الدرجة أو الاتجاه<sup>2</sup>.

فمن حيث النوع هناك نوعان من الإسقاط؛ الأول هو إسقاط الوجود، و هو أن ينسب إلى نظرية معينة مبادئ و أسس و مفاهيم منعدمة فيها لكنها موجودة في نظرية أخرى، و من نماذج ذلك أن يقول الباحث إن مفهوم التحويلات كما يفهمه التوليديون موجود بنفس المميزات الصورية و التقنية في النحو العربي، و كذلك ما تردد في كثير من الدراسات بأن نظرية النظم عند الجرجاني هي نفس الإطار الذي يسميه اللسانيون البنية الصرفية-النحوية، أو ما قيل أيضا من أن مفهوم البؤرة مقابل لما يسميه النحاة و البلاغيون الاهتمام و العناية. هذا كله يدخل في إسقاط الوجود، و معناه عقد وحدة بين إطارين مختلفين شكلا و مضمونا لتشابه في المدلول العام الظاهر، و هذا سلوك لا يخدم التراث و لا الدرس الحديث، لأنه يبيع المفاهيم و يقلص المدى التحقيقي للبحث بجعله فضفاضا و سطحيا.

و الحق أنه من الممكن التطرق إلى التقارب و التداخل بين المفاهيم في المنتج التراثي مع نظيره المعاصر، و من المتوقع أن توجد جوانب كثيرة مشتركة، بالنظر إلى أن الموضوع

<sup>1</sup> - كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مقدمة التحقيق، ص 24.

<sup>2</sup> . أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ضمن بحوث آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-2011م، ص 37-39.

مشترك وكذلك عينة الملاحظة، في بعض الأحيان. إلا أن القول بوجود نفس النظرية المتكاملة في الموردين، مع ما بينهما من تفاوت في النظرة و اختلاف واضح في الأسس و المراجع، لا يسلم به إلا بعد تحقيق واسع لا يترك فيه الباحث شاردة و لا واردة. و هذا الأمر ليس مستحيلا، غير أن الأفكار المطروحة، و بخاصة ما ذكر منها آنفا، و ما هو في نفس مجالها، لا يدخل في هذا الاعتبار الأخير.

و هناك مسألة أخرى لها وجاهتها، و هي أن كثيرا من الباحثين العرب ينكرون وجود نظريات لغوية متكاملة في التراث العربي، و قصدهم من ذلك النظرية بوصفها إطارا منهجيا حديث النشأة، يتكون من عناصر شكلية و أخرى تقنية بالإضافة إلى التصور العلمي الذي تقترحه. و لا شك في أن هذا الاقتراح يشتمل على جانب لا يمكن رده، و هو عدم تصريح اللغويين العرب الأوائل بمسمى النظرية في بحوثهم، و عدم التفاتهم إلى التقسيمات التقنية المعهودة في المناهج الحديثة. غير أن ذلك ليس حكرا عليهم، بل كل من عاصرهم، حتى من الغربيين، كانت لهم نفس النزعة، و القول في ذلك أن بكل عصر لغته و مصطلحاته، و النمط التعبيري المشترك الذي يتفاهم به أهله.

**الإسقاط الثاني الداخل في وسيط النوع هو إسقاط التقييم، و هو استنتاج أو حكم بالسلب أو بالإيجاب يطال نظرية تراثية انطلاقا من مقارنتها بنظرية حديثة. و من نماذج ذلك الأحكام القاضية على نظرية العامل و نظرية العلة لكون النظريات البنوية ترفضها و تخرجها من حيز العلم، و الخلوص من ذلك إلى استنتاج عام يطرد على التراث النحوي العربي يرميه بالمعيارية (بوصفها ظاهرة سلبية) و يجزم بفشل القياس النحوي لأنه لا يمنع تعارض نتائجه<sup>1</sup>، ثم أحكام أخرى ترفع من شأنها و تعيد اعتبارها انطلاقا من فوائدها العملية و قوتها الإجرائية في تفسير حركية العناصر اللغوية<sup>2</sup>.**

1 - تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص 50.

2 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص308-309.

و كلا الطرحين السابقين يشتركان في أن مرتكز تقييمهما للتراث معتمد على مرجع في اللسانيات الحديثة، و هما متساويان في القوة البرهانية، من هذا الجانب. و قد غلب على الطرح الأول فكرة أن مشكل اللغة العربية، و البحث العلمي المتصل بها، كامن في المنهج، و بما أن مناهج الدرس موروثه لم تتغير، فالخلل موصول إلى أول من فتح هذا الطريق و هم النحاة العرب الأوائل. و منهجهم كان انطباعيا، يأخذون فيه بالذوق؛ استحسانا و استهجانا، و ينون القاعدة على الكثرة أو الغلبة، و يهملون ما شذ عنها، و لا يدخلونه في التعقيد مع أنه مكون من مكونات السماع، و هذا كله تحكم، و لا ينبغي أن يكون.

و غلب على الطرح الثاني فكرة أن ما أتى به النحاة المبكرون مختلف في جوهره المعرفي و المنهجي عن ما أتى به المتأخرون، و دليل ذلك واضح في العمق و التأصيل الذي تتفاوت فيه مصنفات هؤلاء و أولئك، كما أنه واضح في لغة التعبير، و المفاهيم الإجرائية المولدة، و سبب التباس نشاطهم أن المتأخرين حافظوا على مصطلحات المتقدمين، أو ورثوها عنهم فلم يغيروا ألفاظها، إلا أن تطبيقاتها تحرفت بصورة أفقدتها مميزاتها الابتكارية، و نجاعتها الفائقة في التفسير و التحكم. و يضيف الحاج صالح سببا وجيها لتفشي هذا الخلط بين المستويين المذكورين من الإنتاج اللغوي في الحضارة العربية على النحو الآتي: «طراً على الثقافة العربية في القرن الثالث الهجري طارئ خطير كان مؤذنا باتجاه جديد لمختلف الدراسات الإسلامية المنبثقة من القرآن. ذلكم الحادث الذي لا تزال عواقبه واضحة الأثر شديدة الوطأة على جل ما ابتدعه علماءنا و أدباؤنا منذ ذلك العصر. حادث اتصال نزعتين في العلم و البيان، بل حادث اصطدام عالمين في ميدان الثقافة و الآداب: العالم العربي و العالم اليوناني، و قد أثبت المؤرخون أن ذلك الاتصال قد وقع في زمان مبكر»<sup>1</sup>. و مما يدل على هذا التغلغل المبكر للفكر اليوناني في قلب الثقافة العربية، أن طوائف من النخب العلمية و الفكرية كانت قد تبنته و دافعت عنه بكل صراحة، بل إن الجدل بين مؤيدي هذا المدد المعرفي الجديد و معارضيه صارت تضرب له

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص42.

المواعيد الرسمية، و من شواهد ذلك المناظرة القوية بين أبي سعيد السيرافي ممثلاً للمدرسة العربية الخليلية التي ترفض تعميم منطق أرسطو، و أبي بشر متى بن يونس، كبير التراجمة السريان في زمانه، و كان متعصبا لمنطق أرسطو، و قد قال السيرافي في ردوده كلاما يدل صراحة على أن النحاة العرب الأوائل كانوا يميزون بين اللغة و العقل، و بالتالي بين النحو بوصفه قانون الكلام، و المنطق بوصفه قانونا يضبط النشاط الذهني، أو يضبط القانون في حد ذاته، و بينهما تداخل، لكنهما إطاران مختلفان لا يصلح أن يمزج بينهما أو يقال بوحدهما، قال السيرافي: «مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل، و المعاني معقولة، و لها اتصال شديد، و بساطة تامة، و ليس في قوة اللفظ من أي لغة كان أن يملك ذلك المبسوط و يحيط به و ينصب عليه سورا و لا يدع شيئا من داخله أن يخرج و شيئا من خارجه أن يدخل خوفا من الاختلاط الجالب للفساد»<sup>1</sup>. فهذا كلام جد مختلف عن كلام من جاء بعده من النحاة و اللغويين، الذين أصبح المنطق الأرسطي و تقسيماته عادة أو (موضة) يتداولونها، و قد تعد ميزة للبحث العلمي في العصور المتأخرة، أي بعد القرن الرابع الهجري.

و علاقة اللسانيات الحديثة بالطرح الثاني أن إعادة اكتشاف نظرية النحاة الأوائل، و عملية تخلص مفاهيمها من هذا اللبس و الخلل الذي دخل عليها من تسرب المفاهيم اليونانية، استعملت في بلوغها مناهج و أدوات تقنية تم تطويرها في البحث اللساني الحديث، و ذلك مثل الطرق التصفحية الإحصائية، و طرق المقايسة الدلالية المستعملة في اكتشاف المعنى الأصلي داخل مدونة من المدونات، و هي تركز على مفهوم استغراق القرائن أو التوزيع، الذي طوره أتباع مدرسة بلومفيلد الأمريكية. و تنطلق هذه الطريقة من كون الذوق اللغوي، و المعاني المستخرجة من المعاجم غير كافية وحدها في تحليل النصوص العلمية، و خاصة تلك التي مر عليها قرون من الزمان. و يقترح الأستاذ الحاج صالح طريقة استكشافية برهانية مبنية على مفهوم التوزيع أو الاستغراق

<sup>1</sup> - ذكر المناظرة بطولها: أبو حيان التوحيدي في الإمتاع و الموانسة، ط القاهرة، 1939، ج1، ص121-126.

(Distribution) وفق المفهوم اللساني الحديث<sup>1</sup>، و قد عرف العلماء العرب هذا النوع من التحليل فيما يسمونه **قسمة المواقع**. و الهدف المعقود على الطريقة القياسية الدلالية هو الوصول إلى **المعنى الموضوعي** غير الذاتي أي: مراد المتكلم عند استعماله مفردة معينة<sup>2</sup>.

أما باعتبار **وسيط الدرجات**، فهناك إسقاط يقف عند حدود المصطلحات بحيث يشرح نظرية تراثية اعتماداً على مفاهيم و مصطلحات مستمدة من نظريات حديثة. و منه ما يتجاوز ذلك إلى شرح المفاهيم الإجرائية أو النظرية العامة في صورتها بنظرية أخرى يرى الباحث أنها مقابلة لها أو نظيرة. و قد ذهب أحمد المتوكل إلى أن الإسقاط فيما بين نظريتين متزامنتين أقل ضرراً من الإسقاط بين نظريتين متباعدتين زمانياً<sup>3</sup>، و له الحق في هذا الرأي، إلا أن المنزلق الإسقاطي من حيث هو مشكلة في المنهج و كذلك في تفكير الباحث لا ينفع فيه المفاضلة الزمانية، لان العلم واحد في جوهره. و قد يقود هذا النشاط المتسرع إلى تسرب أخطاء و تبني أحكام حول النظريات و الأشخاص ليس من اليسير إخمادها أو التفطن إلى المصدر الذي انطلقت منه.

و أما باعتبار **الوسيط الثالث و هو وسيط الاتجاه**، فيكون الإسقاط شبيهاً بإسقاط النوع إما إسقاط و جود أو تقييم في مستوى النزعة أو الاتجاه المنهجي الذي ينزع إليه الباحث، و ذلك كأن يقابل الإطار المفاهيمي لنظرية من نظريات النحو بأخرى حديثة و يحكم عليها بالضعف لنقص في التبويب و عدم الدقة في تحديد المصطلحات أو لغياب أدوات التجريد و الصورنة الرياضية.

<sup>1</sup> . الاستغراق ( Distribution ) عند المدرسة القرائية ( المشهورة بالتوزيعية): «هو استغراق القرائن التي يمكن أن تكتنف بها الوحدة أي: جميع مواقعها الممكنة في الكلام أو كما يقول عيسى بن علي الرماني «قسمة مواقعها» الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج12/2.

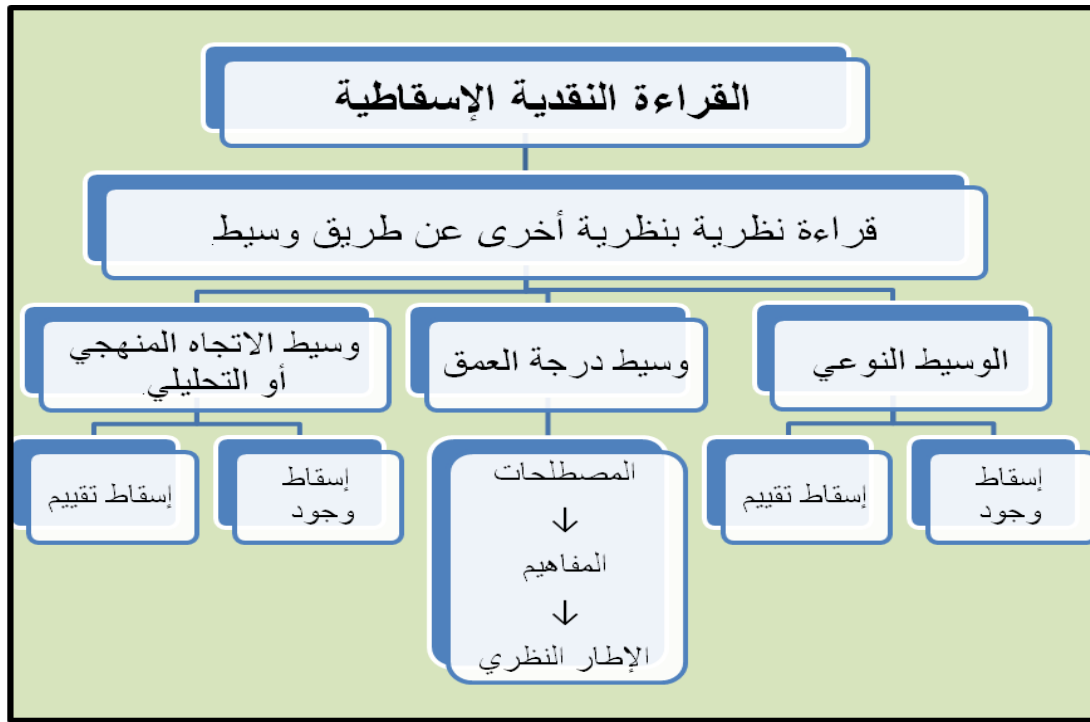
<sup>2</sup> . الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة، موفم للنشر 2006م، ص: 16-18.

<sup>3</sup> - أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ص38.

و يدخل في هذا المجال إسقاطات الوصفين على النحو العربي، و نسبة المعيارية التحكيمية إليه، و قد قال تمام حسان في هذا الصدد: «نظرت في كتب اللغة العربية، ففطنت إلى أن أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف أولاً و أخيراً. إن هذه المعيارية تتضح في طريقة تناول، كما تتضح في طريقة التعبير»<sup>1</sup>. و إن منهجا لا تسلم طريقة تناوله للموضوعات و لا طريقة تعبيره العلمي عن نتائجه تحقيق بأن لا يلتفت إليه. و هذا تبسيط شديد لهذه المسألة، لأنه لا يميز بين المعيار الذي هو ظاهرة عامة الوجود في كل لغات الدنيا، فليس من لغة يتداولها البشر في مشرق أو مغرب إلا و لهم فيها معايير و مقاييس يكتشفون بها الحسن و الأحسن و غير الحسن، و غير ذلك من الرتب في الكلام. ثم نجد المعيار بوصفه أداة منهجية يستمدّها الباحث اللغوي من هذا الإجماع السابق، و هي على ذلك خالية من التحكم، لأنها صيغة مجمع عليها، و ليست موقفاً ينفرد به الباحث أو يأتي به من عند نفسه، و هذا نراه واضحاً في منهج النحاة العرب الأوائل، فكثيراً ما يقولون: استحسنا ما استحسنته العرب، أو هذا كثير عند العرب الموثوقين، فغالب حكمهم مسند إلى حكم الجماعة اللغوية، و من النقص الفادح أن يهدر الباحث هذا المعيار. أما إذا ثبت بقرائن معتبرة أن ما يكثره لغوي معين أو يعطيه صفة الحسن أو ينحل عليه صفة القبح، و كل ذلك من عنده، أو بينه على ذوقه و حدسه، فهذا معيار عالي التحكم لا ينبغي أن يعول عليه.

<sup>1</sup> - تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص15.





شكل 10: تصور القراءة الإسقاطية داخل الاتجاه النقدي.

### 3. القراءة الوظيفية:

المنحى الوظيفي في البحث اللساني العربي اتخذ مسلكين متلازمين يكمل الواحد منهما الآخر؛ المسلك الأول سعى فيه الباحثون إلى دراسة ظواهر اللغة العربية من منظور وظيفي، والمسلك الثاني هو إعادة قراءة التراث اللغوي العربي، وأغلب رواد هذا الاتجاه يفهمون التراث اللغوي فهما موسعا، فهم يدرجون فيه بالإضافة إلى النحو والبلاغة والمعجم كلا من التفسير وأصول الفقه وعلم الكلام. وقد حدد أحمد المتوكل المنهجية المقترحة لقراءة التراث على النحو الآتي: «المفاهيم المعتمدة في "علوم اللغة العربية" تنزع إلى التوحد وإن تعددت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظري يخلف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حد سواء»<sup>1</sup>. وتطمح هذه القراءة إلى تجاوز نوعين من المواقف حول التراث، الموقف الأول هو "القطيعة" والموقف الثاني هو "الإسقاط"؛ وتعني القطيعة أن اللسانيات الحديثة علم جديد لا تربطه أية صلة بالدراسات اللغوية

<sup>1</sup> - أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ص 35.

القديمة. أما الإسقاط فهو قراءة نظرية ما من خلال نظرية أخرى. و يميل الوظيفيون إلى رفض منطلق القطيعة، و يؤمنون بمنطلق الامتداد أو التطور الذي يثبت أن اللسانيات الحديثة هي حقبة أو مرحلة من مراحل تطور فكر لغوي واحد في جوهره يرجع إلى شغف الإنسان و تعجبه من ظاهرة اللغة، أو ما يسميه بعضهم بالفتنة و الجاذبية القوية لهذه الظاهرة<sup>1</sup>. و على هذا الأساس فإن القراءة الوظيفية للتراث هي قراءة تتقبل التراث و ما حفل به من منجزات و جهود، غير أنها تطمح إلى تجاوز تفرقه و تشعب مناهجه لتطور رؤية أو إطارا نظريا موحدًا يحتكم إليه في كل القراءات اللغوية. و يلخص المتوكل المراحل الملائمة لإنجاز هذه القراءة بناء على تجربته الخاصة في ثلاث مراحل على النحو الآتي:

**أولاً:** استخلاص المبادئ و الأسس العامة التي اعتمدها المفكرون و اللغويون العرب في النظر إلى الدلالات أو كيفية تعاملهم مع مشكلة المعنى، و يتم ذلك بالبحث في كل مصنفات علوم اللغة العربية حسب المنظور الوظيفي الموسع الذي يعد التفسير و اصول الفقه و علم الكلام من جملة هذه العلوم. و مجموع هذه الجهود يتوج بالتعرف على النظرية الدلالية العربية، أو أسس تكوينها.

**ثانياً:** تحديد أسس و معالم منهجية واضحة للمقارنة بين النظرية الدلالية العربية و ما استجد في مجال الدرس الوظيفي الحديث من نظريات معتبرة، و ذلك مثل "نظرية الأفعال اللغوية" و "نموذج الفرضية الإنجازية".

**ثالثاً:** فتح المجال للمساءلة المعرفية أو " الحوار المعرفي " بين النظرية الدلالية العربية التي تم استخلاصها مع نظيرها من النظريات الوظيفية التي قورنت بها في المرحلة الثانية. و فائدة هذه المساءلة المعرفية رفع الحصانة النقدية عن كلا النمطين و النظر في فرص و مجالات استثمار أحدهما في الآخر.

#### 4. القراءة النمذجية:

<sup>1</sup> - هنري روبنز، مختصر تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 15.

المقصود بها جعل نموذج جزئي من التراث طريقا إلى التعميم على الحالة التراثية الكلية؛ و يدخل في هذا النوع محاولة عبد السلام المسدي تطوير المساهمة العلمية لعبد الرحمن ابن خلدون لتكون نموذجا اعتباريا لما ينبغي أن تشتمل عليه القراءة الشاملة و الصحيحة، و في طريقه إلى هذا المتبغى عقد مقارنة بين العقلية التخزينية أو التجميع الموسوعي الذي قدمه السيوطي، على سبيل المثال، و النظرة الناقدة الشمولية التي قدمها ابن خلدون. و من جملة أركان البحث في التراث أو مصادر الكشف عن نظرياته اللغوية جعل مقدمة ابن خلدون ركنا قائما مستقلا، و لخص رأيه فيها كما يلي: «تعد (مقدمة ابن خلدون) حسب رأينا- نموذجا لفلسفة المعارف في تراث العرب. إنها منظومتهم الإبستمولوجية الأصولية التي ختمت من أعلى قمة الاكتمال في الغوص و التجريد حلقة حضارية في تاريخ الإنسانية»<sup>1</sup>.

و نظير ذلك محاولة عبد الرحمن الحاج صالح مع كتاب سيويه سيويه، و محاولة جعفر دك الباب مع أبي علي الفارسي، و أقل منهما وضوحا محاولة تمام حسان مع عبد القاهر الجرجاني.

في كل المحاولات السابقة نجد مدونة أو شخصية علمية يتمركز عليها المشروع، و من حيث المبدأ، لا مندوحة على الباحث أن يبحث في التراث الواسع و علمائه الأعلام بكل حرية، غير أن موضع الإشكال يكمن في جعل نتائج هذه القراءة حكما على التراث، أو مقياسا ينطبق على كل المدونات و المصنفات. و يمكن للباحث أن يستنبط مقاييس قرائية أو تأويلية يضعها بين يدي الباحثين بوصفها مؤشرات محتملة، و هي مفيدة لهم، و توفر عليهم كثيرا من الجهد. أما أن يجعل جزء يتحكم في كل من دون أن يتبين علاقته مع الأجزاء الأخرى التي تقاسمه نفس المحل و الأدوار فهذا تعسف. و من هذا الباب انتقد كل من عبد السلام المسدي و عبد الرحمن الحاج صالح نظرا لشدة تمركزهما على الشخصيات و

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 ص34-37.

المصنفات المشتركة عندهما كأوليات. و هذا النقد مبرر بطبيعة الحال، لنفس العلة المذكورة آنفا.

### 5. القراءة التحقيقية:

يشمل هذا النمط إعادة وصف و ترتيب و بناء المفاهيم و العناصر التاريخية المتعلقة بالتراث اللغوي العربي. و من أكبر القضايا المطروحة في هذا المجال مشكلة نشأة النحو، أو الحلقة المفقودة في تاريخ الدراسات اللغوية العربية، و هي المرحلة السابقة على ظهور كتاب سيبويه بصورته التامة المكتهلة.

و هذه الثغرة أو الانقطاع السندي كانت مدخلا لفريق من المؤرخين و بخاصة من المستشرقين ليطعن في أصالة الدرس اللغوي العربي، ذلك أنه يستحيل في منطق الأحداث التاريخية أن يظهر علم كامل مستقل هو النحو العربي في مطلع القرن الهجري الثاني، أو قبله بقليل، لأن سنة 180 هجرية هي سنة وفاة سيبويه على أرجح الأقوال<sup>1</sup>، من دون أن يكون هذا العلم قد استفاد من عوامل و مؤثرات حققت له هذه القفزة العجيبة، و عندما حاول الأب فلايش أن يقارن بين نشوء الدراسات اللغوية اليونانية التي استغرقت عدة قرون، و الدراسات العربية التي لم تكد تستغرق قرنا واحدا، خلص إلى استنتاج يفيد بأن الحالة العربية قد استفادت من الحالة اليونانية قطعاً<sup>2</sup>، و كانت هذه فرضية مسبقة لا دليل عليها على الإطلاق.

ثم جاءت بعد ذلك محاولات و محاولات مركس و غيرهم لإثبات هذا التأثير المزعوم. و إذا رجعنا إلى المنطق و المنهج العلمي، فنقول: أمن من المنطق أن تحضر الأدلة و القرائن أولاً ثم يأتي الحكم، أم العكس؟ و هذا كله جعل الحكم بالغموض و استغلاق الأدلة يطرد

<sup>1</sup> - كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مقدمة التحقيق، ص 18-19.

<sup>2</sup> - أنظر كتابه (المطول في فقه اللغة العربية) H. Fleish, Traité de Philologie Arabe, Edu Beyrou 1961, Volum 1, pp13-25. و أول القائلين بالتأثير اليوناني من المستشرقين هو أنياس جويدي (Inias Guidi) و ألدابير مركس (Aldabir Marx) الذي أفاض في هذا الموضوع، و كل من جاء بعده نقل عنه.

عندهم، بل نجد أثر هذا التوجه عند المؤرخين لتاريخ العلوم منهم، و من ذلك ما قاله المستشرق الهولندي دي بور حول هذه القضية بالذات: «يحيط الغموض بأول نشوء دراسة النحو العربي، فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدنا، عملاً ناضجاً، حتى إن المتأخرين قالوا: إنه لا بد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء، مثل قانون ابن سينا في الطب»<sup>1</sup>.

و هذا قانون صحيح لكنه غير ملزم، لأن وجود الطفرات و الصواعد و النوازل في تاريخ الحضارات البشرية واقع لا مرد له، و ذلك أوضح في تاريخ الأفراد. و ما هي العناصر المشتركة بين كتاب الشفاء (الذي هو قانون ابن سينا) و كتاب سيبويه الذي فيه آراء أزيد من أربعين عالماً أخذ عنهم سيبويه، فهذه في الحق مقارنة غير دقيقة في داخل الحضارة الواحدة، و هي دليل على تسبيقات الغربيين، و كثيرا ما يسقطون حالاتهم التاريخية و الحضارية القديمة و الحالية على حالات غيرهم و ذلك غير مسلم لهم.

أما الباحثون العرب فكانت لهم وجهات نظر في هذا الشأن؛ الوجهة الأولى رفضت أن تكون هناك هذه الحلقة المفقودة، و هذا ظاهر رأي الأستاذ محمد الطنطاوي<sup>2</sup> حيث جعل الطور الأول من أطوار النحو العربي شاملاً عصر أبي الأسود وصولاً إلى أول عصر الخليل بن أحمد، فهذا إقرار ضمني بوجود درس نحوي في هذه المرحلة. و الوجهة الثانية اتخذت موقفاً وسطاً، بناء على قلة أدلة التأثر و التأثير كليهما، و قد ذهب الأستاذ أحمد أمين إلى أن تأثير اليونان و السريان كان ضعيفاً في المراحل الأولى المبكرة، أو أنه كان غير متصل بالدرس اللغوي اتصالاً مباشراً، في إشارته إلى شيوع منهج القياس<sup>3</sup>، و معلوم أنه عرف في الفقه قبل النحو.

<sup>1</sup> - دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر: عبد الهادي أبو ريده، ص 54-55.

<sup>2</sup> - محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، ص 28.

<sup>3</sup> - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2، ص 293.

و عزز هذا القول برأي نقله عن المستشرق إينو ليتمان (E. Litman) يقول فيه: «نحن نذهب مذهبا وسطا، و هو أنه أبداع العرب علم النحو في الابتداء و أنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو و الذين تقدموه. و لكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النحو الذي كتبه أرسطوطاليس الفيلسوف»<sup>1</sup>.

الوجهة الثالثة أقرت بهذه الحلقة المفقودة، و أثبتت وجودها، ثم اختلفت في تفسيرها و تأويلها؛ فالأستاذ عبد العال سالم مكرم يقول: «شعرت منذ أن اشتغلت بالنحو بأن هناك مرحلة مفقودة في تاريخ النحو العربي تمتد من عصر أبي السود إلى عصر الخليل و سيبويه، لأنه ليس من الطبيعي أن يكون كتاب سيبويه على هذه الصورة من النضج و الاكتمال ثم لا تكون له جذور سابقة أمدته بالحياة و النمو حتى وصل إلى ما وصل إليه، لأن ولادة الكتاب من دون هذه الجذور مخالفة لسنن الأشياء، و انحراف عن التطور الطبيعي لميلاد الأفكار»<sup>2</sup>. فهذا إقرار و اعتراف صريح بوجود هذا الفراغ في التأريخ اللغوي العربي، و يشتمل أيضا على التعليل المنطقي لقبوله و هو مناقضته للسنن الكونية، و التطور المعهود في تكون الأفكار الذي يكون دائما بالتدرج قليلا قليلا. و هذا غير مسلم به، لأن تطور الأفكار و نمط ظهورها لا يتبع نفس قوانين تطور الأحياء و المواد، فكثيرا ما تولد الفكرة كاملة النضج، و كثيرا ما تطرأ الفكرة على خاطر العلماء فجأة من دون إرهاب.

و يسلم الأستاذ مهدي المخزومي بهذا التأثير، و يبني عليه نظريته في تفضيل مدرسة الكوفة على مدرسة البصرة، لأن الأولى أقرب للمنهج اللغوي الصحيح، لتعويلها على الرواية الغزيرة، و أخذها بكل مسموع، أما الثانية فتعول على المنطق، و هو المنطق اليوناني، و ترفعه فوق المادة اللغوية، كما أنها تقلل من شأن روايات الأحاد، و تعول في التععيد على مبدأ كثرة الشواهد و اطرادها، و يؤسس المخزومي هذا الرأي على أدلة تاريخية

<sup>1</sup> - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص 292-293.

<sup>2</sup> - عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في النحو العربي، مؤسسة الوحدة، الكويت، ط 1977م، ص 3.

تثبت سبق البصرة في التمصير، و تحولها إلى موئل للثقافات المتنوعة بحكم موقعها الجغرافي، يقول في ذلك: «لم يكن سبق البصرة إلى النهوض بالثقافات المختلفة محض اتفاق، أو طفرة، ففيها تلاقت العقليات المختلفة، و ظهرت المذاهب الدينية و الفلسفية، و كان لتلاقيها تأثيره في الدراسات، و مناهجها، فقد مهدت هذه الفلسفات للانتفاع بالمنطق اليوناني (و في البصرة ظهرت الترجمة الأولى لمنطق أرسطو، ترجمه عن اليونانية أو الفارسية عبد الله بن المقفع، أو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع) و كان بين نحاة البصرة كثير من الشيعة و المعتزلة الذين فسحوا السبيل للحكمة الأجنبية، لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية»<sup>1</sup>.

و بنفس الحجج الأخيرة حاول الباحث إدريس مقبول أن يكشف النقاب عن الأصول الكلامية من كتاب سيوييه مستعينا بإجراءات تداولية حديثة، و في تطرقه إلى (أولية المعرفة النحوية) و يقصد أصلها الذي ترجع إليه، أكد أن كل معرفة نحوية لا بد لها من مرجع فلسفي، و مرجع النحو العربي هو علم الكلام، و مرجع سيوييه من ذلك هو مذهب الاعتزال، هذا هو التسلسل المنطقي المريح الذي توفره القراءة التحليلية للخطاب. يقول في هذا الصدد: «إذا تأملت حال الناظر في النحو وجدته لا يخلو أن يكون أحد اثنين لا ثالث لهما، إما أن يكون صاحب نخلة و مذهب أو لا يكون، و هو في كل صاحب عقيدة حتى و إن كانت هي إنكار العقيدة»<sup>2</sup>.

و بناء على ما سبق، تسنى له أن يصنف الآراء حول أولية النحو العربي، و هي مشكلة نشأته المذكورة آنفا، إلى ثلاثة ترجيحات إبستمولوجية؛ الترجيح الأول أنها معرفة مفصولة، و فيها ثلاث ترجيحات فرعية؛ الأول منها يرى المرجع المؤسس للنحو العربي هو الفلسفة اليونانية و منهم مركس و جويدي، و الثاني يرى المرجع هو منطق أرسطو على

<sup>1</sup> - مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، طبعة الباي الحلبي، القاهرة، ط2-1959م، ص 41-42.

<sup>2</sup> - إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيوييه، عالم الكتب الحديث، ط1-2006م، ص2.

سبيل التحديد، و الثالث يرى المرجع هو الفلكية البابلية، و فحواها أن النظام النحوي يقاس على نظام الكون و الكائنات الطبيعية، و أبرز من قال به مولاي أحمد العلوي<sup>1</sup>. و هذه الثلاثة مستبعدة في زعم الباحث. ثم هناك الترجيح الثاني الذي يرى المعرفة النحوية موصولة، أي أن استمدادها و استفادتها من داخل العلوم العربية و الإسلامية و بخاصة الفقه و أصوله و التفسير و الحديث. ثم الترجيح الثالث الذي يرى المعرفة النحوية مأصولة، أي لها أصل عميق و هو علم الكلام، و العقيدة المعتزلية بالنسبة لسيبويه بالذات<sup>2</sup>. و هذا الثالث هو الذي يرتضيه الباحث و يبني عليه مشروعه.

و يخلص الباحث مقبول من هذا كله إلى أن القراءة النقدية للتراث هي في الوقت نفسه إعادة بناء للذات لأن: «الثقافة العربية اللسانية لا يمكنها أن تتجدد ما لم يقف العقل على مسافة من نفسه، و ما لم يتحصل له وعي مغاير بذاته. و مغايرته لنفسه تعني في الوقت نفسه: إعادة اكتشاف للأصل و إعادة بناء للذات»<sup>3</sup>. و بهذا يكون التجديد هو نوعا من إعادة التأسيس و البناء، و مواصلة للدرب الذي بدأ مشواره العلماء الأولون.

### ثانيا: نقد الفكر النقدي (إبستمولوجيا النقد اللساني).

لقد فكر فريق من الباحثين في ضرورة مراجعة الخطاب اللساني الذي اتخذ المقاربات النقدية مرتكزا له، و بما أنه قد حصل تراكم معتبر من هذا النمط في الكتابات العربية المعاصرة، فإن هذا الطرح لا يفتقر إلى الحجية و التأييد.

<sup>1</sup> - الفلكية البابلية هي رأي في الأساس المعرفي للدراسات اللغوية، و مفادها أن النحوي قاس نظام الكائنات اللغوية على نظام المخلوقات الطبيعية لاعتقاده أن الحكمة الإلهية المتجلية في الطبيعة نفسها في اللغة، و هذا على غرار الإنسان البابلي الذي قارن بين السماء و الأرض و ما يقع فيهما معتقدا أن اقتران الكواكب و الشهب في السماء عوامل و مسببات لما يقع في الأرض من حوادث. أنظر: مولاي أحمد العلوي (إبستمولوجيا النحو العربي) Alaoui Ahmed, Epistemologie de La Linguistique Arabe, pp119-120.

<sup>2</sup> - إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 86 و ما بعدها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 10.



و في هذا الإطار يميز الباحث حافظ إسماعيلي علوي بين الكتابات النقدية العامة، و الثانية الخاصة، و الأخرى المؤسسة؛ و عنده أن الكتابات النقدية العامة تخاطب المنتج العربي في هذا المجال دون تخصيص أو تحديد، و دون الخوض في الغايات و العلل و المشاكل. و أكثر ما تركز عليه مقارنة الحالة العربية بنظيراتها في الغرب، أو تسليط نقد فضفاض يسوي بين كل الاتجاهات و المحاولات<sup>1</sup>. و يدخل في هذا الباب أيضا العبارات المفرطة التي يصف بها بعض الباحثين جهود غيرهم. و الباحث له الحق أن ينتقد، و لكن التعبير المنضبط جزء لا يتجزأ من الروح العلمية، و هو شطر المنهج، و لا يدخل فيه أن ينعى باحث بأنه من رواد اللسانيات الخاطفة، أو لسانيات الرتب و التزيينات، فهذا مستوى من الخطاب لا ينتج و لا يفيد.

و قد رجح الباحث أن هذا النمط من النقد يغلب في الكتب التمهيدية، و هو قليل في المؤلفات الحديثة. و الظاهر أنه كثير في كليهما، و قد ظهر بفعل التمدد الأفقي للسانيات في الجامعات العربية، و كثرة طلابها، أن هذا الخطاب المشحون بالأفكار النمطية الجاهزة، و القطرية الضيقة، أصبح منتشرًا في ثنايا البحوث الجامعية، و الراجح أن أكثره مما ينقله بعض الأساتذة إلى طلابهم، و ستكون له سلسلة لا تنتهي إذا لم يتخذ في شأنه بعض الصرامة.

أما الكتابات النقدية الخاصة فهي التي تتخذ إطارًا محددًا؛ إما مدرسة لسانية معتبرة، أو شخصية من علماء اللسان المشهورين<sup>2</sup>. و نفس مشكل الخطاب المتشنج يظهر في هذه الكتابات، و هو من العيوب المزمّنة لهذا الميدان، ذلك أن كثيرا من الفاعلين فيه يرون النقد التشخيصي، و الجرح، و ربما المعيب المنتقص أحيانا، وجهًا من أوجه قوة البيان و سحر الشخصية العلمية، و الأمر بعيد عن ذلك بعد المشرقين. و قد يكون في صلب النقد

<sup>1</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 87 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - فمن النوع الأول أعمال كل من عبد القادر الفاسي و ميشال زكرياء في إطار المدرسة التوليدية، و أحمد المتوكل و عبد السلام المسدي في الإطار الوظيفي، و من الثاني دراسات فاضل السامرائي حول الزمخشري و ابن جني و كذلك دراسات حسام النعيمي، و هذا اتجاه واسع في الوقت الحالي.

أفكار وجهية تستحق أن يوليها القارئ عنايته، فتكون متخللة بالتعابير الترميقية أو التحقيرية إلى حد مفرط يفسد فائدة قراءتها. و لا حاجة بنا إلى نقل مقتطفات من هذا الخطاب الذي ينبغي تجنب البحث العلمي من مزلقه، لأنه كالعشب الضار، يبدأ قليلاً ثم ما يلبث أن يغزو المحل كله.

و أما الكتابات النقدية المؤسسة، فهي التي تركز على مقدمات منهجية و نظرية تجعلها في مركز الخطاب العلمي لا تحيد عنه، و هناك أقلام و أعلام عرب شقوا هذا الدرب و التزموا هذه الموضوعية الإيجابية في الطرح و النقاش، و منهم مصطفى غلفان و أحمد المتوكل و محمد غاليم في المغرب و كثير من الباحثين في الجزائر يوصون بتجنب التشخيص، و نرى ذلك واضحاً في البحوث و الدراسات، و حتى في المشرق و الخليج العربيين ظهرت أقلام و وجوه تتحرى النقد المنصف، و تتحاشى التعريض و التجريح، و خلط القضايا العلمية المباشرة بالأخرى الثقافية و الاجتماعية.

و لقد خلص الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري إلى استنتاج عممه على الخطاب اللساني العربي، يفيد أنه هزيل و غير مؤسس في أربعة جوانب على الأقل<sup>1</sup>؛ اللغة التعبيرية و مشكلة اختيار المناهج التحليلية، إفراط بعض الباحثين في نسبة العلمية و الدقة إلى مشروعه، تسرب كم من التصورات الخاطئة حول التراث اللغوي العربي، و مثل ذلك فيما يخص اللغة العربية تركيباً و تحليلاً و تداولاً<sup>2</sup>. فهذا نقد بناء و لا يقال إنه تجاوز الحد لما حكم على الإنتاج كله بالهزلة، و هو لم يقصد حرفية هذا التعبير.

و نظير ذلك ما قاله الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في شأن الكتب التمهيدية، حيث جزم بضعفها و اشتغالها على أخطاء و أوهام في المنهج و المصطلح، و الأولويات المحددة لما ينقل عن المدارس اللسانية الغربية<sup>3</sup>. و هذا كله فيه جانب من الصحة لا يكاد

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، ج1، ص35.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص36.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بوحث و دراسات في علوم اللسان، ص 8-20

ينكره أحد، بل لقد اعترف بعض مؤلفي هذه الكتب من أمثال السعران بأن محاولاتهم تتوخى أهدافا محدودة و ليست لتغطي حاجة المتخصص<sup>1</sup>. فهذا النقد ضروري، لأن مراجعة ما حققناه بعد كل حين، هو السبيل لمعرفة وضعنا و تقييم راهننا، و من ثم الإعداد لمستقبل البحوث.

و الحق أن الأستاذ مصطفى غلفان قدم محاولتين تصبان في هذا المستوى المؤسس من النقد اللساني، أو هو يشق الطريق الصحيح لإرساء هذا الفرع الجديد و تأسيسه<sup>2</sup>. و يحسب له أنه حاول أن يضع معالم في هذا الطريق من خلال القواعد و الأسس التي ينبغي للناقد أن يتحلى بها، فمنها قواعد معيارية، و هي المتفق عليها بين كل الباحثين في الدنيا، فيما يخص الروح العامية و خصالتها، و ما يزيد فيه النقد من طلب احترام كل الآراء، و جعل مسافة متساوية بينها، و قد يكون لائقا أن تدعم هذه القواعد بجملة الخصال العربية القديمة في المناظرة و الجدل الحسن، و هذا التركيز على الجانب الأخلاقي في النشاط المهني ميزة لا تقل عن الإجراءات العملية نفسها، و هو مطلوب جدا في وقتنا الراهن، لغية تخليص خطابنا اللساني من هذه اللغة الطفيلية التي يستملحها و يرتاح البعض إلى جانبها و هي الداء العضال.

ثم هناك قواعد تأسيسية، و هي التي : «تحدد الكيفية التي ينبغي أن يتناول بها التحليل النقدي اللساني موضوعاته، و ذلك بتزويد المتتبع برؤية منهجية محددة تستند لجملة من المبادئ القابلة للضبط و المراقبة. و من شأن هذه القواعد أن تجعل المتابعة النقدية مقيدة شكلا و مضمونا، مما يعطي للاستنتاجات المحصل عليها قدرا كبيرا من الموضوعية و الوضوح حتى لا يتحول النقد إلى أحكام ذاتية مرتبطة باعتبارات ظرفية و

<sup>1</sup> - محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، ص 6-8.

<sup>2</sup> - المحاولة الأولى هي: اللسانيات العربية الحديثة: المصادر و الأسس النظرية و المنهجية، كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1-1998م. و له محاولة ثانية تأصيلية هي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، شركة المدارس للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1-2006م.

شخصية»<sup>1</sup>. و إذا قرأنا هذا المفهوم قراءة عكسية نقول: إن النقد العلمي في أي مجال من مجالات المعرفة هو نشاط من الأنشطة التي يضبطها العلم نفسه، و ذلك يعني أن يركز على رؤية واضحة المعالم للخطوات التي سيتم تنفيذها، و على جملة مبادئ تصون هذا النشاط من أن يختلط به مزاج الباحث أو ذوقه و ميوله الذاتية غير المنضبطة، أو ما يقحمه عليه من إسقاطات غيره التي لها نفس النظرة الجزئية القاصرة. و ما يؤخذ من عمق هذا الكلام أن النقد الذي يستولي عليه التجريح و التشريح و الإقصاء التعسفي لا يدخل في حيز النقد المؤسس و لا ينتمي إلى مجاله.

و الإشارة إلى المبادئ القابلة للضبط و المراقبة لها أهمية بالغة، و كل العلماء يشترطون هذا الشرط في الأطر العامة، سواء في البناء التقني للبحث العلمي، أو في اقتراح النظريات و الأطر الجديدة، و بخاصة مفاهيمها المركزية. و المبدأ القابل للضبط هو الذي تكون مجموعة المفاهيم المحدد بها مكثفية بنفسها، و خالية من الدور، لأنه لا يتم للمبدأ الوضوح التام إذا كانت المفاهيم التي يعبر بها عنه تحتاج هي بدورها إلى توضيح، و تكون هذه الثانية محتاجة بدورها إلى توضيح، و هكذا يتسلسل الغموض، و تنشأ حلقة مفرغة لا ينتهي منها العقل بشيء يرجى. هذا هو الوضوح المنطقي (Explicitness)<sup>2</sup> الذي يشدد عليه خبراء المناهج المعاصرون، و لهم الحق في ذلك.

و بعبارة أخرى، إذا قلنا إن لدينا جملة من المبادئ نشترطها على كل من يسلك معنا نفس هذا المسلك، فينبغي أن نضمن لمن يناظرنا أو يريد أن يتابعنا ليفهم، أن تكون هذه المبادئ أوليات بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فإذا كنا سننطلق من مبدأ تعدد الاتجاهات اللسانية، فينبغي أن يكون كل مفهوم من الثلاثة التي حددنا بها هذا المبدأ واضحاً وضحاً يكسبه استقلالاً في ما يضيفه إلى المعنى المركب، كأن نقول مثلاً: التعدد

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 59.

<sup>2</sup> - حدد الباحث دافيد كريستال ثلاث مقومات للمنهج اللغوي المعتبر هي: الوضوح التام (explicitness) و الانتظام مع الثبات (systematicness) و الموضوعية (objectivity). أظر: نايف خرما، أضواء على ادراسات اللغوية المعاصرة، ص 101.

هو من الكثرة العددية، أي وجود أكثر من اتجاه واحد، فهذا توضيح لا يستلزم أن ينزل المحلل تحته، لأن الواحد في العدد مفهوم مكثف، و حينئذ ينغلق الدور و لا يتسلسل.

و من الواضح أن المفاهيم لا تستوي على بساط واحد من جهة وضوحها الذاتي، و ليس كلها قابلا لأن يدرج في صيغة صورية، و من ثم ينبغي أن يقوي الباحث مبادئه الأولية بميزة الإجماع، و هي من أقوى الحجج المقنعة، ذلك أنه إذا ثبت كثرة الباحثين الذين يعتمدونها، و بخاصة إذا لم تكن بينهم صلوات مباشرة، أو كانوا من أقطار متباعدة، فهي في قوة الإجماع.

و من جملة المبادئ التي اقترحها الأستاذ غلفان بوصفها أوليات بين يدي الناقد اللساني:

1. تعدد المذاهب و التيارات اللسانية.

2. تقصي كل المصادر التي تدخل في تأسيس العينة المدروسة.

3. التقويم الداخلي، اعتمادا على الإطار النظري الذي تتبناه.

4. التركيز على الجوانب التي تقدم إضافة نظرية و منهجية و تطبيقية<sup>1</sup>.

و الحق أن كل واحد من المبادئ الأنفة يحتاج إلى تفصيل، إلا أن الالفت للانتباه هو المبدأ الثالث، الذي يركز على مفهوم (التقويم الداخلي) فهو من نمط المفاهيم التي يصعب تحقيق الضبط الكامل فيها، و قد حاول الباحث أن يجعلها ملازمة للجوانب النظرية من أجل أن يقلل تشتتها، و هي مع ذلك من المبادئ التي يصعب تحقيقها.

و لا ترجع صعوبة المبدأ السابق إلى المفهوم وحده، و لكن الصعوبة تنشأ من الجوانب العملية التي تظهر أثناء التنفيذ، و ذلك لأن مساءلة الباحث للأطر النظرية يفترض سلفا أن تكون هناك كفاية من هذه الأطر تتيح خوض غمار البحث، في الوقت الذي نجد فريقا معتبرا من الباحثين ينكر وجود هذه الأطر في اللسانيات العربية، و منهم من يقول

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 59.

بوجودها العربي غير المؤسس، و القلة القليلون هم من يقر وجودها و يعتد به، اعتدادا كاملا.

### المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات النقدية.

نشير هنا إلى مشروع الأستاذ مصطفى غلفان، و ما واكبه مؤخرا من محاولات تغطي نفس المطالب و بخاصة محاولة الباحث حافظ إسماعيلي علوي التي هي امتداد للمحاولة الأولى، و البحث اللساني مفتقر أشد الافتقار إلى هذا النوع من الدراسات التي تعيد تأطير المنتج فيه و تضع حدودا معقولة لمن يريد أن يتبصر راهنه و يقيمه بإنصاف.

#### أولا: مستويات الكتابة اللسانية العربية:

يقسم الأستاذ مصطفى غلفان الكتابات اللسانية العربية إلى ثلاث مجموعات؛ الأولى هي الكتابات التمهيديّة، و الثانية يسميها لسانيات التراث، و الثالثة يمنحها سمة اللسانيات العربية<sup>1</sup>. و من الواضح أن هذا التصنيف لا يرتكز على المحور التاريخي، و هذه ميزة هامة، لأن التعويل على هذا المحور يقحم الباحث في مشاكل تصنيفية لا جدوى منها. و لا ينكر أحد المسار التطوري الذي شهدته الكتابة اللسانية العربية منذ بواكيرها إلى يومنا هذا، غير أن الحديث عن مراحل كبيرة و مستقلة في غضون ستين أو سبعين عاما من مشوار هذا النشاط في حده الأقصى، يعد أمرا مبالغا فيه، كما أنه غير منسجم مع مقاييس المنهج التاريخي في تقسيم الأفكار و النزعات العلمية، من حيث افتراضه مددا و آجالا زمانية طويلة نسبيا.

و لم يحدث في اللسانيات العربية مثل ما حدث في اللسانيات الغربية من تطورات متسارعة، أدت إلى تزامن مدارس كبرى بل تعاقبها على بعض في مدد لا تتجاوز عقدين

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة. و سار على نفس التقسيم حافظ العلوي في دراسته.

أو ثلاثة<sup>1</sup>، و ذلك مثل الظهور ثم الانتشار السريع للاتجاه التوليدي خلال الستينيات في الوقت الذي كان الاتجاهان البنوي و الوظيفي يعملان على التوطيد و التأسيس.

و عندما توصف الكتابات الأولى بأنها تمهيدية فهذا وصف ملائم، مع العلم أن فكرة التمهيد لم تكن قاسما مشتركا بين روادها، فمنهم من غلبت عليه نزعة نقل الجديد، و منهم من كتب ما كتب اعتقادا منه أن هذا العلم الجديد هو علامة على ثقافة المرء و مواكبته للحضارة الراقية الغالبة، و منهم من حمل على ذلك مطلق الشغف و حب الاطلاع.

أما الذين شغلتهم فكرة بناء اللبنة الأولى لهذا العلم و تمكين مناخه في العالم العربي فهم القلة من مجموع هؤلاء الذين قدموا مساهمات مبكرة. و يظهر أن الناقدون لهذه الكتابات لم يلتفتوا إلى هذه المسألة، أو لم يروا فيها ما يمكن أن يغير السمة التمهيدية التي طبعتها، و هذا غير مسلم لهم، لأننا إذا عزمنا على توجيه نقد بناء لا نبي أحكامه على غلبة الظن عندنا، بل الأولى من ذلك أن نقدم خلفيات من ساهموا فيه و الغايات التي حملتهم على بذل ما بذلوا من الجهود.

و من أجل كل ذلك فإننا قد نزيد نمطا من الكتابات قبل التمهيدية، و هي التي غلب عليها التثقيف أو التعريف، و يشمل هذا النمط كتابات عبد الواحد وافي و السعران و غيرهم ممن كان يكتب بالمعنى الفني للكتابة، و هو أن يجمع من العلم المقصود نصوصا و نماذج يتخيرها ثم يجتهد في تصنيفها و عرضها، و غايته أن يثري المكتبة العربية، أو أن يعرف المثقف العربي، و الطالب الجامعي بشيء من الأفكار الجديدة المشوقة.

أما الكتابات التمهيدية التي تستحق هذه السمة فهي التي كتبت عن وعي تام من أصحابها بأنهم يحضرون لوفد معرفي جديد يحتاج إلى مزيد من التأصيل و بحث مفصل في المراجع و الخلفيات، و ذلك لم يبدأ بصورة عملية إلا مع مطلع السبعينيات، في المغرب و

G. Graffi, 20th-century Linguistics : Overview of Trends, elsivier, 2006, -<sup>1</sup>  
pp181-195.

المشرق العربي كليهما، و كان متزامنا مع دخول اللسانيات كمقياس في الجامعات، و بداية ربطها رويدا رويدا بالبحث العلمي في مختلف أطواره.

أما لسانيات التراث فهو النط الذي اتخذ «التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساته المتنوعة»<sup>1</sup>، فهي عنصر فعال مندمج في النشاط التمهيدي، لأن إحياء العلم اللغوي الذي أتت عليه الصروف و الظروف كان أكبر دافع للاستعانة بالمناهج و الطرق العلمية الجديدة. و منزلة هذه الدراسات من التراث هي منزلة حضارية، ترمي إلى أن يسترد هذا التراث بريقه، و هي محاولة لتشبيد الحاضر و المستقبل على أسس معتبرة من الماضي<sup>2</sup>. و على حد تعبير بعض الباحثين هذه محاولة للبحث في أصول الفكر العربي و إقامة نظير وراثي (جينولوجي) له يواصل التمدد و الانتشار عن طريقه<sup>3</sup>.

و من الشواهد على ذلك أن أول القضايا التي بدأ الباحثون يطرحونها في المراحل المبكرة هي قضايا أصالة النحو العربي، و طبيعة مناهج النحاة، و مسألة أصول النحو العربي التي أعيد إحياء البحث فيها بصورة مركزة للغاية، و لا سيما مبحثي العلة و القياس. و أما اللسانيات العربية فهي الكتابات العربية التي تبنت واحدا من الاتجاهات الغربية، و يمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات؛ اللسانيات البنوية الوصفية، و التوليدية التحويلية و الثالثة هي التداولية الوظيفية. و لا بأس من هذا التصنيف، غير أننا نتساءل: أليست لسانيات التراث من جملة ما يدخل في اللسانيات العربية؟ بل هي القلب النابض لهذه الميدان، ثم إن جميع الباحثين ممن اتخذ الاتجاهات الغربية المذكورة أساسا لأبحاثه قد وجد منهم كثير دخلوا بقوة في أبحاث التراث<sup>4</sup>، و حينئذ يكون هذا التمييز غير دقيق، و الأصح أن تضاف لسانيات التراث إلى جملة اللسانيات العربية.

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 92.

2 - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 131.

3 - منية الحمامي، التراث اللغوي و إشكالية المناهج الوصفية الحديثة، ص 20.

4 - و على رأسهم عبد القادر الفاسي و أحمد المتوكل و تمام حسان و غيرهم.



### ثانيا: مميزات الكتابة اللسانية حسب المستويات:

نقصد بالمميزات الجوانب الفاعلة أو الإيجابية التي يمكن ملاحظتها في كل إطار من الأطر الثلاثة الآتية، و من الإنصاف إثبات هذه الإيجابيات و تحقيقها و جعلها في صدر النشاط النقدي، لأن النقد ليس نبشا في النقائص و كشفا للعيوب، بل هو تقييم يرمي إلى التقييم، أو محاولة من الباحث لتنبه زملائه و اقتراح ما يمضي به الميدان قدما.

و الحق أن غلفان ذكر بعض هذه المميزات على استحياء، أما العلوي فلم يصرح بشيء، و هذا غير مبرر في المنهج الذي افترضه ابتداء.

و من مميزات الكتابات التمهيدية أنها عبرت باللسانيات إلى اللغة العربية عبورها الأول، و هو عبور صعب، و فيه ما فيه من النقائص، لكنه إنجاز لا غبار عليه. و قد تم هذا العبور من خلال المداخل و الدراسات الأولية أكثر من الكتب التمهيدية و الأخرى المترجمة، لأن هذه الدراسات نقلت جوهر النشاط التحليلي الذي تقترحه اللسانيات، و لم تقف عند الحدود التعريفية و الثقافية العامة. و من هنا بدأ المختصون يلتفتون إلى هذه الأشياء الجديدة، و يرون فيها فرصا لتطوير البحث و النظر في اللسان العربي، و أصحاب النزعات الإجرائية هم السباقون إلى هذا الإنجاز.

أما لسانيات التراث، فهي جزء من اللسانيات العربية لا يخرج منها، و من أكبر مميزاتها أنها كشفت التناسب الوضعي العميق بين نظريات اللغويين العرب و نظرائهم في العالم المعاصر، و هذا التناسب ليس ظاهرة تشابه سطحي يثير الإعجاب و النشوة، بل هو تأصل معرفي و منهجي ذو أبعاد جد مهمة، و أهم ما فيه أنه قابل للاستثمار و الانتفاع به في مجالات الحياة و مرافقها، و لم يذكر النقاد اللسانيون هذه الميزة الكبيرة، و هذا إجحاف.

و قابلية الاستثمار لها أدلة ملموسة، منها تطوير عتاد الحوسبة العربية و فيه إنجازات للباحثين من أمثال احمد الأخضر غزال و نبيل علي و منصور الغامدي، و لهم براءات

اختراع مسجلة، وإسهامات تقنية جد رفيعة، وكلهم يصرح أن قراءة التراث مع الاسترشاد والاستضاء باللسانيات هو المدخل الذي منه عبروا إلى هذا النتائج.

وكذلك البحوث التي طبقت نظريات غربية على اللسان العربي، وهي اللسانيات العربية عند غلفان، فقد أوضحت أن هذا التطبيق ممكن، و بينت عددا كبيرا من نقائص التحليلات الكلاسيكية، و من أهم ما طرحه الباحثون فكرة الكفاية المعجمية، طرحها عبد القادر الفاسي و عمل عليها عدد من الباحثين في جمعية اللسانيات في المغرب، و كذلك في مركز التنسيق للتعريب. و هي مشكلة موضوعية تدخل في كثير من الجوانب الديناميكية لتداول اللغة العربية، و بخاصة في التعليم و الإعلام و الإدارة، فضلا عن البحث العلمي المتخصص.

### ثالثا: الملاحظات النقدية.

و جه النقد إلى الكتابات التمهيديّة من عدة جوانب و بخاصة الجوانب المنهجية، في أربعة محاور على النحو الآتي:

**المحور الأول** أنها لم تكن محددة في اختيار مجال أو مدرسة من المدارس اللسانية المعتبرة، و نتج ذلك عن العمومية و التبسيط المفرط إضافة إلى نقص الشمولية و التخصص في المراجع المعتمدة.

**و المحور الثاني** أنها خلت من تقنيات التحليل اللساني، و هي الوسائل و الإجراءات التي تتوسط بين الباحث و نشاطه، و لللسانيات من ذلك حظ و فير، و في كل مدرسة و اتجاه عدة مصطلحية و تقنية مستقلة. و في هذا الإطار نفسه يلاحظ أن الكتابات التمهيديّة انصرفت إلى الإسهاب في متفرقات علم اللغة و فروعته الجزئية، و كل ما يذكره الغربيون من جديد منها، و لم تتصد للطرق و الكيفيات التي يتم من خلالها العمل بهذه المواضيع، و بتعبير آخر كانت تتوغل سطحيا في (ماذا؟) و لم تحفر عموديا في (كيف؟).

يقول غلفان في هذا الصدد: «تعامل الكتابة اللسانية التمهيدية مع تقنيات التحليل اللساني ظل عموماً منحصراً في تقديم معلومات تعود لبداية هذا القرن في صيغ يغلب عليها الطابع الأدبي. أما النفاذ إلى عمق المناهج اللسانية، باعتبارها أجهزة مفاهيمية لها أدواتها الواصفة التي تضبط عملية التحليل الوصفي للغة معينة، فذلك ما لم تتمكن الكتابة اللسانية التمهيدية من القيام به بشكل كاف»<sup>1</sup>.

**و المحور الثالث** عدم مواكبتها للنظريات اللسانية التي تتميز بتجدد و تطور مستمر، و لوحظ أن أكثر ما تطرقت إليه الكتابات التمهيدية هو الاتجاه البنوي في صيغته الفرنسية و البريطانية<sup>2</sup>، و كانت مؤلفاتهم نقلاً مباشراً عن المؤلفات الإنجليزية العامة، و هذا مظهر ما زال موجوداً حتى في الدراسات المتأخرة.

**المحور الرابع** هو تجلي اللغة العربية في هذه الكتابات، و أول ما يلاحظ أن الأمثلة و الشواهد التطبيقية تنقل عن الإنجليزية، أو الفرنسية، و هذا يكون اعتقاداً لدى القارئ بأن هذا العلم لا يشمل اللسان العربي<sup>3</sup>.

و زاد حافظ العلوي أن هذه الكتابات غلبت عليها الغايات التيسيرية و التعليمية<sup>4</sup>، و لا يمكن أن نعد هذا عيباً من عيوبها، غير أنه لاحظ تجاوزها للشروط البيداغوجية شكلاً و مضموناً؛ فالعناوين الأساسية و الفرعية لا تخضع لتكامل أو ترابط إلا نادراً، و تتباين هذه و تلك طولاً و قصرًا<sup>5</sup>. و انطلق من عينة قوامها ثلاث و عشرون مؤلفاً من الطائفة التمهيدية، حسب اختياره، ليستخرج خمسة وظائف عملت هذه العناوين على بثها

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 116.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 116-117.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 120-127.

<sup>4</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 99

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 100-101.

للمتلقي؛ الوظيفة التواصلية، و الوظيفة الانفعالية، و المرجعية (الإحالية)، و الأيديولوجية (الإنفعالية أو التأثيرية)، و الإخبارية (التقويمية - النقدية)،<sup>1</sup>.

و يخلص الباحث من هذا التحليل التداولي لدلالات العناوين إلى أن هذه الكتب لم تكن وفيه مع المتلقي (القارئ العربي) لأنها عقدت معه وعودا مشرقة و كبيرة أرسلتها عبر عناوينها الرنانة ثم لم توف بها كما يجب. و محصول القول أن المتلقي هو النقطة الأضعف في هذا النمط من الكتابات، و لعله كذلك في كل الأنماط الأخرى.

أما لسانيات التراث فقد وجه إليها ملاحظات تخص الأوليات، أو المنطلقات التي يتبرر بها هذا النزوح إلى التراث، و ملاحظات ثانية حول منهج القراءة، و ملاحظات حول الأفكار المطلقة التي يقول بها رواد هذا الاتجاه و بخاصة مقولة تجانس التراث.

في المحور الأول الذي يخص الأوليات، لوحظ أن لسانيات التراث تنطلق من مفهوم جديد للبحث العلمي يصطلح عليه روادها (أصالة الفكر اللغوي العربي)<sup>2</sup>. و تتحدد هذه الأصالة عند الخليليين في ضوء ثلاث شروط؛ عدم التقليد، التجديد، و عدم تقليد اللغويين الغربيين، و هذا الشرط الثالث يخص الباحثين المحدثين.

و في المحور الثاني ملاحظات حول منهج قراءة التراث، فقد لاحظ النقاد أن النمط الغالب على القراءات التراثية هو استنطاق النصوص و محاولة تأويلها، و هي بذلك تقتلع هذا النص من كينونته التاريخية التي هي جزء مهم في تشكيله و تكوينه. و عندما تستعمل أدوات اللسانيات الحديثة في هذه العملية التشريحية فذلك لا يعصم الباحث من التحيز و المبالغة، بل يوقعه في مزلق التحكم و فقد الموضوعية، إذ كيف يزرع منهجا في بيئة تختلف عنه من كل النواحي، و لم تعد مسبقا لتلائم هذه الأرضية الخاصة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 103-116.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 11-21. بحث بعنوان (الأصالة و البحوث اللغوية الحديثة).

<sup>3</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 146-147.

و في هذا الإطار اعتبر العلوي النشاط التحليلي للتراثيين مقلوبا، مساره من الفرع إلى الأصل، و الصواب العكس، و ذلك لأنهم يستحضرون اللسانيات إلى التراث، و هذا غير ممكن، بل التراث هو الذي يستحضر لأنه حالة مكتملة، و قطعة من الوجود العلمي و الثقافي تمت أركانها، فتكون ملائمة للإجراء و التطبيق، أما اللسانيات فليست كذلك، و يستدل على هذا القياس الخاطئ بما يلاحظ في هذا النمط من الكتابات أنه لا يكاد يميز بين المدارس و الاتجاهات اللسانية الحديثة، بل يطبق أفكارا يأخذها من هنا و هناك، و يحاول أن يلتصق فيها دائما ذلك التماثل لأوجه التشابه الخارجي الذي يعقد بينها و بين اللسانيات نسبة في المنهج و المضمون تجعل تأويلها بها مسوغا<sup>1</sup>.

و لاحظ الباحث نفسه أن تحليل المفاهيم المعتمدة في اللغة التعبيرية للكتابات التراثية يوضح أن الفكرة الغالبة على أصحابها هي إظهار أسبقية اللغويين العرب و تقدمهم على نظرائهم في الغرب من حيث الإشارة إلى عدد من المفاهيم الهامة، كالتوليد، و الشكل، و التقدير، و يعضد ذلك سعيهم المتكرر إلى إثبات التماثل القائم بين هذين الموردين، و لا يهم إن كان هذا التماثل خارجيا أو هامشيا، أو وهما يعتقدده الباحث و ليس هو كذلك<sup>2</sup> (انظر الجدول الموالي).

عبارات التماثل			عبارات السبق و التفوق		
ظاهر في كثير	9	تماثل	1	اهتدى	1
متحصل ضمنا	10	يوافق	2	حفل	2
مساوقة	11	تشبه	3	فطن	3
هي هي	12	لا تختلف	4	سبق	4
لم يكن بعيدا	13	هذا ما قرره	5	عرف	5
الفروق يسيرة	14	يتفق كثير	6	لحظ	6

<sup>1</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 184.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 186-189.

لا تقل شأنًا	15	نهجوا منهج	7
		بعض ما استشعره	8

جدول 5: عبارات تدل على فكرة السبق و أخرى تدل على فكرة التشابه و التماثل  
استعملها رواد لسانيات التراث (المصدر: حافظ العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية  
المعاصرة، ص 188).

و يعتبر النقاد سعي الترائيين إلى النمذجة من الأخطاء المعرفية الكبيرة، لأنها تستدعي تصحيحا كلياً للبحوث التراثية و اللسانية معاً، و هذا لاغ في المنهج العلمي، و يذكر غلفان، نقلاً عن بوير و غيره من فلاسفة المعرفة، أن الفرق الجوهرية الذي يميز النظرية العلمية عن الفكرة الغيبية (الميتافيزيقية) هو قابلية الأولى للإبطال (Falsification) بغض النظر عن الزمان و المكان<sup>1</sup>. أو بعبارة أدق، الإمكانية المتاحة لكل باحث في الدنيا أن يعيد النظر في فرضياتها فيثبت عليها نفس الأحكام التي أثبتها غيره، أو يكشف بالأدلة المعتمدة جوانب قصورها، و الحق أن النظريات العلمية المعتمدة لا تبطل كلياً، و إنما يدخل عليها التصحيح و التعديل<sup>2</sup>، و سببه أن العلم لا يمتنع من تطوير أدواته و إجراءاته، فيؤدي تطور هذه الوسائل إلى دقة أكبر، و رؤية أوسع، فيعاد تنظيم البرنامج الذي تقترحه النظرية. و هذا هو الفرق الذي يبدو جلياً بين الفلسفة العامة و العلم البحت، و هو القدرة على التحقق من النتائج.

و لاحظ النقاد أيضاً أن هذا النمط من القراءات التراثية يفترض تجانسا و مثالية في المنتج اللغوي التراثي، و بخاصة في النحو و علومه، و هذا أوقعهم في استنتاجات لا تنسجم مع حقيقة التعارض و التفاوت الذي تزخر به مدونات علم العربية. و قد تفتن بعض الرواد إلى هذه المسألة فأكدوا مرارا على أن التراث اللغوي العربي لا يمثل كلا واحدا

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 151.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 32.

يتساوى فيه الأول و الأوسط و المتأخر، يل فيه مستويات و مراتب، و تداخل جد عميق في الجذب و الاقتباس<sup>1</sup>، و ليست وحدة الميكانيزمات أو القوائم المصطلحية إشارة إلى وحدة العلاجات و المسالك التحليلية، فقد نجد المفهوم معبرا عنه بلفظ واحد يستعمله واحد من العلماء بمعنى و آخر بمعنى مختلف، و ثالث غيرهما، و هذه ظاهرة تطرد في التراث كله.

أما اللسانيات العربية بأعماطها الغالبة الثلاثة؛ الوصفية و التوليدية و الوظيفية، فكل واحدة منها ملاحظات و انتقادات في المنهج و الإطار النظري و غير ذلك من الجوانب. و أول ما يسجل على الكتابات الوصفية أنها كانت تنقل الأفكار الغربية نقلا شبه حرفي و في حيز جد ضيق، و هذا واضح في قائمة المراجع، و حتى في تسلسل التحليل، و لغة التعبير. و لاحظنا، من جهتنا أن الوصفيين كثيرا ما ينقل بعضهم أفكار بعض تسليمنا من دون أي تعليق، و تفشى في كتاباتهم الاقتباس من الفيلولوجيين المتأخرين، و بخاصة جوزيف فندريس، الذي نقلت أفكاره بالحرف في كتابات تمام حسان و إبراهيم أنيس و أحمد مختار عمر، و غيرهم من الرواد. و حدد غلفان ثلاثة جوانب من القصور كانت ظاهرة مشتركة في الكتابات الوصفية، أولها عدم الالتفات إلى المصادر العلمية، و غياب الأوليات التي توضح المسلكين النظري و المنهجي، فهناك حديث عن الظواهر مطلق، و انتقائية في الأدوات الإجرائية، و عدم تصريح بالاتجاه المدرساني المعتمد.

الجانب الثاني هو اتباعهم قاعدة تبسيط المفاهيم، و تحاشي الخوض في التفاصيل الدقيقة، و هذا منطوق غير سديد، لأن العلم لا يختار فيه المرء ما يأخذ و ما يترك بناء على الإعجاب أو ما يجده فيه من سهولة المأخذ و بساطة العرض، فإذا كنا بصدد تناول إطار من الأطر كالبنيوية مثلا عند رائد من روادها أو مدرسة من مدارسها فلا ينبغي أن نترك

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 169. بحث (السس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية).

شاردة و لا واردة من أقوالهم إلا و ندلي بما قالوه فيها<sup>1</sup>، و الأصل في ذلك، أن التمييز الحقيقي بين المدارس و وجهات النظر يقع غالبا في هذه المسائل الدقيقة من فهمهم و تأويلهم للموضوعات.

و لاحظ حافظ العلوي أن الوصفين عولوا بكثرة على تعليل بعض قضاياهم بإشكالات تاريخية و فلسفية مثل صلة النحو بمنطق أرسطو و قضية العلة الغائية بين القبول و الرفض<sup>2</sup>، و هو يرى أن هذه القضايا، حتى لو صحت و بت فيها القول، فإنها بعيدة عن صميم البحث اللغوي<sup>3</sup>، فكيف و ما زال الجدل حولها مستفيضا.

أما الكتابة التوليدية فأكبر ما يسجل عليها عدم وضوح برنامج العمل الذي يقدم فيه روادها محاولات متلاحقة، و في كل مرة تتغير المفاهيم بتغير الاتجاه التوليدي نفسه، و تناولها التجزيئي لقضايا اللغة العربية، مع أن جوهر نظرتها هو وحدة النظر، و تكامل الاختصاصات تحت غطاء المشترك اللساني الموحد بوصفه معبرا للتواصل. كما يسجل أيضا تذبذب في الفرضيات و الأوليات<sup>4</sup>، و عدم الوصول إلى الهدف المخطط و هو التوليدية العربية ذات الاستقلال المقنع في أطروحاتها.

و يلاحظ على الكتابة التوليدية العربية أنها مغرقة في الجوانب النظرية، و قلما يتتبع نظارها ما سبق إنجازه في نفس مضمار بحوثهم، و هذه الاستقلالية المفرطة تجعل بينها و بين البحوث الأخرى برزخا و حاجزا منيعا يقلل من التعاون و تبادل الآراء.

و يشار أيضا إلى مشكل المعطيات، و هو من أدق معضلات التوليدية، لأنهم جاؤوا بالكثير من الأفكار و الصيغ التحليلية الجديدة فطبقوها على اللغة العربية، مثل مفهوم

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 184.

2 - تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص 10.

3 - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 226.

4 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 223-235.



المركبات الإسنادية و الحدية<sup>1</sup>، و مفهوم الجملة البسيطة و المركبة<sup>2</sup>، و مفهوم التراكيب الأساسية<sup>3</sup>. و من هذا القبيل أيضا إهمالهم لمبدأ تحديد المتكلم المثالي ( Native Speaker) في العينة اللغوية المدروسة، و قد يتجاوز فريق منهم هذا التحديد نظرا لصعوباته الإجرائية الكبيرة<sup>4</sup>، و هي صعوبات تستدعي النظر في واقع التداول و الاستعمال الفعلي للغة العربية، و تظهر حينئذ ثنائية الفصحى و اللهجات، و مشكلة الازدواجية، و قضية اللغة المعتمدة في التعليم و الإدارة.

و يلاحظ أن نقاد اللسانيات العربية يجمعون الاتجاهين التداولي و الوظيفي في إطار واحد، و لهم وجهة نظر في ذلك، مع العلم أن الباحثين لا يقرون هذا الدمج. و التحقيق أن الإطار التداولي استقل في صورته الأخيرة بضوابطه و خصائصه النظرية و المنهجية، و أصبح أقرب إلى مدرسة تحليل الخطاب، في حين أن التحليل الوظيفي تمركز في الجوانب التقنية و عقد صلة كبيرة مع نظرية العلاج الآلي (Otomata) و الأنماط النحوية الصورية.

#### المطلب الخامس: تقييم الاتجاه النقدي.

النقد اللساني هو مفهوم جديد في الكتابة العربية، و ينبغي عدم التعجل في الحكم عليه، و الفكرة الرئيسة التي انطبق منها رواده هي حاجة كل باحث في ميدان اللسان العربي و قضاياها مهما كان اتجاهه، إلى أن يعرف على وجه قريب من الدقة، و بعيد عن التصنع أو التفرع، الحالة الراهنة للبحث اللساني العربي، و ما وصل إليه كل مشروع على

<sup>1</sup> - أنظر بحث: المركبات الاسمية و الحدية في اللسانيات المقارنة، إعداد عبد القادر الفاسي و آخرون، منشورات معهد التنسيق للتعريب، و جمعية اللسانيات في المغرب، 1999م.

<sup>2</sup> - ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد الجملة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2-1986م.

<sup>3</sup> - مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للنشر، دمشق، 1987م.

<sup>4</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 238.

حدة، و الصورة الكاملة لهذا المنجز. و هذا اتجاه لا غبار عليه، لأن مبرراته مقنعة، و منطقية، فكل باحث مشتغل في هذا الميدان يتلمس دربه فيه بصعوبة بالغة، و لا يكاد يعثر في التراكم الهام المحقق على مؤشرات و بيانات تهديه إلى ما يقوم به زملاؤه في النشاط، و أين وصل البحث في جوانب دقيقة كصلة اللسان العربي بالتعليم و الإعلام، و واقع البحوث التطبيقية، مع إشباع ذلك كله بالتقييم و النقد البناء، و هذا مسلك به يعتلي بنيان العلم.

و حاجة الباحث الذي يرتاد هذا المجال الفسيح إلى أطر و تقسيمات يجتهد طاقته في تناسبها و عدم إخراجها لأي إنجاز موجود بالفعل هو منطلق لا بد منه، و لكنه لا يكتمل في المحاولة الأولى أو الثانية، بل يحتاج هو أيضا إلى نقد على نقد، و تقييم يرمي إلى التقييم.

و قد لاحظنا من قبل أن إخراج لسانيات التراث من كتلة اللسانيات العربية فيه نظر، لأن اللسانيات لا توجد في المدارس الغربية وحدها، بل كل نظر في اللغة، يتوخى الموضوعية، و يستأنس بالمنهج العلمي الصارم فهو منها، و نحن لا نفهم سر هذا التمييز، و قد يكون فيه حكمة إضافية من جهة إفراده بالنقد و التقييم، و حتى في هذه الحال لا يسلم الأمر، ذلك لأن فريقا معتبرا من التراثيين دخل إلى التراث مسلحا بمقاربات وصفية أو وظيفية أو توليدية، و هذه الأعمال، هي في اللسانيات العربية بلا شك، و لذلك نقول، إن اللسانيات العربية نفسها يجوز أن تتفرع على فرعين، فرع تخصص في تطبيق المقاربات الغربية بصورة مباشرة و بحتة، و فرع آخر طبق هذه المقاربات بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التراث اللغوي العربي، و لا ننسى أن هناك بحوثا لامست التراث بأدوات من التراث نفسه، أو من عند الباحث أحيانا، وهذا كله يدخل في اللسانيات العربية التراثية، و هي أكثر من نصف التراكم المنجز في الخطاب اللساني الحديث و المعاصر.

ثم إن تركيز نقاد اللسانيات العربية المستمر على ضرورة أن يصرح الباحث بأوليياته و إطاره النظري و المنهجي هو اشتراط معتبر، لأن قراءة البحث العلمي تحتاج إلى هذه

العناوين و المؤشرات، و إذا كان الباحث يطالب المتلقي أن لا يتسرع في الحكم عليه، أو أن يقوله من الآراء ما لم يقل، فيلزمه هو أيضا أن يفرش بين يديه ما يعينه على جمع المتفرقات و التفرجات.

و هذا كله لا يعني أن هذا الإطار ينبغي أن يكون من مدارس اللسانيات المشهورة و إلا لم يدخل في حيز الاعتبار، فليس هناك مانع من أن يبتكر الباحث مسلكه و ألياته الخاصة، و ذلك ليس ممتنعا على كل باحث في الدنيا، بل العكس هو الصحيح، الأصل في البحث هو الابتكار و التجديد، و كشف المغاليق و حل الصعوبات، أما اقتباس أفكار الغير فهو الخيار الثاني لمن لا خيار له إلا التقليد و الاتباع.

و يعد تمركز النقد اللساني على الأطر الغربية، و تأييدهم غير المعلن للمقاربة التوليدية من العيوب الواضحة في منهجهم، و هذا يعني أنهم لم يتمكنوا من تخلص نظرتهم النقدية مما يطرأ عليها من توجهاتهم و ميولاتهم الخاصة في البحث.

و يلاحظ أيضا إهمال للنزعات التي لم تطرد فيها البحوث، و هي مع ذلك موجودة، مثل البحوث التي تأثرت بأعمال اللغوي الأمريكي شوميان، و الآخر الروسي ماركوف، و من تأثر بجهود الباحثين الألمان<sup>1</sup>، و بخاصة في مصر و الجزائر. و هناك باحثون طوروا أطرهم المستقلة، و عكفوا على التطبيق و لم ينضوا في مدرسة عربية و لا غربية<sup>2</sup>، و كونهم قلة لا يبرر عدم التنويه بهم، لأنهم جزء من صورة الخطاب اللساني العربي، و لا تكتمل صورة هذا الخطاب إلا بهم.

<sup>1</sup> - و منهم الباحثون: عبده الراجحي و عبد الرحمن الحاج صالح و مؤخرا حسن سعيد بحيري.

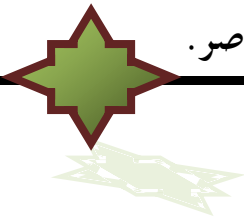
<sup>2</sup> - منهم الباحثون: فاضل السامرائي في التحليل البياني، و منصور الغامدي في الصوتيات المخبرية و الإلكترونيك، و نبيل علي في الحوسبة و البرانيم (علم البرمجة الحاسوبية).

# الفصل الثالث:

## قضايا التفكير اللساني العربي المعاصر

المبحث الأول: قضايا اللغة العربية.

المبحث الثاني: قضايا اللسانيات العربية.



## المبحث الأول:

### قضايا اللغة العربية.

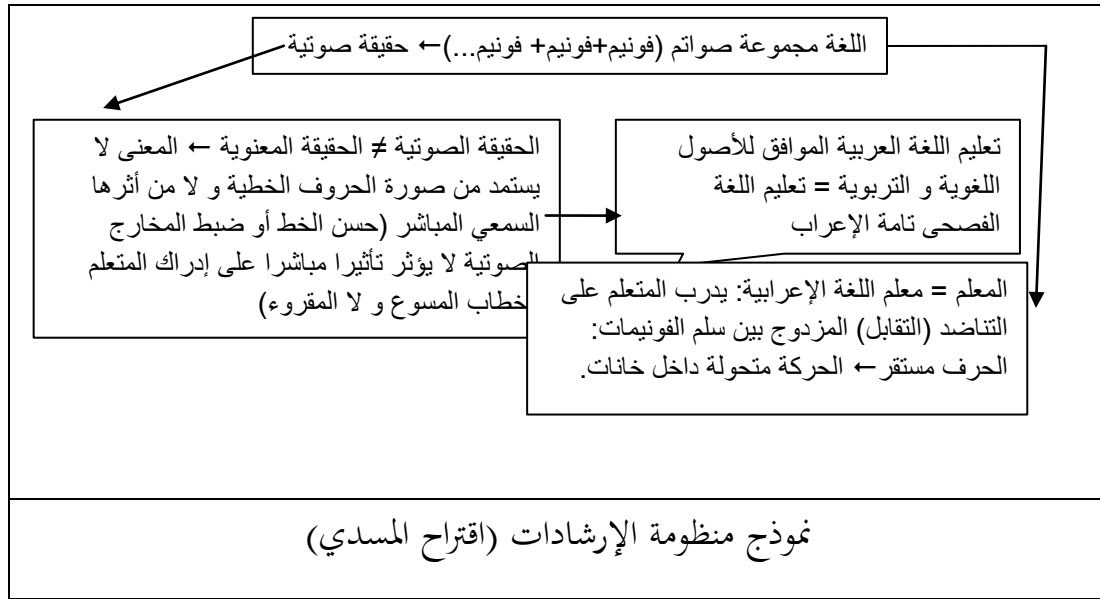
#### المطلب الأول: اللسانيات و اللغة العربية.

قضية القضايا في هذا الباب هي المساهمة التي يمكن للسانيات أن تقدمها للغة العربية، هذا التفكير كان قاسما مشتركا بين الفاعلين في مجال اللسانيات العربية، و كان ذا أهمية خاصة لأنه مسلك مباشر تتأكد من طريقه شرعية البحث اللساني العربي، و تثبت فعاليته و ضرورته بالأدلة الواقعية، و من أجل ذلك، ركزت جهود وافرة للتطرق إلى ما يمكن لخبراء اللسانيات أن يساعدوا به غيرهم من الباحثين و المشتغلين على قضايا اللغة العربية، بحثا و رصدًا و تعليما.

في هذا الإطار طرحت فكرة تحديد مجموعة من الإرشادات<sup>1</sup> يتعين على كل من معلم اللغة العربية و المسؤول عن تخطيط برامجها و مناهجها أن يأخذها في الحسبان و هو يزاول نشاطه، هذه الإرشادات مستنبطة من نتائج البحث اللساني المعاصر في جانبه النظري و التطبيقي، و تبدو هذه المعلومات كأنها منظومة من الأوامر أو التعليمات كل أمر يفضي إلى الذي يليه و هكذا، و يفترض هذا المقياس أن بساطة الإجراءات و عمليتها هو أكبر دافع للمربي و المخطط التربوي حتى يتقبل هذه المساعدة من طرف محايد أو خارجي، و بناء على ذلك فإن على خبراء اللسانيات العربية أن يتولوا المهام الصعبة و المعقدة المرتبطة بتحليل و تصنيف و رصد المستويات اللغوية و معالجة المادة وفقا للمقاييس و المناهج العلمية و ما على المربي و المسؤول عن المناهج إلا أن يستقبل نتائج هذه الأنشطة المضنية بشرط أن تكون سلسلة و يسيرة الفهم و سريعة التطبيق.

<sup>1</sup> - أنظر: عبد السلام المسدي، العربية و الإعراب، ص 175-181. و عبد الله التطاوي، اللغة و المتغير الثقافي، و مصطفى حركات، اللسانيات العامة و قضايا العربية، ص 113-146. و عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 173-240.

هذا المنظور فيه تجاوز لا نملك الإقرار به، ذلك أن وظيفة الباحث في اللسان العربي هي التحقيق و التقصي خلف هذا اللسان، لا فوقه و لا أمامه، و لا يهمله إن كانت نتائج البحث معقدة أو كثيرة العناصر، لأن هذه طبيعة المحصول العلمي أثناء النظر في الظواهر، و هي عامة في كل الميادين و التخصصات، أما جعل هذه المعطيات بعد استيعابها و هضمها مستساغة للمعلم و من بعده للتلميذ فذلك دور ينهض به باحثون مختصون في تبسيط العلوم.



و عند التطرق إلى مشاكل اللغة العربية تطفو إلى أعلى سلم الأولويات قضية تعليمية اللغة، و ما يمكن لخبراء اللسانيات أن يساهموا به في هذا المجال، و هنا ظهرت فكرة عامة يحاول أصحابها التأكيد على أن مشاكل تعليم اللغة العربية يجب أن لا تفصل عن مجموع المشاكل التربوية، لأن هذه الأخيرة بوصفها مجموعة الصعوبات و العوائق التي يواجهها مشروع التربية و التعليم في مستوى كل البلدان العربية، و في كل دولة على حدة، ليست من نوع واحد؛ بعضها تربوي بحت مثل مشكل طرق و مناهج التدريس، و مشكل الوسائل التعليمية و بخاصة الكتاب المدرسي. البعض الآخر من المشاكل ليس تربويا في جوهره مثل: مشكل الحالة الاجتماعية و الاقتصادية للدولة، فهذه العوامل لا تخص المربي بطريق مباشر، و لا يهمله البحث فيها، لكنها تؤثر تأثيرا مباشرا على عملية التعليم و عناصرها المختلفة<sup>1</sup>، و

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 173-174.

على سبيل المثال من غير المنطقي أن يطرح مشروع تعميم تعليم الوسائط التكنولوجية في دولة تعاني صعوبات اقتصادية خانقة.

و يستفاد من هذا المنظور أن المشاكل التربوية الكثيرة ليست كلها على قدر واحد من الأهمية، و الحق أن بعضها هامشي و غير ذي تأثير واضح على تعليم اللغات، و الذي ينبغي أن تنصرف إليه الأفكار و المهتم إنما هو المشاكل العميقة المزمنة، هذه التي يكون مجموعها في كل قطر قليلا، و لها تداخل عميق مع العناصر البيئية و الثقافية و الاجتماعية.

### 1. استفادة اللغة العربية من نتائج البحوث اللسانية:

جاءت المحاولات الأولى للنظر في إمكانيات و فرص استفادة اللغة العربية من نتائج البحث العلمي في اللسانيات و فروعها من جيل اللغويين العرب الذين شكلوا نواة الفكر اللساني المعاصر، و هو الجيل الذي حظي بتكوين مزدوج في كل من التراث العربي من جهة و اللسانيات الغربية من جهة أخرى، و كان لمعظمهم توجهات متوازنة في الترجيح بين الموردين.

كثير من الجهود المبكرة الداخلة في المرحلة الآنفة غلب عليها الفكر الفيلولوجي الأوربي، و بخاصة آراء المدرستين الألمانية و الفرنسية، و لعل هذه المرجعية كانت واحدا من أرجح الأسباب وراء النقد الشديد الذي وجه إلى أصحاب هذه النزعة من طرف باحثين عرب معاصرين لهم<sup>1</sup>، و كان هذا النقد حاملا لحجج مقنعة، غير أنه لم يكن ليمحو الأفكار و المحاولات الجيدة التي أخرجها هذا المنظور.

نذكر مثلا محاولة الأستاذ محمد المبارك، و هو من الأعضاء البارزين في مجمع اللغة العربية في دمشق، و كانت محاولاته على حد تعبيره ترمي إلى: «إقامة هيكل لنظرية شاملة في فقه اللغة للكلمة العربية المفردة تصلح أساسا للبحث و التوسع»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أنظر مثلا: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص9-20.

<sup>2</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة و خصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية و عرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد و التوليد، دار الفكر، القاهرة، ط2-1964م، ص5.

و إذا حاولنا تلخيص المنظور الذي يقترحه الباحث في محاولته انطلاقاً من الإجراءات صعوداً إلى الأهداف نجده ينطلق من البحث التاريخي المقارن في خصائص الكلمة العربية؛ أصواتها، حروفها، و بنيتها، و يتوصل إلى أن هذه الخصائص في كل مستوى و في المجموع المركب من المستويات تؤكد القانون الذي يعقد ترابطاً مطرداً بين الخصائص اللغوية من جهة و الخصائص العقلية و الاجتماعية و الثقافية من جهة أخرى، و ذلك يحتم توازياً بين خط يمثل طريقة أمة من الأمم في إطلاق الكلمات و المسميات و خط ثان يمثل عقلية هذه الأمة و بيئتها و أنماط حياتها، و ينتج من ذلك أن الطريق إلى معرفة قوانين اللغات هو التعمق في مجال علم الدلالة العام (Sémantique Générale)<sup>1</sup>.

في ضوء المعطيات السابقة تصبح المشكلة اللغوية المركزية التي تواجهها اللغة العربية هي القدرة على مواكبة متطلبات العصر الحاضر و كل ما استجد فيه من عناصر و مقتضيات تبليغية، و بعبارة أخرى: «كبرى المشكلات المثارة في العالم العربي و التي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية و قدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفنون أو الأدب.. أو في ميدان الحياة العملية»<sup>2</sup>.

و يفهم من هذا الطرح، إضافة إلى المنظور الذي سبق تلخيصه، أن المشكلة الحقيقية هي مشكلة جهاز التوليد و ميكانيزمات العطاء و التجديد في النظام اللغوي بصفة عامة، و في النظام الإفرادي على وجه التحديد.

و يعتقد المبارك أن الخطوة الأولى نحو الحل الصحيح لهذه المشكلة هي تحريك البحث الأساسي واسع النطاق للوصول إلى مخطط شامل للغة العربية، و ينهض هذا الاقتراح على ما يسلم به الباحث من التقابل العجيب بين اللغة العربية و الطبيعة، أو بين خصائصها الدقيقة

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 162-164.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 227.



في الكلمة و حروفها و أصول البناء و الاشتقاق مقابلة لنفسية و عقلية و بيئة الناطقين بها، و نراه صريحا و مقتنعا بهذا الاختيار حين يقول: «أعتقد أن هذا هو أول الطريق لمعرفة لغتنا معرفة عميقة و الانطلاق بعد ذلك إلى حل المشكلات الكبيرة منها و الصغيرة و أنه كذلك السبيل لتكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي و الفكري بل هو الأساس لتكوين تفكيرنا تكويننا صحيحا سليما و الأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية و التحرر اللغوي»<sup>1</sup>.

إن الكلام السابق يحمل أفكارا عامة و غير تفصيلية حول حل المشكل اللغوي، و قد أضعف البعض من قيمته لكونه ترجمة شبه حرفية لأفكار اللغويين الرومانسيين الذين ركزوا كل انشغالهم على صورة اللغة في الفكر<sup>2</sup>، و لكننا نستطيع أن نقول بأن المشكل الذي خلصت إليه هذه النظرة هو حقا واحد من أكبر مشاكل اللغة العربية المعاصرة، و قد تختلف وجهات النظر فيما يخص آليات و مراحل المعالجة الفعالة لهذا العقم الذي بدأ يستفحل و يستبد بنظام التوليد و الإبداع الخاص باللغة العربية، إلا أنه من الصعب إنكار أن أول ما يطاله هذا العقم هو النظام الإفرادي، و بشهادة الدراسات اللسانية الأكثر حداثة فإن الكفاية المعجمية هي مشكل المشاكل بالنسبة لاستعادة اللغة العربية حيويتها و ديناميكيتها التي تناسب قوة مولداتها.

و من الآراء المقنعة التي جاءت بها الدراسة السابقة ضرورة التفريق بين المظهر اللفظي الذي نعده خطأ لغويا و الآخر الذي نعده تطورا لغويا؛ و بناء على التسلسل المنطقي الوارد في البحث نجد أن الخطأ اللغوي هو (لفظ أو عبارة) دخيل على اللغة، ليس من قواعدها، حملت به أرحام غير عربية، فهو إذا: مخلوق هجين. و في المقابل: التطور اللغوي هو طبيعة اللغة و خاصية متغلغلة في نظامها، يدخل في قواعدها، فيكون حملا تاما سويا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة و خصائص العربية، ص 229.

<sup>2</sup> - أنظر ملخص هذه الآراء في المرجع الآتي: جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1-2003م، ص 23-64.

<sup>3</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة و خصائص العربية، ص 324.

هذا يعني أنه ليس كل ما يستجد و يولد من الألفاظ و التراكيب خارجا عن العربية أو دخيلا على نظامها، و الحق أن: «العربية الفصيحة الحية تقع على الجادة الوسطى بين الجمود المانع من الحركة و التجديد و الحياة النامية، و الفوضى و الإباحية اللغوية القاتلة لخصائص اللغة المشوهة لها» و بذلك يتحدد مفهوم إحياء اللغة العربية بأنه الجهد المطلوب بذله في طريق تحريرها من الجمود و العقم ثم من الفوضى و الخروج عن قواعدها و مقاييسها<sup>1</sup>.

أما في الفترة الحالية فيمكن القول بأن الذي يهيمن على البحث اللساني المعاصر هو موضوع الإدراك أو اللغة بوصفها نافذة إلى المعرفة<sup>2</sup>، و لعل هذا المشروع الجديد يتم الاقتراب منه تدريجيا اعتمادا على مصادر ثلاثة؛ المصدر الأول هو الحقيقة العضوية البيولوجية و العصبية، و المصدر الثاني هو الحقيقة النفسية، و المصدر الثالث هو التحقيقات القواعدية و النحوية. و أشار الباحثون إلى أن هذا التعدد في المصادر و الموارد التي تمتد البحوث، و إن كان فيه تكامل و تعاون مفترض سلفا، إلا أن الإقبال عليه لم يكن اختيارا أو بذخا معرفيا، بل على العكس من ذلك، إنه يترجم الانعطاف الحاسمة في البحوث اللسانية بعد الانسدادات و العوائق الموضوعية التي اصطدمت بها المقاربات الأحادية الجانب<sup>3</sup>، و يلح كثير من الباحثين اليوم، و بخاصة أصحاب النزعة التوليدية على أن المطلوب الممكن حاليا هو إنتاج نموذج طبيعي أو صوري من اللغات يمكن إجراء الملاحظات و المعينات عليه.

<sup>1</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة و خصائص العربية، ص324-325.

<sup>2</sup> - أنظر: Niel Smithk Chomsky; Adeas and Ideals, Cambridge University Press, 2<sup>nd</sup> edu, 2002.p70

<sup>3</sup> - أنظر: المقدرة اللغوية: ما هي، من يملكها، و كيف يطورها؟ (What is :The Faculty of Language )  
 it ? Who Has it? Haw did it evolve? مارك هاوسر، نوام تشومسكي، تيكومزي فيتش.مجلة العلم،  
 عدد 298 - 22 نوفمبر 2002-ص: 1579-1569.

و تطرق الباحثون العرب إلى قيمة النموذج اللغوي العربي، أو اللغة العربية الفصحى في حد ذاتها بوصفها نموذجاً ملائماً يستوفي الشروط المفترضة في الطرح الأنف، و قد لخص المسدي قيمة هذا النموذج في العناصر الآتية<sup>1</sup>:

1. اللغة العربية حافظت على الإعراب = الصورة الأصلية القدمى (فهنا لا نحتاج إلى فرضيات من أي نوع حول الشكل القديم لما هو متطور حالياً).
2. التوليد الذاتي.
3. البنية التاريخية التامة المنسجمة.
4. القبة المحيطة باللغة العربية من العلوم الشارحة و المفسرة لها.
5. التداول و الاستعمال المستمر (لغة حية).

يلاحظ هنا أن النحاة العرب ميزوا بين ما يسمونه المثال و هو الهيكل المعماري للكلام من جهة و الإنجاز الكلامي المتحقق استعمالاً من جهة أخرى، و عندما نرصد الاستعمال العربي الفصيح الذي يتوخى ضوابط الإعراب التقنية و الصوتية نخلص إلى أن الوصول إلى هذه المرحلة الأدائية يحتاج إلى درجة عالية من الارتياض الذهني بالإضافة إلى إحكام الصنعة، و في ضوء هذه المعطيات استنتج المسدي بأن الإعراب مولد لإبستمية النص، و لعله يرمي إلى المعرفة المتحققة في الكلام و الخطاب. و هذا يدعو إلى نفي الانفصام التاريخي و النفسي بين الناطق العربي و لغته، ذلك أن: «العربي (المتكلم الأصلي بالعربية) لا يستشعر أي انفصام زمني يحول بينه و بين اندراجه ضمن دائرة التاريخ (الحضارة العربية الإسلامية)، أو يحول بين التاريخ و بين الحلول في صميم وعيه الذاتي»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، العربية و الإعراب، ص 43-45.

<sup>2</sup> - عبد السلام المسدي، العربية و الإعراب، ص 58.

و من حق الباحث أن يفهم المعطيات و يصوغها على طريقته، غير أننا نعتقد في الاستنتاجات الآتية جانباً غير قليل من التجاوز و التعميم، و قد يصح أن تنطبق تلك المعادلة على من ألف اللغة الفصحى و أدمنها و عايشها طويلاً، إلا أن سواد المواطنين العرب، و الفئة النضرة من الطلاب و التلاميذ أبعد ما يكونون عن ذلك الإحساس، و عدم استشعارهم إياه ناتج على الأرجح عن عدم وجوده في خزينهم و تجربتهم اللغوية و لا الشعورية، و من المنصف أن نقر بأن هذه الفئة التي تمثل القلب النابض للتفاعل و التوليد اللغوي ما زالت لما تستكمل بعد أدوات الإدراك اللغوي و بخاصة ما يؤهلها للتأمل و الاستبطان داخل الذات و طرح مثل هذه الأسئلة المركبة.

لقد تراكم عدد كبير من الإثباتات العلمية الهامة بعد أكثر من قرن من البحوث و التحقيقات اللسانية، و وجدت كثير من النظريات طريقها إلى التطبيق و ظهرت فعالية هذه العوامل الجديدة جلية في تحسين مردودية تعليم اللغات، كما و نوعاً، و يشمل هذا التراكم نوعين من المعلومات؛ معلومات تخص النشاط التربوي أو ما ينجزه المدرس داخل حجرة الدراسة، و معلومات أخرى تخص اللغة بوصفها ظاهرة بشرية لها خصائصها و مميزاتها و شروطها في التركيب و التداول و الاكتساب.

و قد لاحظ العلماء أن معلومات الناطق باللغة المرتبطة بنفس اللغة التي يتكلمها ليس لها أي تمثيل خارجي، بل هي جزء مندمج في تكوينه، ذلك أنه لا يشعر أن هذا الفعل الذي ينتج به الكلام خارج عنه أو مفارق لذاته، تماماً كعدم شكه في أطرافه و حواسه و سائر مكوناته البيولوجية، و يزعم التوليديون، تأسيساً على الملاحظات الآتية، أنه يوجد عضو لغة كما يوجد عضو سمع و عضو إبصار و نحوه، و كما أن هذه الأعضاء لها منطقة مسؤولة عن عملها في الجملة العصبية المركزية فكذلك عضو اللغة<sup>1</sup>. و يلاحظ أن أصحاب النظرية الخليلية لهم

<sup>1</sup> - أنظر: تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية-سوري، ط1-2009م، ص35-36.

رأي قريب من هذا، لأنهم يوافقون على عضوانية الملكة اللغوية و يقترحون لها موضعاً في الجملة العصبية<sup>1</sup>، غير أنهم لا يقرون بالمقارنة التماثلية بينها و بين بقية الحواس، فإنها و إن كان لها أساس بيولوجي فهو قائم بعد الملكة و ليس قبلها، و اختار بعضهم أن يصفها بالجبلة، و رأيهم هذا هو تحليل مطور لموقف ابن خلدون<sup>2</sup>.

و يستفاد من هذه التحقيقات أن معلومات الطفل عن لغته ينبغي أن تحافظ على نفس طبيعتها الداخلية، و أن لا يشعر في أثناء تعلمه إياها أنها شيء ناشز أو مفارق لكيانه النفسي أو البيولوجي، و هذا الدور هو المطلوب من مدرس اللغة أن ينجزه مستعيناً بالطرق و المناهج المقترحة، مع ملاحظته المستمرة أن معلوماته هو، أي بوصفه مدرسا، تختلف عن تلك التي عند تلميذه، لأنه يمتلك ذخيرة من النظريات و القواعد التحليلية ليست في متناول التلميذ، و هذه الأخيرة مهمة جدا في فهم عملية التعليم لكنها ليست من مشمول المعلومات الواجب إيصالها إلى المتعلم، لأنها على حد تعبير ابن خلدون لا تزيد في الملكة شيئا، و قد تعرقل المسار التعليمي الصحيح.

و حري بالذكر في هذا المقام أن بعض الباحثين انتقدوا الطريقة التحليلية في تعليم اللغة العربية، و ذهب بعضهم إلى أنها واحد من أكبر أسباب تأخر اندماج و ترسيخ الملكة اللغوية، و ملكة الإعراب على وجه التحديد، و تعليل ذلك أنها تتبع تسلسلا مخالفا لنمط اكتساب الطفل للغة (حروف عارية ← حروف معجمة ← كلمة ← جملة)، مع العلم أن المساواة التامة خطوة بخطوة بين النمو البيولوجي للطفل و نمو اللغة عنده هو من قبيل القياس الخاطئ<sup>3</sup>. و في ضوء هذه المعطيات يخاطب المسدي المسؤولين التربويين قائلا: «على أهل القرار القائمين

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 215-224.

<sup>2</sup> - أنظر: مقدمة ابن خلدون، ج 1 ص 763-775.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسدي، العربية و الإعراب، ص 175.

على أنظمتنا التربوية أن يجعلوا التعليم الأساسي سلماً متدرجاً بذاته نحو بلوغ الطفل المرتبة التي يملك بها نهائياً أدواته التواصلية المثلى ألا وهي اللغة»<sup>1</sup>.

و هناك جانب آخر من الجهود حاول أصحابه تحريك آليات البحث الأساسي للتقدم في مسار التنظير اللساني الواسع النطاق بهدف إنتاج أو بناء نماذج نحوية تتعدى مجال الجملة الذي توقفت عنده التحليلات النحوية القديمة، و أكثر التحليلات الحديثة التي نسجت على منوال القدامى حرفياً.

في هذا الإطار قدم الأستاذ أحمد المتوكل ما يسميه مشروعاً متكاملًا نحو تمكين المقترب الوظيفي و استغلاله في تطوير نظرية للتحليل النحوي العام فيما يخص اللغة العربية يتم استثمارها بعد ذلك في الجوانب التطبيقية مثل التعليم و المعجم و الحوسبة. و قد عبر عن هذا الهدف المحدد بمزيد من الوضوح في العبارات الآتية: « غايتنا هي معرفة مدى إمكان استعمال وضع نحو وظيفي موحد يكفل وصف و تفسير ظواهر اللغة العربية (من ضمن اللغات الطبيعية) العملية منها و النصية»<sup>2</sup>.

كمثال على ما سبق، أجرى المتوكل مناقشة و تقويمًا لأطروحة ديك (1997م) التي تفيد بأن بنية النص تشاكل (تشابه) إلى حد بعيد بنية الجملة، و بالمثل فإن العلاقات الرابطة بين مكونات النص تماثل تلك الرابطة بين مكونات الجملة<sup>3</sup>. و تقوم هذه الأطروحة على فرضية مؤداها أن الخطاب في اللغات الطبيعية له بنية أساسية واحدة و لهذه البنية مكونات أساسية واحدة و تربطها علاقات و وظائف واحدة و ذلك كله تحت إطار نحو واحد و هذا النحو الموحد هو نفس نظرية النحو الوظيفي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص181.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: أبنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 2001م، ص10.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ص9-10.

<sup>4</sup> - نفسه، ص11.

يتضح مما سبق أن استفادة اللغة العربية من هذه الجهود النظرية التأسيسية ستكون بطريق غير مباشر، و بعيدة المدى على الأرجح، و ذلك لا يغض من قيمتها، ذلك لأن طبيعة البحوث الأساسية أن تكون كذلك، إلا أن التساؤل المطروح يخص الأرضية أو البيئة العربية الحاضنة لهذه الأطروحات، فإذا قبلناها مشروعاً للنهوض بعلوم العربية عموماً و تطوير الميدان المولد للنظريات الإجرائية على وجه التحديد، فإن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة أن الشروط الهيكلية و التنظيمية التي تعتبر مقدمة للخوض في مثل هذه الأنشطة الواسعة النطاق ليست متوفرة في أي قطر عربي و لا في مجموع الأقطار العربية في الوقت الحالي، و لا يكفي أن يعتنق عدد من الباحثين العرب المقاربة الوظيفية و يبذلوا جهوداً في تقريبها و تكييفها وفق مقتضيات اللسان العربي، لأن هذا يخص المشروع الوظيفي وحده، أما الطرح الذي يتبناه المتوكل و مدرسته فهو برنامج لإعادة تشكيل المعرفة النحوية برمتها انطلاقاً من الأصول النظرية و طرق القياس و التحليل وصولاً إلى إجراء هذه المعطيات في واقع تداول اللغة العربية و استعمالها.

و تجدر الإشارة إلى أن المشروع الوظيفي ليس وحده في الساحة اللسانية العربية، فقد قدم عبد القادر الفاسي الفهري مشروعاً لتمكين الإطار التوليدي ثم التداولي<sup>1</sup>، و إذا نظرنا في هذه المحاولة الأخيرة نجد أنها تركز أكثر من سابقاتها على ضرورة استثمار التراكم المعلوماتي في المعرفة اللسانية المتجددة، و هذا يعني أن أصحاب المنظور التوليدي في اللسانيات العربية لا يكادون يقرون لنظرائهم أصحاب المنظور الوظيفي بأية محرزات من النوع الذي يترجم هذا البناء المنتظم الذي يسمونه التراكم، و من الواضح أيضاً أنهم لا يقرون أصحاب المنظور التراثي لا من حيث الأوليات و لا من حيث الإجراءات، و بناء على ذلك كله، يصح الاستدراك الذي ألحنا إليه آنفاً، حيث إن البرامج العلمية المؤسسة لا تعطى هذه الصفة

<sup>1</sup> - أمطر مثلاً: عبد القادر الفاسي الفهري، ذرات اللغة العربية و هندستها: دراسة استكشافية أدنوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1-2010م.

لأجل أن القائمين عليها عندهم طموح و اقتناع بها، بل هي قبل ذلك شروط و إعدادات في جوانب هيكلية و تنظيمية كثيرة قبل أن تصل المقاليد إلى الباحث في حد ذاته.

أما ميدان اللسانيات الاجتماعية الذي ازدهر في الآونة الأخيرة، فقد قدم أصحابه مقاربتهم بناء على رصد واقع اللغة العربية في الفضاء العربي-العربي ثم الكوني، و حاولوا وصف تجليات و مظاهر اللغة في التداول و الاستعمال، و استنتج ما يمكن استنتاجه من التوصيات و الآراء التي تفيد برنامج البحث اللساني المشترك حول اللغة العربية و قضاياها.

و من الخلاصات التي تعبر عن معايير التوجه الآنف، نجد الأستاذ نهاد الموسى يبني معادلة حال اللغة العربية الراهن في ضوء أخذ و جذب متبادل بين المعطى السوسيو ثقافي من جهة و الآخر الاقتصادي-التكنولوجي من جهة أخرى، و يؤول هذه المعادلة بما يسميه التفاعل بين القيم و القوى؛ قيم الثبات، و قوى التغيير. و الميزة الحاسمة في هذا التفاعل أنه يفرض مزاحمة للعربية في مجالاتها الحيوية، و يمنعها شروط الانتشار، و مصداق ذلك أن الأمة الناطقة بالعربية تستهلك المعرفة و لا تنتج منها إلا أقل القليل، إضافة إلى السماح بتمدد طولي و عرضي للنموذج الإنجليزي في كل مراحل التعليم. و يخلص الموسى من مقارنة القيم بالقوى إلى أن التفاعل بينها يكبح العربية عن التطور و الانتشار، و لكنه لا يهدد بقاءها في الوقت الراهن<sup>1</sup>.

ارتكزت الدراسة الآنفة في تقييمها وضع اللغة العربية على بعض المقاييس التي ترجع إلى نظريات فيلولوجية قديمة أعيد الاعتبار لها حالياً، و من ذلك مثلاً عوامل حياة اللغة الأربعة؛ السياسي، الاقتصادي، السكاني، و الثقافي. فبالنسبة للغة العربية يمكن القول بأن العامل السياسي في صالحها نوعاً ما، و مرد ذلك إلى الدعوات و البرامج الكثيرة الرامية إلى تعليم اللغة العربية في البلدان الغربية و الشرقية (غير العربية) لأغراض مختلفة، و قد ظهر اتجاه

<sup>1</sup> - نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت و وقوى التحول، دار الشروق، عمان-الأردن، ط1 (1428هـ/2007م) ص6-12.



قوي في الآونة الأخيرة لتعليم اللغة العربية لأغراض الإعلام و التحليلات الاستراتيجية، فهذا اتجاه ظاهره لصالح العربية إذا قيمناه من وجهة نظر لغوية بحتة، لكنه أبعد تأثيرا و آثارا بطبيعة الحال.

أما العامل الثاني الاقتصادي فيعد نقطة الضعف الفادحة، و تقويمه سلمي بلا شك، و ذلك لأن الإنتاج باللغة العربية في مجموع مرافقها لا يفي إطلاقا بمتطلبات التنمية المحلية، فضلا عن أن يكفل لها الانتشار و الإشعاع خارج أراضيها.

و يعد العاملان الثالث و الرابع في جملة المؤشرات الإيجابية أو المتوازنة؛ نلاحظ أن العربية لها أرضية واسعة من الناطقين قياسا على التعداد الرسمي، بغض النظر عن طبيعة المنطوق و مستوى تفاعل الناطقين معه. كما أن العامل الثقافي متصاعد نسبيا لبقاء النزعات و الأفكار التي تمجد العربية و تنظر إليها نظرة نموذج متعالٍ أو مقدس.

و هكذا تخلص هذه الدراسة إلى أن التقييم العام لحياة اللغة العربية هو إيجابي أو متوازن على أقل تقدير.

من جهة أخرى، يتكلم الموسيقى عن نوعين من الحياة تتأرجح بينهما اللغة العربية في واقعها الراهن؛ الحالة الأولى أن تحيا في حالة حرجة، و هي حال بين بين، صراع و مد و جزر قوي بين قيم الثبات و قوى التغيير. الحالة الثانية أن تحيا كتلة حرجة إذا تحقق النجاح في إعادة التوازن داخل معادلة الصراع بين القيم و القوى، فهنا نستشرف ازدهارا و انتشارا يجعل اللغة العربية رقما صعبا في المعادلة اللغوية العالمية، يقول في هذا الصدد: «أمر اللغة على الجملة منوط بالائتلاف المنسجم بين الثقافي و الاقتصادي. و العربية بما تحتزن من قيم الثبات و ما يتنازعها من قوى التحول ستحيا بقوة الاستمرار و لكن في حالة حرجة. أما إذا أجبنا عن

الأسئلة التي اشتقت منها (معادلة القيم و القوى) فإن العربية ستمضي في طريقها إلى الازدهار و تبلغ حالة الكتلة الحرجة»<sup>1</sup>.

## 2. التحقيقات اللسانية و تطبيقها في تعليم اللغة العربية و تطوير بيئتها التقنية:

هناك اتجاه قوي بين اللسانيين العرب المعاصرين لمناقشة أفضل السبل التي يتحول من خلالها المكون النظري للمعرفة اللسانية الحديثة إلى تطبيقات فعالة تساهم في تطوير و ترقية اللغة العربية و بخاصة في الميادين و الجوانب الحساسة و أيضا تلك التي لا تكتمل التنمية اللغوية الشاملة إلا بها.

في هذا الإطار تم التطرق إلى التحقيقات اللسانية و تلخيص زبدة ما أنتجته البحوث في هذا المضمار، ثم النظر في كفاءات تفعيلها؛ على سبيل المثال، لخصت الحقائق اللسانية الكبرى خلف البحث في الظاهرة اللغوية و طرق تكوينها و اكتسابها في القوانين السبعة الآتية:

**القانون الأول: وظيفة اللسان و دوره هو التبليغ و توصيل الأغراض من طرف إلى طرف،** هكذا هيمن على الفكر اللساني الحديث و المعاصر الدور الوسيط الذي يلعبه اللسان في الحياة الاجتماعية و الاتصالية بصورة عامة، و على حد تعبير دو سوسور فإن الفكرة أو الغرض الذي يرجو الإنسان أن يبلغه يظل في ذهنه أو خياله كالسدوم أو الغمامة لا حدود له و لا شكل، حتى إذا ألبس اللفظ و خرج كلاما مفهوما اكتسب شكله الخاص المعروف<sup>2</sup>، و يترتب على هذا القانون مبادئ فرعية:

**المبدأ الأول:** تقاس حيوية اللغة و مقدار انتشارها بمدى قدرتها على إنجاز مهمتها المذكورة آنفا و هي التبليغ و توصيل الحاجات و الأغراض. و بناء على ذلك تتحدد اللغة الحية بأنها تلك التي يكثر تداولها و استعمال المواطنين إياها في كل أحوال التواصل اللفظي مكانا و زمانا، و هذا المستوى من اللغة هو الأساس في بناء البرامج التعليمية و تصميم

<sup>1</sup> - نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث ، ص 187-188.

<sup>2</sup> - فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يعقوب، ص 155-157.

المناهج، لأنه يمثل القاسم المشترك الأكبر بين مستعملي اللغة في كل الأقطار، و لا يفترض أية حدود أو شروط مسبقة مثل العمر أو المستوى الثقافي أو البيئة الاجتماعية، و يمكن القول إن التوصل إلى هذه العينة من اللغة العامة المشتركة يجيب بكل تأكيد إجابة صحيحة و وافية على واحد من أهم مشاكل التخطيط اللغوي، و هو المتعلق بالمحتوى و كيفية تكييفه بحيث لا يظهر الفوارق و التنوعات الاجتماعية و العرقية و الثقافية، أو الذي يضمن عمومية التعليم مع تساوي الحظوظ فيه بين كل متعلم و آخر بغض النظر عن بيئته و منطقتة المرجعية.

إن هذا المستوى المشترك موجود في كل لغة، و هو موجود في اللغة العربية الفصيحة بطبيعة الحال، و هناك طرق و مقاييس معتمدة لرصده و تصنيفه التصنيفات الملائمة حتى يكون مادة منظمة يستفيد بها في الوقت نفسه كل من مصمم المناهج اللغوية و مدرس اللغة العربية، لقد تم رصد قسط معتبر منه في الرصيد الوظيفي المشترك لأطفال المغرب العربي<sup>1</sup>، و توصل الجرد الأولي إلى حوالي 2 مليون من المواد اللغوية المختلفة تم تسليمها للجنة المسؤولة عن الرصيد العربي المشترك في الجامعة العربية.

هذا الرصيد المذكور أعلاه ما زال تعميمه و من ثم تفعيله في مناهج تعليم اللغة العربية غير جار على المقاييس الصحيحة، مع العلم أنه مشروع مبكر يرجع إلى أواسط الستينيات من القرن العشرين. و لا شك أن إعادة تحريك البحث الأساسي في المدونات و الاستفادة من التجارب السابقة في جمع الرصيد اللغوي سيفيد برامج تعليم اللغة العربية لأبنائها و لغير الناطقين بها فوائد نظيرة للفوائد التي جنتها اللغات: الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية من نفس المشاريع القاعدية، و هناك تجربة حديثة لكل من الصين و كوريا الجنوبية يمكن الاستئناس بها

<sup>1</sup> - حدد هذا الرصيد على النحو الآتي: «إن الرصيد من اللغة الذي يجب أن يعلم للطفل هو مجموعة من المفردات و العبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سن معينة من عمره حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض و المعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة، و من ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية و العلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة». أنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 119-121.

للتأكيد على نجاعة هذا الاختيار و التقليل من وطأة الآراء التي تعترض عليه بحجة واحدة ضعيفة و غير مقنعة و هي ضخامة تكاليفه المادية و البشرية، ذلك أن هذه التجارب المشار إليها تجمع على أنه لا مجال للمقارنة بين متطلبات تحريك البحث الأساسي واسع النطاق في رصد المدونات اللغوية الأساسية و بين النتائج و العوائد الهائلة التي تضطلع بها في كل مجالات التنمية العلمية و التربوية و الاتصالية، بل لها دور خطير و حاسم في الاستثمار الاقتصادي يؤكد الخبير في هذا المجال.

**المبدأ الثاني:** الأساس في التبليغ بناء على الكثرة و الشيوع هو الكلام الشفوي المنطوق و يوازيه المسموع، و يعد الخطاب المكتوب و يوازيه المقروء حالة فرعية عند أكثر علماء اللسان المعاصرين، و هذا صحيح من الناحية اللغوية البحتة، غير أن التربويين لاحظوا بأن مهارات الكتابة و القراءة هي أكثر أهمية في التحصيل العلمي من مهارات الاستماع و المحادثة، و ذلك لأنها لا تخص تعليم اللغة فقط بل تشمل جميع عمليات استقبال و معالجة المعلومات التي يقوم بها المتعلم.

و إذا جمعنا بين وجهتي النظر المعبر عنهما آنفا، نجد أن كل واحدة منهما لها مرتكز سليم و معقول، و من الواضح أن تعليم اللغات هو شأن قائم برأسه مستقل في طريقته و مناهجه عن بقية المواد الأخرى، و بعبارة الخبير جاك ريتشاردز فإنه من غير الملائم اعتبار اللغة مادة دراسية تدرس كغيرها من المواد الأخرى، بل هي على الأرجح مادة موازية موجودة بنسب متفاوتة مع كل المواد الأخرى؛ نجد اللغة في الرياضيات و في العلوم البحتة و في المواد التطبيقية و في تدريس الأدب.

و قد أظهرت الدراسات المقارنة لتحليل الخطابين المنطوق و المكتوب أن نسبة الضغط الذي يفرضه النوع الأول على جهاز المعالجة المتكفل بعمليات الاستقبال و الإرسال عند المتعلم المبتدئ لا يقارن إطلاقاً بذلك الذي يفرضه النوع الثاني، و معنى ذلك أن تحليل الخطاب المنطوق استماعاً و فهماً ثم إدراكاً و من ثم إنتاجاً و تركيباً هو نتيجة تضافر مجموعة

كبيرة من العمليات المعقدة، و قد حاول الباحثان كلارك أن يوضحا هذه العمليات متسلسلة من البداية إلى النهاية ( و مجموع مدة المعالجة الحقيقية يقاس بالأجزاء من الثانية) فيما يخص المستمع من وجهة نظر اللسانيات النفسية و توصلا إلى ما يأتي<sup>1</sup>:

- 1- ينطلق المستمع من الخطاب الخام (كمجموعة صوتية) فيجري عليه تحليلا علاجيا يتوصل من خلاله إلى استخراج صورة صوتية تمثل خصائصه الفونولوجية يحتفظ بها في الذاكرة قريبة المدى (الذاكرة النشطة).
2. على الفور، يقوم المستمع بمحاولة تنظيم هذه الصورة الصوتية من خلال تقسيمها إلى وحدات يتحدد بواسطتها مكونات الصورة الصوتية و وظيفتها في الخطاب.
- 3- يتم تحديد كل وحدة صوتية على حدة و بناء المقترحات الأساسية الخاصة بها، من أجل ضمان استمرارية البناء للصورة الهرمية للمقترحات.
- 4- إذا تم تحديد المدخل المقترح لأحد الوحدات، يقوم المستمع بالاحتفاظ به في الذاكرة قصيرة المدى و في بعض مناطق الذاكرة الخاصة بالحذف المرتبطة بالصور الصوتية. عندما يقوم المستمع بهذه العمليات يكون الشكل الملفوظ الأول قد تم نسيانه (أو إهماله) و يبقى فقط المعنى المحصل من عملية المعالجة.

**القانون الثاني: اللسان ظاهرة اجتماعية، فهو اتفاق و اصطلاح عربي يحدثه المجموع، و له مع ذلك استعمالات فردية. و بناء على ذلك فإن العناصر اللغوية إذا شاعت و كثر استعمالها عند المجموع من الناطقين فذلك يدل صراحة على أنها من مشمول الاتفاق المشار إليه، و الذي يسميه بعض الباحثين بالوضع أو الشفرة اللسانية المشتركة، و على ذلك، فإن الوضع العربي المشترك للغة الفصحى هو المعتد به كقاعدة ينطلق منها في تعليم هذه اللغة، و في معظم البحوث الرامية إلى تطويرها، و هو مجموع العناصر اللغوية التي ثبت شيوعها على**

<sup>1</sup> - أنظر: Clark, H. M., and E.V. Clark (1977). Psychology and language: An Introduction to Psycholinguistics. New York: Harcourt Brace Jovanovich. P49.

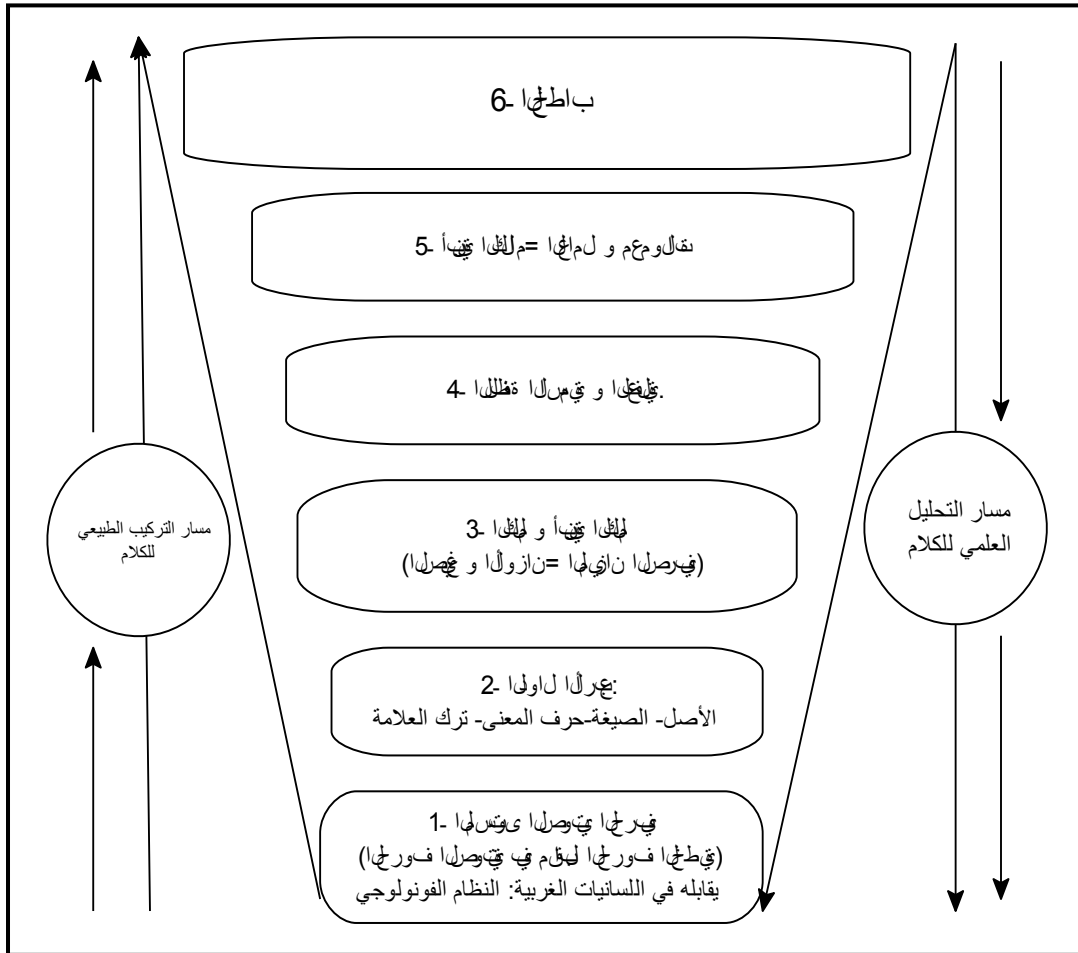
ألسنة الفصحاء العرب القدامى ثم اطردت و استمرت على ذلك على ألسنة المعاصرين من ناطقي هذه اللغة و مستعمليها.

القانون الثالث: كل لسان في الدنيا له خصائص مميزة من حيث المادة و الصورة، و ذلك يعني أن الألفاظ تختلف بين لغة و أخرى و كذلك المعاني.

غير أن الخبراء يؤكدون ضرورة أن يؤخذ في الحسبان أثناء برمجة المادة و توزيعها على مختلف وحدات المقرر الدراسي القدر الهام من المفاهيم الحضارية الواسعة الانتشار و لا سيما تلك التي تخدم المفهوم الإنساني العام، و ألفاظ المحدثات و الاختراعات الجديدة، و في الوقت نفسه، ينبغي و بشكل حاسم تجنب المفاهيم الضيقة و تلك التي تخص أمة معينة حفاظا على الشخصية و الهوية العربية، و يطبق هذا الاستثناء بحذافيره في السنوات التعليمية الأولى.

القانون الرابع: تتحدد اللغة في المنظور العلمي في ضوء المعاملات الثلاثة الآتية: (نظام+ وضع (شفرة)+ أدلة (مجموعة دال و مدلول)). و بما أنها نظام فذلك يعني مجموعة من العناصر الكلية و أجزاءها تتداخل و تتعاضل يضاف إليها مجموع القوانين الدقيقة و العلاقات و الروابط الوثيقة التي تجمع بين هذه العناصر، و قد لاحظ الباحثون أن هذه القوانين و العلاقات زائدة على العناصر و المكونات المادية، و في اللغات البشرية نلاحظ بأن القانون المستنبط من توالي الأصوات بطريقة معينة ليس موجودا في المادة الصوتية، و لا شك إذن أنه صورة أو هيكل ذهني ينشأ في ذهن المحلل أو الباحث في تراكيب اللغة يماثل به بصورة تقريبية الحركة الفزيوصوتية، و الحق أنه إذا لم يتمكن الباحثون من ضبط مثل هذه الصيغ و الأبنية فإن تعميق البحث و المعالجة على اللسان و مكوناته سيكون عقيما أو ضربا من المستحيالات.

و لهذا كان لنظرية الأنظمة و تطبيقاتها أهميتها البالغة في البحث اللساني المعاصر<sup>1</sup>،  
و قد استفاد الباحثون العرب من هذه الأفكار و طبقوها في تحليل اللغة العربية و توصل  
بعضهم إلى نموذج للنظام العام مشتملا الأنظمة الفرعية مع اعتبار تدرجها عمقا من  
الأبسط إلى الأكثر تركيبا و تعقيدا صعودا و نزولا على النحو الآتي<sup>2</sup>:



شكل 11: مستويات الكلام العربي حسب النظرية الخيلية الحديثة.

القانون الخامس: اللغة بوصفها ظاهرة من الظواهر الوجودية الطبيعية خاضعة للبحث و الرصد كغيرها من الظواهر، و قد بينت البحوث أن اللغة لها منطقتها الخاص في ترتيب العناصر و مواضعها، و هذا المنطق اللغوي يشترك في بعض الجوانب مع المنطق العام العقلي و

<sup>1</sup> - أنظر: ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 99 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - أنظر: محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة، ص 23.

الطبيعي، فعلى سبيل المثال لوحظ بأن المفاهيم العامة مثل: الترتيب و التناقض و التسلسل لا تنطبق على الأبنية و الوحدات اللغوية كانطباقها على المحاكمات العقلية، و من أجل ذلك نجد أن كل لغة لها خصائصها المميزة في تقابل عناصرها من حيث المبنى و المعنى، ففي العربية و غيرها من اللغات لا يتقابل المذكر و المؤنث تقابلا تناظريا، إذ نجد ما هو مثنى في لغة ينقلب مذكرا في لغة أخرى، و هناك لغات مثل الإنجليزية لا تقيم التقابل بين المذكر و المؤنث في أكثر الحالات، و في محصلة القول لا يعني هذا الاضطراب أو الخروج عن المنطق العام أن اللغة خاطئة، و إنما يعني أن لها منطقتها و طريقها الخاص في الترتيب.

و يستفاد من هذه الأفكار أن معلم اللغة العربية إذ يستعين بالمنطق العام في نشاطه، و ذلك أمر لا مفر منه، فإنه ينبغي أن يستحضر حقيقة المنطق اللغوي الخاص باللغة العربية، و هو قياسها الذي ضبط العلماء أبوابه و حددوا طرق تفريع الفروع عليها، و مواضع وحداته بدقة كبيرة.

القانون السادس: العلاقة الرباعية (الوضع اللفظي / الاستعمال المعنى): و معنى ذلك أن اللغة هي في المقام

الأول اتفاق و اصطلاح يحدثه المجموع من الناطقين، و يتكون من ذلك مجموعة منسجمة من العناصر اللغوية على شكل دوال و مدلولات، و هذا المجموع من الدوال و المدلولات له هيكل و بنية عامة تؤطره و داخله بني فرعية على صورة أجزاء متدرجة، فمجموع هذه الدوال و أبنيتها هو صورة أو نظام اعتباري مجرد نسميه: الوضع، و يلاحظ أن كثيرا من عناصر هذا الوضع يمكن أن يدرك العقل انسجامها و يفهم طبيعة العلاقات الرابطة بينها، كما يمكن أن يدرك أيضا الميكانيزمات التي تتحرك في ضوئها عناصره وصولا إلى إنتاج كلام تام، فهذا المقدار المعقول من القوانين و الميكانيزمات نسميه: القياس.

نلاحظ هنا أن الوضع ليس له تحلي مادي، و إنما هو ذخيرة مخترنة في الملكة اللغوية ينقلها السلف إلى الخلف جيلا بعد جيل، و كل جيل يجري هذا الوضع و يستعمله في إقامة



الاتصال، ثم إن المستعمل في مجموعه هو جزء من الوضع و ليس كله، و هذا الاستعمال محكوم هو أيضا بقوانين و مقتضيات قد تجعله يخرج في كثير من الأحيان عن ذلك المقدار المعقول الذي سميناه القياس.

و محصول القول أن الوضع و الاستعمال هما وجهان لظاهرة واحدة لكنهما غير متساويين، و داخل كل منهما تنشأ ثنائية أخرى و هي ثنائية اللفظ و المعنى، و مجموع ذلك أربعة أوجه: لفظ وضعي و لفظ استعمال، و معنى وضعي و معنى استعمال.

و يستفاد من ذلك أن تحليل عناصر اللسان ينبغي أن يميز فيه بوضوح بين المعلومات الراجعة إلى الاستعمال مثل اختلاف اللهجات و الأداءات الضيقة و الفردية أحيانا، و بين ما هو مستقر في الوضع و أقيسته بوصفه معيارا مجردا عاريا عن عوارض الاستعمال، و هذا يعني أن معلم اللغة العربية ينبغي أن يدرك بأن أكثر المفردات لا يتحدد مضمونها المادي و المعنوي اعتمادا على القواميس، بل يتحدد اعتمادا على شبكة استعمالها أو قسمة مواقعها في درج الكلام، و هي مجموع المواضع و السياقات التي يحتمل دخولها فيها.

### القانون السابع: مستوى تحليل الأبنية و الصيغ اللغوية:

الأبنية اللغوية مثل الميزان الصرفي (ف-ع-ل) هي انتظامات مبهمة، ليس في داخلها معنى مخصوص، و قد وضعت على هذا النمط وضعاً غير معين تمثيلاً تقريبياً لحركة العناصر اللغوية؛ و نلاحظ أن الفاء أو العين أو اللام لا تدل على شيء محدد و يمكن أن يستعاض عنها بأي حرف من حروف المعجم، و يمكن إجرائياً اسبدالها برموز أخرى (X-Y-Z) مثلاً. و محصول القول أن تحليل الأبنية اللغوية، في كل مستوى من مستوياتها العامة أو الفرعية يحتاج إلى هذا النوع من الكائنات و الصيغ المجردة بوصفها أواليات أو بديهيات مكتفية بذاتها، و من الواضح أن هذا التحليل أعلى تجريداً من التحليل القائم على الوضع أو الآخر القائم على الاستعمال.

و مدرس اللغة العربية ينبغي أن يدرك بأن أكثر هذه الصياغات هي من قبيل الصياغات و المعادلات الرياضية، فعندما نتطرق إلى صيغة مثل: فعل و افعال و تفاعل و نحو ذلك ينبغي أن نفهم الإبهام و عدم التعيين في العناصر المتوالية المكونة إياها، أما إذا تطرقنا إلى معاني هذه الأبنية بحسب الاصطلاح (أي في مقتضى الوضع) أو في استعمال الناطقين فذلك مستوى مختلف من التحليل.

و لذلك ينبغي أن نفرق بين الصيغة أو البناء في حد ذاته، لكونه إنشاء تقديريا يضبطه الذهن بطريقة معينة، و هي طريقة المنطق الرياضي، و بين المعاني و الدلالات المحمولة داخلها في التداول و الاستعمال، و التحليل البنوي للغات هو فرع من نظرية الأنظمة و البنى، و آية ذلك أن اللغة ليست الظاهرة الوحيدة التي لها نظام و أبنية، بل كل ظواهر الوجود قابلة للرصد و المعاينة بنفس هذه الطريقة.

### المطلب الثاني: اللغة العربية و اللهجات.

ناقش الأستاذ محمد عيد العلاقة بين العربية الفصحى و لهجاتها في كل من المدونة النثرية و الشعرية، و اعتمد في ذلك على ما يسميه: النظرة الحديثة لتحديد المستويات اللغوية<sup>1</sup>، و هي خلاصة آراء اللغويين الغربيين ذوي النزعة المقارنة و الفيلولوجية و لاسيما الدانماركي أوتو سيرسن و جاردنر و الفرنسي جوزيف فندريس، و قد ارتكزت هذه النظرة على الأسس الخمسة الآتية:

1- مراعاة المستوى الاجتماعي للغة = اللغة هي استعمال الناطقين ← ظاهرة

اجتماعية.

2. العرف اللغوي = نظام الصحة اللغوية.

3. الدراسة العلمية = زمن محدد + بيئة لغوية محددة.

<sup>1</sup> - محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و النشر و الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ط1-1981م، ص3.



4. التطور و التغيير الزماني للغة شرط في دراستها الوافية.

5. المنهج = وصف خالص لنشاط المتكلم.

لقد حددت الدراسة الآنفة المستوى اللغوي على النحو الآتي: « هو النموذج اللغوي الذي يحقق للناطقين به صلاتهم الاجتماعية و الفكرية، و يحمل الخصائص اللغوية التي تعارف عليها أهله أصواتا و بنية و تراكيب و إعرابا»<sup>1</sup>. و أكدت على أن الباحث في اللغة ينبغي أن يقتصر عمله على الملاحظة و الوصف، و ليس من حقه أن يضع نفسه أمام هذا النشاط ليوجهه<sup>2</sup>.

بناء على هذه النظرة، يلاحظ أن سلطة الاستعمال و الشيوخ تفرض نفسها على السلطات اللغوية التشريعية كالمجامع مثلا، و من الشواهد المعاصرة التي تثبت ذلك أنه في أوائل ظهور جهاز التلفزيون اقترح له الأستاذ على الجارم مصطلح (المرناة) قياسا على أن الفعل رنا يدل في الفصحى على السمع و الرؤية معا. و اقترح الأستاذ محمود تيمور مصطلح: الإذاعة المرئية، و دار جدل كبير في مجمع القاهرة بين هذين الاقتراحين، و لاكنه الصحافة طويلا، غير أن الشيوخ الاجتماعيين للفظه تلفزيون جعل تلك المناقشات تبدو خارج الخط، و ربما مبعثا للسخرية<sup>3</sup>.

تؤكد الدراسات المختصة في اللهجات أن التعدد اللهجي ظاهرة قديمة في العربية، و من الشواهد على ذلك رسالة النبي (صلى الله عليه و سلم) إلى حمير في اليمن و هذا نصها كما رواه أبو العباس القلقشندي في صبح الأعشى:

في التبعة شاة، لا مقورة الألياط و لا ضناك، و أنطوا الثبجة، و السيوب الخمس، و من زنى مم بكر فاصعقوه مائة، و استوفضوه عامما، و من زنى مم ثيب فضرجه

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص3.

<sup>2</sup> - نفسه، ص32.

<sup>3</sup> - محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و النثر و الشعر، ص24.

بالأصاميم، و لا توصيم في الدين، و لا غمة في فرائض الله، و كل مسكر حرام، و وائل بن حجر يتزفل على الأقيال. (صبح الأعشى: ج6/371). مقورة=معبية (جلدها مطلي بالقطران)، ضناك= شديدة الحسن، أنطوا= أعطوا، الثبحة:= المتوسطة، السيوب= الذهب و الفضة، اصعقوه= اجلدوه، استوفضوه= انفوه، ضرجوه= ارجموه، توصيم= عسر، يتزفل= يترأس.

شملت دراسة الأستاذ محمد عيد أربع مستويات متقابلة (الفصحى/اللهجات- النثر/الشعر). و اتضح من خلال ذلك أن البحث له جانبان: جانب أول هو التحقيق التراثي، و جانب ثان تمثل في إضاءة و تفسير المعلومات التراثية بالنظرة اللغوية الحديثة. و يمكن القول إن الهدف الإجرائي من هذه الدراسة هو تقديم رؤية منصفة توضح بالأدلة المقبولة أن هذه المستويات الأربعة هي نماذج مستقلة؛ لكل منها خصائصه و ضرورته و مكانته، و ينبغي أن لا نخلط بينها في الاستعمال و لا في الدراسة العلمية.

من المهم الإشارة إلى أن هذه الدراسة تدخل في النمط الذي يفسر التطور في اللغة العربية اعتمادا على الاستنتاج الأرسطي. لا شك أن الباحثين ذوي هذه النزعة لا يصرحون بذلك، و قد لا يكونون على إدراك و قصد مسبق في تفعيل هذا الإجراء، و مما يوضح هذا المنحى الاندراجي الشمولي في التحليلات الآنفة طريقة استنتاج قانون تطور اللغات نوضحه كما يلي<sup>1</sup>:

1. مقدمة كبرى: اللغة ظاهرة اجتماعية

2. مقدمة صغرى: الظواهر الاجتماعية تتطور

3. نتيجة: اللغة تتطور

<sup>1</sup> - محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و النثر و الشعر، ص29.

و ينبغي أن نلاحظ بأن هذا المنطق في الاستنتاج سمح بأن يتكون لدى الباحث قناعة بأنه لا فارق بين اللغة في مراحلها الزمانية، و لذلك نجد التأكيد على انتفاء التفاضل الزمني أو المكاني بين المستويات اللغوية، و هذا جوهر التصور الوصفي الأوربي:

اللغة الجاهلية = اللغة الإسلامية = اللغة الحديثة = ...

اللهجة الجاهلية = اللهجة الإسلامية = اللهجة الحديثة = ...

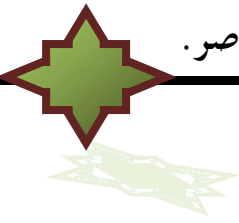
و انطلاقا من ملاحظة الواقع اللغوي حاول الأستاذ كمال بشر أن يبين بأن اللغة العربية تتعرض إلى مزاحمة و تضيق شديد من مكونات لغوية أخرى، ذكر منها العاميات و الرطانات و المهجين، و خلص في نتيجة رئيسية إلى أن هذا الوضع ليس ناتجا عن طبيعة اللغة العربية، بل أنتجه المتكلم اللغوي، و من كلامه الذي يعبر عن هذه النظرة قوله: «العاميات و الرطانات تطير في الجو العربي و تملؤه بغير المتنافات و النواشز من صور الكلام، و تحاول تعميم المساحة الضيقة. و العربية الفصحى محشورة في موقع ضيق وسط زحام الجموع المتنافرة من أنماط الكلام، المتفاخرة بالكثرة و كثرة العدد»<sup>1</sup>.

و يتضح من الموقف السابق أن مشكل اللغة العربية ينحصر في ضيق مجالها الاستعمالي و محاصرة العاميات و الرطانات إياها في مجالها الحيوي، و هذا الوضع هو صناعة و ليس فطرة أو طبيعة في اللغة ذاتها، و مرد ذلك إلى القانون الذي يفيد بأن اضطراب اللغة هو من اضطراب أهلها في فكرهم و ثقافتهم و تخلفها من تخلفهم<sup>2</sup>.

و عند التطرق إلى معادلة الإصلاح اللغوي، اعتمادا على المنظور الآنف ذكره، نجد تأكيدا على أن إصلاح الخلل و الاضطراب ينبغي أن يركز في الطور الثالث من أطوار الدورة الإنتاجية و هو طور الإبداع و الإنتاج، و بما أن هذا الأخير هو نشاط المتكلم فإن الإصلاح هو قضية إعداد و تكوين لهذا الناطق.

<sup>1</sup> - كمال بشر، اللغة بين الوهم و سوء الفهم، دار غريب، القاهرة، ط1999م، ص 5-6.

<sup>2</sup> - كمال بشر، اللغة بين الوهم و سوء الفهم، ص7-8.



### المطلب الثالث: اللغة العربية و العولمة.

العولمة كما تظهر في اللغة الإنجليزية (Globalization) هي اشتقاق من كلمة (Globe)، و تعني: نموذجاً للكورة الأرضية يظهر خرائط الدول، أو كوكب الأرض في حد ذاته، أو كل شيء مدور مثل الكرة<sup>1</sup>، و قد نجد هذا المعنى الحرفي في بعض الكتابات العربية التي تستعمل تعبير (الكوكبية) و المعنى المعجمي للعولمة هو: تعميم الشيء و توسيع دائرته ليشمل العالم كله<sup>2</sup>. و هي، على ذلك، مفهوم يرمي إلى تعميم نموذج معين بطريقة سلسلة و غير مألوفة.

و بما أن العولمة ظاهرة مركبة، تشتمل على نقل كم كبير من المؤثرات الثقافية و الاجتماعية من حيز إلى آخر، فإن الوسيط اللغوي يلعب دوراً حاسماً في هذه التجربة، و لهذا اشتدت عناية اللسانيين العرب بهذه القضية، و ناقشوا تأثيراتها الحاصلة و المتوقعة على الثقافة و الهوية، و بصورة أعمق، تأثيرها المحتمل على اللغة العربية.

### المطلب الرابع: اللغة العربية في الفضاء الرقمي (الإنترنت).

شكلت علاقة اللغة العربية بالتكنولوجيا، و بخاصة الإنترنت، حيزاً لافتاً للنظر من اهتمامات الباحثين العرب و انشغالهم، و قد كتب المؤرخ اللغوي البريطاني: ديفيد كريستال (David Cristal) دراسة مرجعية في هذا المجال عنوانها: (اللغة و الإنترنت)، صرح فيها بما يلي: « كلما تزايدت النظرة إلى الإنترنت من وجهة نظر اجتماعية أصبح دور اللغة مركزياً، و على الرغم من الإنجازات التكنولوجية الملحوظة و الإبحار البصري لما يعرض على الشاشة، فإن ما يتضح مباشرة في أي من وظائف الإنترنت هو سمته اللغوية، و إذا كان الإنترنت يمثل ثورة

<sup>1</sup> - أنظر: معجم الأوكسفورد (Oxford Dictionary)، منشورات جامعة أكسفورد، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية (Oxford University Press-New York-USA)، ط6-1998، ص305.

<sup>2</sup> - أنظر: محمد حسن برغثي: الثقافة العربية و العولمة، دراسة سوسيوولوجية لآراء المثقفين العرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1-2007م، ص59.

فإنه من المحتمل أن تكون ثورة لغوية<sup>1</sup>، و استنتج كريستال أن لغة الشبكة، أو كلامها . على حد تعبيره . هو وسيط اتصالي من المستوى الرابع، جديد تماما و ليس له نظير؛ ذلك لأنه ليس كلاما و لا كتابة و لا كلاما مكتوبا، و ينبغي أن يضاف إلى البحوث اللغوية المقارنة بعد أو فرع جديد و هو لغة الإنترنت<sup>2</sup>.

و قد أفاض الباحثون في هذا المجال الجديد، و جعلوا منه فرعا شبه مستقل، و للباحثين في قضايا اللغة الإنجليزية و لهجاتها، و عامياتها المحلية، فيض معتبر من هذا التوجه، و تكشف دراساتهم عن قلق و اضطراب من قوة التحولات اللغوية التي تتصارع داخل هذه اللغة و من حولها، مثل ظواهر التحويل الفونولوجي التي أحدثتها نزعة الهيب الهوب<sup>3</sup>، و ظاهرة الازدواجية بين اللغة الإنجليزية و الإسبانية التي يصطلح عليها بعض الباحثين اختصارا: الإسبانجليزية (Spanglish)، و يصفها: إيلان ستافنز<sup>4</sup> (Ilan Stavans) باللغة المجنونة ( La LenguaLoca)، التي ستحتكر المشهد اللغوي في الولايات المتحدة خلال فترة وجيزة، نظرا لسلاستها و خفتها، و سرعة انتشارها في الولايات الغربية ذات الكثافة السكانية الأعلى، و أهم من ذلك أنها تطورت لتصبح لغة كتابة<sup>5</sup>. هذه المعطيات تؤكد لنا بأن ظاهرة العولمة قد تكون لها ارتدادات عكسية على مصدر القوة المحركة لها، لأن كل فعل له رد فعل: مساو له في القوة، معاكس له في الاتجاه، و في المجال التقني، و الجانب الرقمي منه و هو أشد الفروع

<sup>1</sup> - ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، تر: أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1-2005م، ص8.  
<sup>2</sup> - ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، تر: أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1-2005م، ص294.

<sup>3</sup> - الهيب هوب (Hip Hop) نزعة موسيقية متطرفة اخترعها الشباب الأمريكي كرد فعل على البطالة و سوء الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية، و التمييز العنصري، خلال الستينيات و السبعينيات من القرن العشرين، و تحولت إلى ظاهرة عامية مع مطلع الثمانينيات، و تميزت بطرق أداء غريبة جدا للمفردات، حتى أن المواطن الأمريكي نفسه يجد صعوبة في فهمها، و تعتمد كثيرا على التحويل المعجمي (التلاعب بالكلمات المتشابهة لفظا و المختلفة من حيث المعنى).

<sup>4</sup> - أستاذ ثقافة أمريكا اللاتينية و اللاتينو، كلية أمهرست، جامعة ولاية ماساتشوستس، الولايات المتحدة الأمريكية.  
<sup>5</sup> - أنظر: مجلة الإنجليزية الديناميكية (Dynamic English)، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، العدد الخاص حول: المجتمع و القيم (Society & Values)، آب-أغسطس، 2007م، ع8، ص4-30.

حساسية في أيامنا هذه، يؤكد خبراء الحاسوبيات المحايدون بأن البرمجة اللغوية الرقمية للغة الإنجليزية لم تكن ممكنة لولا تطوير نماذج برمجية عالية الجودة في لغات أخرى، و في هذا الصدد، أكد نبيل علي، المختص في علم البرمجة الحاسوبية للغة العربية، بأن اللغة العربية مصنفة في هذا المجال ضمن لغات الفئة العليا (Superset)، وهي اللغات التي تغطي برمجياتها المتطلبات الخاصة بعدد كبير من اللغات الأخرى، تدخل معها تلقائياً في الفضاء الرقمي بوصفها حالات خاصة متفرعة على الفئة العليا، و من بينها اللغة الإنجليزية، و العكس غير صحيح، و أرجع ذلك إلى ما يسميه (التوسط اللغوي) الذي يمتاز به اللغة العربية<sup>1</sup>.

و يرى الباحثون في مجال المدونات الإلكترونية أن الجهود ينبغي أن تتحرك في اتجاه القواميس المتخصصة في مصطلحات الإنترنت (Net Dictionary) و لذلك لكثرة ما يولد فيها على مدار الساعة، و لما يمتاز به من اختصارات و تجديدات تختلف بنسب متفاوتة عن اللغة النظامية، سواء في الكتابة أو في النطق<sup>2</sup>. كما لاحظ آخرون أن لغة الإنترنت (Internet Language) سوف تقضي على المميزات الإبداعية للغة البشرية، لأنها تسير نحو النمطية، أي: تعميم أسلوب موحد في الخطاب، و هو أسلوب لا يسمح بالتجديد و الابتكار في اللغة، و هذا النموذج هو الذي سوف يسود، و تبعاً لذلك ستتهوى المعايير و

<sup>1</sup> - يعرف الباحث التوسط اللغوي كما يلي: « اللغة العربية تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى على مستوى جميع فروعها اللغوية، كتابة و أص و صرفاً و نحواً و معجماً»، و بعبارة أخرى: « اللغة العربية، على سبيل المثال، تجمع بين الجمل الاسمية و الفعلية، و تكتفي بمطابقة جنس الفعل مع جنس الفاعل (ذهب فلان/ ذهبت فلانة)، و هو ما لا تلتزم به الإنجليزية. في حين تتطرق بعض اللغات في مطابقة الفعل مع الفاعل و المفعول معاً. و تصل العربية المعرفة، و لا تصل النكرة ( الرجل الذي كتب.../ رجل كتب...) في حين تصل الإنجليزية النكرة و المعرفة كليهما (The man who wrote/ a man who wrote)، أما اللغة الصينية فإنها لا تصل أياً منهما»، راجع: نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ع 265، يناير 2001م، ص 242-293.

<sup>2</sup> - ختام سعيد سلمان، اللغة العربية و تجديدات العصر، ص 6-7.



القواعد اللغوية، و يضمحل الإبداع الذي ينتج عن الاختلاف و التمايز، لأن العولمة تفرض التشابه و النمطية<sup>1</sup>.

و لفت الباحثون العرب إلى الارتباط الشديد بين العولمة اللغوية من جهة، و الأفكار و البرامج التي تتحدث عن لغة عالمية موحدة للاتصال، و رغم أن كثيرا ممن تطرق إلى هذا الموضوع لم يصرح بلغة معينة، إلا أن الاختيار غير المعلن عند البعض قد صرح به كثيرون، و من أدلة ذلك الارتباط العضوي بين الإنترنت و اللغة الإنجليزية في المصطلح : نيتليش (Netlish) الذي يستعمله كثير من رواد الشبكة، و عدد غير قليل من الباحثين<sup>2</sup>، كما أن الإحصاءات حول وجود اللغات الفعلية في الشبكة توضح الهيمنة الإنجليزية رغم كل المساعي و الجهود المبذولة من طرف لغات عالمية أخرى لتطويقها، و هناك دراسات تظهر بأن ما نسبته 85% من الإنتاج العلمي العالمي ينشر باللغة الإنجليزية<sup>3</sup>، و قد تحول الإنترنت عند بعض المنظرين إلى بوابة أو برنامج مفتوح لتعلم الإنجليزية و نشرها، و لا يجد ديفيد كريستال أي حل لمن يريد أن يستفيد من الإنترنت غير ذلك، يقول في هذا الصدد: « إذا أردت أن تستفيد أقصى استفادة من الإنترنت فإن هناك طريقة واحدة حقيقية لكي تفعل ذلك ( تعلم الإنجليزية)»<sup>4</sup>.

1	الإنجليزية	عدد مستعملي الإنترنت	537 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	مليار و 300 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	43%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	27%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	3 أضعاف

<sup>1</sup> - ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، ص 8-9.

<sup>2</sup> - ختام سعيد سلمان، اللغة العربية و تحديات العصر، ص 6.

<sup>3</sup> - أنظر: B Spolsky & R D Lambert, Language Planning and Policy: Models,

Elsevier, UK, 2<sup>nd</sup>Edu, p570

<sup>4</sup> - ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، ص 8-9.

2	الصينية	عدد مستعملي الإنترنت	445 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	مليار و 400 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	37%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	24%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	14.8 ضعفا
3	الإسبانية	عدد مستعملي الإنترنت	153 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	423 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	39%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	8%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	9 أضعاف
4	اليابانية	عدد مستعملي الإنترنت	99 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	126 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	78%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	5%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	2.1 ضعفا
5	البرتغالية	عدد مستعملي الإنترنت	83 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	254 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	33%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	4%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	11 ضعفا
6	الألمانية	عدد مستعملي الإنترنت	75 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	95 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	80%
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	4%
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	2.7 ضعفا

7	العربية	عدد مستعملي الإنترنت	65 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	347 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	19%.
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	3%.
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	26 ضعفا
8	الفرنسية	عدد مستعملي الإنترنت	60 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	348 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	17%.
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	3%.
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	5 أضعاف
9	الروسية	عدد مستعملي الإنترنت	60 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	139 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	42%.
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	3%.
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	19 ضعفا
10	الكورية	عدد مستعملي الإنترنت	39 مليون
		عدد الناطقين باللغة حول العالم.	71 مليون
		نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت	55%.
		الاستعمال العالمي للغة (انتشارها حول العالم)	2%.
		نسبة نمو اللغة في الإنترنت	2 (ضعفان)
<b>جدول 6: بصمة اللغات واسعة الانتشار و تأثيرها على شبكة الإنترنت<sup>1</sup></b>			

<sup>1</sup> - (Internet Footprint of Major Languages)، المعطيات مرتكزة على موقع: إحصاءات الإنترنت حول العالم (World internet stats)، أنظر الدراسة التالية: التعليم المعاصر للغات باستخدام الحاسوب (Contemporary Computer-assisted Language Learning)، إعداد مجموعة باحثين

لقد علق الباحثون على هذه المعطيات بأنها تكشف التعميمات المبالغ فيها حول سيطرة اللغة الإنجليزية في هذا المجال، و من الواضح أن نسب الانتشار بين اللغات الثلاثة الأولى جد متقاربة، علما أن هذه المؤشرات رتبت بدلالة العامل الأول في القائمة (عدد مستعملي الإنترنت) حيث إنه يعكس قوة كمية غير مؤثرة كثيرا في العامل الأهم و هو (نسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت / Internet penetration)، و أوضح دليل على ذلك هو اللغات الثلاثة: (الألمانية: نسبة التغلغل 80٪، عدد المستعملين 75 مليون. اليابانية: 78٪، 99 مليون. الكورية: 55٪، 39 مليون)، و المقصود بنسبة التحكم و التغلغل في الإنترنت هو: المدى الذي بلغته لغة من لغات العالم في تطوير البرامج و التقنيات الرقمية، و يتبع ذلك معدل البحث العلمي الأساسي و التقني المخصص لهذا الغرض، و نستنتج من ذلك أن بعض الدول طبقت استراتيجية طويلة المدى لتطوير الهيمنة الكمية للإنجليزية الأمريكية على الإنترنت و ذلك بتحريك البحث الأساسي في الحاسوبيات، أو بعبارة أخرى: أخذ زمام السيطرة في الجانب النوعي للتكنولوجيا الرقمية.

و يلاحظ أن اللغة العربية تحقق أعلى معدل نمو في الشبكة (22 ضعفا)، و هو مؤشر جيد من حيث المبدأ، غير أنه قد ينعكس سلبا على برامج التطوير الحقيقي لهذه اللغة في الأفق المتوسط و البعيد، و أهم سبب في ذلك ما يؤكد خبراء المحتوى العربي من ضحائته و غلبة المواد الميتة و المكررة عليه، و هذا يعني أنه تعويم كمي فاسد أو (فيروسي) بالمصطلح التقني. و جاء في تقرير الموسوعة الرقمية الحرة ( ويكيبيديا / Wikipedia ) حول المقالات المنجزة بكل اللغات مقارنة إلى نسبة الناطقين بها المعطيات الآتية: العدد الإجمالي للمقالات العربية حتى تاريخ أبريل 2010م، وصل إلى: (125.100) مقالا، في حين أن العدد الإجمالي للمقالات في الموسوعة وصل إلى: (15.205.883) مقالا، و هذا يعني أن المساهمة العربية في هذه

(Michael Thomas, HayoReinders, Mark Warschauer, and contributors)، نشر أكاديمية بلومبيرغ (Blumsburgacadimic)، ولاية بنسلفانيا، الولايات المتحدة، ط1-2013م، ص306.

الموسوعة الهامة لا تزيد على (0.82%)، و لذلك احتلت اللغة العربية الترتيب (113) من إجمالي (140) لغة مساهمة في الموسوعة، و تبين أن هذه المساهمة توفر حوالي (500) مقال لكل مليون من الناطقين العرب، و على ذلك فنصيب المواطن الواحد من هذا المورد المعرفي العالمي هو (0.0005)<sup>1</sup>. و في السياق ذاته أشار الباحثان: منصور الغامدي و محمد أنس الطويلة، في إطار مشروع الموسوعة الحرة العربية ( ويكي عربي / Wikiarabi ) إلى أن القضية الأهم هي النوعية و المضمون، و بصورة أساسية الجودة البرمجية و التقنية و قضية ترجمة المصطلحات و معدل الطول النسبي للمقالات؛ لأنه يحدد عدد الكلمات في المقالة الواحدة، و هو مؤشر هام في الإحصاءات الخاصة بالمدونات الرقمية، و لاحظ الباحثان على المحتوى العربي في الموسوعة الحرة العالمية قصورا نوعيا فادحا، و أكبر دليل على ذلك أن النسبة الغالبة من المقالات مصنفة تحت بند (بذرة مقال)، إضافة إلى ندرة المقالات التي تعالج المجالات العلمية و التخصصات الدقيقة، و من الإيجابيات التي لاحظها الباحثان قوة إقبال القارئ العربي على هذا الموقع<sup>2</sup>، و هذا الأمر قد يفسره باحثون آخرون بأنه مؤشر على السلوك الاستقبالي غير المنتج لدى القارئ و المثقف العربي.

#### المطلب الخامس: اللغة العربية في تطبيقات تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات.

<sup>1</sup> - أنظر موقع الموسوعة العالمية الحرة (www.wikipedia.org) المدخل الآتي ( Wikipedia articles per population )، و هو متاح باللغتين: الإنجليزية و الألمانية فقط.

<sup>2</sup> - أنظر: منصور الغامدي و محمد أنس الطويلة، ويكي عربي: مشروع إثراء المحتوى العلمي العربي على شبكة الإنترنت، مجموعة أبحاث مؤتمر المحتوى العربي في الإنترنت: التحديات و الطموحات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة السعودية، من 5 إلى 7 أكتوبر 2011م.

لقد كان للفجوة الرقمية انعكاسات خطيرة على مستقبل اللغة العربية، و تؤكد المعطيات في هذا المجال أن الأزمة التقنية هي أمر حاصل و متفاقم، و أهم أسبابها حسب تقرير التنمية البشرية العربية لسنة 2002م هو قلة القراء العرب، و أفاد التقرير الآنف بالمعطيات الآتية<sup>1</sup>:

1. يترجم إلى اللغة العربية سنويا حوالي 330 كتابا، بمعدل 20% مما يترجم إلى اللغة اليونانية، علما أن عدد الناطقين باليونانية يساوي 4% من الناطقين بالعربية. و حتى تتساوى اللغة العربية مع نظيرتها اليونانية في هذا المجال ينبغي أن يصل معدل الترجمة إلى 8250 كتابا في السنة على الأقل.

2. ترجم إلى اللغة العربية منذ عصر الخليفة المأمون<sup>2</sup> 100.000 كتاب، في مدة تزيد على أحد عشر قرنا، بمعدل أقل من 91 كتابا في السنة، و أقل من ربع كتاب ( $\frac{1}{4}$ ) في اليوم الواحد<sup>3</sup>. مع العلم أن هذا العدد (100.000) كتاب هو مجموع ما ترجمه إسبانيا في العام الواحد<sup>4</sup>، بمعدل حوالي 278 كتابا في اليوم، و هذا كله أدى إلى تقوقع خطير للغة العربية، كما أدى إلى انحسار استخدامها في بعض المجالات الحيوية.

3. قلة القراء العرب (خاصة في المجالات العلمية و التكنولوجية) يجعل الترجمة العربية نشاطا غير مجد من الناحية التسويقية.

4. بناء مجتمع المعرفة المستقبلي يركز على كافة المواطنين (الفئة المستهدفة)، و هؤلاء

<sup>1</sup> - أنظر: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002م، بعنوان: (خلق الفرص للأجيال القادمة)، إنجاز: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي و الاجتماعي، المكتب الإقليمي للدول العربية، عمان-الأردن.

<sup>2</sup> - عبد الله بن هارون الرشيد (170-218هـ / 786-833م) شهد عصره ازدهار النهضة العلمية و الثقافية، لأنه شارك فيها بنفسه. أنظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، ص 108.

<sup>3</sup> - دليل واضح على هشاشة البنية التحتية لنشاط الترجمة العربية، فمن غير المعقول أن مجموع المترجمين لا يستطيعون ان يرفعوا المعدل اليومي للترجمة عن ربع كتاب.

<sup>4</sup> - هذا ما ترجمه إسبانيا وحدها، و ليس كل ما يترجم إلى الإسبانية، لأن الدول الأخرى الناطقة بالإسبانية في أمريكا الجنوبية و بعض المناطق من غرب الولايات المتحدة لها نشاطها الترجماي المستقل.

لا يتقنون سوى العربية، في النسبة الغالبة، و بناء على ذلك فإن التنمية و البحث العلمي الأساسي يجب أن يكون باللغة الوطنية (لغة كافة المواطنين، أو لغة الغالبية الكبرى منهم)، و الخطوة الأولى هي دعم و تقوية المعرفة العامة عند الجماهير بلغتهم الأم، و نشرها في الإعلام و الاتصالات الحديثة.

و في السياق ذاته أشار تقرير تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات للتنمية في غربي آسيا (ESCWA)، إلى أن صناعة المحتوى الرقمي العربي يشكو ضحالة شديدة، حيث إن الناطقين بالعربية يشكلون ما لا يقل عن 5٪ من سكان العالم، و لا تتجاوز مساهمتهم الفعلية في المحتوى الرقمي 1٪، و أهم أسباب ذلك: تأخر انتشار الإنترنت، و نسبة الأمية المرتفعة، و عدم وجود حماية فكرية و قانونية للنشر الإلكتروني. و في الوقت نفسه، بين التقرير أن فرص تنمية هذا المحتوى تبدو مشجعة في حال زيادة التطبيقات و البرامج العربية، إضافة إلى التدخل و الدعم الحكومي.

يضاف إلى ذلك أن المردود الاقتصادي لبناء صناعة محتوى عربية بالغ الأهمية، غير أن القسم الأكبر منه يأتي من مجالات الإعلام و الترفيه، و تبقى مجالات الكتب العلمية و المهنية، و خدمات الحكومات الإلكترونية و التعليم الرقمي و ذخائر البيانات الخاصة بالتراث و الثقافة المادية و المعنوية، كل ذلك ضعيف للغاية.

و تظهر هنا قضية هامة و هي منظومة أسماء النطاقات<sup>1</sup>، فقد انطلقت الحركة العالمية لتعدد اللغوي على الإنترنت سنة 1998م، و أطلقت عدة منظومات لأسماء النطاقات على

<sup>1</sup> - نظام أسماء النطاقات (Domain Name System /DNS) هو نظام رقمي يخزن معلومات تتعلق بأسماء النطاقات لقواعد البيانات الموزعة في شبكة الإنترنت. كل اسم لنطاق له خادم (موصل رقمي)، و رمز رقمي مشفر يسمى عنوان الآي بي (IP Adress). وظيفة نظام (DNS) ترجمة (تحويل) أسماء النطاقات من الحروف الأبجدية إلى نظام ثنائي-رقمي، حتى يتسنى دخوله في الفضاء الافتراضي. و يمكن تشبيهه بنظام الهاتف العادي: اسم الشخص = (DNS)، رقمه = (IP). و بنفس الطريقة يحدد لكل دولة نطاق خاص بها، مثلاً: الجزائر (DZ)، فرنسا (FR)، العراق (IQ)، المغرب (MA). و كل هذه الرموز خاضعة لما يسمى بميثاق الإنترنت (Internet Protocol/ ICP/IP)، أنظر:

شبكة الإنترنت، تعتمد أصول أجنبية غير لاتينية، مثل: الروسية والصينية والكورية. و بينت الدراسات، وخاصة في دول جنوب شرق آسيا، أن استخدام اللغة الأم في التعامل مع الإنترنت سمح بزيادة كبيرة في عدد المستخدمين.

أما في العالم العربي فقد وجدت محاولات لتمكين استخدام النطاقات و أسماء المواقع باللغة العربية، و قد شكلت اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لدول غربي آسيا سنة 2003م فريق عمل صاغ ما يعرف (بمسودة الإنترنت) تقترح حلولاً للمسائل اللغوية الخاصة بأسماء النطاقات العربية، و أخذت هذه الاقتراحات، ثم زيد عليها في إطار وثيقة جامعة الدول العربية المسماة: (المبادئ اللغوية الأساسية لتشكيل الأسماء العربية للنطاقات)<sup>1</sup> و قد نصت على ما يلي:

1. عدم جواز الخلط بين المحارف<sup>2</sup> العربية والمحارف التي تنتمي الى لغات أخرى.

2. عدم جواز استخدام التطويل (الكشيدة)<sup>3</sup>.

Harry Henderson, Encyclopedia of Computer Science and Technology, Facts on File Editions, USA, 3rd Edu, 2009, p155-158.

<sup>1</sup> - أنظر: تقرير وتوصيات الاجتماع الأول لفريق العمل العربي المكلف بدراسة استخدام اللغة العربية في أسماء النطاقات على شبكة الإنترنت (دمشق: 2005/2/2-1/31)، أشرف على إنجازه: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة القطاع الاقتصادي- إدارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات- الأمانة الفنية لمجلس الوزراء العرب للاتصالات والمعلومات.

<sup>2</sup> - طقم المحارف: هو مجموعة أحرف و رموز تستخدم في نظام الكتابة على شبكة الإنترنت على النحو الآتي:

1	نظام آسكي (ASCII) يشمل حروف و رموز اللغة الإنجليزية.
2	نظام آيزو (ISO-8859-6) يشمل حروف و رموز اللغات التي تعتمد على الخط العربي (العربية، الفارسية، الأردية..).
3	نظام يونيكود أو الترميز العالمي الموحد (Unicode Standard) هو معيار يمكن الحواسيب من تمثيل النصوص المكتوبة بأغلب نظم الكتابة ومعالجتها، بصورة متناسقة. يتكون يونيكود من 100.000 محرف، وطقم من مخططات الرموز كمرجع مرئي، ونهج في الترميز، وطقم من ترميزات المحارف المعيارية، وسرد لخصائص المحارف، وطقم من البيانات المرجعية.

<sup>3</sup> - الكشيدة، أو التطويل، و تسمى أيضا: التفصيل، هي تطويل الحرف الواحد داخل الكلمة، و هي من التقنيات المعتمدة لإجراء المساواة بين السطور في الكتابة الرقمية العربية. رمز الكشيدة في نظام يونيكود هو (U+0640)، و اسمها الاصطلاحي في علوم الحاسب هو: التطويل العربي (Arabic Tatweel).



3. عدم اعتماد استخدام حركات التشكيل في المرحلة الراهنة مع جواز استخدامها في واجهة المستخدم فقط.
4. عدم اعتماد استخدام الشدة في المرحلة الراهنة مع جواز استخدامها في واجهة المستخدم فقط.
5. عدم توحيد الحروف المتشابهة Character folding (الياء والألف المقصورة، الأشكال المختلفة للألف بهمزاتها، الخ...) واعتبار كل منها حرفاً منفصلاً.
6. جواز استخدام الشَّرْطَة (-) للفصل بين الكلمات في الحقل الواحد، مع دعم إيجاد حلول فنية لاستخدام الفراغ لهذا الغرض.
7. جواز استخدام الأرقام العربية بشكليها المشرقي والمغربي في واجهة المستخدم فقط بينما يتم حفظ صورة واحدة من الأرقام (بشكل ASCII) في ملف أسماء النطاقات.

وقد اعتمد الفريق جدول اللغة العربية language table لأسماء النطاقات، مع السعي لتسجيله لدى IANA واعتماده للغة العربية، وتقصي إمكانية إصداره كتوصية من الاتحاد الدولي للاتصالات. ويعدّ هذا الجدول بمثابة إصدار أول قابل للتطوير لاحقاً حسب الحاجة (إضافة الشدة، حركات التشكيل،...). ويوصي الفريق بتشكيل مجموعة مختصة تحت مظلة الجامعة العربية لمتابعة تحديث هذا الجدول بصفة دائمة وتسجيله وتقييمه لدى الجهات المعنية. و أفاد خبراء الحوسبة اللغوية العربية أن المحتوى العالمي الحر في الإنترنت يتوسع يومياً، و البرمجيات حرة المصدر (ذات المصدر المفتوح) تزداد قيمتها النوعية و الكمية، و يمكن الاستفادة منها في تطوير بيئة اللغة العربية في الفضاء الرقمي. و هذه البرمجيات العربية حرة المصدر تمنح الإمكانية لزيادة القدرات البرمجية المحلية (العربية-العربية)، كما أنها تساهم في نشر التطبيقات العربية على أوسع نطاق.

أما الركيزة الأساسية للتطبيقات الرقمية، من الناحية اللغوية، فهي المصطلح العربي، لأنه المادة الخام لكل المشاريع و التطبيقات، و يتطلب تحقيق الاكتفاء الذاتي المعجمي في المجال الرقمي جماعات تخصصية تعمل ميدانيا، سبق لها أن اطلعت و عرفت مشاكل هذا الميدان، تستخدم أدوات متنوعة، و تعقد دورات عبر الشبكة بصورة منتظمة و مستمرة، للوصول إلى توافق حول المصطلحات الجديدة و كيفية تعميمها<sup>1</sup>.

### المطلب السادس: تعريب المعرفة العلمية.

شغل مشكل تعريب العلوم، و عموم مصادر المعرفة الإنسانية الحديثة، جانبا كبيرا من اهتمامات اللغويين العرب، و قد انطلق بعضهم من نظرية متسلسلة تقول بأن اللغة هي وعاء و أداة لنقل المعرفة و الثقافة و هي حينئذ مرتكز الهوية و مستقرها، و هذا يعطي أهمية بالغة لمسألة التعريب.

و من المعلوم أن قضية التعريب يتفاوت طرحها؛ قوة و ضعفا، من قطر عربي إلى آخر، و الأقطار المغاربية كانت أكثر اهتماما و ارتباطا بهذه القضية نظرا لمخلفات الحقبة الاستعمارية التي تركت ثنائية لغوية عميقة الاندماج في النسيج الاجتماعي و الثقافي، و بخاصة في البلدان الثلاثة: تونس و الجزائر و المغرب، و يمكن القول، بناء على المعطيات الحالية، أن هذه البلدان قطعت شوطا جيدا بالاعتبار من برنامج التعريب الشامل و لا سيما في مجال التعليم العام (الابتدائي و المتوسط و الثانوي) و في اختصاصات جامعية عديدة، فقد تم تعريب العلوم الإنسانية و الاجتماعية بصورة كاملة، أما نقطة الضعف الواضحة، و التي أصبحت طويلة الأمد و ربما مزمنة، فهي تعريب الاختصاصات العلمية الدقيقة، و هذه مشكلة عامة في العالم العربي.

<sup>1</sup> - أنظر: نشرة تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات للتنمية في غربي آسيا، العدد6، سنة 2007م، العنوان: انعكاسات الفجوة الرقمية على اللغة العربية، إعداد: الأمم المتحدة- اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا (ESCWA)، ص22-24.

و الجدير بالذكر أن بعض الأقطار العربية مثل: سوريا و العراق قد حققت نجاحا مشهودا في تعريب العلوم الطبية و الهندسية، و قسم لا بأس به من العلوم التكنولوجية و علوم الحاسب، و منذ تأسيس المعهد الطبي في دمشق سنة 1919م تعاهد أساتذته على تدريس العلوم الطبية باللغة العربية، و تمكن المعهد سنة 1924م من إصدار مجلة خاصة اسمها (مجلة المعهد الطبي العربي) تولى رئاستها الدكتور مرشد خاطر.

و مما يذكر في هذا المجال أن اتحاد الأطباء العرب<sup>1</sup> اتفق مع منظمة الصحة العالمية على وضع معجم طبي متعدد اللغات، و شكلت لأجل ذلك لجنة من الأطباء العرب عملت لسبع سنوات متواصلة حتى أنجزت (المعجم الطبي الموحد) بثلاث لغات (الإنجليزية/العربية/الفرنسية) صدرت طبعته الأولى عن الجمع العلمي العراقي في بغداد سنة 1973م، و الثانية في القاهرة سنة 1977م، و الثالثة عن جامعة الموصل سنة 1978م. ثم أعيد تشكيل اللجنة بشكل موسع ضم أحد عشر مختصا من الوطن العربي، عملوا أربع سنوات على تنقيح و تصحيح النسخة السابقة و أصدرت اللجنة طبعة ثالثة للمعجم الطبي الموحد سنة 1983م (إنجليزي/عربي/فرنسي) و أيضا (عربي/إنجليزي/فرنسي) و تم ذلك بالتعاون بين الهيئات التالية: مجلس الصحة العربي، منظمة الصحة العالمية، اتحاد الأطباء العرب، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم. مع العلم أن المعجم ضم حوالي خمس و عشرين ألف مصطلح طبي، و كان له أثر هام في توحيد المصطلح الطبي و لا سيما في سوريا<sup>2</sup>.

و لكن، يجب أن لا ننسى بأن هذا الموضوع يتداخل و يتماهى بصورة مركزة و معقدة في ملفات و قضايا تتأرجح باستمرار بين النظريات و الأطروحات العلمية، و اللسانية منها على وجه الخصوص، إلى جانب الأفكار و التوجهات الأيديولوجية التي تحكم الاختيار السياسي و

<sup>1</sup> - اتحاد الأطباء العرب، تأسس في مارس 1984م بتونس، و كان شعاره التأسيسي: حركة التعريب في العلوم الطبية و في مباشرة المهنة الطبية.

<sup>2</sup> - أنظر: عبد الناصر كعدان، تدريس الطب باللغة العربية: التجربة السورية أممؤذجا، أبحاث المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت 2012م، ص2-12.

الاجتماعي، و هذا كله راجع إلى أن معظم الأقطار العربية تمتلك هامشا نسبيا ضعيفا فيما يخص حرية و استقلالية القرارات السيادية.

و لم يفوت الباحثون تسجيل هذه الملاحظات، و لذلك نجد الباحث سفيان لوصيف يناقش العلاقة بين أربعة موارد أو محددات داخل ملف التعريب في الجزائر و هي: اللغة (العربية من جهة و الفرنسية من جهة ثانية، ثم الأمازيغية في الطرف الثالث)، ثم السلطة السياسية و الإدارية، و المجتمع المحلي، و الثقافة السائدة<sup>1</sup>. و قد كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في الإدارة و التعليم، و لم يقع التحول إلى العربية غداة الاستقلال إلا بصورة شكلية بروطوكولية، لأن القسم الأكبر من النخب الجزائرية كان فرنسي اللسان، و بعضهم كان فرنسي الثقافة أو غربيها بوجه عام<sup>2</sup>.

و من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية كان هناك صراع مزدوج في خطين: السلطة و الثقافة. و تعتقد خولة طالب الإبراهيمي أن رهانات التعريب كانت مرتبطة بشكل مباشر و وثيق مع المتطلبات الثقافية و النفسية كقاسم مشترك بين فئة هامة من النخب المؤمنة بالتعريب و القومية العربية يعضدها السواد الأكبر من المواطنين الجزائريين<sup>3</sup>. و هذا التحليل ينسجم مع الوقائع، لأننا نجد في تلك الفترة (السبعينيات و الثمانينيات) اتجاهها قويا للتماهي مع المشرق العربي، كما تمت الاستعانة بالكوادر العربية المشرقية في برنامج التعريب الجزائري في مراحل الأولى.

### المطلب السابع: السياسات و التدابير الخاصة باللغة العربية.

<sup>1</sup> - سفيان لوصيف، اللغة العربية في الدساتير و المواثيق الرسمية في الجزائر: قراءة في الأيديولوجية و الممارسة. أبحاث المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت 2012م، ص1-6.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الياني، دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية، مجلة التراث العربي، ع13-14، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984م، ص69.

<sup>3</sup> - Khaoula Taleb Ibrahimi, Les Algériennes et Leurs Langues, Dar EL-hikma, Alger, deuxième édition, 1992, p51.

إن كل البلدان التي تشهد تعدداً أو ازدواجية لغوية تولى اهتماماً متزايداً بشؤون تنظيم و تخطيط الملفات اللغوية حفاظاً على الانسجام و الترابط بين المواطنين المقيمين على أراضيها، لأن فقدان هذا الانسجام، أو انقطاع أسباب التواصل بين مختلف الشرائح التي تتقاسم حيزاً جغرافياً واحداً هو واحد من أكبر أسباب انتشار الفوضى و الاضطراب، ناهيك عن تأثيره المباشر على التنمية و الترقى الذي هو مطلب كل إنسان، و نلاحظ هذه الأبعاد في تعريفات المنظرين المتخصصين في هذا المجال، فقد عرف ويستن (Weinstein) التخطيط اللغوي بأنه: «مصطلح حكومي سلطوي طويل المدى بوصفه جهداً واعياً لتغيير اللغة ذاتها أو لتعديل وظائفها في المجتمع بهدف حل مشكلات الاتصال و التواصل بين أفرادها»<sup>1</sup>.

و من المعلوم أن الأمية في الوطن العربي كانت و لا زالت عائقاً يضعف كثيراً من برامج التخطيط اللغوي الرامية إلى تعميم اللغة العربية، سواء على الصعيد المحلي أو الصعيد الإقليمي.

جاء في تقرير التنمية البشرية العربية لسنة 2002م الملاحظات الآتية: «صمدت الأمية أمام محاولات القضاء عليها، و لذلك، لا يزال الإنجاز التعليمي الشامل بين البالغين في البلدان العربية ضعيفاً في المتوسط، إلا أن البلدان العربية أحرزت تقدماً ملموساً في تحسين المعرفة بالقراءة و الكتابة: فقد انخفض معدل الأمية بين البالغين من حوالي 60 في المائة في عام 1980 إلى حوالي 43 في المائة في منتصف التسعينيات. و مع ذلك فإن معدلات الأمية في العالم العربي لا تزال أعلى من المتوسط الدولي و حتى أعلى من متوسطها في البلدان النامية. فضلاً عن ذلك، فإن عدد الأميين لا يزال في ازدياد، إلى حد أن البلدان العربية تدخل القرن الحادي و العشرين مثقلة بعبء و الي 60 مليون بالغ أمي، معظمهم من النساء»<sup>2</sup>.

يضاف إلى ذلك أن الإستراتيجية التعليمية المتبعة في معظم البلدان العربية جعلت مركز ثقلها منصبا على الطرق التحليلية، ساعية وراء هدف واضح هو فهم النصوص الأدبية، و

<sup>1</sup> - عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، موفم للنشر، الجزائر، ط 1996م، ص 166.

<sup>2</sup> - الأمم المتحدة: برنامج الأمم المتحدة النمائي، الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي و الاجتماعي، تقرير التنمية البشرية العربية لسنة 2002م، ص 47.

بالتالي ركزت تركيزاً مكثفاً على الطريقة و المنهجية أكثر بكثير من تركيزها على مضمون النصوص و محتوياتها إضافة إلى طريقة إنتاجها و توظيفها في التأثير و التحكم، و بعبارة أخرى: تظهر هذه الإستراتيجية كمن يضع العربة قبل الحصان و يرتقب وصولاً سريعاً.

و قد يقودنا هذا المنظور إلى تقبل الفكرة التي تفترض بأن المشكل الأساسي الذي تواجهه الأقطار العربية فيما يخص البرمجة و التخطيط طويل المدى مرتبط بنوعية الأفكار التمهيديّة التي تصاغ في ضوءها الحلول و المشاريع، علماً بأن مشكلة الوسائل و الموارد ليست مطروحة في هذه الأقطار، و هذا بإجماع المعنيين، و قد عبر الأستاذ مالك بن نبي عن هذه الفكرة كما يلي: «إن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل و إنما في الأفكار، و ما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكاً واضحاً فسيظل داء الشبيبة العربية عضالاً»<sup>1</sup>.

و مما لا شك فيه أن قضية تأهيل و إعداد معلمي اللغة العربية هي واحدة من الأركان الأساسية لأية سياسة لغوية ذات مصداقية، و بما أن المعرفة العلمية اللغوية في نمو و تطور مطرد فإنه ينبغي التفكير دوماً في التكوين المستمر للطالب-الأستاذ، و للأستاذ الممارس، و التوجه نحو قدر أكبر من الفعالية و المرونة من خلال استثمار الأنماط التعليمية الحديثة و التركيز على دمج معلم اللغة العربية في صلب الطرق و المناهج العملية باستثمار الوسائط الرقمية على أكمل وجه.

### المطلب الثامن: التقويم المعرفي للجهود اللسانية في خدمة قضايا اللغة العربية.

فيما يخص النمط الأول من الجهود و هو ذلك الذي فكر أصحابه في وضع أوليات أو أسس عامة نظرية قابلة للاستثمار و التطبيق في طريق مشروع التنمية اللغوية و ما يتأثر بها من تنميات أخرى، لاحظنا أن فكرة الإصلاح في ارتباطها بالنهضة الحضارية هي حركة دائمة و متناوبة، نجد ذلك على الخصوص في المحاولات غير التقنية، أي التي اقتربت من الموضوع بوصفه حالة في الفكر اللغوي و التربوي، و ذلك مثل الأسس التي اقترحتها الأستاذ عبد الله التطاوي.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4-1984م، ص117.

أما المحاولات التي فصلت و دقت في الجوانب اللسانية و طبقت آليات و مناهج محددة فيمكن أن نقول بأنها كفلت غطاء إقناعيا أكبر من حيث الوجود الفعلي للمشاكل اللغوية و ضرورة التعجيل بحلها، فعندما ننظر في مقارنة المسدي حول اللغة الفصحى الإعرابية بنحده طبق نمط التحليل التسلسلي، طبقا لما سميناه الهرم المقلوب القابل للانعكاس؛ يتم هنا إرجاع المتداخل إلى مجالاته الأصلية، ثم تحديد ما هو أصل في كل مجال، ثم تحديد نقطة الانعطاف الصغرى في كل أصل، على سبيل المثال: القضية المعرفية الثقافية هي قضية ثقافة ثم تعليم ثم تخطيط ثم لغة ثم قواعد ثم هي في المحصلة قضية الدلالة و المعنى الذي لا يمكن أن يكتمل إلا في اللغة التامة الإعراب، و ما دام هذا النموذج مهمشا أو غير محتفل به فإن الارتداد العكسي للتحليل يفضي إلى أن اللغة عاجزة عن دورها في التوضيح و الإبانة و هكذا التخطيط لن يفلح و التعليم و الثقافة.

هذا ما نسميه نشاط البناء و إعادة البناء التدريجي، و من الواضح أن هذا النموذج أعقد من الأول فيما يخص بناء الاستدلال، كما أن له منظومة أليات مكثفة:

1. اللغة جسر المعرفة.

2. الدراسة اللسانية محاثة (موضوعية).

3. الدلالة و المعنى هو السؤال الأول.

فهذه أطروحة لها مجال من المعقولية، و هي قابلة للإثراء و النقاش، تقول بأن تعليم اللغة العربية هو تعليم طلائقتها و الإفصاح بها، و ذلك يستلزم إعرابها التام، و هذا المطلب يستلزم أن يكون تعليمها منتظما و مستمرا لمدة تسع سنوات على الأقل.

من جهة أخرى نجد النمط المركزي الذي يعتقد أصحابه أن الحل الأكثر نجاعة هو تحريك البحوث النظرية الأساسية، و تطوير الأطر و البناءات الفرضية العامة التطبيق، و في برنامج الأستاذ المتوكل نقف على هذه الحركة الداخلية.

هذا النمط المركزي له أيضا منظومة أواليات يستمسك بها، و هي منظومة ثابتة، و مكثفية، لكن ما يميزه بصفة أكثر وضوحا هو الأخذ المستمر بأدوات الصورنة و التحريد، و المنطق الرياضي، و لعل التأكيد على هذا المسلك غايته تحصين الاستدلالات بغطاء لا يمكن الطعن فيه، أي ضمان مشروعية البحث من ناحية المنطلقات.

و مع ذلك ينبغي أن نلاحظ بأن الأواليات ينبغي أن تكون مكثفية بذاتها، واضحة وضوحا منطقيًا لا تحتاج معه إلى غيرها ليوضحها، و إلا لم تكن أواليات، و حينئذ ندخل في دور تسلسلي سلبي، و يصبح البرهان عقيما. إضافة إلى أن هذه الأواليات ينبغي أن تكون من نفس نمط مجالها، و ذلك يعني أن الأواليات الرياضية صحيحة في مجال الكائنات الرياضية و مكثفية، و لكنها لا تكتسب الاكتفاء تلقائيا إذا أدخلناها إلى الكائنات اللغوية من دون أي تكيف و لا تعديل، و الحق أن المنطق اللغوي لا يوازي المنطق الرياضي.

إن هذه الملاحظات ضرورية في متابعة البرامج التي أطلقها بعض اللسانيين الرواد و أكثرها فيها من الحديث عن الكليات و الأصول أو النظرية الموحدة الجامعة، و ذلك لأنه يبدو مخالفا للمنطق الحديث عن ذلك كله وقد تم الإقرار بادئ ذي بدء بضبابية و عدم استقرار تعاريف المفاهيم المفترضة أساسا للتنظير، خذ مثلا محاولة المتوكل التي يؤكد في بدايتها أن مفاهيم: الجملة و الخطاب و النص كلها عارية حتى الآن عن الدقة، بل ينقل بالنص تعريفات عديدة للمفهوم الواحد و إقرار العلماء بعدم الانسجام فيها، فإذا كانت هذه أواليات مفهومية و ليست متحدة فيما بين متعاطيها، فكيف يساغ بعدئذ الانتقال إلى ما هو أعلى و أبعد.

و بالانتقال إلى النمط الثالث من الجهود نجد أكثر الجهود الداخلة فيه راجعة إلى ميدان اللسانيات الاجتماعية، و تميزت التحليلات بأنها تقدم مصفوفة تصور الملفات و المحاور الكبرى، غير أنها إذ تتركز إلى المناهج الكيفية غالبا ما تعزلها و لا تظهر التداخل القوي فيما بينها. كما أنها لا تظهر مستوى الارتباط الفعلي بين المشاكل اللغوية و النظام و الوعاء اللغوي



في حد ذاته، و هذه في تقديرنا، ملاحظة مطردة في بحوث اللسانيات الاجتماعية العربية، حيث إنها تعمق الطرح الاجتماعي و الأيديولوجي أحيانا على حساب الطرح اللساني.

## المبحث الثاني:

### قضايا اللسانيات العربية:

#### نظرة عامة:

أخذنا بمقياس الأثر الرجعي للنظريات و التحولات الفكرية و العلمية الكبرى، يمكن أن نؤكد بأن ظهور اللسانيات العربية بصورتها الكمية و النوعية الحالية انطلاقا من أعمال الرواد الأوائل خلال الستينيات حتى يومنا هذا، أثرا رجعيا للشورة اللغوية الشاملة التي أحدثتها اللسانيات خلال القرن العشرين، و يقتبس هذا الفهم من موقف كبار المنظرين الحاليين لهذا الميدان إزاء هذه الظاهرة؛ لقد عبر الأستاذ عبد السلام المسدي عن هذا الموقف في عبارات مفخمة على النحو الآتي: «**دكت اللسانيات حواجز المحظورات، فهي تعكف على كل الظواهر الإنسانية في غير احتراز و لا تحفظ و أضحت اللسانيات قطب الرحى في التفكير الإنساني الحديث، و أصبحت بذلك مفتاح كل حادثة**»<sup>1</sup>، و إذا أخذنا في الحسبان أن هذا الفهم جاء في مطلع البحث الذي أعده الباحث لرصد جذور التفكير اللغوي عند العرب، يمكن، زيادة على ما جاء في فحوى الدراسة المذكورة، أن نستنتج بأن الهدف العام لهذه المحاولة هو إنتاج طفرة مثل هذه على مستوى اللسانيات العربية، و من المؤشرات التي تدعم هذا الاستنتاج أننا نجد التفكير اللساني مرادفا للنظرية اللغوية، فكأنه إسقاط شبه مباشر للحالة الغربية على ما يراد أن تكون عليه الحالة العربية.

و في الإطار نفسه صرح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، أبرز مؤسسي المدرسة الخليلية، و صاحب النظرية الخليلية الحديثة، بأن اللسانيات بوصفها ظاهرة في التفكير اللغوي ليست

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 11 (مع تصرف يسير).

محاولة أو إعادة نظر فقط، بل هي على الأرجح ثورات زعزعت أركان البحث العلمي في أوروبا و العالم كله و أنعشت البحث اللغوي بتجديدات و تطورات توالى على مدى قرنين من الزمان<sup>1</sup>.

يقراً هذا الموقف، إذا ما أسقطناه بالتراجع على تأسيس اللسانيات العربية، أنه يفترض فيها تحقيق نفس هذه الهزة المنهجية و الفكرية العميقة التي تنعش البحث في اللسان العربي و تضعه على جسر متين من الصلة المباشرة بالبحث اللغوي العالمي أو حسب أطروحة الحاج صالح نفسه، فإن هذه فرصة تلاءمت شروطها و معطياتها لاستئناف المشروع العلمي الكبير الذي وضع لبناته الخليل بن أحمد و ترجمه سيويه في كتابه، و من أجل ذلك يصح أن نقول بأن واحداً من أظهر التصورات الكلية للسانيات العربية عنوانه الصريح: إحياء علم العربية.

و لعل الخطوة الأولى لإحلال هذا التصور محله من الإنجاز و التحقق هي المقارنة الداخلية الدقيقة لما وضعه علماء اللسانيات الحديثة من نظريات و مقاييس منهجية استغلت أحسن استغلال في تحليل اللغات البشرية بما هو نظير له فيما وضعه اللغويون العرب الأوائل الذين أسسوا دعائم علم العربية، و يتحدث الخليليون في هذه المرحلة عما يسمونه: التناسب الوضعي<sup>2</sup>، و هو التشابه العجيب بين ما وضعه العلماء العرب و كثير مما اكتشفه و طوره المعاصرون في أوروبا و الولايات المتحدة و روسيا، فهذا التناسب، إذا تم تحصيله بطرق الاستدلال المعاصرة، و تكفل بالتنظيم و أثري بالشواهد التفصيلية سيكون النواة التي تنبثق منها اللسانيات العربية الحديثة، لأنه مولود موجود بالفعل، إلا أنه ظل في رحم المصنفات، و طوته ظروف و عوامل متعددة فطال به السبات قرناً عديدة.

غير أن بعض الباحثين قدم في هذا الإطار تصوراً آخر ينهض على أساس أن اللسانيات العربية هي جميع الجهود التي بذلها اللسانيون العرب محررة باللغة العربية و طبقوا فيها

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص7.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص9.

المناهج الغربية<sup>1</sup>، و على هذا المقياس تكون بداية اللسانيات العربية هي نفس بداية دخول اللسانيات العامة إلى الوطن العربي محددة بصورة تقريبية خلال الأربعينيات، و يترتب على ذلك أن اللسانيات العربية تعريفا هي محاولة لنقل النظرية اللسانية الغربية<sup>2</sup>.

و هناك تصور آخر يعقد مساواة اصطلاحية بين الثقافة اللسانية العربية و اللسانيات العربية و يدل على هذا التصور تعاقب المصطلحين الواحد منهما في مواضع الآخر في إشارة إلى ترادفهما<sup>3</sup>، و هذا فيه نظر، لأن الثقافة و العلم مكونان على غير وحدة في أصولهما و أدوارهما، و لا نعتقد أن وجود اللسانيات العربية بالمعنى المعرفي الإبيستيمولوجي، أي بوصفها تراكما معرفيا منظما أو نموذجاً معرفيا له استقلال نسبي في ضوابطه، يفترض لزوما حدوث ثقافة أو فكر لساني يفيض عنها إلى المجتمع العربي بصورة من الصور.

و الحق أن ثمة فوارق واضحة بين تعريف اللسانيات و تأييد مناهجها و الدفاع العلمي عن مشروعية البحوث التي تتخذها مرجعا، و بين الكتابة و البحث العلمي المتخصص الذي يتخذ اللسان العربي موضوعا له، فهذا الأخير هو المكون الحقيقي للسانيات العربية، و وجه الخلاف فيه يدور حول البحوث التي تناولت اللسان العربي بالتركيز و التخصص المعتبر إلا أنها لم تحرر باللغة العربية؛ فهذه الأخيرة هي حقا مثار جدل، لأنها بحوث في صميم اللسانيات منهجا و موضوعا و فيها آراء مباشرة تخص كل الجوانب المتصلة باللغة العربية في صورتها الحالية، و لكنها تنتمي على الأرجح إلى لسانيات أخرى؛ إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية و نحو ذلك، و التفكير السديد الذي يتطلع إلى تدعيم التراكم المعرفي المفيد في مشوار اللسانيات العربية ينبغي أن يخصص قسطا من انشغالاته لإيجاد حلول و صيغ مجدية تسمح بالاستفادة من هذا المورد بصورة معقولة.

<sup>1</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط 2009م، ص 14-15.

<sup>2</sup> . فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 12.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط 2009م، ص 19 و ما بعدها.

يصح مع الملاحظة الآنفة أن نعد البحوث الأولى التي ركزت على نقل المعرفة اللسانية و تقريبها إلى المختصين و المثقفين باللغة العربية من جملة مكونات الفكر اللساني العربي المعاصر، و هذا ما أثبتناه في الباب الأول من هذه الدراسة، و ذلك لأن الفكر اللساني أعم و أكبر من مجموع اللسانيات العربية بلا شك، لأنه في حقيقته صورة أو معمار ذهني، و هو في كل الأحوال أكبر من مجموع أجزائه، و اللسانيات العربية هي جزء منه مهما كان موضعها فيه مركزيا و حاسما.

و إذا أخذنا هذه المعطيات في الحسبان نجد أن التحديد الزمني الذي يرجع بداية الدرس اللساني العربي إلى الأربعينيات يفتقر هو الآخر إلى الدقة، فمن المعلوم أن الدراسات التي تأثرت بالمنهج الغربية هي أقدم من ذلك بنحو نصف قرن على الأقل و من الغريب حقا أن بعض الباحثين الذين يصرون على التحديدات الزمانية و يناقشونها بتفصيل كبير يذكرون أبحاث جرجي زيدان و من قبله من الفيلولوجيين العرب و لا سيما الأبوين أنستاس الكرملي و أغسطس الدومينيكي ثم لا يلتفتون إلى أن تاريخها سابق على دراسات إبراهيم أنيس، بل إن دراسات عبد الواحد وافي أسبق من هذا الأخير بلا ريب.

كما طرح الباحثون أيضا مفهوم اللسانيات التوفيقية، في البرنامج الوصفي على الخصوص، و تشير الأستاذة فاطمة الهاشمي بكوش إلى دور العوامل الثقافية في تبني اللسانيين أمثال تمام حسان و كمال بشر و إبراهيم أنيس لاختيار منهجي حاولوا أن ينتجوا من خلاله خطابا وسطا لا يغضب التراثيين و لا يتفوق بعيدا عن التجديد الكبير في اللسانيات الغربية، و هذا المنحى في التفكير و البحث جعل اللسانيات العربية الوصفية غير قادرة على إنتاج النموذج المستقل الذي اشترطته على إطارها البحثي<sup>1</sup>.

المطلب الأول: مميزات اللسانيات العربية.

أولا: الاستقلالية.

<sup>1</sup> - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 15.

تؤكد هذه النظرة أن العلوم التي تتميز بموضوعها و مسالكها المنهجية تصبح بذلك فرعاً أو ميداناً مستقلاً عن غيره من العلوم الأخرى القريبة منه في الموضوع و المناهج أو البعيدة، و هذه الخصائص منطبقة على اللسانيات العامة و يمكن إجراؤها بالقياس على اللسانيات العربية.

وقد لاحظ بعض الباحثين أن اختلاف المناهج ينتج عنه تباين في الهوية، فالنحو العربي له منهجه و هويته<sup>1</sup>، و كذلك اللسانيات العربية، يصح أن هذه الأخيرة تعالج قضايا مشتركة مع تلك التي يعالجها النحو العام أو القديم، غير أن لها في هذا النشاط خطوات و تدرجا في توظيف الأدوات و الإجراءات يخصصها، و هو الذي يجعل صياغتها العلمية و معمارها النظري و التطبيقي ذات تميز و استقلال يعرف به.

و هذه النظرة إذ تثبت الخصوصية و تحتج لها، لا ترفض تكامل الفروع العلمية و لا سيما التكامل المفيد بين الأطروحات النحوية المبكرة و النظريات اللسانية المتجددة، مع التزام الباحث التنويه بخصوصية كل إطار معرفي حفاظاً على سلامة الاستدلال.

### ثانياً: القراءة و إعادة القراءة.

إذا كانت اللسانيات العربية هي قراءة للمنتوج اللساني العالمي المعاصر بمختلف الأدوات و التقنيات المتاحة حالياً، فإنها، فيما يخص التراث اللغوي العربي، يجب أن تكون إعادة قراءة تهدف في الأساس إلى إحلاله محله من الدرس اللساني الحالي، أو الارتكاز على ما ورد فيه من أصول نظرية و تطبيقات متعددة الأشكال.

يضاف إلى ذلك أن التراث اللغوي العربي لم يعرف تطويراً واضحاً منذ القرن الهجري الرابع، و هذه فكرة اطرقت عند مجموعة غير قليلة من اللسانيين العرب، بما في ذلك أنصار المنظور التراثي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، ص 41.

<sup>2</sup> - محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص 4.

أما القراءة الموضوعية للتراث فقد اقترح لها عدد من التصورات؛ واحد منها يشترط فيها عدم الانطلاق من نظرية محددة قبليا سواء أكانت قديمة أو حديثة، و في مقابل ذلك ضرورة الاعتماد على نظرية ثانية<sup>1</sup> تكون هي الحكم و المرجع<sup>2</sup>، و لا بد أن هذه النظرية الثانية هي إنتاج الباحث نفسه.

### ثالثا: الكفاية النظرية و المقارنة.

يتحدد البرنامج الذي يترجم صورة النشاط العلمي في اللسانيات العربية انطلاقا من مهمتين رئيسيتين هما: تحقيق الكفاية القصوى في رصد ظواهر اللسان العربي و تحويلها إلى صياغات مرنة قابلة للاستغلال التطبيقي في الميادين و المجالات الاتصالية الحيوية، ثم التقدم إلى مستوى أعلى يجعل الاستخلاصات المنهجية و النظرية الآنفه محكا أو نموذجا أعلى للمقارنة اللغوية الداخلية.

و قد يقودنا المضي قدما في هذا البرنامج العام إلى إحلال اللسانيات العربية محلها الصحيح في نادي المجموعة العلمية الدولية<sup>3</sup>، و هو طريق معقول لإكساب هذا الميدان، و القائمين عليه، مزيدا من المصدقية و فرصا للمشاركة الفعالة في إنتاج المعرفة المعاصرة.

لا شك أيضا أن هذا الطرح يفترض ضمينا، تعديلات و تحويلات ذات أهمية في العديد من المجالات و على أكثر من صعيد من أجل الارتقاء بالنشاط اللساني المنظم إلى المعايير العالمية. و مسألة تحويل النموذج اللساني العربي إلى صيغة أو نظرية عامة تصلح بعدئذ للمقارنة و التعبير، ليس بأمر بعيد نظريا، و لكنه لا يتوقف على الشروط و المتطلبات التقنية و العلمية وحدها، بل يحتاج إلى مزيد من العوامل و على رأسها تمكين البيئة الناطقة بالعربية، و هي مصدر الحكم على صحة الأنماط و النماذج من استغلال هذه الأطر استغلالا واضحا و

<sup>1</sup> - نظرية ثانية (Métathéorie) في اصطلاح أكثر من حاول في هذا المضمار.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ص 38.

<sup>3</sup> - محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة، ط 2007م، ص 9.

معقولا، و في هذه الحالة، سيكون النموذج المذكور مطلوباً و محتاجاً إليه بإلحاح في اللسانيات العالمية من دون أن يسوّق لنفسه بصورة عاطفية أو بلغة علمية متعالية.

#### رابعاً: التجسير بين مختلف الفروع العلمية.

إن تحقيق التقدم العلمي المنتظم يقتضي تطوير بيئته و شروطه اللازمة، و من هذه الشروط توفر نظام تبليغي قادر على نقل جميع المستويات و الحقائق و المفاهيم الجديدة و ترجمتها إلى الكافة من المعنيين بصورة تُحقق المردودية الاتصالية في أعلى مستوياتها، و هذا معنى التجسير في مفهوم فريق معتبر من اللسانيين العرب الحاليين و هو مقتبس من آراء وجدت في بدايات اللسانيات مع كلود ليفي شتراوس<sup>1</sup>، و يعاد تنظيمها و التركيز عليها بشكل واضح حالياً و لا سيما في أعمال تشومسكي و مدرسته.

هذا المفهوم يقضي بأن تكون اللسانيات العربية قوتها الإجرائية التي تحولها أن تلعب دوراً مركزياً، أو أن تكون قطبا للتجاذب تعول عليه جميع الفروع العلمية في تطوير آليات الكتابة و البحث و التعليم و مجموع الخطاب الشفوي و التحريري الصادر باللغة العربية، و يقتضي هذا الفهم، من جهة أخرى، أن تكون الصلات و العلاقات بين هذا الميدان و غيره من الفروع في الجامعات و المعاهد و كذا على مستوى الهيئات و المؤسسات الرسمية و المدنية شديدة الصلة حتى يكون نقل الحقائق و النظريات الجديدة و وضعها على محك التطبيق جارياً أولاً بأول.

و بما أن هذه العناصر غير متوفرة حالياً، فإنه يمكن الذهاب إلى جعلها أولوية الأولويات في برنامج التفكير اللساني العربي المعاصر، و ذلك يتطلب تغييراً متدرجاً في مناطق الاهتمام، و زيادة الاحتكاك الميداني مع الناطقين في عين المكان، و بذل جهود أكبر في سبيل تنظيم المراجع و المصادر و الوثائق العلمية و البيداغوجية على مستوى الإنترنت، لأنه أسرع و أضمن وسيلة للتواصل و التراسل في وقتنا الحالي سواء بين المختصين في اللغة العربية و قضاياها، و هم منتشرون في كل أقطار الوطن العربي، بل يوجد كثير منهم في الدول الأجنبية، أو المسؤولين و

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 9.

المفكرين و أصحاب الهيئات و المؤسسات التي يعينها تطوير برامج اللغة العربية بصورة متقنة و احترافية<sup>1</sup>.

و على سبيل المثال، إذا طبقنا المقاييس المذكورة، فإنه يتعين على الباحثين في اللسانيات العربية و لا سيما المشتغلين على التطبيقات التعليمية أن يتفقوا من حيث المبدأ على أنه يعد من جملة شروط اللغة العربية في قطاع التعليم أن تكون بينية؛ مبسطة و بيداغوجية إلى أقصى قدر ممكن<sup>2</sup>، من أجل تجاوز الفجوة الواسعة بين لغة المنزل و لغة المدرسة، و مثل هذا التفكير لا يتطلب معرفة بالجوانب اللسانية و التربوية فقط بل يفترض أيضا إدراكا كافيا بدور العناصر الأخرى في حواف هذا السياق مما له تأثير عميق على عملية التعليم داخل الفصول الدراسية.

و من الواضح، كما في التجارب العالمية الأخرى، أن مستقبل اللسانيات العربية بوصفه ميدانا ثريا من ميادين البحث العلمي الثابتة في الخارطة الأكاديمية العربية لا يتوقف على درجة إلمام المختصين و الناشطين فيه بتفاصيل ميدهم من الناحية العلمية الخالصة فقط، بل يضاف إلى ذلك عوامل أخرى لها أهمية بحسب السياقات و الظروف الحالية على اختلاف بين كل قطر عربي و آخر، و يمكن أن نجعلها كما أشرنا آنفا في ضرورة إحداث تغيير متدرج داخل منظومة الأهداف التي يعقدها المهتمون بهذا الميدان على نشاطهم في مستقبله القريب، و يصح أن نتصور حدوث هذا التغيير محتاجا بالضرورة إلى تركيز أكبر على بناء الشخصية العلمية المتكاملة للجيل الذي يتم إعداداه حاليا، من حيث قابليته للانفتاح على غيره من الفروع العلمية و إيمانه بالتعاون و التشارك البناء في إنجاز البحوث، و عدم انتقاصه و ازدرائه للبحث الميداني و غير ذلك من التوجهات المفيدة التي تجعل هذا الفرع من البحوث يقدم نفسه

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة و البيئة، ص 46.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 47.



بوصفه نشاطا ذا مردود و قدرة على الإنتاج و التجديد داخل كثير من قطاعات المجتمع و مرافقه الحساسة.

#### خامسا: التخصص و البناء التراكمي.

تتميز اللسانيات العربية بأن أكثر الباحثين فيها قد حددوا لأنفسهم مسارا شديدا الدقة و التخصص في معظم أعمالهم<sup>1</sup>، فمنهم من تعمق في الصوتيات العربية و الصوتيات التجريبية على سبيل التخصص فلم يكذب يخرج منه، ذلك مثلا دأب الأستاذ أحمد الأخضر غزال ( رحمه الله)، و دأب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في مرحلته العلمية الأولى وصولا إلى أواسط الثمانينيات من القرن المنصرم. و منهم من تعمق في المعجم تعمقا شديدا، و هم عدد معتبر من الباحثين الممتازين في المغرب و الجزائر و تونس و العراق، منهم على سبيل المثال: عبد القادر الفاسي الفهري و علي القاسمي و محمد رشاد الحمزاوي، و منهم من تعمق في الجانب الصرفي بصورة حصرية مثل الأستاذ إدريس السغروشني، أو الجانب الدلالي مثل الأستاذ محمد غاليم، و الأستاذ تمام حسان، أو التطبيقات التعليمية مثل الأستاذ محمود إسماعيل صيني. و منهم من تخصص في البحوث التاريخية و المقارنة مثل الأستاذ مصطفى غلفان، و الأستاذ مازن الوعر، أو البحوث التأصيلية ذات البعد المعرفي (الإبستمولوجي) مثل الأستاذ عبد السلام المسدي.

فهؤلاء جميعا جاءت أكثر بحوثهم باللغة العربية تدرس اللغة العربية نفسها بوصفها ظاهرة كونية و نظام اتصال متداول في حدود مكانية و زمانية و غير ذلك من الاعتبارات، ثم التزمت خطأ من التخصص وفيها، بصورة غالبية، لذلك الذي أشرنا إليه قبل قليل، و هذا، في رأينا، من أحسن مميزات الرواد في تعاطيهم مع اللسان العربي و هو دليل على سلامة منهجيتهم و فهمهم الصحيح لمقتضيات البحث العلمي و شروط التعمق فيه و من ثم تحقيق أهدافه الخاصة و العامة.

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي، ط 1998م، ص 15-151.

و قد تكون المرحلة القادمة في استثمار هذه الميزة أن يعاد مسح جميع هذه الجهود و تنظيمها على أسس و مداخل متنوعة ثم تفهرس رقميا مظهرة القوام الإنجازي لكل مجال من مجالات اللسانيات العربية حتى يكون الباحث المضطلع بهذا الميدان على بينة كاملة بمحدود الجهود و النشاطات المبذولة في كل تخصص، فيضع بذلك تقويما منصفيا لما يريد أن يساهم به من جديد في إثراء هذا الميدان.

و من الواضح أن استحواذ فكرة التخصص أو الاحترافية، على الأذهان العربية التي حملت على عاتقها مسؤولية تأسيس اللسانيات العربية كان منطلقا منطقيا للانتقال بهم إلى التفكير في ميزة أخرى مكملة و متممة لها و هي ضرورة أن يكون هذا النشاط منظما و دائم التحديث من خلال استجابته لمتطلبات البناء التراكمي الإيجابي في المعارف<sup>1</sup>، و ذلك يقتضي أن يكون هناك صيغ متفق عليها للإبداع و التجديد في أي حقل من الحقول، شريطة أن يكون صاحب الاقتراح قد ألم بما سبق لزملائه أن قدموه من قبله، فبهذا يعتلي بنيان المعرفة اللسانية العربية على أسس متينة و يظل متناسقا سليم المعمار و الهيكل مهما علت طوابقه و تعددت فيه الغرف و الفسح و المساحات الضيقة أو الواسعة.

### المطلب الثاني: حدود اللسانيات العربية.

لكل علم أو فرع علمي مجاله الذي يشغله من البحث، فيكون له به استقلاله و تميزه الذي يثبت وجوده و مشروعية البحث و التخصص فيه، و بهذا المعنى نفهم أن حدود اللسانيات العربية هي المناطق التي يمتد إليها البحث في هذا الميدان، مع ملاحظة أنه فرع من ميدان أوسع هو اللسانيات العامة، كما أنه يشترك في بعض مناطق البحث مع ميادين و فروع أخرى لغوية و غير لغوية اشتراكا متفاوت العمق و متعدد الأبعاد و كل ذلك له فائدته إذا أحسن توظيفه و تم وضعه في موضعه الصحيح.

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة و التخطيط، ص 15-151.

كما أن التطرق إلى الحدود، من منظور معرفي، يستلزم الالتفات إلى الإنجاز الفعلي المتحقق في مختلف أبواب البحث التي تفتحها اللسانيات العربية للباحثين، أو تلك التي بادر الباحثين هم أنفسهم باقتراحها شكلا جديدا أو إعادة صياغة لمنظورات قديمة.

و هناك فرق، في واحدة من وجهات النظر الحالية، بين اللسانيات العربية و الثقافة اللغوية العربية، و قد تكون الأولى في محل نضج و تكوين لما تتبلور بعد، أما الثانية فهي كائن مبهم مضطرب الحدود يعكس الانسداد الذي تعرفه اللسانيات في استقبالها و تقبلها داخل الوطن العربي<sup>1</sup>.

هذا الموقف الذي خلص إليه الباحث مصطفى غلفان يبدو منطبقا على حيثياته رغم تغليب الاستنتاجات السلبية فيما يخص مستقبل البحث اللساني؛ مصورا حالته العامة في تراجع و انحسار، و فقدان للبرجمة، و أهم من هذا و ذلك انقطاع العلاقة مع المتلقي<sup>2</sup>.

ومع ذلك ينبغي الإقرار بأن الباحث كان صريحا في عدم الخلط بين اللسانيات العامة و ما يمكن أن يرتبط بها من كتابات باللغة العربية و لا سيما التمهيدية مثلا و اللسانيات العربية التي هي في كل الأحوال ميدان له استقلال نسبي و لا يلتبس في موضوعه و كثير من اختياراته المنهجية مع هذا الأول.

ثم عبر عن اعتقاده، إثر جولاته التأريخية المقارنة، بأن الثقافة العربية قد فوتت ثلاث فرص سانحة للاستفادة و الاستغلال الأمثل للسانيات بوصفها وافدا معرفيا، و هذه الفرص هي على الترتيب الزمني كما يلي:

أ. النهضة الفكرية العربية الحديثة.

ب. إنشاء الجامعات العربية، و خاصة جامعة القاهرة كأول جامعة عربية.

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ط 2006م، ص 4، 5، 159-160، 164-166.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ط 2006م، ص 5.



ج. اهتمام المستشرقين المتزايد باللغة العربية<sup>1</sup>.

و لو تكلم واحد من هذه الفرص بالنجاح، أو بعبارة أخرى: لو تغير مسار التاريخ بشكل من الأشكال لكان وضع اللسانيات في الثقافة العربية أفضل مما هو عليه الآن بكثير.

و قد لاحظ الباحث بأن هذه المحطات تداخلت و امتزجت مع بعضها في كثير من الحالات، و هو محق في ذلك، و لكننا في هذه الحالة ينبغي أن نراجع كونها ثلاث فرص أو فرصتين أو فرصة واحدة، هذا من جهة، ثم ينبغي أن نراجع المقصود العلمي الدقيق بالفرصة، و من الذي لم يستغلها على أحسن ما يرام.

فإذا كان الأمر يتعلق باستغلال يثري الثقافة اللسانية و ينشرها بين عموم أهل الفكر و طبقة واسعة من المواطنين في وقت مبكر، حتى إذا جئنا إلى المرحلة الأكثر حداثة وجدنا لهذا الميدان سابق قبول و لا نحتاج لهذه المقدمات و المداخل الطللية حتى نقنع الناس بأهميته و ضرورته في مسار البحث اللغوي الحالي. إذا كان هذا هو الطرح فينبغي أن لا ننظر فيه إلى العوامل الثقافية و بجردها عن توابعها شديدة الارتباط في مجالات أخرى؛ اجتماعية و سياسية و تربوية؛ فلو أخذنا هذه العوامل و تداخلها لوجدنا أن حقيقة عدم الاستقبال السلس للسانيات هي ضرورة على الأرجح و ليست اختيارا لأن فاقد الشيء لا يعطيه؛ أولا: معظم الأمة العربية كان تحت وطأة أنواع مختلفة من الاحتلال و الانتداب و الاستعمار، ثانيا: نسبة أمية هائلة ما زالت تتجاوز 40% في وقتنا الراهن<sup>2</sup>، فكيف بذلك الوقت، ثالثا: لا تعليم لأغلب الشعب، و من حاله الحظ في ذلك من شيء فهو بين طريقين أولهما: أن يلتصق بالتراث اللغوي و الفقهي الذي بقي من تركة القرون الوسطى، و يكون قد وضع أول خطوة في طريق التقليد و التشبع بالمنطق اليوناني و نظام التعليم القائم على المتون و غيرها من الأجواء

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 159-160.

<sup>2</sup> - تقرير التنمية البشرية العربية، 2002م، ص 47. (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي-الأردن)

التي تقتل الملكات بتصريح من فطاحل ذلك الزمان. ثانيهما: أن يدرس في المدارس الأوربية، فينسى اللغة العربية أو تمحى من كيانه تدريجياً.

فهناك إذا انقسام حاد في قلب المجتمع العربي، أي على مستوى الفئة المتنورة و المتعلمة، و هو نتيجة اضطرارية لم يخترها المواطن العربي وقتئذ، و لما حصلت و استفحلت وجدنا دائماً هذه المفاصلة أو الانقسام في كل البيئات المعرفية العربية.

و لأخذ صورة عن مجموع النشاط البحثي الذي زاوله اللسانيون العرب خلال العقود الأخيرة سنتطرق فيما يلي إلى نماذج رئيسية تمثل جوهر هذا النشاط، و التي من المتوقع أن تساعد في تقييم حدود هذه الجهود و إنزالها منزلتها اللائقة.

#### أولاً: صياغة النظريات القابلة للاستغلال الواسع النطاق.

سيطرت فكرة بناء الأطر النظرية اللغوية القابلة للاستغلال التطبيقي على عقول أكثر الفاعلين في ميدان اللسانيات العربية، و اتفقوا على أن مقياس الحكم على هذا البرنامج يرتكز في المقام الأول على نجاعة الصياغة الصورية و منظومة الأليات<sup>1</sup> عندما توضع هذه العناصر على محك الاختبار في المجالات الكثيرة التي تحتاجها و على الخصوص: العلاج الآلي للنصوص العربية على الحاسوب، علم تعليم اللغات صناعة الكلام المنطوق آلياً، و علاج أمراض الكلام.

إن الأطر النظرية الموجودة في الميدان حالياً تستمد أصولها؛ في الفرضيات و المفاهيم الإجرائية و التصور العام للتحليل اللغوي من مصادر عديدة، و يلاحظ أن الباحثين العرب هم أكثر تحرراً من غيرهم فيما يخص المرجعيات و المصادر، و قد يكون مرد ذلك إلى قلة النقد

<sup>1</sup> - الأليات: هي نظام مترابط من البديهيات المكتفية بذاتها فلا يمكن أن ينزل تحتها، و اكتفاؤها يعني أنها ذاتية البرهنة فلا يحصل معها الدور التسلسلي، و ذلك متحقق في الرموز الرياضية مثلاً، لأنها كائنات تخيلية لا ترتبط بمعين له حدود فزيائية.

البناء الذي يوجه إليهم، فضعف المتابعة هو بصورة عامة مشكل كبير يعيق الفكر اللساني العربي و يقلل من سرعته في هضم المستجدات و إعادة التشكيل و البناء المطلوبة كل حين. و مع الإقرار بهذا المظهر، فإن إهمال الباحثين الذين خاضوا غمار الصياغات النظرية بمختلف مستوياتها إثبات مراجعهم التفصيلية هو وجه نقص واضح و غير مبرر، و قد يرد بعضهم على ذلك بأنه ضابط شكلي لا يؤثر في المحصلة النهائية على جوهر الصياغة، و ذلك غير صحيح، لأن الصياغة النهائية لا تمثل جهد الباحث وحده بل هي على الأرجح، الصورة التي تنتج بشكل تدريجي إثر عمليات النقاش و النقد المتبادل، و من النادر أن يقترح باحث إطارا نظريا يزعم أنه يكفل تحليل كل اللغة أو مستوى محدد منها إلا و يوجد عليه من الملاحظات و الإضافات، و المؤكد أن تصريح الباحث بمرجعياته بصورة مفصلة و أمينة قدر الإمكان من شأنه أن يساعد على تبيين هذا المسلك المرتقب من النقاش الفعال، و هو في الحق، شيء ضروري و مفيد للصياغة المقترحة.

### ثانيا: التطبيقات التكنولوجية و التعليمية الخاصة باللغة العربية.

تظهر الدراسات الصادرة مؤخرا في مجال اللسانيات الاجتماعية أن اللغة العربية المعاصرة تتميز، في مستواها المنطوق، بتداخل المستويات اللغوية؛ فالمتكلمون العرب لا يتقيدون في حديثهم العفوي بمستوى واحد من مستويات اللغة، بل يميلون إلى استعمال صيغ و تعبيرات تنتمي إلى أكثر من وجه أدائي في المحادثة الواحدة، فيمكن، على هذا المقياس، أن تجد في حوار داخل بيت من البيوت العربية خمس أو ست مستويات لغوية يعدها المختصون مستقلة إلى حد ما، و يلاحظ ذلك على الخصوص في الحالات التي يكون فيها مستند الحوار أو موضوعه يحيل تلقائيا إلى مرجع ثقافي محدد، كالمواضيع الدينية و الأخلاقية و السياسية و نحو ذلك، فهذه الملاحظات تؤكد، من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية، شدة تغلغل و اندماج اللغة العربية في منظومتها التراثية و الثقافية، كما أنه يوضح، من وجهة نظر حاسوبية، التعقيدات الإضافية التي ينبغي أخذها في الحسبان عند مباشرة التفكير في إنجاز الخوارزميات و

الأنماط الصورية لفائدة عمليات استخلاص البيانات (الضغط و فك الضغط)، استرجاع البيانات تحليل الكلام آليا<sup>1</sup>، و ما شابه ذلك.

كمثال على ما سبق، في مجال تطبيقات التعليم المبرمج آليا، تحليل مجموعة بيانات بحيث أن كل كلمة يتم تشخيصها (تقطيعها) بصورة صحيحة يتطلب أخذ الشروح و المفاهيم التي يعطيها الناطقون الطبيعيون (أهل اللغة) في الحسبان، و من الأعمال الرائدة التي راعت الخصائص المذكورة محاولة الباحثين لي و يال سنة 2003م، قامت على تحليل مجموعة بيانات مكونة من 110.000 كلمة عربية تم إفراؤها (تقطيعها إلى وحدات منفصلة) بواسطة مجموعة من خبراء اللغة العربية و تمكنوا من إنجاز نموذج تمثيلي ثلاثي للغة العربية<sup>2</sup>.

**ثالثا: إعادة الاعتبار للتراث العلمي اللغوي العربي و استغلاله في الأبحاث التطويرية.**

يرى كثير من علماء اللسان في الوقت الحالي أن إعادة الاعتبار للمصادر العلمية التي أنتجتها الأمم الإنسانية السابقة و إحلالها محلا مركزيا في منظومة موارد التفكير المنهجي في الظاهرة اللغوية من شأنه أن يساعد بصورة واضحة على توسيع مجال الأفكار و التصورات و اقتباس أطر نظرية غير مكررة، هذا الموقف يؤكد عليه نوام تشومسكي باستمرار خلال السنوات الماضية، و هو موقف فريق معتبر من مختصي اللسانيات العربية<sup>3</sup>، و على ذلك، فإن من الأدوار الأساسية لهذا الميدان أن يعكف على هذا المورد تحقيقا و تدقيقا و تكييفا دائما مستمرا، مع العلم، أن هذه النظرة هي من جملة القواسم المشتركة في اللسانيات العالمية المعاصرة.

**المطلب الثالث: البحث العلمي في اللسانيات العربية.**

يعتقد فريق من اللسانيين العرب، و لا سيما أصحاب الاتجاه المخضرم الجامع بين المحصولين التراثي و الحدائي، أن البحث اللساني العربي ليس منعدما، بل هو على الأرجح

<sup>1</sup> - أنظر: reem Bassiouney and Graham Katz: Arabic Language and Linguistics, Georgetown University Press, USA, 2012. P37.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص38.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص22.

ضامر أو ضعيف الانتشار، و يقترح بعضهم ميزة يسميها إشعاع البحث اللساني بوصفها هدفا مرحليا لهذا الميدان و للفاعلين فيه، هذه الميزة لا تتحقق إلا بأن يصبح هذا الفرع من البحوث مكونا ثقافيا مشتركا على نطاق واسع داخل المجتمع العربي، ثم يقدم مساهمته الفعالة في مسار التفكير العالمي<sup>1</sup>.

و يمكن أن نلاحظ في هذا التصور انعكاسا للمرجعية المزدوجة الأنف ذكرها، لأن فيه اقتباسا للمكانة النموذجية التي بلغتها البحوث اللغوية العربية في أيام سؤوددها و ازدهارها، كما أنه ينشد التجسير مع الفكر اللساني العالمي في طبعته المعاصرة. أما ضمور إشعاع البحث اللساني؛ عربيا و عالميا، فتقف وراءه جملة من العوامل من أبرزها ما يلي<sup>2</sup>:

#### أولا: العوامل النفسية الحضارية:

يلخصها بعض الباحثين باسم: عقدة الاستغناء، أو نزعة المهابة و التقديس<sup>3</sup>، و هي مزيج من النظرة المتعالية و هالة القداسة التي تكونت في أذهان أجيال متعاقبة من المثقفين و العلماء حول اللغة العربية، و أنتجت هذه النظرة سياجا منيعا من المحظورات تحول دون الباحث النزيه أن يباشر تعامله مع معطيات هذه اللغة طبقا لما يمليه المنهج اللغوي السليم.

#### ثانيا: العوامل التكوينية.

إن أغلب اللسانيين العرب الأوائل تخصصوا في ميدان الصوتيات، و هو من الفروع الدقيقة و التحريبية، و معلوم أن اللغويين العرب كانت لهم في هذا الفرع نفسه اجتهادات مثمرة و كثير من الآراء السديدة، و قد أثبتت التجارب المخبرية دقة أوصافهم و لا سيما في تحديد مخارج الحروف العربية و العدد الأكبر من صفاتها، و لعل هذا الاكتشاف الذي ساهمت

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، ص 11-12.

<sup>2</sup> . المرجع السابق، ص 12-20.

<sup>3</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي (سلسلة كتب المستقبل العربي، ع 55) ط 2007م، ص 100.



فيه اللسانيات بطبيعة الحال كان له تأثير معزز لأفكار الاكتفاء في العلوم العربية، و عدم حاجتها إلى اللسانيات، أو لنقل إنها رسخت و عمقت الأفكار القبلية التي كانت لدى هؤلاء عن التراث اللغوي العربي.

نذكر من هذا الجيل الأول العالم اللغوي المغربي أحمد الأخضر غزال الذي أدخل مادة الصوتيات الحديثة (Phonétique) إلى الجامعة المغربية، و كان يسميها: الإصاثة، و اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح الذي قام بمقارنة تجريبية لآراء العلماء العرب الأوائل و لا سيما التحليلات الدقيقة التي ذكرها سيويه في كتابه نقلا عن الخليل بن أحمد، و التحقيقات التي أثبتها عيسى بن علي الرماني حول ديناميكية الحروف العربية، و ناقش المختصين الغربيين في ألمانيا و فرنسا و كندا حول هذه النتائج، كما توصل إلى تحديد مصفوفة الأصوات العربية (المخارج و الصفات) و حولها إلى تصميم ثلاثي الأبعاد، و معلوم أن هذا التصميم مفيد في تعليم الأصوات العربية في المراحل التمهيديّة، ناهيك عن فائدته الأساسية في البحث الصوتي بشقيه النظري و التطبيقي<sup>1</sup>.

و تميز في مصر الأستاذ كمال بشر من خلال موسوعته المسماة: علم الأصوات، رغم أنه ارتكز فيها على التحقيقات الغربية، و لا سيما المدرسة البريطانية، غير أنه كان منصفاً للجهود العربية المتقدمة.

و الحاصل أن متابعة المحصول العلمي للرواد السابقين و زملائهم الذين عاصروهم، لا توضح إن كانت النظرة المتعالية إلى التراث الصوتي العربي طاغية على تفكيرهم، أو دافعة إياهم للإحجام عن الاستزادة من تحقيقات اللسانيات العالمية في هذا المجال، و الراجح أن الأجيال اللاحقة من تلامذتهم هم الذين غلب على ظنهم هذه الآراء، أو فهموا من نتائج بحوث الرواد هذا المعنى الذي دفع كثيرا منهم إلى توجه أحادي الجانب في بحوثهم معتمدين فيها على المصادر العربية القديمة، و قد لوحظ في قوائم البحوث الأكاديمية تضخم للاتجاه

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 259-260.

المعتمد على كتب التجويد و القراءات في بلورة الآراء و النظريات الصوتية، و لوحظ أيضا تزايد مطرد في تحقيق هذا النوع من المصنفات.

و لا يمكن أن نعد هذه الظاهرة شكلا سلبيا من أشكال البحث اللغوي في الجامعات العربية، لأن هذه البحوث قد أثمرت فوائد كثيرة و توصلت إلى اكتشافات و تحقيقات مهمة، إلا أنها، في سياق تطور الفكر اللساني العربي المعاصر، تعكس التأثير العميق لنوعية التكوين الأساسي عند الباحثين، ذلك أن أغلب أصحاب النزعة الآنفة قد تتلمذوا على الرواد، و لاحظنا أن هؤلاء لم يتبنوا موقفا مصغرا أو مقلدا من تأثير اللسانيات بل العكس، و مع ذلك فإن هؤلاء التلاميذ، فضل جمهور لا بأس به منهم أن يكتفي بالموثوث العربي في هذا المجال ما دامت التجارب و التحقيقات اللسانية الحالية تظهر نجاعته، و تفوقه في بعض الجوانب، و بالجملة عدم احتياجه إلى زيادة أو تنقيح من مورد خارجي. هذا كله يقال بصفة عامة بالنسبة للمفاهيم الإجرائية، و كذا الأطر النظرية.

و من العوامل المؤثرة في المسار التكويني الذي اتخذته اللسانيات العربية الأثر السلبي الذي خلفته بعض الكتابات التمهيدية، تلك التي أريد منها أن تكون مدخلا يعرف الطالب و المثقف العربي بالثورة اللغوية التي طرأت في البلدان الأوربية ثم في الولايات المتحدة، من أجل أن يتحصل بعد ذلك انكباب على الأخذ بنفس الأسباب التي أحدثت تلك الثورة العلمية فتستغل في ترقية الوعي و التنمية اللغوية داخل الأقطار العربية، لكن نقاد اللسانيات، و منذ وقت مبكر سجلوا العديد من النقائص و العيوب التي جعلت هذه المحاولات الأولى تنحرف عن الهدف المبدئي الذي تم رسمه لها، بل تحولت على إثر شيوعها و كثرة تداول الطلاب و الأساتذة إياها إلى مصدر تشويش يروج لمعلومات تقادم بها العهد، و أصبحت تناقض مجريات العلم و تطورات اللسانيات العامة و التطبيقية.

و مهما كانت الانطباعات و الآراء التي خلفتها المعطيات السابقة فإن تدريس اللسانيات باللغة العربية هو مكسب حضاري، و فيه دليل واضح على أن مشاكل البحث العلمي في

الوطن العربي لا تربط بهذه اللغة ارتباطاً عضوياً، لأن المعرفة اللسانية، وهي من أحدث المعارف وأكثرها دقة، قد نقل الكثير منها إلى جمهور أهل العلم و الفكر باللغة العربية، بل إن هناك إبداعاً و تجديدًا يقترحه اللسانيون العرب بين حين و آخر و كثير منه بالعربية.

أما تدريس اللسانيات باللغة العربية بوصفها مقياساً في الجامعات و الكليات فإنه يشهد تعثرات يقر بها معظم المعنيين بهذا الأمر، و لكن أغلبها، على الأرجح، مرده إلى عوامل هيكلية و تنظيمية من جهة، أو بيداغوجية تربوية من جهة أخرى، و ما يسميه بعض المختصين **بالعلاقة المتوترة بين اللسانيات و اللغة العربية<sup>1</sup>** هو ناتج عن عوامل مركبة؛ ثقافية و اجتماعية و إدارية، ثم تعليمية، و نحن نعلم أن الطالب الذي يصل إلى كليات اللغة العربية لا يمتلك أية خلفية من المعلومات أو الأفكار حول ما يسمى بالمنهج الحديث في تحليل و دراسة اللغات البشرية، و كل ما تلقاه هو التحليل اللغوي التقليدي في النحو و البلاغة، من دون أن يتعمق في نظريات اللغة لا من الناحية التاريخية و لا من الناحية الوصفية.

### ثالثاً: الخلافات العلمية و الصراعات الأيديولوجية.

لم يخل الخطاب اللساني العربي المعاصر من معارك دارت بين المشتغلين على هذا الميدان شملت كبار القضايا و صغارها، و بعضها طال و استفحل حتى صار كالمرض العضال أو المزمّن، أو موضوعة تظهر شكل المبارزة و الملاسنة المعرفية و تبطن أغراضاً و مرامي بعيدة كل البعد عن البحث العلمي أو الفائدة و المنفعة المرجوة من النقد البناء و الاعتراض المؤسس.

و ليس غريباً أن يعد بعض الباحثين هذا المظهر المضطرب من الخطاب اللساني المشكل **الحقيقي للسانيات العربية**، إذ يفقدها شرعيتها المبدئية كميدان من ميادين البحث العلمي لبقاء الأفكار و النزعات التي تربطها مباشرة بالخلفية الاستعمارية أو الاستغرابية<sup>2</sup>، فهذا الخلط

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية، ص 49-50.

<sup>2</sup> - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ط 2011م، ص 26.

الفادح بين الأيديولوجيا و العلم الصحيح يؤخر بلا ريب البحث المنتظم في قضايا اللغة العربية لوجود أصوات من مثقفين ذوي شأن و مكانة مرموقة يروجون لهذا المنظور في كل وقت و حين.

إننا نتقبل الإقرار بالوصف الأنف من حيث هو مبدأ أو إطار لضبط هذا المستوى من فكرنا اللساني، و تشخيص بعض من الخصال و اللوازم الأسلوبية التي ارتبطت بتجربة الكتابة و البحث عند شريحة معتبرة من اللسانيين العرب، في كل المراحل التاريخية، و مختلف المستويات العمرية. كما نسجل بوضوح الفرق الضروري بين ما يدخل في الخلاف العلمي الصحيح و المشروع، و ما هو من قبيل التخمينات أو الآراء المطلقة و الفضفاضة التي يطغى عليها التعميمات العشوائية، و شح الاستدلال المنطقي، و كذا اللغة المفتقرة إلى لوازم التهذيب و الحكمة. إذ نميز فيه بين الجدل و النقاش الذي كانت أرضيته قضية منهجية أو معرفية أو مسألة محددة في ظاهرة معينة من مستويات الدرس اللساني، ففي كل هذه الحالات تثبت صفة العلمية لهذه المحاورات مهما ارتفعت حدة الخلاف، اللهم إلا إذا وجد داخل هذا الخطاب كلام معيب أو اتهامات شخصية غير لائقة فتطرح من مجموعته، و يصح أن نعد هذا النمط من المعارك العلمية علامة صحة في الفكر اللساني، و مظهرا من مظاهر تفاعلاته السليمة التي تمضي به قدما نحو مزيد من التطوير و التحسين.

في حين أن هناك قسما من الخطاب اللساني العربي المعاصر تطغى عليه لغة التشخيص و الحرب الكلامية بين باحث و آخر، و تارة بين جهة قطرية و أخرى و يكثر في هذا الخطاب النقد الإجمالي المبهم، و المواقف القبلية غير المكتفية بالأدلة و التحقيق النزيه فيما يفعله الطرف الآخر، و كل هذا الزخم من المكونات يعد جانبيا و غير ذي قيمة في جوهر البناء التصاعدي للفكر اللساني العربي، و هذا ما نضعه تحت مسمى: الصراعات الأيديولوجية.

هذا المستوى من الخطاب اللساني لا يسمى تفاعلا، بل هو على الأرجح من ذلك انفعال زائد، و خروج عن اللوازم و الحدود العرفية التي تنظم الحوار و النقد بين المفكرين و العلماء، و

الميزة الغالبة على هذا النمط، هي الخلط غير المبرر بين النظريات العلمية و النزعات الفكرية أو العقائد الذاتية و الأيديولوجيات، و معلوم أن الخوض في النظريات و الاجتهادات العلمية و معارضة أصحابها يقتضي الاحتكام إلى معايير صارمة في الشكل و المضمون و المرجعيات و غير ذلك من الشروط الأولية المتفق عليها عند جمهور الباحثين في العالم بأسره.

الخلافات الواضحة بين أصحاب المنظور الوصفي و نظرائهم الذين لم يشاطروهم تقبلهم غير المشروط لهذا الإطار منهجا و إجراء هو حالة نموذجية في سياق الجدل العلمي الذي استوفى في جملته أكثر الشروط و الضوابط التي تدخله في المساحة الواسعة للنقد البناء. بلى، هناك استثناءات قليلة، و حالات من الأخذ و الرد و الاتهامات غير المبررة وقعت في نطاق ضيق من باحثين قدموا أنفسهم للفكر اللغوي العربي المعاصر بوصفهم الواقفين على حدود اللغة و النحو العربي، و الغريب في الأمر أنهم التزموا المعارضة و شطب كل إنجاز حققه زملاؤهم في اللسانيات العربية.

أما الاعتراضات المؤسسة التي وجهها الوصفيون، فكانت موجهة إلى التراكم اللغوي، و إلى أجزاء محددة من الجهود النحوية القديمة، و لم تكن انتقاصا من التراث في حد ذاته، و لا من العاكفين على مصادره و مناهله، و من أهم آرائهم أن البحث الصحيح هو الذي يجيب عن مقتضيات الكيف، و لا يقحم نفسه في المفاهيم الميتافيزيقية جاريا و راء التعليقات، و لذلك رفضوا المناهج التعليقية رفضا صريحا، و حصروا حدود البحث في الرصد و التصوير المباشر للظواهر، و حتى يكون التصوير دقيقا ألحوا على شرطين أوليين: أولهما تحديد الفترة الزمانية للعين المدروسة من اللغة، و ثانيهما تحديد المستوى المقصود بالدرس إن كان الفصحى أو لهجة من لهجاتها، و اشترط أكثرهم أن جمع المدونة اللغوية لا يعتبر في صميم الوصف اللغوي حتى يأخذه الباحث من عين المكان و يسجله بأفضل الوسائل التقنية المتاحة بين يديه، و لا شك أن هذا الاحتياط الأخير من أنفع إسهاماتهم و أبعدها أثرا في البحث اللساني بشقيه النظري و التطبيقي.

و من آرائهم الأساسية أيضا رفضهم، أو على الأرجح، تقييدهم الشديد لحرية الباحث في الافتراض، لأن الفرضيات مدخل إلى التعليل، و العلة مكون هلامي لا تضبطه مقاييس مشتركة، و الأهم من ذلك أنه تدخل في حركة الظواهر و سيرورتها و هذا مناقض لأطروحة الوصف العلمي المجرد.

و هذا أدهم، في الغالب، إلى تفسير الحركية المنهجية للنحاة انطلاقا من جمع المادة ثم تحليلها ثم تقييدها بأنه نشاط غير مكثف و صفياء، و يشتمل في أوله و آخره على تحكيمات قبلية تضعفه؛ أما التحكيمات التي في أوله فمردها إلى الحدود الزمانية و المكانية الانتقائية التي استخلصها النحاة من ذوقهم و خلطهم لبعض المقاييس الجيو-استراتيجية<sup>1</sup> في صلب الرصد الموضوعي، و أما التحكيمات التي في آخره فمردها إلى أن القاعدة هي في الأغلب إطار منطقي (أرسطي) محدد قبل المادة، فإذا طبقت المادة القاعدة فذلك هو المراد، و إن خالفته أو شذت عنه لجأ النحاة إلى التعسف على حساب المادة و لا يغيرون القاعدة لأنهم يعتقدون أن المنطق لا يتغير<sup>2</sup>.

و جاء رد التراثيين، و لا سيما أتباع المدرسة الخليلية على الاعتراضات الوصفية الموجهة إلى منهج النحاة العرب و منطقتهم في معالجة المدونة اللغوية، مركزا على نقاط الضعف و الفراغات الحقيقية التي لم يولها هؤلاء كبير عناية، أو لم يلتفتوا إليها بالجملة نظرا لطبيعة منهجهم، و في ردهم على حدود الإشكاليات التي يتاح للباحث أن يطرقها، لاحظوا بأن رفض المسلك التعليلي هو إهدار لنصف العلم، و ذلك لأن الأفكار و النظريات غير المعللة لا تملك أية حصانة في وجه المعارض عليها، و قوة البحث العلمي لا تتأتى من صرامته

<sup>1</sup> - مثل مقياس اللغات أو اللغات الضعيفة و هي عربية القبائل المتاخمة للحدود غير العربية؛ الفارسية و البيزنطية، فهذا شرط لا يقوم على مبدأ لغوي و إنما هو منظور استراتيجي على الأرجح (فكرة حماية الحدود سيطرت على اللغويين أيضا).  
<sup>2</sup> - أنظر مثلا تحليل الأستاذ كمال بشر لهذه الآلية و حاصل قوله فيها أن القاعدة ولدت بمعزل عن الجمع فهي إطار منطقي فرضي مفارق للمادة و هذا، حسب رأيه عين التحكم. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، ط2005م، ص 460.

في نقل العينات المشاهدة كما هي فقط، بل تتأتى أيضا من تفسيراته المقنعة للأسباب و العوامل التي جعلت هذه الظواهر على الهيئة المخصوصة التي هي عليها. ثم إن التعليل ليس كله ميتافيزيقيا أو نتاجا لتأمل سلبي، بل هناك تعليل علمي معتبر يقود الباحثين إلى اكتشاف القوانين العامة التي تجري في إطارها حركة الظواهر و العلاقات الحقيقية الرابطة بين عناصرها.

أما ردهم على مشكلة المعيارية التي زعموا أن النحاة العرب أقحموها على البحث بالتمحل و التحكم المطلق، فقد ألحوا على ضرورة التفريق بين المعيار بوصفه منهجا تحليليا تحاكم الأحداث و المسموعات اللغوية على مقياسه، و هذا لم يفعله النحاة العرب، و بين المعيار بوصفه ظاهرة في كلام الناطقين أنفسهم، إذ ينقل اللغويون من ما سمعوه عن العرب الفصحاء أنهم تارة يستحسنون ضربا من الكلام و طورا يقللون من شأنه، و ذلك كله صنيع الناطقين، و لم يأت به النحاة من عند أنفسهم، فالملاحظ هنا أن المعيار الذي يحتكم إليه النحاة هو في مشمول الوصف الصريح لم يخرج منه، و أما الذي يشير إليه الوصفيون المعاصرون فهو المعيار الذي يصنعه اللغوي من عنده، افتراضا أو تأويلا يتأوله من الكلام، و هذا وقع كثير منه في النحو الأوربي و كذلك في النحو العربي عند المتأخرين، أي بعد القرون الوسطى أين غلبت النزعة المدرسانية و آل النحو إلى تقليد و شروح متكررة<sup>1</sup>.

و من الخطاب اللساني المعاصر الذي يصعب التمييز فيه بين الحدود التي تفصل الطرح العلمي عن الاختيار و القناعة الفكرية الذاتية تلك الخلافات الكثيرة الموضوعة تحت مسمى: التراثيين في مقابل الحدائيين؛ و لا يخلوا هذا الخطاب من قبليات و أحكام تفتقر إلى التحقيق الكافي في المرجعيات و الأطر الخلفية التي تشكل مضمون المفاهيم الإجرائية التي يستخدمها هؤلاء و هؤلاء، و الناظر بمثل الاحتياط و الحيادية الآنفة، يجد أن السبب الواقف وراء الخلاف المحتدم لا يعود في الأصل إلى تفضيل للمادة التراثية في مقابل المادة الحديثة، بل

<sup>1</sup>. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، ص 17-20.

هو على الأرجح، حكم مبني على فهم متعجل للفكرة الأساسية التي يطرحها الطرف الآخر، و من الحق أن يقول الملاحظ بأن هذا التعجل في النقد و النقد المضاد يصطنع خلافات غير موجودة، و هو يؤول إلى تضيق المجال الواسع من الاتفاق داخل اللسانيات العربية.

من الأمثلة النموذجية على المظهر الأنف الخلاف المستحكم بين أتباع المدرسة الخليلية و نظرائهم الذين يؤيدون المنظورين التوليدي و التداولي، و أول ما ينبغي ذكره أن هذا الخلاف مهما علت حدته فإنه باق في مشمول الخلاف العلمي البناء، و لم تخرج لغته إلى الحدود المسفهة أو المعيبة، إلا أنه خرج في مناطق معينة إلى خلط لأسس النظريات العلمية و كيفية فهمها و من ثم إجراؤها على اللسان العربي بما يغلب على زيد من الباحثين أنه الوجه الصواب الذي تنتفع به اللغة و المجتمع أكثر من غيره، فيخرج الخطاب، بشعور أو بلا شعور، من تحليل و شرح صارم منتظم للأفكار اللسانية الجديدة و إسقاطاتها المحتملة على اللسان العربي، إلى تشریح و نقد للأوضاع السوسiolسانية و السوسيومعرفية.

و يعتقد بعض الباحثين أن الموقف من التراث الفكري و اللغوي هو الفرق الجوهری بين الحدائثة الغربية و العربية؛ فالأولى لا قطيعة فيها، أي إنها جاءت استمراراً و بناء غير مشوه، بوصفها حالة تاريخية و ثقافية متسلسلة اتحد فيها المادة و الموضوع، أما الثانية فإنها تواجه باستمرار عقبة إعادة قراءة التراث، و هذا التراث هو ملكية مجازية أو افتراضية على الأرجح<sup>1</sup>، لأننا لا نستطيع أن نتكلم عن وجوده المتحقق و الفاعل، خارج وضعه الوجداني و التاريخي، إلا بإثبات هذه الفعالية و القدرة على التجديد و العطاء بمقاييس و معطيات ملموسة.

و لعل هذا الموقف الأخير له مرجع أقدم و أرسخ قدما ينبع من آراء بعض فلاسفة العلوم العرب حول الحالة المعرفية و الثقافية المتأرجحة التي يعيشها العقل العلمي في الوطن العربي، و

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 13.



قد توصل الأستاذ زكي نجيب محمود إلى فكرة انعدامية الاستقلال في الفكر العربي على أساس توزع الفاعلين فيه بين نزعتين؛ ناقلة للفكر الغربي أو ناشرة لفكر عربي قدم<sup>1</sup>، فالحاصل من مجموع كلا النزعتين لا ينتج أي جديد مبتكر يكون أساسا لانطلاق الفكر و تحرره من حائل التقليد المذموم، و التقليد في حقيقة الأمر واحد، تقليد الغربيين أو تقليد العلماء العرب القدامى.

على أن أصواتا أخرى لا ترى هذه الفجوة متحققة بهذه الحدة، فأحمد المتوكل، على سبيل المثال، يرفض فكرة القطيعة المعرفية، و يعتقد بأن مفاهيم التراث لها وحدة مستترة تؤول إلى إطار نظري واحد، و لعل هذا الموقف المتوازن أورث حالة من الهدوء و قلة الاعتراض على المنحى الوظيفي داخل الوطن العربي، أو ما يترجمه المتوكل نفسه باسم السلام النسبي<sup>2</sup>، و قد يفهم هذا الوضع، و هو موجود إلى حد ما، على أنه ناتج تقوقع الوظيفيين في النظريات البحثية، أو مشروع البحث عن الأوليات، رغم أن جوهر منظورهم يقضي الاحتكاك التطبيقي أكثر من ذلك بكثير.

و المنظور الأنف نفسه يتجلى في فكرة الإفادة و الاستزادة التي يضعها بعض اللغويين هدفا عاما للنشاط المعتمد على النظريات و المناهج الغربية، و قد يقود هذا النشاط إلى الكشف عن ملامح نظريات عربية الوجه و اللسان موازية لنظريات غربية معاصرة، و التراث اللغوي العربي في هذا المنظور هو مجموعة ضخمة من الآثار المتفرقة في عدد كبير من العلوم القديمة، و قد حصرتها الأستاذ محمود أحمد نحلة في ثمانية أصناف من المؤلفات هي: كتب النحو و اللغة (متن اللغة) و البلاغة و الفقه و أصول الفقه و القراءات و التفسير و المعاجم<sup>3</sup>.

#### رابعا: التصورات و المناهج الإجرائية غير المتطابقة.

<sup>1</sup> - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص 254.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ص 40.

<sup>3</sup> - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط 2002م، ص 6.

يمكن هنا التطرق إلى نوعين من الصعوبات التي يصادفها في الباحثون في اللسانيات العربية؛ النوع الأول هو الصعوبات الراجعة إلى اللغة المختارة عينة للملاحظة و الرصد، و النوع الثاني هو الصعوبات في أثناء تنزيل المناهج و تطبيقها على المادة الخام اللغوية.

نجد من الباحثين من علل تفاقم النوع الأول من الصعوبات بشدة التمرکز حول المادة التراثية، أي تلك التي سبق جمعها و تدوينها و صارت محل اتفاق عام<sup>1</sup>، و هي المادة اللغوية التراثية التي تمثل صورة اللغة العربية الفصحى في فترات مختلفة من الزمان يقارب مجموعها عشرة قرون (إذا أخذنا في الحسبان أن كتابات المتأخرين هي نفسها جزء من الصورة الأدائية للغة العربية في جانبها المحرر).

و هذا تعليل سليم الوجهة، لأننا نجد في أكثر بحوث اللسانيات العربية تعويلا شبه آلي على المادة التراثية، و قلما يباشر الباحث مهمة جمع اللغة و رصدها من مواردها الحية كما يقتضي المنهج السليم<sup>2</sup>، و قد يحتج البعض بأن الفصحى لا تزيد و لا تنقص و أوصاف العلماء القدامى كافية شافية في هذا الباب، و هنا نقول: لم نكلف أنفسنا عناء البحث في شيء قد كفانا غيرنا أمره؟ و ما معنى هذا النوع من البحث يا ترى؟

و الأمر ليس بهذه البساطة، لأن اللغة العربية المتداولة اليوم لا أحد يقول بأنها نظيرة لتلك التي في مدونات النحاة إلا من أغلق على نفسه و لم ينزل إلى الواقع اللغوي؛ فلغة التعليم و الإعلام و الإدارة و الوعظ الديني و غيرها من المناطق التي تعد الفصحى الشفوية موظفة فيها حتى يومنا هذا بكيفية من الكيفيات، قد تخللها عدد كبير من الظواهر الجزئية، و أحيانا الكلية، و لا يتوصل إلى تحديدها إلا بطريق الرصد و التقصي بجمع المادة و تسجيلها ثم تحليلها و هكذا حتى نبلور تصورا موضوعيا بعيدا عن الفرضيات الغامضة و الأحكام الحدسية.

<sup>1</sup> - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المماكة العربية السعودية، ط 2011م، ص 19-20.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، ص 51، 56.

إضافة إلى ما سبق هناك الأفكار و التصورات التي ارتبطت بفهم اللسانيات عند اللسانيين العرب و أخذت طريقها إلى الإنجاز و تحولت إلى مكون ثابت من مكونات الفكر اللساني المعاصر، فمن ذلك مثلا التصور الذي يحصر البحث اللساني الصحيح في دراسة اللهجات، سواء اللهجات المتفرعة عن الفصحى القديمة، أو لهجات العرب و لغاتهم القبلية كما تصورها بعض الباحثين، أو اللهجات المتفرعة عن الفصحى المعاصرة، هذه التي يسمح بعض الباحثين أن يسميها العربية الجديدة.

إن التصور الأنف ذكره لا يترجم حقيقة البحث اللساني المتكامل، و يبدو معاكسا لمسار التطور و التوسع المطرد في هذا الميدان أن نحصره في فرع مهما كانت أهميته و جدته، فنقلص على إثر ذلك إشعاعه و مبلغ استفادة البيئة العربية من نتائجه.

و يدخل في هذا المجال الأفكار حول العلاقة بين اللغة و الفكر من جهة، و علاقتها بالمنطق من جهة أخرى. لقد شغلت هذه الأفكار جانبا هاما من مجموع الدرس اللساني العربي، و لعبت آراء فندريس القاضية بأنه لا سلطان للمنطق على اللغة<sup>1</sup> دورها في تشكيل الأسس الفكرية و التكوينات العلمية القاعدية لدى عدد غير قليل من الباحثين، و كان هذا الزعم ينهض على ملاحظة سديدة غير أنه يبني عليها استنتاجا غير دقيق، ثم ما يلبث أن يجعله قانونا أعجب بفحواه كثير من العلماء في الغرب حتى الخمسينيات، ثم أثبت ضعف الاستدلال فيه بأدلة مشتركة من المختصين في علم النفس اللغوي و علماء المنطق.

#### خامسا: لغة الكتابة العلمية.

البحوث العلمية التي تناولت اللغة العربية بوصفها ظاهرة محلا للدراسة و الرصد أصبحت كثيرة العدد و عاكسة لتوجهات جديدة و نزعات مختلفة مثل المعاينة و التحليل و تطبيق

<sup>1</sup> - يقول جوزيف فندريس: «[يمكننا] أن نفرق بين اللغة المنطقية و اللغة الفاعلة و اللغة الانفعالية». أنظر كتابه: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1950م، ص182.

الوسائل التقنية و مناهج الإحصاء الرقمية و الملاحظة في عين المكان و غير ذلك من العوامل المفيدة التي تمنح البحوث قوة في الإقناع و فرصا أوفر لبلوغ الأهداف و حل المشكلات.

و بما أن البحث هو مزيج منظم من اللغة و الإجراءات فإن التوقف أمام الأسئلة المثارة حول لغة الكتابة في بحوث اللسانيات العربية هو أمر ضروري، لكونه من المؤشرات المفيدة في رصد الصورة العامة لواقع هذا الميدان، و كذا الصعوبات و العوائق التي تعترض طريق من يحاول تنميته و تطويره.

لقد لاحظ بعض الباحثين الذين انشغلوا بمتابعة الخطاب اللساني المعاصر و رصد التحولات و المستجدات الطارئة عليه<sup>1</sup> أن كما معتبرا من تدفقات البحوث حول اللسانيات العربية أصبح يصدر باللغات الأجنبية، و تضرب اللغة الإنجليزية في ذلك موعدا مع كثافة و امتداد يثير مواقف متباينة؛ فهناك آراء مبدئية مؤيدة لهذا المظهر، و قد يذهب البعض هنا إلى أبعد من ذلك فيروج للكتابة حول اللغة العربية باللغات الأجنبية، و يبرز محاسن هذا المنحى و إيجابياته العلمية و الاجتماعية على الباحث العربي، و في داخل هذا الموقف نجد خطابا متشجعا ينتقد الباحثين المعربين و يصفهم بضيق الأفق، و ربما يثقل أكثر من ذلك فيحول المسألة إلى صراع الفرنكوفونيين الذين تقوقعوا في المرجعيات الفرنسية و انحبسوا في لسانيات التمثيل المزدوج مع الأنجلوساكسونيين الذين يمثلون التجديد و الانفتاح و يحتكرون التصورات الإبداعية و المفيدة للسانيات العامة و العربية على حد سواء.

و الحق أن الباحث المطلع على الدراسات التي صدرت باللغة الإنجليزية منذ مطلع الألفية الثالثة و كان موضوعها اللسان العربي بوجه من الوجود، ثم أجرى تقييما نزيها لهذا المورد، يترجح عنده الفوائد السخية التي يشتمل عليها<sup>2</sup>، مع ملاحظة أن هذه الدراسات جاءت، من حيث أصول كُتِّبَها على ثلاثة أنواع؛ كتابات عربية خالصة تقابلها كتابات أجنبية خالصة

<sup>1</sup> - بشير إبرير، الخطاب العربي بين التراث و الحداثة، مجلة الرافد، ع47، 2001م، ص87 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - علي القاسمي، الترجمة في تجربة المغرب العربي، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، 2002م، ص43 و ما بعدها.

يكملهما النوع الثالث بكتابات مشتركة، و لكل نوع إيجابياته؛ فالكتاب العرب إذا تطرقوا إلى اللغة العربية كانوا واضحين في التمييز بين النحو العربي و اللسانيات العربية، و هذا التمييز الدقيق تفتقر إليه، مع الأسف، أكثر دراسات الكتاب الأنجلوساكسونيين بما في ذلك الراسخون في النحو القديم أمثال الهولندي كيس فرستيخ<sup>1</sup> و الأمريكية كارين ريدينج.

و من أوضح الجوانب الإيجابية في ما يكتبه الباحثون الأنجلوساكسونيين عن اللغة العربية أنهم يتوصلون إلى استنتاجات حول أصالة البحث اللغوي العربي، و نجاعة مقاييس النحاة، و قدرة اللغة العربية على التطور و التجديد، و ذلك كله يتحصل لهم بعد بحث منطقي نزيه و محايد.

أما الكتابات المشتركة فهي محور هذا المورد الأجنبي، و أكثر فائدة من النوعين الأول و الثاني، لأنها، من حيث المبدأ، تكسر المنظورات الأحادية الجانب، و تقدم أفكارا و آراء أقرب إلى التكامل و أدنى إلى الصواب، ثم إن أكثر هذه الأعمال عبارة عن سلاسل أو دوريات محكمة تقوم على إصدارها مؤسسات علمية ذائعة الصيت، لها تقاليد مشهودة في الصرامة و التدقيق، نذكر من ذلك إصدارات مؤسسة روتلج، و جامعة كامبردج، و جامعة جورج تاون، و الإلسيفيار، و كذلك بعض المؤسسات المستقلة، و تتميز هذه الإصدارات بالتزامها نمطا موحدًا في الإخراج لكل البحوث مهما اختلفت الطبقات و تباينت مجالات البحث، و من مميزاتا الهامة أنها مفعلة بكل احترافية في البيئة الرقمية على شبكة الإنترنت، و لهذا أصبحت المعلومات حول اللسانيات العربية باللغة الإنجليزية أكثر غزارة و تنوعا و دقة في الفهرسة سابقة نظيرتها المحررة باللغة العربية نفسها كما و كيفا، ناهيك باللغات الأخرى كالفرنسية و الإسبانية و الألمانية التي لها أيضا حظ مذكور في هذا الباب.

إن بعض الباحثين العرب انتقدوا هذا التمرکز الزائد للغة الإنجليزية في البحوث الخاصة باللسانيات العربية، في الوقت الذي ليس هناك ما يقابله من البحوث باللغة العربية حول اللغة

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى حول البحث اللساني بالمغرب، ص 4-6.

العربية، و لا حول اللغة الإنجليزية باللغة العربية، و الوضع المفيد أن تتقارب الكفتان، إضافة إلى زيادة في الدراسات المتناوبة بين العربية و اللغات الأخرى.

و الطرح الآنف أقرب ما يكون إلى المصدقية، و التخوفات من تمركز اللسانيات العالمية على النموذج الإنجليزي تأتي من كل ربوع العالم، و هذا الوضع غير مفيد للسانيات نفسها، لأنها بحكم التعريف دراسة للغة بما هي مشترك إنساني، و الحالة السليمة أن تظهر كل تجليات هذه الظاهرة على ساحة البحث بمقدار متقارب ليتحصل الهدف المنعقد على هذا الميدان و هو اكتشاف حقيقة هذه الظاهرة العجيبة و فهم قوانين حركتها، و الاستفادة بذلك في تعزيز أواصر التواصل الإنساني محليا و عالميا.

و ينبغي أن نلاحظ بأن تمركز البحوث في قالب لغوي واحد و اطراد مقاليد البحث على هذا المنوال سيقود بالتدرج إلى أن تصبح كل اللغات البشرية حالات خاصة أو ظواهر تحت طائلة هذا القالب يبحثها كما يبحث عالم الحفريات التحف و الآثار. و هناك فوارق واضحة بين الأفكار التي تدعو إلى توحيد لغة الاتصال بين البشر قدر المستطاع، و بين توحيد لغة البحث العلمي، لأن الاتصال يمكن نظريا أن يتوحد بتكثيف الجهود التعليمية و طرق تدريس اللغات و غير ذلك من المبادرات، أما التعبير عن الأفكار الدقيقة و النظريات الوثيقة فهو شأن أكبر من ذلك بكل تأكيد.

يبقى أن نجيب على تساؤل آخر طرحه الباحثون مؤداه: هل نعد الدراسات المكتوبة باللغات الأجنبية التي اتخذت اللسان العربي موضوعا لها من جملة مكونات اللسانيات العربية؟ و الذي نراه أنها لا تعد من جملة ما نسميه اللسانيات العربية، و لا ينبغي لها أن تدخل في هذا الحد، لأننا إذا قبلنا بهذا الطرح يلزمنا أن نقبل في مقابله أن تدخل البحوث المكتوبة باللغة العربية وكان موضوعها لغة أجنبية في جملة اللسانيات الخاصة بكل لغة من تلك اللغات على حدة، و هذا غير معقول، بل فيه إهدار لقسم كبير من مكونات اللسانيات العربية.

و تحقيق المسألة أن اللسانيات العربية هي، من حيث المكونات الأساسية، كل البحوث المحررة باللغة العربية أو المترجمة من لغات أخرى إليها مهما كان زمانها أو مكانها أو اللغة التي اتخذتها موضوعاً أو المنهج الذي اختارته للبحث و المعالجة، يستوي في ذلك البحوث النظرية الأساسية و التطبيقية. و يصح، مع ذلك، أن نضع الدراسات حول اللغة العربية بغيرها من اللغات مورداً إضافياً مكملًا من حق الباحث أن يستعين به و يستأنس به، مع ملاحظة أن طرق الاستفادة، و منهج الإحالة، و غير ذلك من القضايا المنهجية و الإجرائية التي تخص التعامل مع هذا المورد ما زالت لم تحظ بعد بالتحقيق الملائم.

أما الجانب الآخر لقضية اللغة العلمية في الخطاب اللساني العربي المعاصر فهو عدم الدقة، و لا سيما في ضبط المفاهيم الإجرائية و تحديد المصطلحات، و هذا مطرد في المستخرج من التراث أو المنقول عن أدبيات اللسانيات الأجنبية، و قد يرجع هذا المظهر السلبي إلى عدد من العوامل، و لا شك أن التقاليد البلاغية الراجعة إلى القرون الوسطى المتأخرة؛ فترة ظهور الباقلائي و التفتازاني و السكاكي، ساهمت بقسط وافر في طرء تحول كبير داخل الاستعمالات الرسمية للغة العربية الفصحى، حيث إنه غلب عليها تدريجياً تأدية المعاني الجمالية و البلاغية؛ في الشعر و النثر، و ضاق المجال الذي تشغله من التعبير عن المعاني و الحقائق العلمية شيئاً فشيئاً حتى كاد يختفي، و عندما ظهرت النهضة العربية في القرن التاسع عشر، كانت التقاليد البلاغية المذكورة آنفاً قد تحولت إلى بديهيات و مسلمات لم يقبل أحد من المثقفين بغيرها بديلاً، و كان ميدان البحث العلمي؛ في اللغة و غيرها، هو أكبر من تضرر بهذه المجرىات.

و من أجل ذلك نجد اللغة العربية في الإنتاج الأدبي؛ في الشعر و القصة و الرواية، و في ترجمة الأدب العالمي غير قاصرة، أو على الأصح، لا يجد متعاطيها في هذه المجالات التعبيرية ذلك الحصار و الضيق الشديد الذي يجده الباحث و لا سيما في العلوم الدقيقة و التجريبية.

و الفرق بين التعبير الأدبي و العلمي، أن الأول يقبل تعدد المعنى للفظ الواحد بل يطلبه و يستحسنه، و المعنى الطفيف اللطيف الذي يطرق الخاطر و يستفز المخيلة هو الأكثر، في

الأدب الرفيع، ألقا و حسنا، بخلاف التعبير العلمي الذي ينأى و ينفر من الترادف و تعدد المعاني للفظ الواحد خشية الالتباس.

و الواقع أن المفاهيم الإجرائية إذا لم تتحدد معانيها و ألفاظها الدالة عليها في أذهان المجموعة التي تتعاطاها و تستعملها في البحث و النقاش، فذلك أكبر سبب لوقوع سوء الفهم و كثرة الأخطاء. و هذه مشكلة كبيرة تعانيتها اللغة العربية المعاصرة و ما زالت على حالها تقريبا رغم الجهود الواضحة لتخطيها، و لعل مرد ذلك، في الأساس، إلى أن سرعة إنجاز مشاريع الترجمة و التعريب و إعداد المعاجم العلمية المختصة و نحو ذلك من المبادرات تظل بطيئة إذا ما قورنت بالكم المتدفق يوميا من المفردات و المسميات و الاختراعات الجديدة في اللغات الأجنبية.

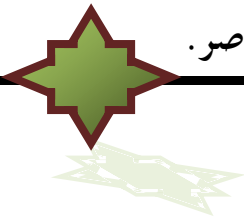
و ما دام نشاط البحث باللغة العربية، في الأعم الأغلب، مرتكزا على تغطية النقص من خلال تعريب و ترجمة القدر الممكن من هذا الشيء الكثير الوارد، و لا يلتفت إلى التوليد و الإبداع العلمي في كل المجالات إلا نادرا فإن هذه الحالة ستظل كما هي، بل ستكون مرشحة لتزايد نسبي.

هناك أيضا من طرح مفهوم **عنف اللسان**، يشير بذلك إلى الإخلال بالبنية القيمية التي يعدها جزء من الصورة اللسانية، و هي مجموع الأدبيات و الدقائق الأخلاقية الواجب اتباعها في لغة التعبير و لا سيما الرسمية منها في الإعلام و الكتابة العلمية.

و يقول الباحث عبد الرحمن عزي بأن اللغة تحيا و تؤدي وظيفتها في التأثير و التواصل عندما تكون مشحونة بالقيم، و تصبح على عكس ذلك قاصرة أو حيادية إذا ما أفرغت من هذا المكون الذي هو سر وجود اللغة<sup>1</sup>، و عندما عزلت اللغة العربية عن هذا المكون الأساسي في التعليم و الإعلام تشكلت أزمة الهوية كما يطرحها خبراء اللسانيات الاجتماعية المعاصرون.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن عزي، فقه اللغة و عنف اللسان و الإعلام في المنطقة العربية (سلسلة اللسان العربي و اشكالية التفقي ع 55) ط 2007م، ص 14-20.





## المطلب الرابع: تقييم تجربة اللسانيات العربية.

أولاً: اضطراب و عدم توازن في معادلة المصادر و الموارد المعرفية الأساسية:

انقسام المثقفين و اللغويين العرب إلى بيئتين؛ محافظة و محددة<sup>1</sup>، فالبيئة المحافظة، في أول عهدها، كانت متعلقة بالمعيارية إلى حد كبير، و لذلك كان أكثر الكلام فيها مركزاً على العلل التعليمية و قلما يلتفت إلى العلل القياسية و حكمة اللسان<sup>2</sup>. كما طغى على هذه البيئة أعمال المفاهيم اليونانية في جوانب اللغة جميعها: النحو و الصرف و البلاغة. و قد حصلت تصحيحات معقولة في مسار هذه البيئة، و مردها إلى الجيل الذي تلا الرواد و تبوأ مكانه في الجامعات العربية ثم احتك بالبيئة الأخرى المحددة فكان ضرورياً أن يقع بعد الجدل و النقاشات تغيير و لو جزئي في المسلمات المنهجية و الفكرية، و قد حصل ذلك بالفعل، غير أن كثيراً من مشاكل البيئة المحددة انتقلت بصورة تلقائية إلى البيئة المحافظة فظهر نوع ثالث من المشاكل.

و كانت البيئة المحددة تركز على المناهج الوصفية كل التركيز، إلا أنها انجبت في منظور واحد يقول به بعض علماء اللسان و ليس كلهم، فأداهم ذلك إلى رفض التعليل و الاعتماد على نتائج الحس المباشر بكيفية قاطعة، و ذلك ما فهموه عن المدرسة البريطانية التي اعتمدت على المنظور التجريبي البحث، أو المدرسة الأمريكية المشهورة بالسلوكية.

ثانياً: انقطاع الصلة بين الأهداف المبدئية و المرحلية و الاستغلال المنجز فعلياً:

انتقد الفاسي الفهري ما يسميه بغياب الزمن العلمي في البحوث العربية و النقص الكبير في المتابعة و بالتالي ضمور التراكم الإيجابي، و يجعل هو أيضاً الثقافة اللسانية كمفهوم مقياساً لنجاح التجربة اللسانية العربية و هو غامض و غير دقيق.

<sup>1</sup> - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ط2011م، ص 25.

<sup>2</sup> - أنظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، ص64.

و أشار إلى ظاهرة التسيب المرجعي من حيث قلة التحري و بيان المصادر و المراجع. و ظاهرة التشتت التي تعلن عن نفسها في اضطراب المصطلح و الخلط بين المدارس في المعالجة الواحدة.

و ضم صوته إلى الأصوات المنادية بتوسيع برنامج البحث اللساني العربي ليشمل بصورة متكافئة كل الظواهر اللغوية المتداولة بما في ذلك الفصحى و لهجاتها و اللغات الأخرى التي تزاخمها في الاستعمال.

و في اعتقاده أن التوقع و النظرة المحلية الضيقة هي أكبر المشاكل التي ينبغي أن يتخلص اللسانيون العرب منها كأول خطوة في الطريق إلى وضع الخطاب العربي في محله الملائم من مجموع الخطاب العلمي العالمي و ذلك يتطلب أيضا انفتاحا و حوارا و ترسلا مع العلماء المختصين و تفاعلا دائما مستمرا مع المستجدات، ليس استهلاكا و اجترارا، بل هضما و تمحيصا ثم استغلالا و ابتكارا.

و من جملة اقتراحاته العامة في إطار الخطوط العريضة لبرنامج اللسانيات العربية في المستقبل القريب نسجل ما يلي:

- أ . مؤسسات تتولى نشر المعرفة اللسانية و التكوين فيها، و إقامة البحوث الضرورية و رسم الخطط و بناء أدوات البحث و غير ذلك من المهام.
- ب . قيام أقسام مختصة مستقلة للسانيات في الجامعات العربية.
- ج . المجلة العلمية العربية الموحدة، وظيفتها النشر و كذا التقييم المستمر<sup>1</sup>.

### ثالثا: اختلال التمرکز بين الجوانب النظرية و التطبيقية:

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة و نماذج للآفاق، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، الرباط: أبريل 1987م، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1- 1991م، ص 13-40.

أكد الباحث عز الدين البوشيخي على ضرورة الاحتكام إلى البرمجة و التخطيط المنظم طويل المدى لتلبية متطلبات البحث اللساني بالمعنى المعرفي المعاصر، و لاحظ في هذا الإطار أن الخطة الاستراتيجية لمثل هذا الميدان ينبغي أن تركز بشكل واضح على متطلبات صياغة و توليد الأنماط النظرية العامة في إطار بحوث أساسية تمر بثلاث خطوات متدرجة على النحو الآتي:

- أ. وضع برامج علمية.
- ب. بناء نظريات تفسيرية.
- ج. إقامة نماذج تمثيلية داخل النظريات التفسيرية.

و النموذج التمثيلي، تعريفاً، هو أداة محاكاة بعض مظاهر العقل البشري و اللغة هي واحد من هذه المظاهر (في التصور المعرفي على الأقل).  
و حتى يلتئم بين أيدينا نموذج نحوي يصف و يحاكي حركة اللغة العربية بكيفية دقيقة تستجيب لمتطلبات الآلة يتوجب أن يلتزم في كل مقترح ما يلي:

- أ. الصورنة: و هي مجموعات منظمة من الرموز، مكثفية و ثابتة القيمة.
- ب. توافق الصياغة الصورية مع الفرضيات الأولية ( في النظرية التفسيرية).

و هناك أربعة شروط تضمن انطباق النموذج النحوي على نحو من الأنحاء الطبيعية و هي:

- أ. أن يقوم على فكرة المحاكاة.
- ب. أن يصاغ صياغة رياضية.
- ج. أن يرتبط بإطار نظري و يعكس فرضياته بكل وضوح.
- د. أن تندرج النظرية اللسانية التي ينتمي إليها في إطار برنامج علمي واضح المعالم



(له أهداف إجرائية متعينة تنفيذيا).

و فيما يخص اللغة العربية يضاف إلى الشروط الآتفة ما يلي:

- أ . الهدف الأولي هو إقامة نموذج اللغة العربية النحوي و هذا يستلزم تكييف أهداف البحث اللساني و كذا حاجات العالم العربي اللغوية.
- ب . دعم الجهود الخاصة بنظريات اكتساب اللغة العربية و تعلمها و كذا الاختبارات على الناطقين من أجل التعديل و التطوير المستمر.
- ج . إدراج جهود اللسانيين العرب في مجال صياغة النماذج النحوية في المقررات الجامعية<sup>1</sup>.

و قد لاحظ الباحث عز الدين مجدوب ما يسميه النزعة التجريبية<sup>2</sup> و جعلها عيبا أساسيا يضعف جل مقاربات التراث الحديثة، و يقصد بها قلة التنظير للممارسة العملية و عدم تفكير الباحث في منطلقاته و مسلماته و هذا يستلزم استعصاء الصياغة الواضحة للقضايا و الأهداف.

و ضعف الأسس النظرية يظهر في مستويين؛ مستوى إدراك الخصائص العامة للنظريات العلمية و شروط بنائها، ثم مستوى الاحتياطات الخاصة بمباشرة الظاهرة اللغوية و اعتبارات تعقيدها الشديد و تعاضل عنصرها.

<sup>1</sup> - عز الدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني و شروط بنائه، مجموعة بحوث: اللسانيات و اللغة العربية بين النظرية و التطبيق، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة الموأى اسماعيل، مكناس، المغرب، ع 4، 1992م، ص 91-97.

<sup>2</sup> - و يسميها آخرون التجريبية الساذجة، و يقصدون السطحية أو المباشرة مقابلا للمصطلح الأجنبي (empirisme) أنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، ص 57.

و محصول القول أن أية قراءة موضوعية للتراث لا بد لها من إطار نظري متكامل يقتضي الفصل بين الفرضيات العامة و المنوالات<sup>1</sup>.

#### رابعاً: الأطروحات المفارقة:

في بعض التحليلات التي ركزت على صورة المعرفة اللسانية من وجهة نظرية المعرفة العلمية تبلورت فرضية مفادها أن مناقشة أزمة اللسانيات العربية غير ممكن لأن هذه الأزمة غير موجودة أصلاً، إذ يجب أن توجد اللسانيات العربية ثم تحقق مستوى لا بأس به من التراكم و يسيطر فيها نموذج أعلى ينظم مجموع نشاطها ثم بعد ذلك تمضي قدماً في البحث و العمل فتظهر حينئذ الأزمة المعرفية كما في الحالات الغربية المعروفة<sup>2</sup>؛ أزمة اللسانيات البنوية، و أزمة اللسانيات التوليدية حالياً، و غير ذلك مما يصح في نظرية المعرفة العلمية وضعه تحت مسمى الأزمة.

و مرة أخرى يصر الباحثون على أن جوهر المشكلة اللسانية في الوطن العربي ينتهي في التحليل النهائي إلى قضية استقبال أو تقبل لهذا المعطى في المستوى الفكري و الثقافي، و يقول حافظ العلوي بأن تقصي تاريخ تكون الخطاب اللساني في الثقافة العربية سيظهر لنا العوامل التي تحكمت في تشكيله و من ثم عناصر و أشكال استقباله و تلقيه، و لا تكون هذه العناصر إلا مكونات ثقافية أو سوسيوثقافية<sup>3</sup>.

و هذه المحاولة لتضخيم صورة اللسانيات بإلباسها معطيات ثقافية و اجتماعية واسعة النطاق هو طريقة خاطئة في تشخيص وضعية معرفية متأزمة تظهر في العديد من الجوانب و على أكثر صعيد من أصعدة البحث العلمي من دون الحاجة إلى هذا الغطاء الاستعاري الذي يعملق اللسانيات و يدخلها في حدود علوم أخرى.

<sup>1</sup> - عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، سوسة، تونس، ط1-1998م، ص 5-8.

<sup>2</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط 2009م، ص 14-15-19.

<sup>3</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، ص 85.

و إذا كان بعض أقطاب الفكر اللساني المعاصر لهم مثل هذا الطرح فإنه يخصهم و لا شيء يجبرنا على الأخذ به كما هو بحذافيره، و قد أكثر تشومسكي على سبيل المثال من هذا الخطاب الذي يعظم شأن اللسانيات و يكبر مجالها و يقحمها بالتمحل في أحياز و مناطق تشغلها علوم أخرى مستقلة، و هذا كله آراء أو تأملات و خواطر لا تدخل في النظريات العلمية، و ليس كل ما يقوله زيد من العلماء هو العلم الصحيح المعترف.

و بالنسبة لما يلزمنا في بحثنا هذا، و فيما يخص اللسانيات العربية كما نتصورها نقول بصراحة إننا لا نرى فيها خلافا جديرا بالتذكير عن غيرها من ميادين العلم الأخرى، و لها مشاكلها كأي ميدان علمي، و هذه المشاكل جزء منها في الموضوع الأساسي و هو اللسان العربي، و جزء آخر في المناهج الإجرائية و كيفية تنزيلها و تكييفها على المعطيات.

و هناك نوع آخر من المشاكل، موجود و لا يمكن إنكاره و هو مشكل تراخي أو ضمور القيمة النوعية للتكوين الجاري حاليا في اللسانيات العربية، سواء في مراكز البحوث أو في المعاهد و الكليات الجامعية.

و لكن هذا المشكل الأنف ذكره يبقى خارجيا إذ لا يتعلق بجوهر نشاط البحث من حيث هو بحث لكنه يؤثر تدريجيا على هذا الأخير بما أن القوائم على البحث في المستقبل القريب هو في النهاية هذا الفرد الذي يتم تكوينه حاليا، فتكوينه و إعداده و الصرامة في هذا الشأن هو جزء لا يتجزأ من برنامج حل مشكلات هذا الميدان و تحسين صورته و عطاءاته.

و الذي نراه أنه يوجد فروق غير قليلة بين البحث العلمي في اللغة البشرية، و هذا جوهر الفكر الجديد الذي تركز عليه اللسانيات، و الثقافة اللغوية التي تنمو و تتوسع على ضفاف هذا الأول، فهذه الثقافة هي مظهر تكميلي زائد على صورة البحث العلمي و لا تربطه به علاقة لازمة، على الأرجح، لأن العلم و الثقافة مختلفان موردا و تشكلا و أدورا في الحياة، ثم إننا لا نرى ذلك متحققا في كثير من التجارب العالمية، فعلى سبيل المثال حدثت في اليابان هزة علمية في الدراسات اللغوية بعد ترجمة كتاب دوسوسير، فلم يبلغنا من آثار ذلك إلا

الدراسات العلمية العميقة و تأسيس البحث النظري ثم التطبيقي في استغلال اللسانيات لمصلحة اللغة اليابانية و خاصة في البرامج الحاسوبية، و حققوا في ذلك نجاحا يقر به كل المختصين، أما أن نعثر في أثناء ذلك على سيل متدفق من البحوث التي تناقش الأثر الثقافي للسانيات و لكتاب دو سوسير و نظريات تشومسكي و كيف تقبلها المواطن و المثقف الياباني فلم نجد من ذلك شيئا يصح أن يكون ظاهرة أو أمرا خطيرا يكشف عن فشل التجربة اللسانية هناك، و قياسا على ذلك الحالة الصينية و الكورية الجنوبية في أيامنا هذه.

و معنى هذا الكلام أنه لا توجد علاقة ضرورية بين اللسانيات من حيث هي ميدان علمي له ضوابطه و الإشعاع الثقافي المتوقع لهذا الميدان، و ذلك أننا لا ندرى محل المكون الثقافي منه، و كثرة التركيز على هذا المظهر هو نوع من المقارنة التي وجدت بصورة معينة عند الفرنسيين بعد انحسار البنية و تراجع سيطرة اللغة الفرنسية على اللسانيات العامة، و يدل على ذلك تلك المناظرات التي كانت تقام بكثرة في السبعينيات و الثمانينيات بين اللسانيين الفرنسيين و نظرائهم في الولايات المتحدة، و منها مناظرة سميت بالكبرى بين ميشال فوكو و نوام تشومسكي، ففي كل هذا الخطاب تختلط عناصر لا ينبغي لها أن تختلط و لا سيما عند الباحث الممتحن الذي ينشد الاختصاص و الدقة؛ تختلط اللسانيات بمرجعيتها اللغوية، ثم اللسانيات و تأثيرها الثقافي في الأدب و النقد و معظم الفنون الحديثة.

و بناء على ما سبق فإننا لا نشاطر إخوتنا الباحثين العرب الذين يجعلون انتشار الثقافة اللسانية أو تغلغلها الواسع النطاق مقياسا لمدى تطور اللسانيات كعلم مجرد ذي آفاق نظرية و تطبيقية في الوطن العربي، مع العلم أن هذا التأثير يمكن بطبيعة الحال أن يكون موضوعا يستحق أن تتفطن له العقول العلمية لكنه ليس من حدود اللسانيات العامة، و لا من اللسانيات العربية من باب أولى، بل هو قضية سوسيو ثقافية و لا يمكن أن ندخله حتى في مجال اللسانيات الاجتماعية، و لو فعلنا ذلك لكننا ندعم الفوضى و التداخل في الحدود العلمية بين الفروع و الكل يرفضه.

و لماذا يجب أن تكون اللسانيات حالة خاصة في هذا المضمار؟ لماذا ما دمنا نلح مبدئياً على علمية و موضوعية اللسانيات لا نجعل مقياس التقبل جارياً على كل العلوم؛ الرياضيات مثلا من أدق العلوم ولكنها لا تحظى بقبالية إلا عند خاصة الخاصة، و لكن ما هي قيمتها الحقيقية في الإبداع و التجديد العلمي، قس على ذلك الفيزياء و الكيمياء و علوم الحاسوب و غيرها من الميادين العلمية التي مقياس نجاعتها من داخلها لأنها في الأصل ليست مرتبطة عضويًا بالحياة الاجتماعية و لا الثقافية.

ففي كل هذا ينبغي أن نعيد النظر في مفهوم الثقافة اللسانية الذي نحتكم إليه في المسار النقدي و حتى في القراءات الإستمولوجية الحالية.

و توصل حافظ العلوي إلى استنتاج نوع من العوائق يسميها العوائق الذاتية تحد نشاط البحث اللساني العربي، معززا من خلالها فرضيته القائلة بأن مشاكل اللسانيات العربية لا ترتبط بوضعها الفكري فقط، بل تتعداه إلى اللسانيات نفسها، و على هذا تنقسم العوائق الذاتية إلى عوائق في توظيف و استغلال اللسانيات من جهة، و عوائق تتصل بتفكير اللسانيين العرب هم أنفسهم و طريقتهم في تكريس الوضع القائم على حد تعبيره<sup>1</sup>.

أهم العوائق الأولى ما يلي:

- أ. غياب اهتمام واضح بقضايا المجتمع العربي.
- ب. هامشية اللسانيات و محدوديتها في القضايا و التحديات التي تواجه الأمة.
- ج. عجز اللسانيات العربية عن مشكلاتها الخاصة و لا سيما مشكلة المصطلح اللساني و مشكلة التعريب.

و أهم العوائق الثانية يتمثل في الآتي:

<sup>1</sup> - حافظ اسماعيلي علوي، نحن و اللسانيات: بحث في إشكالات التلقي، ص 100-113.





أ. الموقف السلبي من واقع اللسانيات.

ب. وهم الصراع بين التراث و الحداثة اللسانية.

ج. عدم تكامل البحوث اللسانية العربية.

د. العجز عن مواكبة مستجدات البحث اللساني العالمي.

و إضافة إلى الغطاء السوسيوثقافي الذي يقحمه الباحث في مقارنته باستمرار، نلاحظ أن العوائق التي لخصها في مسمى الذاتية ليست كلها كذلك؛ إذ ينبغي أن نفهم بوضوح ماذا يقصد بتعبير الذاتي في هذا المجال، فإن كان يستعمله بمعنى الخاص أو الحصري فنحن نوافقه على هذا. بمعنى آخر، هناك فعلا مجموعة انشغالات و صعوبات تخص البحث اللساني و لا تخص غيره و هي التي نتعقد عليها هم الفاعلين فيه، و يدخل فيها، على هذا الحد، العنصر (ج) في الفئة الأولى، و العنصران (ج/د) في الفئة الثانية.

أما بقية العناصر الأخرى فلا تعد ذاتية لا في البحث اللساني و لا في تفكير الباحث المنفرد، و هي على الأرجح، نقاط تلاق يشترك في الانشغال بها أكثر من ميدان علمي، و هي مع ذلك، عوائق صحيحة و تستحق أن يبحث في أسبابها و ظروفها و اقتراح علاجات ملائمة لها، و ذلك كله أخذا في الحسبان كونها مشتركة أو متعددة التخصصات من جهة، و كونها مشاكل عامة و ليست مرتبطة بالبحث العلمي على الدوام.

# الفصلُ الرَّابِعُ:

## أفاقُ التَّفكيرِ اللُّسانيِّ العربيِّ المُعاصرِ

المبحثُ الأوَّلُ: تنظيمُ مصادرِ المعلوماتِ.

المبحثُ الثاني: الحركةُ المستقبليةُ.

## المبحثُ الأول:

### تنظيمُ مصادر المعلومات.

المطلب الأول: المصادر الأساسية.

أولاً: ثلاث مصادر أساسية.

هناك ثلاثة مصادر أساسية يحتاجها كل باحث منشغل بالفكر اللساني العربي المعاصر و قضاياها و هي: التراث اللغوي العربي، التراث اللغوي العالمي، و اللغة العربية المستعملة في جانبها المنطوق و المكتوب.

هذه المصادر تتميز بوجودها الثابت كما و نوعاً، و يطرأ عليها شيء من التطور و الزيادة، و هو أمر طبيعي؛ فالتغير الذي يطال التراث اللغوي العربي أكثره من قبيل ظهور وجهات نظر و مقاربات جديدة في مجال تحديده و تحليله العلمي و قيمته الموضوعية و طرق الاستفادة منه في تطوير اللسانيات العربية و تطوير الفكر اللساني العربي في حد ذاته.

و التغير الذي يطال التراث اللغوي العالمي يحدثه نوعان من العوامل؛ الاكتشافات العلمية، و المستجدات في النظريات اللسانية و تطبيقاتها. و من الاكتشافات التي كان لها الأثر البعيد في توسيع آفاق اللسانيات العلاقة الوثيقة بين الأنظمة النحوية في اللغات البشرية الطبيعية و أنظمة إدخال البيانات في الحواسيب، و من هنا كتب تاريخ لميلاد تخصص علمي جديد يجمع بين الحقائق اللسانية و التطبيقات الحاسوبية، و منذ أواسط الثمانينات بدأت الدراسات و البحوث في اللسانيات الحاسوبية تزدهر داخل الوطن العربي، و تكاثر عدد الباحثين الذين استقطبهم هذا الميدان، و هو ميدان تتلاقى فيه خبرة اللسانيين و مهندسي الحاسوب، و له آفاق تطبيقية واسعة جدا تؤثر تأثيراً مباشراً في العديد من الفروع اللسانية و غير اللسانية؛ مثل الترجمة الآلية، الإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، تعليم اللغات

عن طريق الحاسوب، التوثيق و الأرشفة للوثائق و البيانات، تنطبق الآلات و التركيب الصناعي للكلام المشابه للأصوات و الكلمات البشرية<sup>1</sup>.

سمح هذا الفتح العلمي بظهور فتوحات أخرى فيما أصبح يعرف حالياً بالعلوم المعرفية؛ و هي المجالات التي تدرس الإدراك و الوعي البشري بوصفه ظاهرة اتصالية عابرة للتخصصات، تعتمد في ذلك على مصادر معلومات موسعة تستقى على الخصوص من؛ علوم اللسان، الفلسفة العامة، و علوم الأعصاب<sup>2</sup>. و من أهم المجالات التي تبحث فيها هذه العلوم نذكر ما يلي:

❖ تركيب و بناء العقل و المعرفة.

❖ النماذج التمثيلية للمعرفة (Paradigmes of Knowledge).

❖ موارد المعرفة و مصادرها (Knowledge Resources).

❖ الأجهزة المولدة للمعرفة (Knowledge Devices)<sup>3</sup>.

أما المصدر الثالث الذي يعد بالغ الأهمية و شديد الحساسية للمتغيرات المعاصرة فهو اللغة العربية في نطاقها المستعمل حالياً، فهذا النطاق يظهر تنوعات و ظواهر محلية و إقليمية و دولية يمتزج فيها بصورة محكمة المعطيات اللغوية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية. تؤكد الدراسات المسحية رغم قلتها على المعطيات الآتية:

1. اللغة العربية لغة رسمية للتعليم العام و الإدارة و الإعلام الرسمي في ثلاث و عشرين دولة عربية. و لغة رسمية في كل من تشاد و إريتريا و منطقة الأهواز في إيران.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص230-231.

<sup>2</sup> - Barbara Von Eckaedt, What is Cognitive Scence; MIT press, 1st Edu 1995, p2.

<sup>3</sup> - The MIT Encyclopedia of The Cognitive Scences, Robrt A. Wilson and Frank C. Keil, 1<sup>st</sup> press 2001, p16-17.

2- اللغة العربية لغة معتمدة في التعليم العام و الخاص و الإعلام الرسمي و الشعبي و المؤسسات الثقافية الخاصة في سبع و خمسين دولة إسلامية.

3- أكثر اللغات السامية من حيث عدد الناطقين في العالم، يتحدثها أكثر من 422 مليون ناطق<sup>1</sup>، و يتعلمها أكثر من 100 مليون بوصفها لغة ثانية، لغة ثقافة، لغة أجنبية.

4- نطاق تداولها و فهمها واسع؛ الوطن العربي+الأهواز (جنوب إيران)+شرق و جنوب تركيا+تشاد، مالي، السنغال، إريتريا.

5- لغة معتمدة رسمياً في العديد من الهيئات و المنظمات الدولية الهامة نذكر أبرزها في

القائمة الموالية:

المنظمة الرسمية	الوضع القانوني للغة العربية
1 منظمة الأمم المتحدة	لغة عمل رسمية
2 جامعة الدول العربية	اللغة الرسمية الأولى
3 منظمة التعاون الإسلامي	اللغة الرسمية الأولى
4 الاتحاد الإفريقي	لغة رسمية
5 تجمع دول الساحل و الصحراء	لغة رسمية
6 صندوق النقد الدولي	لغة رسمية
7 منظمة شرطة الجرائم الدولية	لغة رسمية
8 الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات	لغة رسمية
9 منظمة السياحة العالمية	لغة رسمية

ثانيا. العلاقات القائمة بين المصادر الأساسية:

<sup>1</sup> - هذه الإحصائية تعتمد على تقرير موقع ويكيبيديا (2014م)، نقلا عن موسوعة أنكارنا البريطانية.

هذه العلاقات توضح الإطار النظري و العملي الذي بلغته المعرفة اللسانية العالمية، و تضع فكرنا اللساني العربي أمام الخطوات الأولى للاتصال الوثيق مع هذه المنظومة التي تنمو بصورة مطردة طولاً و عرضاً، و من العلاقات الهامة التي يمكن أن يبادر المعنيون بالفكر و الخطاب اللساني العربي إلى تفعيلها و الاستفادة منها في إنعاش هذا الميدان نقترح ما يلي:

**1) التكامل:** و يتحقق هذا البعد بصورة أكثر وضوحاً فيما يخص تفعيل المخزون التراثي و إحلاله محله الملائم ضمن المنظومة العالمية المعنية بهذا المجال، و يمكن أن يتخذ التفكير في هذا التفعيل عدداً من التصورات البناءة؛ فهناك التصور الذي يجعل التراث اللغوي العربي جزءاً من مجموع التراث العالمي له ما له و عليه ما عليه، و بهذا المسلك يستفيد تراثنا من جهود صيانة و تحقيق التراث التي تشرف عليها مؤسسات دولية، و لليونسكو مشروع كبير في هذا المجال. و من التصورات المعقولة إدراج التراث بوصفه مرحلة من مسار تطور البحث اللساني، و حلقة هامة جداً من حلقات الجهد البشري العملاق لفهم الظاهرة اللغوية و الكشف عن أسرارها. و هناك تصور ثالث يعتمد على أن التراث اللغوي العربي هو نقطة انعطاف حاسمة؛ في المناهج الإجرائية، و النظرة التحليلية، و جمع المادة، و كان لذلك أبلغ الأثر في مسار البحث في علوم اللسان النظرية و التطبيقية.

**2) الاقتباس المباشر:** يتعين المبادرة إلى هذا الخيار فيما يخص المناهج الإجرائية التي لا تحمل خلفية أيديولوجية معينة، و معظم مناهج البحث التجريبية و الكمية هي من هذا القبيل، و يشمل ذلك أيضاً كل المنتجات و التطبيقات التقنية و التكنولوجية التي تم تطويرها لفائدة تعميق البحث في علوم اللسان، و نخص بالذكر أجهزة التعرف الآلي على الكلام، و البرامج الإحصائية عالية الدقة، و برامج التخزين و المعالجة الرقمية للبيانات، لأن البحوث المنهجية المعاصرة أصبحت تعتمد بشكل متزايد على الدليل التجريبي، و الدليل الكمي أكثر من اعتمادها على الدليل التخميني و الحدسي.

3) المقارنة: تلعب مقارنة التجارب اللسانية حول العالم دورا هاما في إرشاد الباحثين

إلى مواطن القوة و مواطن النقص و الضعف، و تنبؤهم عن الخيارات و الطرق المتنوعة لمعالجة مختلف الصعوبات و المشاكل التنظيمية و التجهيزية و التكوينية. و فائدتها في مجال التكوين المعمق لطلبة اللسانيات العربية بكل فروعها النظرية و التطبيقية لا مجال لدحضها، و من المناسب إضافة هذا البعد إلى مجموع المقاييس التكوينية لطلبة الدراسات العليا.

ثالثا- فرص و مجالات استفادة الفكر اللساني العربي من مستجدات المصادر

الأساسية في اللسانيات العالمية:

هناك العديد من الفرص و المجالات التي يقدمها انفتاح و تكامل الفكر اللساني العربي على بقية التجارب المماثلة في العالم، و الانغلاق أو التوقع لا طائل من ورائه، و لا سيما إن كان مدفوعا بأفكار و أوهام مضطربة تنبذ الاستزادة من جهود الآخرين، أو تخوف من مخاطر ذلك على اللغة العربية، و كلا الرأيين ضعيف مع الأسف؛ و الحق أن الاستزادة و الاقتباس من منجزات اللسانيات العالمية حاصل بطرق و أشكال مختلفة؛ فرديا و جماعيا، في النظريات و التطبيقات و الاختيارات المنهجية. و أما الخوف على العربية، فهناك خوف حقا، لكنه خوف عليها من أهلها و ضعف همهم و قلة تفتنهم لما يتطلبه تحقيق التنمية اللغوية من جهود و نبذ للخلافات الجانبية، و اللسانيات بوصفها علما مجردا ليست خطرا و لا ضررا، لا تختلف في ذلك عن بقية العلوم النافعة الأخرى كالرياضيات و الهندسة و الفيزياء و نحو ذلك. و فيما يخص الاستفادة المباشرة و الخطوات العاجلة التي يرتقب أن يبادر أهل اللسانيات العربية إلى طرق أبوابها و نهج سبلها نقترح الأفكار الآتية:

1- تنظيم الزيادة الكمية التي تواترت المؤشرات على وجودها في اتجاه تغطية الفراغات و إنشاء التخصصات الفرعية الملائمة مع التركيز على العوائد و الفوائد العملية التي تحقق الترابط بين الواقع اللغوي و البحث العلمي في اللغة.

2. تعميق التكوين في مناهج البحث الإجرائية.

3. التخلص في كل من الكتابة العلمية و التدريس الأكاديمي من الأفكار التي اطرد الإجماع على عدم صلاحيتها و تجاوز الزمن إياها و منها: فكرة قدسية اللغة. فكرة أن اللغة كائن حي. النظرة المقطعية لوحداث اللغة العربية. النظرة الميكانيكية السكونية للوحدات اللغوية.

4- تدعيم الأيام الدراسية و حلقات البحث بصورة منتظمة، يشترك فيها الباحثون من علوم اللسان مع نظرائهم في التخصصات الأخرى، لأن هذا المسلك هو الذي آذن بفتح آفاق التميز النوعي في اللسانيات العالمية. و قد أكد رومان جاكبسون منذ قرابة الخمسين سنة على الفوائد السخية لهذا الإجراء فيما يخص التعاون بين علماء اللسان و علماء الفيزياء

#### المطلب الثاني: المصادر الجديدة.

ظهرت بعد منتصف القرن العشرين مجموعة من مصادر المعلومات، ساعدت على تحسين ظروف البحث، و توفير مجالات و فرص لم يكن الباحثون على استعداد لخوض غمارها في فترات ماضية، فأدت هذه المصادر إلى تكوين تصورات و فروع علمية تركز على ملاحقة التطور التقني و التكنولوجي، و تعكس القيم و التوجهات السائدة في المجتمع المعاصر الذي يصفه بعض المفكرين بأنه مجتمع المعرفة.

سنركز حديثنا في الفقرات الموالية على اثنين من هذه المصادر، لها ارتباط متفاوت بمسار البحث في اللسانيات العربية خلال الخمسين سنة الأخيرة، و ظهر تأثيرها الجلي خلال العقدين الأخيرين، هذه المصادر هي على حسب ترتيب ورودها:

(1) التكنولوجيا و تطبيقاتها.

(2) لغة الإنترنت.

إن هذه المصادر لها جانبان يتعين النظر فيهما جميعا للخروج بتقييم مقنع و غير متحيز؛ هناك أولا جانب الفرص و الآفاق الواعدة التي تفتحها أمام الباحثين في اللسانيات العربية بكل فروعها، بل إنها تفتح أمامهم المجالات الوافرة للإبداع و التجديد، و هذه حقيقة



موضوعية إذا تكللت بما هو ضروري من الشروط. و هناك ثانيا التحديات و الصعوبات الواقعية التي يصادفها الباحث العربي في سعيه إلى الاستفادة القصوى من هذه المصادر، و هي تحديات قد تبدو مرحلية، سرعان ما تحل بمرور زمن قصير، غير أنها في أرض الميدان تبدو مزمنة، و صعوبة الحل إلا بتضافر عدد واف من الجهود مع توفير الخطط و الأجال الملائمة.

### أولاً: التكنولوجيا و تطبيقاتها.

تشير كلمة تكنولوجيا إلى العلم الذي يجعل التقنيات موضوعه المحوري، و يعكس هذا المعنى تحولا عميقا في فهم العلاقة بين الجانب النظري للعلم و الجانب الآخر التطبيقي، هذا الأخير كان مهملا، و إلى حد كبير محل ازدراء و تهميش في الثقافة الأوربية الكلاسيكية، و لعل ذلك يرجع إلى اعتقادات سادت ثم راجت عندهم توارثوها من أيام اليونان و ظلت آثارها عند بعضهم حتى أيامنا هذه. و كانت نظرة متعالية، شبيهة بهذه، قد ظهرت عند فريق معتبر من العلماء و المفكرين المسلمين خلال القرون الوسطى المتأخرة.

و التكنولوجيا، هي العلم الذي يجعل التقنيات و الطرق التي تطور بها أدوات الرصد و الكشف و الملاحظة موضوعه الذي يختص به. و الميزة اللافتة في هذا العلم هي البحث المستمر عن الحلول التي تتوفر فيها مميزات يحتاجها الإنسان عموما، و الباحث العلمي على وجه الخصوص، و هي: الاختصار، و سهولة الاستعمال، لتغطية حاجات و متطلبات كانت تأخذ الكثير من العناء و الوقت و الإجراءات المعقدة.

ثم ظهر للتكنولوجيا اهتمام ثان أصبح أكثر جذبا و تشويقا من الأول، و هو ابتكار و اختراع الأجهزة و الآلات الجديدة التي تزيد رفاهية الحياة، و تضيف تنوعات و أصنافا من الكماليات لم تكن مجربة و لا معروفة من قبل، و هذا هو المقصود في المفهوم التكنولوجي (خصائص = options)، حيث إن الفكر التكنولوجي المعاصر يركز على زيادة و تنوع هذه الخصائص في ظرف وجيز.

و اللافت للنظر أن الاختراعات تجاوزت مجال الأجهزة و الآلات و دخلت إلى مجال المفاهيم و الأفكار، بما في ذلك المفاهيم العلمية، فأصبحت تطبيقات تكنولوجيا الإعلام و الاتصال، و بخاصة الاتصالات الرقمية، تصنع المفهوم العلمي و التربوي و تجعله سلعة في الفضاء الرقمي تحت طائلة قانون العرض و الطلب، ملاحقا على الدوام بمقاييس الأمان و الجودة و المردودية.

و يشير الباحث طوني بيتس إلى دور التكنولوجيا في صناعة القرار الإداري و التنظيمي في كل مستويات البحث و التعليم، و هذا القرار بات أولوية ملحة في ظل التطور المستمر للتكنولوجيا و لا سيما تكنولوجيا الاتصالات، حيث إن هذا المصدر الجديد و المتجدد يمنح الحكومات و الإدارات الجامعية و المدرسية القدرة على إجراء تحولات واسعة و عميقة في برامجها الاعتيادية للبحث و التكوين و التعليم<sup>1</sup>.

### 1- فرص و آفاق استغلال التطبيقات التكنولوجية لفائدة البحث في علوم اللسان

باللغة العربية:

لقد أتاحت التطبيقات التكنولوجية، و بخاصة تلك المرتبطة بالإنترنت، فرصا و مجالات عديدة يستفيد منها الباحث و الأستاذ و الطالب من مادة علمية تصب مباشرة في مجال اختصاصهم، و تمتاز مع ذلك بسرعة واضحة في الجمع و الترتيب و الاسترجاع. و عندما ننظر في مجموع هذه الفرص و ما يفتح عنها تدريجيا من الآفاق و الأفكار البحثية يحسن بنا أن نميز فيها بين المجموعة المتوفرة فعليا بنسب و أشكال مختلفة و المجموعة الأخرى التي يرتقب توفيرها أو يطلب و يشجع على المضي في ذلك على وجه السرعة.

<sup>1</sup> - أ.و. طوني بيتس، التكنولوجيا و التعلم الإلكتروني و التعلم عن بعد، مكتبة العبيكان-الرياض، ط1-2007م، ص26.

أما مجموعة الفرص المتاحة بفضل تطور التطبيقات التكنولوجية باللغة العربية و التي يمكن رصدها بعناية أكبر و وضعها في أدلة مفهومة و منظمة لفائدة الباحثين و الطلاب فنذكر منها على وجه الخصوص:

### 1.1. محركات البحث العامة و الخاصة:

تنقسم محركات البحث المتوفرة في شبكة الإنترنت من حيث توظيفها التقني للغة العربية إلى محركات عامة و محركات خاصة؛ فالمحركات العامة تمنح إمكانية البحث عن طريق الكتابة باللغة العربية الفصحى و تقدم كل النتائج المرتبطة بهذا البحث في مخزون الاسترجاعات المتجدد، و تظهر هذه المحركات عددا ضخما من الاسترجاعات، يقدر بالملايين أحيانا، و قد يعتقد بعض الطلبة و الباحثين أن هذا الأمر يدل على قوة و جودة محرك البحث، و ذلك غير صحيح، لأن نسبة (70-90%) من النتائج مكررة، أو لا صلة لها بموضوع البحث.

أما المحركات الخاصة فهي تمنح خيارات متعددة لكتابة البحث، بحيث أنه لو صعبت الكتابة بالفصحى يمكن الكتابة بالعامية، و إذا صعبت الكتابة بالحرف العربي يمكن الكتابة بالحرف اللاتيني، و أهم ما يميزها من الناحية التقنية تطبيقها لخوارزميات معدة بدقة من طرف المبرمجين تستجيب لطلبات البحث بصورة أكثر فعالية بكثير من تلك التي تظهرها المحركات العامة، و يكون عدد استرجاعاتها أقل بكثير من حيث العدد، لكنه مصفى تقريبا، و بصورة كاملة من المكرر و البعيد عن مجال البحث.

إن عدد محركات البحث الخاصة التي تفعل اللغة العربية قليل، و ما زال العمل جاريا على تطوير و تحسين أفضل لمصنوفاتها و ميكانزوماتها التقنية و الاستراتيجية من أجل حركة بحث أكثر ديناميكية و سرعة، و المطلوب هو استغلال هذه الإمكانيات التقنية لإعداد محركات بحث خاصة باللسانيات و فروعها، و هذا النوع من الأفكار مطروح من طرف الباحثين، لكنه يصطدم بالعديد من الصعوبات أكبرها عدم توفر قاعدة بيانات موحدة لمواد البحث التي تنتمي إلى هذا المجال، و يعد تحقيق هذا النوع من المحركات المختصة إنجازا هاما جدا و لذلك ينبغي

زيادة الانتباه إلى أهميته من خلال الندوات و المؤتمرات و الكتابة و البحث الجاد في هذا المجال ترغيباً و تحفيزاً للطلاب و الباحثين على التعاون و التشارك لإفادة البحث العلمي بمثل هذه الأدوات البحثية الهامة.

اسم محرك البحث	أهم خصائصه التقنية
1 يا عربي	. إجابات دقيقة ( أقل ب 100 مرة من غوغل). - برنامج مغلق المصدر ( أعدت قاعدة بياناته بشكل مستق من طرف تقنيين عرب).
2 يمللي	. كتابة البحث بالحرف اللاتيني.
3 ابحاث	. بحث دقيق و متخصص في النصوص العربية. . دليل مواقع (أكثر من 10.000 موقع).
4 عربي	. ميزة البحث في الصور و الفيديو.
5 أوس	. تقسيم جغرافي للبحث في المواقع حسب الدول (57 دولة). . بنك معلومات ضخمة (حوالي 100.000 موقع). . خدمة التراسل و المحادثة المباشرة. . خدمة كشف المعارض و الملتقيات.
6 دور	. البحث المتقدم في المنتديات و المدونات العربية.
جدول 7: نماذج من محركات البحث العربية الخاصة.	

## 2.1. مواقع الرصد و تخزين البيانات:

بعض مواقع الرصد و تخزين البيانات يكتسي طابعاً رسمياً؛ و هو قليل العدد، و أكثرها مواقع غير رسمية؛ أطلقها هواة أو منتسبون متطوعون يحملون صفة جمعيات و منظمات غير ربحية. و الدور الرئيسي الذي اضطلعت به هذه المواقع هو تخزين المعلومات اللغوية، و تأتي في طليعة المعلومات التي حظيت بعناية واضحة الكتب و المخطوطات التراثية، و يستطيع

المتابع المنصف لهذه الجهود أن يقر بكل وضوح أنها نجحت في ملء فراغ كبير كانت تعاني تبعاته معظم البحوث اللغوية فيما يخص الكتب الأصول في النحو و الصرف و البلاغة و علوم التجويد و القراءات مما له صلة وثيقة بمواضيع الاهتمام الكبرى في البحث اللغوي التراثي، سواء البحوث الرامية إلى توثيق التراث و تحقيقه، أو البحوث الرامية إلى تطوير التراث نفسه أو تطوير اللغة العربية اعتماداً على المخزون التراثي من المادة و الأفكار و النظريات.

أما الدور الثاني لهذه المواقع فهو نشر البحوث العلمية المرتبطة باللغة العربية و علومها و اللسانيات بكل فروعها، و لا يوجد إلى حد الساعة مواقع متخصصة تتفرغ لهذا الجانب الهام بصفة منتظمة و شاملة، وقد حاول بعض المدونين و هواة تصميم المواقع سد بعض الفراغ الملاحظ في هذا الجانب، و هذه الجهود هي المورد شبه الوحيد الذي يعتمد عليه الباحثون في الوقت الحالي فيما يخص المواقع العربية، أما المواقع غير العربية التي تظهر اهتماماً برصد و تنظيم محتوى البحوث اللغوية العربية فهي أكثر مصداقية و أوسع بكثير من حيث حجم المادة و المدة الزمنية التي تغطيها، و في مقدمتها محرك شركة غوغل للكتب، و موقع الأرشيف التابع لمكتبة الكونغرس الأمريكي، و هذا الأخير هو المصدر الحقيقي للنسبة الغالبة من مادة التوثيق الموجودة في المواقع العربية.

### 3.1. المواقع المختصة في الإعلانات و الاستضافات:

بعض المواقع العربية المتوفرة في شبكة الإنترنت تقدم خدمة هامة و هي جمع و ترتيب الإعلانات الرسمية الصادرة عن الجامعات و المعاهد و الهيئات و المنظمات المرتبطة بأي نشاط علمي أو ثقافي أو إعلامي يخص اللغة العربية و علومها و ثقافتها داخل الوطن العربي و خارجه.

و ينفرد موقع شبكة الفصيح بأداء متميز في هذا النوع من الخدمات الرقمية، و بعض المواقع التي تركز على آداب و ثقافة اللغة العربية تقدم خدمة دليل واسع من المواقع التي لها نفس الاهتمام، و هذه فكرة ما يسمى: (الاستضافة) في عالم مواقع الويب، كمثال على ذلك

دليل شبكة الألوكة الذي يضم أكثر من مئة موقع مهتم بآداب و علوم و ثقافة اللغة العربية القديمة و الحديثة.

#### 4.1. المواقع الشخصية للباحثين و العلماء:

يلاحظ أن كثيرا من العلماء البارزين حاليا في اللسانيات العربية لا نعثر لهم على مواقع شخصية في شبكة الإنترنت، و لا في صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، و المعلومات الرقمية الخاصة بهم في طي الكتمان، و خاصة البريد الإلكتروني الذي يعد أفضل وسيط للتواصل و تبادل الأفكار و الآراء، و كذلك حساب مواقع المحادثة مثل سكايب الذي يتيح المحادثة المباشرة بالصوت و الصورة بين طرفين أو أكثر، و فيه أيضا ميزة إنشاء مجموعات محادثة، و من هذا القبيل مجموعة المحادثة للباحثين في الصوتيات العربية.

#### 5.1. المواقع الرسمية:

تشمل مواقع المؤسسات الرسمية للغة العربية بشكل من الأشكال؛ العلمية و الثقافية و التعليمية و الإعلامية، و تضم قائمة معتبرة من المواقع التي تقدم خدمات متفاوتة فيما بينها، بعضها متميز و مفيد إلى أبعد الحدود، و بعضها أقل من ذلك قيمة و تنظيما.

و يمكن أن نلاحظ بكل وضوح أن المواقع الرسمية التي تحظى بالوصاية و الدعم الملائم يمكنها أن تغني وحدها عن مئات المواقع الشخصية أو التي يطلقها هواة المواقع و محبو اللغة و اللسان العربي، و ليس في هذا دعوة إلى إلغاء هذه الأخيرة أو حط من قيمتها، بل هو التنبيه على طبيعة الأدوار و المهام التي ينبغي أن تضطلع بها المواقع العربية في شبكة الإنترنت حتى لا تسود الفوضى و يكثر الارتجال و تنتشر المادة العلمية الميتة و المكررة و المسروقة.

و قد كشف التقرير الإحصائي للمرصد العربي في شبكة الإنترنت (مأرب) أن هناك 20% فقط من المواقع العربية تقدم محتوى منفرد، و 80% تقدم محتوى مكرر أو ميت، و هذا

يعني أن نسبة  $\frac{4}{5}$  (أربعة من كل خمسة مواقع) متفلتة عن مسؤوليتها تجاه المحتوى العربي<sup>1</sup>، و لا شك أن القائمين عليها لا يدركون أن هذا المنحى سيؤدي إلى ميوعة الوعاء اللغوي الذي يعد أساس التواصل الرقمي، و الحقيقة أن الخاسر الأكبر من هذه العملية هو هذه المواقع.

و هذا التوزيع في الأدوار بين المواقع الرسمية و المواقع غير الرسمية له فائدة كبيرة في مسألة التوثيق و الاقتباس، لأن الباحث عندما يحيل في بحثه إلى موقع رسمي موثوق في صلته العلمية و الأكاديمية بعلوم اللغة و اللسان العربي فإنه يوفر مصداقية أكبر بكثير من إحالته إلى موقع ترفيهي أو ثقافي أو مدونة حرة في بحر الإنترنت لا يكاد يعلم عن هوية مطلقها و لا خلفيتهم الأكاديمية و لا موقعهم الجغرافي ما يتحقق به أدنى شروط الإحالة العلمية المعتبرة،

### 6.1. مواقع المنتديات المختصة:

هناك عدد لا بأس به من المواقع يقدم نفسه للمتصفح بوصفه مختصا في اللغة العربية أو اللسانيات، و أكثر هذه المواقع عبارة عن منتديات تتكون من مجموعة أقسام و تفتح باب المشاركة لكل من يهيمه الأمر عن طريق البريد الإلكتروني و رقم سري خاص به. و بالإضافة إلى خدمة الإعلان عن البحوث و الملتقيات و مناقشات الرسائل العلمية تقدم هذه المنتديات خدمة نشر المقالات و البحوث غير المحكمة، و تفتح المجال للمناقشة و تبادل الآراء و وجهات النظر حول المواضيع المطروحة، و الملاحظ أن أكثر المشاركات تحمل صفة التعليقات المختصرة جدا، و قلما نعثر على ردود وافية، أو نقاشات فيها أخذ و رد مثمر.

و أما المجموعة الأخرى من الفرص المطلوب التعجيل بتوفيرها و تمكين الباحث و الطالب العربي من استثمار مادتها في تقوية و تمشين مفعول نشاطه في البحث و الدراسة فنذكر منها على وجه الخصوص ما يلي:

❖ المواقع الرسمية للمدونات.

❖ المواقع الرسمية للأرشفة و الخدمات المكتبية المتكاملة.

<sup>1</sup> - أنظر التقرير المفصل في الموقع التالي: [www.arabdigitalcontent.com](http://www.arabdigitalcontent.com)

❖ المواقع الرسمية للنقل الرقمي الحي (on line):

## 2. التحديات و الصعوبات التي تواجه استغلال التطبيقات التكنولوجية لفائدة البحث

و التطوير في علوم اللسان باللغة العربية:

1. معدل تعمق اللغة العربية في البيئة البرمجية الرقمية، فرغم تسجيل تحسن واضح في بيئة البرامج مفتوحة المصدر، فإن البرامج المحدودة المصدر لا تزال بعيدة كل البعد عن التطلعات، و من المعلوم أن البرامج المفتوحة المصدر متاحة لجمهور المبرمجين حول العالم، فيمكن أن ينجزها مجموعة قليلة من المهندسين بتكاليف زهيدة، و كمثال على ذلك مشروع المدقق الإملائي حر المصدر الذي صممه باحث واحد من الجزائر، و مشروع المعجم الرقمي الذي أنجزه باحثان أحدهما من الجزائر و الآخر من المغرب في إطار مشروع آيسبل للبرامج العربية حرة المصدر.

أما البرامج المحدودة المصدر فتحتاج إلى تراخيص و إجراءات معقدة، و تتطلب موارد مادية و بشرية هائلة، لأنها تتعامل مع عدد لا يحصى من المعطيات (عشرات المليارات) قابلة للتمدد و الزيادة المستمرة، و أكبر معضلة تواجهها هي اقتطاع المساحات التخزينية الملائمة داخل النطاقات التي تمنحها إياها المؤسسة الدولية لأسماء النطاقات، و يظهر هذا الكم من التعقيدات و المشاكل واضحة تماما في مسيرة مشروع الإنترنت العربي، و مع أن المشرفين عليه صرحوا مؤخرا بأن مشكل تخزين البيانات قد وجدت له حلول نهائية، إلا أن الجميع ما زالوا يقرون بأن المشاكل التقنية فيما يخص برامج المعالجة الحاسوبية للغة العربية بمختلف مستوياتها و أشكال ظهورها الرقمي هي عقبة لا يستهان بها، مع العلم أن عدد المهندسين المختصين في تصميم البرامج العربية و عدد خبراء اللسانيات المختصين في الجوانب الرياضية و الحاسوبية من الباحثين العرب ما زال قليلا.

2. صعوبة التدقيق اللغوي الشامل للمكون الرقمي العربي، و هذا يرجع إلى العديد من

العوامل:

العامل الأول:



كثرة المكرر و الميت و التالف فيما يروج و يدور من المادة المكتوبة و المنطوقة باللغة العربية. و المكرر في المفهوم الرقمي هو الاقتباس الذي يعاد اقتباسه مرارا و تكرارا، بإثبات المصدر الأصلي أو بغير إثبات له، فهذا التكرار المبالغ فيه لمادة معينة بغض النظر عن قيمتها العلمية يؤدي مباشرة إلى تضخم كمي في المحتوى العربي، فتكون زيادة سلبية.

أما المكون الميت فهو الذي ظهر لفترة وجيزة ثم أعلن عن خطأه أو انعدام المصدقية فيه، و يسميه بعض المدونين ألعام الانترنت، و أما المكون التالف فهو الذي يشتمل على وصلات غير متاحة، أو يحيل على تسلسل مواقع ينتهي بفقاعة فيروسية أو موقع إشهاري غير مرغوب فيه.

### العامل الثاني:

الاستعمال العشوائي للخط العربي، يلاحظ ذلك بكثرة في المنتديات الثقافية و الترفيهية، و في مواقع التواصل الاجتماعي. و نحن نضع خطأ فاصلا بين الاختصارات التي تدخل فيما يسمى اللغة الشبابية أو لغة التراسل الإلكتروني (Chat) و الأخطاء و الهنات الفادحة في كتابة الكلمات و الجمل و الأسماء؛ فالأولى تعد مجموعة منتظمة من الرموز، و هي شفرة أو نوع معين من اللغة قائم بحد ذاته، و له طرق و مناح في التحليل، و الآراء حوله موجودة و معتبرة في كل اللغات الحية، أما الثاني فهو خطأ بل تعد و تدمير لكيان اللغة العربية و معمارها الأدبي و الثقافي، و هو يترجم الحالة العامة من الضعف و الاختلال في تعليم اللغة العربية على مستوى التخطيط و الإدارة اللغوية، و يعد مشكلا و خللا يتطلب متابعة و رصد دقيقا، و برنامجا متكاملا لفهم أسبابه و مؤثراته، و من ثم اقتراح العلاجات و الإجراءات الكفيلة بتقليصه عن طريق مراحل متدرجة.

### العامل الثالث:

ضعف البرامج العربية الخاصة بمعالجة المادة اللغوية المنطوقة في الوسائط السمعية و السمعية-البصرية، و أكبر صعوبة يواجهها المبرمجون أثناء إعداد السلاسل الخوارزمية لهذا النوع

من الوسائط هي تداخل المستويات اللغوية في الموقف الواحد، و هذه حقيقة كشفتها أيضا بحوث اللسانيات الاجتماعية عن طريق رصد المحادثات المباشرة للناطقين العرب في أقاليم و مستويات كلامية مختلفة فلاحظوا أن المجموعة من المتكلمين في حوار واحد يستخدم كل واحد منهم مستوى معيناً من اللغة؛ قد يكون قريباً جداً من الفصحى القياسية (المدرسية)، أو وسطاً، أو لهجة عربية خالصة، أو لهجة محلية ضيقة، و لوحظ أيضاً أن المتكلم الواحد يدمج و يمزج أكثر من مستوى في المقطع الواحد المتسلسل<sup>1</sup>، و لا يقتصر هذا الأمر على المحادثات اليومية العفوية، بل يوجد بنفس التداخل و الاندماج في الأعمال الدرامية، و في الدروس و المحاضرات الرسمية و كذلك في محاضرات و دروس الوعظ الديني. فهذه مشكلة حقيقية، و هي كما نرى معقدة و ترجع إلى أكثر من ميدان، و لا شك أن لها حلولاً ناجعة، لكنها تتطلب مستوى من التعاون و التنسيق المنتظم و المتواصل بين المبرمجين و خبراء المدونات و المختصين في اللهجات و غير ذلك من فروع البحث المشاركة<sup>2</sup> في فهم و تفسير هذه الظاهرة.

3- عدم اعتراف معظم الجامعات بالمادة الرقمية كمادة علمية رسمية في متون البحوث الأكاديمية، سواء المادة الورقية المرفوعة بالتصوير الضوئي صورة طبق الأصل، أو المادة السمعية و السمعية-البصرية التي تحتوي تسجيلات لمناقشات أو فعاليات مؤتمرات محلية أو دولية و نحو ذلك من المكونات المفيدة.

4- كثرة السرقات و انتحال الأسماء العلمية المزيفة و تحريف الأفكار و النظريات و عدم الدقة و الأمانة في النقل، و بالتالي ضياع حقوق الملكية الفكرية و الأدبية لأصحابها بما في ذلك أولئك الذين تبرعوا بحقوقهم التجارية و أتاحوا بحوثهم و مؤلفاتهم في شبكة الانترنت.

### 3. تقييم استغلال المصدر التكنولوجي في اللسانيات العربية :

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: reem Bassiouney and Graham Katz: Arabic Language and Linguistics, Georgetown University Press, USA, 2012. P37

<sup>2</sup> - أنظر البحث التالي: Nizar Y. Habash, Introduction to Arabic Natural Language Processing, Morg and Claypool, Neo york, USA, 2010, p1-2.

1- حركة البحث العلمي في العالم بأسره تتجه بقوة إلى استغلال كبير للتطبيقات التكنولوجية، وخاصة في شبكة الإنترنت.

2. الشباب الناطق بالعربية يتعامل مع الوسائط الرقمية بفعالية و سلاسة مدهشة، يحدث ذلك من سني النمو الأولى المبكرة، فلا تكاد تجد تلميذا في المدارس الابتدائية إلا وقد أتقن التعامل مع الهاتف الجوال و الحاسوب المكتبي و اللوحي بفعالية يعجز عنها كثير من المعلمين و الأساتذة. و تظهر الدراسات الميدانية المنجزة في هذا الإطار في كل أرجاء العالم إجماعا بين خبراء التعليم و المهتمين بالتعليم عن طريق الوسائط التكنولوجية أن بيئة التعليم الكلاسيكية تحتاج إلى تعديلات أساسية<sup>1</sup>، بل إن مفهوم التعليم و التعامل، و طبيعة علاقات الإرسال و الاستقبال في هذا النشاط الحيوي لن تصل إلى الديناميكية المتوقعة إلا بإحلال المستجدات و المكونات الجديدة الطارئة في حياة الطفل محلها اللائق من بيئة التعلم النموذجية.

3- إن القيمة الاقتصادية لتعميم العتاد الرقمي (الإنترنت، الحواسيب اللوحية، منصات العرض...) قد تكون مردوديتها المالية للمؤسسات الراعية أقل بكثير من مجموع تكاليف التجهيزات المكتبية التقليدية التي يتم تجديدها كل سنة تقريبا.

### ثانيا. لغة الإنترنت.

ينظر إلى الإنترنت عند خبراء الاتصالات على أنه شفرة اتصالية كونية قابلة للتطوير و التمدد اللانهائي، و يتضح الأثر البعيد لهذا المورد الجديد في الفرع البحثي البارز مؤخرا تحت مسمى: دراسات الإنترنت (Internet Studies = IS)، و له الكثير من الأهمية، و يغطي كل مجالات البحث التقليدية و يضيف عليها مجالات و آفاق لم تكن مطروقة و لا مكتشفة من قبل، و في إحدى الدراسات المتابعة لهذا الميدان صدرت سنة 2011م أكد فريق من الباحثين بأن المخرجات الأكاديمية (academic output) من المجالات العلمية

<sup>1</sup> - أنظر: أ.و. طوبي بيتس، التكنولوجيا و التعلم الإلكتروني و التعلم عن بعد، مكتبة العبيكان-الرياض، ط1-2007م، ص26.

المحكمة المرفوعة من شبكة الإنترنت قد تضاعف أضعافا مضاعفة خلال العشر سنوات الأخيرة<sup>1</sup>، و هذا تأكيد واضح على قيمة الإمداد و الاعتماد الذي بلغه هذا المورد في نشاط البحث العلمي، و خاصة المراحل التمهيديّة المتعلقة بجمع و توفير المادة الأساسية. و ينظر إليه خبراء لسانيات الإنترنت على أنه بعد رابع جديد أضيف إلى الأبعاد المعروفة للغة البشرية. لكن مزايا الشبكة العالمية لا ينبغي أن تحجب الأنظار عن الأخطار و الأضرار الناجمة عنها، أو بالأحرى الطرق التي حولت من خلالها اللغة الإنجليزية إلى مهيمن شبه منفرد على هذا المجال، و جاء الكتاب الأحمر لمنظمة اليونسكو حول اللغات المهددة بالانقراض (Unesco Red Book on Endangered Languages) مترجما صادقا لهذا التمرکز اللغوي و التقني و الثقافي، محذرا بأن 50-90% من لغات العالم و لهجاته سينقرض خلال القرن الحادي و العشرين<sup>2</sup>.

و في الاتجاه المضاد لهذا التمرکز تعاضمت التكتلات اللغوية من أجل مواجهة التمدد غير الملائم للغة الإنجليزية، فتحرّكت في هذا الإطار المنظمات الرسمية مثل: الفرنكوفونية و الاسبانوفونية و الكومنولث الروسي و تحالف اللغات الاسكندنافية، و ظهرت حركات الإصلاح اللغوي و من أبرزها الإصلاح اللغوي الموحد للألمانية منذ سنة 1996م شاركت فيه ألمانيا و النمسا و سويسرا<sup>3</sup>.

أما واقع اللغة العربية في شبكة الإنترنت؛ وجودا و تطورا، فيسجل عليه مجموعة من الملاحظات تجمع بين إيجابيات و سلبيات، و أحيانا إيجابيات ظاهرية تخبئ داخلها صعوبات و تعقيدات كبيرة. و من أبرز هذه الملاحظات ما يلي:

<sup>1</sup> - أنظر: The Oxford Handbook of Internet Studies, edu 2013; The article titled: " Tnernet Studies: The Foundations of A transformative Field, by: William H. Dutton.

<sup>2</sup> - نبيل على و نادية حجازي، الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع318-2005م، ص308.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص 309-310.

## 1. التضخم الكمي في مقابل الترددي النوعي:

لقد أظهرت الدراسات الإحصائية العالمية أن المحتوى العربي هو الأكثر نمواً في شبكة الإنترنت من حيث الكم؛ تخطى العدد الإجمالي للمستخدمين 90 مليوناً، مغطياً حاجة خمس السكان، و محققاً قفزة كمية هي الأكبر من نوعها في العالم خلال العشرية الأخيرة بنسبة تتجاوز 2500% مقارنة بأرقام سنة 2000م ( 25 ضعفاً خلال 10 سنوات)، و بالنظر إلى تسارع الانتشار، و تطور تقنيات التوصيل، يتوقع الخبراء تعميم الإنترنت في العالم العربي بنسبة تفوق 90% قبل سنة 2020م، و هذا هو الهدف المشترك لكل من مبادرة توصيل الوطن العربي، و مبادرة الهيئة الدولية للاتصالات (ITU)<sup>1</sup>.

و لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دوراً أساسياً في إحداث هذه الحقيقة التي يصفها بعض الباحثين بالطفرة، حيث تجاوز إجمالي مستخدم (facebook) خمسين مليوناً، و تشير الإحصاءات إلى انضمام حوالي: 37.000 عضو جديد إلى هذا الموقع في الوطن العربي يومياً. أما موقع التدوين المصغر (twitter) فقد تم تقييم إجمالي عدد المستخدمين النشطين، و رسائل التويت، و أكثر الموضوعات شيوعاً في جميع البلدان العربية خلال الفترة من 1 يناير إلى 30 مارس 2011م باستخدام واجهة برمجية تطبيقات تويتر (twitter API)،

هناك دراسات أخرى ترجح أن يكون السبب الرئيسي خلف هذه الزيادة الكمية الملحوظة راجعاً إلى مبادرات الشركات العالمية نحو تفعيل البرامج التي تدعم اللغة العربية، و هذا تفسير مقنع، لأننا نلاحظ القفزة في المؤشرات ترجع إلى ما بعد سنة 2009م، و بالرجوع إلى معطيات الشبكة العالمية نجد بأن عدداً كبيراً من المؤسسات و الهيئات؛ الحكومية و الاقتصادية و الإعلامية، أطلقت في هذه السنة و ما بعدها خدمات إلكترونية تدعم التصفح باللغة العربية جزئياً أو كلياً، و من المتوقع أن توفر هذه التوجهات العالمية الجديدة فرصاً لرفع منسوب الرصيد الرقمي العربي.

<sup>1</sup> - تقرير قمة توصيل الوطن العربي، الدوحة: 5-7 مارس 2012م، ورقة بعنوان: المحتوى الرقمي العربي، ص 16.

و إذا كانت المؤشرات حول الزيادة الكمية واضحة للعيان، فإن المؤشرات الموازية لها تظهر الضعف الشديد من النواحي التقنية و الفنية، و هذا يعني أن هذا التضخم الكمي قد يكون عبء و مشكلا خطيرا على المحتوى العربي في السنوات القليلة القادمة، و قد بينت إحدى الدراسات المرجعية لتحليل المحتوى العربي في الإنترنت استنادا إلى مؤشرات عشرة من المواقع العالمية المختصة أن مساهمة البلدان العربية مجتمعة في مواقع الميادين العامة المصنفة في أعلى مستويات الانتشار (gTLD) لا تتجاوز: 0.162% و نسبة تطبيق خدمة الاستضافة لا تتعدى 0.198% و نسبة تواجد المواقع العربية في المواقع العالمية ذات التصنيف الأعلى لا تتجاوز 0.187%<sup>1</sup> و هذه نسب تتكلم عن نفسها و لا تحتاج إلى تعليق، و ينبغي أن تكون سببا كافيا لليقظة و الانتباه، و التفكير الجاد في السبل و العلاجات العملية لاستدراك هذه الفجوة الرقمية الفادحة.

و يرى خبراء آخرون أن هذه الزيادة غير المتوقعة و الخالية من أدنى شروط التنظيم و التخطيط ستكون أكبر عوامل إضعاف البنيان اللغوي و الثقافي للغة العربية على المستويين المتوسط و البعيد<sup>2</sup>، و من المبررات القوية التي تقف وراء هذه التوقعات المخيبة أن الكم الغزير من التدوينات و المادة المعروضة بالوسائط الرقمية يشتمل على أخطاء بالجملة؛ لغوية و معرفية و علمية، فكثرة هذه المادة و طغيانها على شبكة الإنترنت يؤدي إلى تعميم هذه الأخطاء، و عندما تنتشر سرعان ما تحظى بالقبول و من ثم ترسم و تصبح نظاما لغويا موازيا يزاحم النظام القياسي و يأخذ منه قوة التوليد المنبثقة من القبول و التعارف الذي يحدثه المجموع المنسجم من مستعملي اللغة<sup>3</sup>. و يجب أن نقر بأن هذا الترسيم حاصل جزئيا، و بخاصة في المواقع التي ترتادها الفئة العمرية الصغيرة و الشابة، لأنهم أكثر ميلا من الكبار إلى عدم التقيد بالتقاليد، بل إن التحريف و التشفير الغريب و الملعز هو الهواية الرائجة بين هؤلاء المدونين الشباب في

<sup>1</sup> - تقرير بعنوان: المحتوى الرقمي العربي، قمة توصيل الوطن العربي، الدوحة، 2012م، ص4.

<sup>2</sup> - صلاح الدين محمد مزيد، اللغة العربية في كتاب الوجوه، ص2.

<sup>3</sup> - ختام سعيد سلمان، اللغة العربية و تحديات العصر، أبحاث المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت، 2012م، ص

غرف الدردشة و مواقع التواصل الاجتماعي، و تتضح مداخل تأثير مواقع المحادثة على اللغة العربية في العديد من المظاهر أبرزها:

- ❖ كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني<sup>1</sup>.
- ❖ بعض برامج المحادثة لا تمنح إمكانية الكتابة بالحرف العربي.
- ❖ تحول اللغة المهجين (حرف لاتيني+حرف عربي+أرقام+رموز+...) إلى اللغة الشبابية المفضلة<sup>2</sup>، و ظهور تأثيرها المعرفي و الفكري على الطلاب في المدارس، من خلال أجوبتهم الكتابية على وجه الخصوص.
- ❖ الدعم التقني و الإشهاري الذي تحظى به هذه الانحرافات لما ينتج عنها من مصالح تجارية؛ و مثال ذلك برنامج المحادثة: مرن (maren) الذي أطلقته شركة (Microsoft) و هو مخصص لكتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني<sup>3</sup>.

و لا يقتصر هذا التأثير على مواقع المحادثة، بل يتعداه إلى منصات أخرى ينتشر منها الفعل اللغوي عبر الطيف الترددي، نلاحظ ذلك مثلاً في عناوين المواقع التي يكثُر فيها استيراد الكلمات الإنجليزية بحذافيرها إلى اللغة العربية، و لنا أن نأخذ فكرة عن هذه الظاهرة من خلال الأمثلة الموالية:

أصل الكلمة	العبرة
Chekmail	1 شيك على الإيميل
Miscall	2 اعمل لي ميسدكول
Cancel	3 كانسل الموعد

<sup>1</sup> - محمد بن محمود فجال، الظواهر اللغوية الحديثة في الشبكة العالمية و أثرها في الوظيفة التواصلية، أبحاث المؤتمر الدولي للغة العربية، بيروت 2012م، ص 2-14.

<sup>2</sup> - سليمان حسيكي، واقع اللغة العربية في الإعلام الكتوب و المرئي و الغلكتروني، أبحاث المؤتمر الدولي للغة العربية، بيروت 2012م، ص 7-14.

<sup>3</sup> - سيد أبو الفضل سجادي و أحمد أميدوار، الأنترنت و تهديداته للغة العربية، مجلة اللغة العربية و آدابها-جامعة أراك-طهران، السنة 6-ع 11: 1431-1432هـ/ 2011م، ص 71-88.

message	مسيج على التلفون	4
---------	------------------	---

و نظير هذا التأثير ما يلاحظ من اقتباس حرفي عن طريق الترجمة الصوتية لعدد كبير و متزايد من مصطلحات العلوم التكنولوجية، و تظهر القائمة الموالية عينة من هذه المصطلحات مأخوذة من معجم مصطلحات الكمبيوتر نشرها مركز ماتكوم للكمبيوتر على موقعه الرسمي:

الأصل الإنجليزي	الترجمة العربية	
cookie	كوكي	1
java	جافا	2
javascript	جافاسكريبت	3
quicktime	كويك تايم	4
sypercach	سايبركش	5
intranet	إنترانات	6
activex	أكتيفيكس	7
mb	ميجابايت	8

و مما يدل على التوازن في الطرح العلمي لقضايا اللغة العربية على الإنترنت أن الدراسات المنجزة لم تغرق في إحصاء السلبيات و تعديد النقائص و الثغرات فقط، بل اتجهت أيضا إلى تقصي المحاولات الجادة لحل المشاكل و ترسيخ اللغة العربية ضمن المكونات الأساسية في هذا الفضاء الواسع، و نذكر من هذه المحاولات:

❖ منع تسجيل العضوية أو كتابة التعليقات و المشاركات بأي حرف سوى الحرف العربي، هذا الموقف تتخذه العديد من المواقع الأدبية و الثقافية، و هو اتجاه ملاحظ في عدد متزايد من المنتديات و المدونات الخاصة.

❖ تنويع جهود حركة الإصلاح اللغوي على شبكة الإنترنت بالقرار الصادر عن الهيئة العليا لأسماء النطاقات الصادر في تاريخ: 15-10-2007م، أعلنت فيه بداية تجريب استخدام عناوين المواقع بإحدى عشرة لغة غير لاتينية من بينها



العربية، و يذكر في هذا الصدد الجهود الواضحة للفريق العلمي المكلف بتعريب أسماء النطاقات في سعيه إلى استغلال هذا القرار أحسن استغلال لصالح تكوين البيئة الرقمية الصالحة لإسناد النشاط العلمي و الثقافي و الأدبي و الإعلامي الصادر باللغة العربية، و تتمحور جهود هذا الفريق في تعريب أسماء النطاقات و خاصة النطاقات العليا الأكثر انتشاراً، و كذا وضع الاختصارات الملائمة في محركات البحث و غيرها من المواقع الرئيسية على الشبكة<sup>1</sup>.

الاختصارات		تغيير أسماء النطاقات العليا	
1	سع ← السعودية	1	Com ← شرك
2	بح ← البحرين	2	Net ← شبك
3	جز ← الجزائر	3	Org ← نظم
4	مغ ← المغرب	4	Gov ← حكم

و بناء على ما سبق نستنتج بأن الخطاب اللساني الرسمي ما زال بعيداً كل البعد عن إعطاء هذه الظواهر ما تستحقه من العناية و الرصد المنهجي، و لا يجب أن يقل هذا الموقف عن التوجه العاجل لفتح فروع جديدة على مستوى الجامعات و كليات اللغة العربية تختص في التحليل و المتابعة المنتظمة للظواهر الكثيرة التي نتجت عن دخول اللغة العربية إلى الفضاءات الرقمية، فهذه الظواهر قد كثرت و انتشرت و صارت بحكم الواقع و سلطان الاطراد و الشيعو مواضيع أساسية لا يمكن أن يظل الباحث و المختص في اللغة و اللسانيات العربية يراقبها مراقبة الهاوي أو المتطفل، بل إن الوقت ملائم لإحداث هذا التحول في مراكز و مواضيع الاهتمام اللغوية و ترسيمه، و هذا الأمر مهم جداً ليس لمصلحة البحوث اللغوية العربية

<sup>1</sup> - سيد أبو الفضل سجادي و أحمد أميدوار، الأنترنت و تهديداته للغة العربية، مجلة اللغة العربية و آدابها-جامعة أراك-طهران، السنة 6-ع11: 1431-1432هـ/2011م، ص71-88.

وحدها، بل إن فيه منافع و فوائد تصب مباشرة في مجال حماية الهوية و الوحدة الاجتماعية التي تعد اللغة واحدا من أهم الوسائط التي تضمن بقاءها و فعاليتها.

2. النمو و الزيادة الملحوظة في محركات البحث التي تعتمد على أسماء النطاقات العربية، في مقابل القلة و الضعف المسجل على مواقع تخزين المعلومات و برامج المعالجة و التحليل الرقمي المتقدم لفائدة اللغة العربية.

3. المشكل المطروح حول آليات و طرق تطوير المعالجات التقنية للمادة المنطوقة شفويا، و ما يطرح داخل هذا المشكل العام من القضايا الجزئية و لا سيما قضية معالجة ظاهرة التداخل و التعدد في مستويات اللغة داخل الوصلة الكلامية أو المقطع الحوارى الواحد، بل و في كلام الفرد الواحد.

4. اختلاف وجهات النظر حول ما يمكن أن نسميه: المزايا المتناقضة للتطبيقات الرقمية؛ إن هذه الوسائط تضمن خصائص السرعة و الدقة و التنوع و غير ذلك من المزايا التي ترفع مفعول البحث، لكنها تسمح بطريقة غير قابلة-حاليا- للكشف السريع بتوفير بيئة ملائمة لزيادة و استفحال الهجين و الخليط و غير ذلك من الظواهر اللغوية التي توضع من جهة الخبراء-اللسانيين تحديدا- بوصفها مادة غير ملائمة، و لا يمكن بناء نتائج علمية موثوقة اعتمادا على تحليل من هذا القبيل، لا يمكنه أن يميز بصورة مقنعة بين الصحيح و الخاطئ.

## 2. واقع البحث العلمي و الدراسات اللسانية العربية حول لغة الإنترنت:

ما يزال هذا النوع من البحوث في بواكيره الأولى، و يحتاج -بلا شك- إلى زيادة الوتيرة الإنجازية كما و نوعا، و لا بد أن يكون هناك ضغط من جهة الباحثين و اللجان و الهيئات العلمية المعتبرة في الطريق لإحداث اختصاص فرعي داخل أقسام اللغة العربية يهتم برصد هذه المدونة الهائلة. و على كل حال، هناك العديد من الملاحظات التي يمكن الإدلاء بها فيما يخص الحالة الراهنة للبحوث اللسانية المهمة باللغة العربية و صلاتها المختلفة بالإنترنت نجملها فيما يلي:

1- إن أغلب عمليات الرصد و التشخيص التي قام بها الباحثون اتبعت طرقا و مناهج كيفية، و كانت أرضيتها الإحصائية و التصنيفية ضعيفة و غير ملائمة في كثير من الأحيان، و قد انعكس هذا الأمر على مفعول البحوث التي لم تتمكن من تطوير النظرة التشخيصية الشاملة التي توضح على سبيل الدقة عددا من المعطيات الأساسية المطلوبة في أي بحث من هذا النوع، و ذلك مثل: الكميات العددية الصحيحة لمستعملي اللغة العربية في الإنترنت؛ أخذا في الحسبان من يستعمل اللغة العربية جزئيا أو كليا، و من يستعملها داخل الإقليم الناطق بها و خارجه، و الفئات العمرية، و المقارنة بين الجنسين... إلخ. هذا النوع من المعطيات الأساسية لا يوجد منه إلا نتوف قليلة جدا، و لا تتوفر على المصدقية و الموثوقية الكافية لتكون منطلقا للتحليل و الاستنتاج.

في الجدول الموالي يتضح الافتقار إلى مصدر موحد و مؤهل ليكون داعما قويا ترتقي عليه مصداقية البحوث الرائدة في هذا المجال، و لا يستطيع المتابع لهذا المجال أن يجد تفسيراً مقنعا لتضارب الأرقام و اختلافها حول ظاهرة واحدة واسعة الانتشار، ثم إن موقف الباحثين العرب في استهلاكهم المباشر لهذه المعطيات المتذبذبة و قلة المتابعة النقدية الكافية هو علامة إضافية تؤكد بأن الاستنتاجات العامة المنتشرة في هذا المجال حول قيمة المحتوى العربي و مستواه و نسبة نفوذه التقني و المعلوماتي ما زالت سطحية و مبنية على أسس غير واضحة، و هذا يعني ضرورة العناية القصوى بمصادر المعلومات لأنها المحرك الأساسي للبحوث الرصدية واسعة النطاق، و يحتاج الباحثون في هذا المجال إلى معطيات دقيقة و محدثة أولا بأول، مع التنوع في المؤشرات، لأن المعطيات المتوفرة حاليا تتمركز جليا على حساب الأعداد الإجمالية للمستخدمين و تصنفها بدلالة واحدة تصاعديّة أو تنازليّة، و هذا النمط المبسط يختزل الكثير من التفاصيل التي تعد حاسمة في تبني فكرة أو بناء رؤية سليمة من عيوب المبالغة.

#### الإحصاءات<sup>1</sup>

#### المفهوم المفتاحي

<sup>1</sup> - اعتمدنا في الإحصاءات على المعطيات الآتية: موقع إحصاءات الإنترنت حول العالم (internetworldstats.com)، تقرير قمة توصيل الوطن العربي: الدوحة-5-7/03-2012م، التقرير المشترك

2013م	2012م	2010م		
103 مليون ↑ <sup>1</sup>	76 مليون ↑	86 مليون	عدد مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي	1
90 مليون ↑	86.1 مليون ↑	65 مليون.	عدد مستخدمي اللغة العربية في الإنترنت	2
8 (عالمياً) ↓	6 (عالمياً) ↑	رتبة الانتشار ← 7 (عالمياً)		1
0.9 % ↓	3.7 % ↑	معدل التغطية ← 3.3 %		2
16.7 % ↓	19.6 % ↑	نسبة النفوذ في الإنترنت ← 18.8 %		3
370 مليون ↑	360 مليون ↑	عدد الناطقين ← 347 مليون		4
↑ النسب المتزايدة. ↓ النسب المتناقصة. ↓ النسب الشديدة التناقص.				
جدول 8: التذبذب و فقدان التوازن في معطيات اللغة العربية داخل شبكة الإنترنت.				

### ملاحظات على الجدول:

هناك العديد من الملاحظات يتيح لنا الجدول أعلاه اكتشافها و أبرزها ما يلي:

❖ جميع المؤشرات العامة متزايدة تماماً على المحور الزمني المخصص (2010-

2013)؛ عدد مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي، عدد مستخدمي اللغة

العربية في الإنترنت، عدد الناطقين باللغة العربية (كتابة و مشافهة). هذه المؤشرات

للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان (anhri.net) و مؤسسة فريديش ناومان (fnst.org) بتاريخ: 2013/02/25م.

<sup>1</sup> - بلغ عدد المستخدمين حسب تقرير شركة جوجل حوالي 141 مليون مستخدم. أنظر: مجلة الاقتصادية الإلكترونية، ع7362- السبت 30 صفر 1435هـ / 07-12-2013م (alept.com)

تعطي نتيجة واحدة تفيد بأن الوضع الحالي و المستقبل للغة العربية في الإنترنت مقبول و يسير في الاتجاه الإيجابي.

❖ جميع المؤشرات الخاصة إما متذبذبة أو متناقصة أو شديدة التناقص؛ نلاحظ بأن رتبة اللغة العربية ضمن اللغات العشر الأكثر انتشارا في الإنترنت صعدت في غضون سنة من السابعة إلى السادسة، و في غضون سنة أخرى هبطت درجتين، و هذا هو التذبذب الذي نقصده، لأن هذا الصعود و النزول أمر منطقي بالنظر إلى أن المعطيات تنتج بصفة آلية (أوتوماتيكية) بعد كل إدخال جديد للمعطيات، و قد لاحظنا أنه لم يتم تحديث معطيات اللغة العربية خلال ثلاث سنوات بينما وقع تحديث في اللغات الأخرى القريبة منها: البرتغالية/ الفرنسية/ الألمانية/ الروسية/ الكورية.

❖ تراجع معدل تغطية اللغة العربية خلال 2012م بحوالي ثلاثة من المئة (3.7%) ← 0.9%<sup>1</sup>، و هذا التراجع الحاد في غضون سنة واحدة تم تفسيره من طرف الخبراء بأنه نتيجة حتمية لسلبات التصفح و الاستعمال العشوائي للغة العربية في الإنترنت، فهناك وفرة و تزايد واضح في عدد المستخدمين و عدد مرات النفاذ إلى الشبكة و لكن الطابع العام لهذا النشاط هو الاستهلاك و ليس الإنتاج، و يعتقد الباحثون في المرصد الرقمي العربي أن كثرة المكرر و الميت و التالف في المادة العربية أدى بالضرورة إلى تراجع قيمتها.

2- الافتقار إلى التنسيق و التكامل بين الجهود و المحاولات المبدولة<sup>2</sup>، و هذا أمر مثير للقلق، لأن عدد الباحثين المهتمين بهذا الفرع الجديد ما زال محدودا، و يمكنهم أن يبذلوا جهدا أكبر نحو التنسيق حتى لا تظهر سلبيات مثل: تكرار تناول نفس الموضوع بنفس الأدوات

<sup>1</sup> - أنظر: هاني نسيرة: اللغة العربية مشاكل عديدة، مجلة معهد العربية للدراسات، الأربعاء 18/12/2013م (studies.alarabiya.nrt)

<sup>2</sup> cel - حسين البسومي، من مشكلات حوسبة اللغة العربية: أسباب ضعف اللغة العربية على شبكة الإنترنت، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

التحليلية و نفس الاستنتاجات، المعلومات التي ينقض بعضها بعضا و خاصة في الإحصاءات، عدم التأريخ الدقيق للمعطيات، اختلاف طرق الإحالة و الفهرسة فيما يخص مواقع الويب.

3. عدم الالتفات إلى بعض الجوانب الأساسية التي تمثل تمهيدا و مدخلا منهجيا و معرفيا لهذا الفرع البحثي، و تسبب هذا الأمر في إحساس عام بغياب الرؤية الواضحة و الأهداف المقنعة التي تقوي الغطاء المنطقي و القانوني الذي يمنح هذه البحوث حصانة و جدارة، و يجعلها محط اهتمام و تركيز أكبر خاصة عند الباحثين الشباب.

4. نقص المفاتيح الدلالية و مختلف أدوات الكتابة العلمية التي ترفع مفعول النظرة العلمية و تنقلها من التوقع النظري إلى صلة و ارتباط أكثر بالواقع اللغوي الفعال و المتحرك، و هذا يستدعي تركيزا موازيا على تقوية وجود البحث اللساني العربي في البيئة الرقمية نفسها، من خلال: شبكة المواقع الرسمية و الشخصية للمؤسسات و الباحثين المختصين في هذا المجال، قوائم البحوث المنشورة و المتاحة على الشبكة، المجلة العربية الرقمية المختصة في بحوث الإنترنت و المدونات الرقمية.

### 3- تقييم مصدر بحوث الإنترنت في اللسانيات العربية:

1- الإنترنت هو بلا منازع حاليا مصدر الإرسال و الاستقبال الأول للمعلومات و المعطيات باللغة العربية، سواء المعلومات العلمية أو غير العلمية.

2- نشاط تحرير و كتابة البحوث الجامعية و غيرها من الكتب العلمية و الأدبية و الدراسات المفيدة يعتمد كثيرا على المادة المقتبسة من الإنترنت، نظرا لما توفره من سرعة و تخفيض واضح في الجهد و التكاليف.

3. إن ميدان دراسة و تحليل المدونات الرقمية قد عرف نموا سريعا في السنوات الأخيرة، و يعتقد بعض علماء اللسان أنه أكثر الفروع اللسانية نموا و الأوفر حظا لاستمرار نموه أكثر فأكثر.

4. ينبغي الاستفادة المعقولة من تجارب اللغات العالمية الأخرى في دراسة و رصد تأثيرات هذا المكون اللغوي الجديد عليها، و هناك إجماع واضح المعالم يتراءى في الخطاب العلمي لمجموع الباحثين المهتمين بلغة الإنترنت يقر من خلاله المعنيون بوجود صعوبات حقيقية تواجهها اللغات الرسمية في البيئة الافتراضية، و على وجه الخصوص في مواقع الدردشة و مواقع التواصل الاجتماعي، و هناك دراسات كثيرة تظهر أن عدم الالتزام بقواعد الكتابة، و قواعد النطق السليم أصبح مفعوله يتخطى الفئة الصغرى و الشبابية و فئة الأقل تعليماً، و أصبح مظهراً مألوفاً عند أصحاب التعليم العالي، بما في ذلك المختصون في اللغة و علومها.

5. الوسائط السمعية و السمعية-البصرية تمثل النسبة الغالبة من محتوى الإنترنت اللغوي، و هي بلا شك رصيد هام جداً يتولى على الكثير من المحاضرات و الدروس و تسجيلات المنتديات و المنتقيات و نحو ذلك، و قد أصبح واجباً التفكير بجدية في تفعيل هذه الوسائط و إتاحة الفرصة للباحثين و الأساتذة و الطلاب للاستعانة بها في نشاطهم الروتيني بصورة طبيعية و إقرارهم و إرشادهم للطرق المنهجية الملائمة لذلك، و هذا يتطلب حركة أخرى سريعة نحو إضافة الجزء المتعلق بطرق و تقنيات البحث في الإنترنت إلى مجموع المادة المكونة لمقياس منهجية البحث العلمي حتى يتلقى الطالب التكوين المتكامل الذي يتماشى مع أبرز التغييرات و التطورات التي حدثت في مجال البحث العلمي.

### المطلب الثالث: المصادر المتجددة.

هناك مصادر يطالها التجديد و التغيير أكثر من غيرها، يتعين على الباحثين و الطلاب أن يدركوها، و أن يحتاطوا لما تتطلبه من تحيين و مراجعة أولاً بأول.

هناك أربعة مصادر تتميز بتجديدها الدائم و بينها تفاوت في هذه الميزة و هي:

1. الأطر النظرية.

2. مناهج و طرق البحث.

3. الاكتشافات العلمية.

4. البحوث و الدراسات المنشورة.

أولاً: الملاحظات الأساسية حول هذا النوع من المصادر.

1. ليس كل جديد ناقضا للقديم السابق عليه؛ هناك ما هو مكمل أو معدل أو مطور، و هناك طبعاً ما هو هادم لما سبقه كلياً أو جزئياً.

2- وتيرة التجديد في نشاط البحث اللساني العالمي سريعة و كثيفة جداً، و لا يمكن للباحث المنفرد أن يرصدها كما يجب، و البديل الأمثل هو اضطلاع هيئة علمية وزارية أو على مستوى الاتحاد الإقليمي للجامعات تتخصص في هذا الرصد باستخدام أدواته و تجهيزاته و إجراءاته الملائمة، و يمكن أن يعهد بهذا الأمر إلى مراكز بحث تكمل البحث الجامعي النمطي.

3- مجموع التجديد الذي أصابت منه اللسانيات حظاً يعد كبيراً و شبه شامل؛ تحولات صريحة في المناهج و طرق البحث، و كذلك في النظرة العلمية إلى اللسان البشري.

4. التمرکز في شبكة الانترنت حول اللغة الانجليزية له مزايا و عيوب؛ فمن مزاياه أنه يوحد الوعاء اللغوي العالمي قدر المستطاع، و يجعل حركة البحث سريعة و النتائج غزيرة و آنية. و من أبرز عيوبه تعميمه القسري لنمط معين من الثقافة اللغوية تعكس انحرافاً عن الواقع اللغوي العالمي الذي لا تمثل فيه الانجليزية هذا التمدد و الاكتساح المطلق، و من عيوبه الواضحة أنه حالة مضللة فإن الأغلبية العظمى من الأعمال المنشورة هي ملخصات و مقتطفات و لا تظهر القيمة الحقيقية للمجهود العلمي إلا في لغته الأصلية. و يجب أن ندرك بأن هناك عدداً لا يستهان به من البحوث اللسانية الممتازة حررت بلغات حية كثيرة، لا سيما الإيطالية و الإسبانية و الألمانية، ناهيك عن البحوث اليابانية و الصينية.

ثانياً: رصد أهم عناصر التجديد.



## 1. تطور الطرح التوليدي:

قدم نوام تشومسكي سنة 1993م ورقة بحث اقترح فيها مجموعة تعديلات على الإطار العام للنظرية التوليدية وضعت تحت مسمى: برنامج الحد الأدنى<sup>1</sup>. و تم التأكيد على أن هذا الاقتراح هو برنامج عمل و ليس نظرية جديدة، لثلا يعتقد الباحثون بأن الإطار الأساسي للنظرية التوليدية و هو القواعد العالمية قد تم التخلي عنه أو تغييره<sup>2</sup>، و يصف تشومسكي هذا الاقتراح بأنه نموذج إرشادي يوجه نشاط البحث و التحقيق في الظاهرة اللغوية هدفه توفير ميزتي التحكم و الاقتصاد، و يعتقد تشومسكي بأن أول نقطة ينبغي أن يشرع في تقليصها إلى الحد الإجرائي الأدنى هي الأسئلة و الإشكالات اللغوية العامة<sup>3</sup>، و حسب زعمه فإن السؤال الأساسي الجامع الذي يترجم الانشغال التوليدي هو البحث في تعليل خصائص اللغة البشرية، و بعبارة أخرى: لماذا تكون اللغة البشرية الخصائص و المميزات التي هي عليها؟

إن جوهر الاقتراح الجديد هو التقليل من وسائط و أدوات التحليل خاصة تلك المستعملة في مجال: التمثيل الأعلى للظواهر اللغوية؛ تمثيل المكون الصوتي و المعجمي و التركيبي. مجال التحويلات؛ التحول من العبارات الأصول (المدخلات) إلى العبارات المتولدة و المشتقة منها بطريقة آلية (عن طريق عمليات مرتبة= خوارزميات).

يشيد تشومسكي بهذا البرنامج و يصفه بأنه نموذج للبحث و التحقيق يتسم بالمرونة و الفعالية لأنه يقلص مطالب و أدوات البحث إلى أبسط صورة ممكنة، أو بعبارة أدق: لأنه يلغي و يستثني كل المفاهيم و الإجراءات الصورية و المنطقية التي لا تؤثر في عملية ارتباط الصوت بالمعنى، و بالتالي لا تفيد في معرفة و اكتشاف حقيقة الملكة اللغوية.

<sup>1</sup> - برنامج الحد الأدنى (MP= minimalist program).

<sup>2</sup> - أنظر: Chomsky, Noam (1993). A minimalist program for linguistic theory. MIT press, occasional papers; n 01, pp 1-52.

<sup>3</sup> - أنظر: Chomsky, Noam (1995). The minimalist program. Cambridge, MASS, MIT press,.

تطلب الماضي قدما في هذا الاقتراح الجديد إحداث تغييرات أساسية على الجهاز المفاهيمي للنظرية التوليدية يجعلها مختلفة بوضوح عن صيغتها التي استقرت عليها في نظرية التحكم و الربط<sup>1</sup> التي اقترحت منذ أوائل الثمانينات. تتلخص هذه التغييرات في العناصر الآتية:

1. تعميم نظرية -س<sup>2</sup> في بنية العبارة الأصلية<sup>3</sup>.
2. تبسيط مستويات التمثيل؛ الاستغناء عن مفهومي البنية السطحية و العميقة و الاعتماد على التمثيلين المنطقي و الصوتي<sup>4</sup>.
3. إلغاء مفهومي التحكم و الربط (العناصر المشرفة و المهيمنة على غيرها).
4. إدراج نقطتي تفاعل يطلق عليهما نقاط الخروج الإملائي.

أما استفادة الدراسات اللسانية العربية من هذه التطورات النظرية فيمكن التطرق إليها مبدئيا انطلاقا من أمرين:

أولا: زيادة التركيز على الصورنة و تطوير الأنماط و الصيغ التمثيلية لمستويات اللغة العربية العليا<sup>5</sup>؛ الأصوات، المعجم، التراكيب. و الهدف من هذا النشاط هو الكشف عن المخزون من الأدوات و الإجراءات و المكلمات المتوفرة فعليا و ذلك القدر الذي يحتاج إلى مزيد من الإبداع و التجديد.

<sup>1</sup> - نظرية التحكم و الربط (GB= theory of gouvernement and bunding).

<sup>2</sup> - نظرية -س (x-bar): تختص ببنية المكونات؛ الجمل، العبارات، الوحدات الصغرى. هدفها: وصف العلاقات الصورية (الناجمة عن الترابط و التركيب) بين الوحدات في الجملة، ميزتها في النظرية التوليدية: توفير نماذج تقرب (بصورة تمثيلية= المخططات الشجرية) الخصائص المميزة لشكل العبارات و صورتها (الناجمة عن التركيب) في كل العبارات كقاعدة عامة الوجود و بالتالي عامة التطبيق. أنظر: مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 97-98.

<sup>3</sup> - بنية العبارة الأصلية (BPS= bare phrase structure) و هي العبارة الخالية من الزوائد= الأصل الذي ينطلق منه التوليد و يجب أن يكون أبسط صورة للعبارة.

<sup>4</sup> - مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 238.

<sup>5</sup> - محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة، ص 9.

ثانياً: تحريك آليات الاستكشاف للعثور على مناطق اهتمام و مواضيع جديدة و أفكار مختلفة<sup>1</sup> عما هو سائد و متداول بصورة متكررة و غير مجدية في الأدبيات البحثية الحالية داخل الوطن العربي و خارجه.

## 2. اقتراح القدرة اللغوية الخاصة (FLN):

كان الباحث المتخصص في البيولوجيا التطورية (مارك هاوسر) هو أشد الداعين و المتحمسين لإنشاء اختصاص فرعي جديد، متعدد الخبرات، يبحث بصورة مركزة في الملكة اللغوية الخاصة (FLN)، أو القدرة اللغوية في حدودها البشرية الحصرية، و يأتي هذا الطرح متماهيا مع فرضية تشومسكي و إطاره البيولوجي التي تؤكد بأن اللغة بوصفها قدرة تواصلية ليست حكرا على بني البشر، بل هي قاسم مشترك بين جميع الأنواع في المملكة الحيوانية، و يحاول، بدلا من ذلك، أن يرصد العمليات الآلية لظاهرة الاستدعاء الذاتي (recursion) التي يعتقد فريق من العلماء أنها المظهر الوحيد الذي تنفرد فيه الملكة اللغوية الإنسانية عن بقية أنظمة التواصل في مملكة الحيوان، حيث إن هذه العمليات يجب أن تكون مرتبة و تلقائية، كما هو الحال في الخوارزميات الحاسوبية.

و ينطلق تشومسكي و علماء آخرون من حجة مفادها أن الجمل الصحيحة في اللغات البشرية غير قابلة للتحديد، فليس هناك إمكانية للجزم بعدد الجمل و العبارات الصحيحة في لغة من اللغات، كما أن طول الجملة الصحيحة؛ من حيث عدد وحداتها، و درجة تداخلها تنطبق عليه نفس الملاحظة السابقة (لا يعد و لا يحصى)، و قد أشار تشومسكي في برنامج الحد الأدنى إلى التشابه بين هذه الظاهرة، ظاهرة التكرار و عودة ظهور نفس الجملة في داخل الجملة ذاتها بطريقة منظمة و مرتبة، مع مفهوم الاستدعاء الذاتي المعروف في الرياضيات

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي. سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 207-229.

الحديثة<sup>1</sup>. و مقتضاه أن مكونا من المكونات يعود ليظهر داخل نفسه بصورة متكررة لا تتوقف إطلاقاً؛ و ذلك كوجود مرأتين متقابلتين تماما فإن كليهما تعكس ما في الأخرى (و هو واحد) إلى ما لا نهاية. و قوامها من الناحية الرياضية و الحاسوبية حالة أساس يعاد الرجوع إليها آليا عن طريق مجموعة مضبوطة من القواعد، و قد تسمى هذه القواعد أحيانا ميكانيزمات أو وسائط

في دراسة نشرتها مجلة العلم الأمريكية حول هذا الموضوع يقترح الباحثون أن القدرة اللغوية يمكن النظر إليها من جانبين؛ نظرة واسعة النطاق ( Faculty of Language in Braod Sense= FLB) تشترك فيها كل الفصائل و الأنواع داخل مملكة الحيوان، بما في ذلك الإنسان طبعاً، و تتكون هذه القدرة من ثلاث قواسم مشتركة هي على التوالي:

- 1) النظام الحسي الحركي (sensory- motor system).
- 2) نظام تجريد و بناء المفاهيم (conceptual-intentional system).
- 3) الميكانيزمات الحاسوبية (الرياضية) لعمليات الاستدعاء الذاتي (الإعادة المتكررة) (computational mechanisemes of recursion).

و يعتقد الباحثون أن المهمة الأساسية لهذه القدرة العامة هي منح إمكانية إنتاج و توليد فئات لا نهائية من العبارات انطلاقاً من مجموعة منتهية من الوحدات، و يفترضون أن القدرة اللغوية في النطاق الضيق، أي بوصفها خاصية بشرية متفردة ( Faculty of Language in Narrow Sense= FLN) تتكون من مكون واحد فقط هو: عملية الاستدعاء الذاتي التي تمكن الإنسان من تكرار جمل متشابهة بطول غير محدد<sup>2</sup>، فهذا التابع اللانهائي هو حالة خاصة من تعريف الاستدعاء الذاتي في الرياضيات؛ و كثيراً ما نجد الجملة تبدأ بفعل تتبعه

<sup>1</sup> - الاستدعاء الذاتي في الرياضيات و الحاسوبيات يشترط الانطلاق من حالة أساس + مجموعة قواعد ترجع إلى الحالة الأساس + تكرر نفس العملية إلى ما لا نهاية. مثلاً: التعريف بالاستدعاء الذاتي لمجموعة الأعداد الطبيعية.

<sup>2</sup> - أنظر البحث التالي: "Mark D.Houser, Noam Chomsky, W. Tecumseh Fitch," The Faculty of Language: What is it, Who Has it, and How it Evolve", Science Magazine, Vol 298, 22-11-2002, pp 1569-1579.

مباشرة جملة، و هذا يعني أن الجملة كمكون ملتصق بالفعل ستتكرر لانتهائيا و بصفة آلية، على سبيل المثال:

لتكن الجملة ج = فعل + اسم. أو اسم + اسم.  
لدينا الجملة ج1 = دخل + المعلم الجديد (جملة من نوع: اسم+اسم).  
يتكون لدينا استدعاء ذاتي للأساس (ج) = تكرر متماثل لا نهائي، على الشكل الآتي:  
[دخل+(المعلم الجديد)+(المهذب الأنيق)+(المجتهد الدقيق)+(الواضح المنضبط)+...]  
[دخل + (اسم+اسم)+(اسم+اسم)+(اسم+اسم)+(اسم+اسم)+...]

و اعترض باحثون آخرون على هذا الاقتراح الذي يحصر القدرة اللغوية البشرية في ملمح واحد هو الاستدعاء الذاتي للتركيب، و ما تبقى من اللغة فهو إما خاصية ينفرد بها الإنسان و لا تنفرد بها اللغة مثل: الكلمات و المفاهيم، و إما مشترك بين جميع المملكة الحيوانية مثل: التعرف على الكلام. و وجه الاعتراض أن هذا الاقتراح يهمل العديد من جوانب القواعد اللغوية (النحو بمفهومه العام) التي ليست من قبيل الاستدعاء الذاتي، و ذلك مثل: الفونولوجيا، الميزان الصرفي، الحالة الإعرابية، و كثير من خصائص الكلمة. كما أنه يتعارض مع التشريح المخبري، و التحكم العصبي في مجاري الصوت عند الإنسان. و تظهر التجارب حول التعرف الآلي على الكلام أن هذا الزعم ضعيف لعدم وجود إمكانية إثباته بواسطة مجموعة تجارب أولية<sup>1</sup>.

### 3. النظرية التوليفية (الدلالة التصويرية)<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: Steven Pinker, Ray Jackendoff, "The Faculty of Language: What's Special about it?", elsevier cognition n 95 (2005), pp 201-236

<sup>2</sup> - النظرية التوليفية = Combinatoriality

تدخل النظرية التوليفية في إطار أبرز النظريات اللسانية الحديثة التي تحاول أن تفهم الظاهرة اللغوية بصورة شاملة، و أن تحدد خصائصها و مكوناتها الجوهرية، و أن تشخص الإبداع اللغوي عند بني البشر، و ذلك كله بهدف الفهم أولاً؛ و هو الهدف الموضوعي للعلم، و بهدف السيطرة و التحكم ثانياً؛ و ذلك باستغلال و توظيف هذه الخصائص و المفاهيم في تطوير أنواع الاتصال و التواصل اللامحدودة التي يساهم فيها المكون اللغوي بصورة مباشرة أحياناً و بصورة غير مباشرة في أحيان أخرى.

و تعد النظرية التوليفية في الوقت الحالي نظيراً للنظرية التوليدية و منافساً لها في الآن معاً؛ تقاسمها نفس مجال البحث تقريباً، و هو الأسس المعرفية للظاهرة اللغوية بصفة عامة، و لظاهرة التركيب و التعقد و التنظيم الشديد بصفة خاصة. لكنها تقترح تصوراً مخالفاً لتشومسكي و فريقه، و متجاوزاً لمشاكل هذا الأخير- بحسب زعم التوليفيين كجاكندوف و بينكر و غيرهم.

يعد عالم اللسان الأمريكي راي جاكندوف مؤسس هذه النظرية الجديدة، و يصرح بأنها إطار عمل نظري مختلف اختلافاً رئيسياً عن الإطار التوليدي، و لا يمكن تصنيفه كفرع عليه أو توجه من توجهاته<sup>1</sup>.

لقد استفاد الطرح التوليفي من ميزة الانفجار المعلوماتي في الفترة المعاصرة، و يعتبر في حد ذاته جزءاً من مجموع الاتجاه المعرفي الذي يسيطر على البحث العلمي المعاصر. و استفاد بصورة واضحة من بحوث المعلومات (علم الإعلام الآلي=الدراسات الخاصة بالحوسبة النظرية) و لا سيما الفروع النشطة جداً في الوقت الحالي و هي الإنتاج الآلي للكلام، و التعرف الآلي على الكلام، و حاول أن يطبق نتائج اللسانيات العصبية و النفسو-عصبية في تطوير تصور واضح و متين يبين الكيفية التي يشتغل بها الذهن البشري أثناء إنتاجه للكلام الطبيعي<sup>2</sup>. و لذلك كثر في بحوثهم الحديث عن نشاط الذاكرة و أقسامها، و خصائص تحليل المسموعات في الذهن، و

<sup>1</sup> - توفيق قريرة، الترابط الذهني بين المستويات اللغوية. سلسلة بحوث: آفاق اللسانيات. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مارس 2011م، ص 68.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 69-71.

العمليات المتحكمة في آلية ترميز و تشفير عناصر الفضاء؛ المكان و الزمان و الصوت و الصورة و غير ذلك.

من أهم أفكار النظرية التوليدية فكرة النحو الذهني، و فكرة المعجم الذهني، فاللغة بوجه عام هي ظاهرة معرفية و ليست ظاهرة نحوية أو تركيبية<sup>1</sup>، و معنى هذا أن الكلام البشري يتم إنتاجه على مستوى الذهن بواسطة مجموعة من الأنظمة (البنى القاعدية) لكل منها استقلال في نشاطه و آلياته لكنها تعمل بالتوازي فيكمل بعضها بعضاً كأنها شبكات على مراحل و طبقات تتصل كل منها بالأخرى عن طريق عقد أو عصيات. هذا طبعاً مختلف عن التصور التوليدي الذي يعتبر إبداعية الكلام البشري و تنظيمه المدهش نتيجة لمجموعة واحدة و منسجمة من الوسائط كلها راجعة إلى المكون التركيبي، أما المكونات الأخرى؛ الصوتية و الفونولوجية و الدلالية فهي عوامل مساعدة على التأويل و لا تتدخل في التأليف و الترابط إلا بصورة عرضية.

بناء على التصور الأنفي يميز جاكندوف بين الهندسة المتوازية<sup>2</sup> في فهم و تحليل ظاهرة التركيب و التعاضد اللغوي، و هو التصور التوليدي، و المركزية التركيبية<sup>3</sup> التي يصر عليها تشومسكي في كل أبحاثه و خاصة بعد التعديلات المقترحة في برنامج الحد الأدنى.

يعمل الباحث محمد غاليم في معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب في الرباط منذ سنوات عديدة على تكييف معطيات النظرية التوليفية في بحوث الدلالة الخاصة باللغة العربية، و تدخل أعماله تحت إطار فرعي من الأطر الأربعة المشهورة لهذا الاتجاه و هي نظرية الدلالة التصويرية التي تعتبر المعنى اللغوي حقيقة نفسية، حيث يتم بناء المعنى في إطار مجموعة من العمليات على

<sup>1</sup> - محمد غاليم، هندسة التوازي النحوي و بنية الذهن المعرفية. سلسلة بحوث: آفاق اللسانيات. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مارس 2011م، ص 63-65.

<sup>2</sup> - الهندسة المتوازية (Parallel Architecture).

<sup>3</sup> - هندسة المركزية التركيبية (Syntactico-centric Architecture).

المستوى النفسي-الذهني-العصبي، و هذا يعني أن مجال الدلالة الحقيقي هو علوم الإدراك و ليس البنى النحوية-الصرفية<sup>1</sup>.

يفترض التصور الآنف أن هناك تمثيلاً ذهنياً للعالم و تمثيلاً ذهنياً للجمل و العبارات بينهما ارتباطات قابلة للرصد و التعيين، و مجموعها يشكل القدرة اللغوية عند الكائن البشري. و المعنى اللغوي هو بنية معلومات مستقرة في الذهن عن طريق رموز و شفرات محددة، و المعنى التصوري (المجموعة المشفرة) لا تحيل مباشرة إلى وقائع موجودة (العالم الواقعي) حتى يقع عليها عملية فك التشفير. و كل شيء تنقله اللغة في عباراتها فإنه منقول بواسطة الشفرة المعبرة عنه في الذهن، و ما لا يوجد له في الذهن مثال من هذا النوع لا تستطيع اللغة أن تعبر عنه. يتم التعبير عن هذا التصور بلغة تقنية أكثر بساطة في بحوث جاكنودف الخاصة بنظرية الحوسبة و الإدراك الآلي للكلام من خلال ثنائية: البرامج و العتاد؛ هناك برامج تشغيل بمثابة وظائف، و عتاد بمثابة الدماغ<sup>2</sup>.

السؤال الأساسي في هذا المجال هو سؤال اكتساب اللغة، و يصاغ كما يلي: كيف تقوم في ذهن الطفل قواعد لغته؟ و ما هي طبيعة و خصائص المعرفة السابقة التي يحتاجها، أو التي يجب أن يكون مزوداً بها مسبقاً، ليتمكن من إحكام هذه اللغة في ظرف وجيز؟

يتطرق المؤلفون هنا إلى مسألة فقر المنبه؛ الطفل لديه جميع الاختيارات الممكنة في العبارة؛ الصحيحة و الخاطئة، لكنه لا يختار إلا الصحيح الموافق للمجموعة اللغوية و هو الذي ينشأ عليه، و هذا يعني أنه يعرف هذا الاختيار، أو بعبارة أدق يمتلك نوعاً معيناً من المعرفة يمكنه من ترجيح هذا الاختيار بصورة فعالة و دائمة. فأى نظرية لغوية تبحث في هذا المجال يتعين عليها

<sup>1</sup> - محمد غاليم، المعنى و التوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي. منشورات معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب-الرباط، 1999م، ص 47.

<sup>2</sup> - محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة: مبادئ و تحليل جديدة. دار توبقال للنشر-الدار البيضاء، ط 2007م.



أن تحدد خصائص المعرفة الوظيفية التي تشكل أساس التعلم، و لكنها في الوقت نفسه غير قابلة للتعلم لأنها على الأرجح فطرية أو بيولوجية<sup>1</sup>.

المعنى، و هو المظهر الأكثر تعقيدا و غموضا من اللغة، يبحث في إطار نظرية الدلالة التصورية؛ المعنى بهذا الاعتبار هو البنية التصورية: تمثيلات (تعبير رمزي مشفر للموجودات) منظم و مترابط بطريقة قابلة للتحديد.

## المبحث الثاني:

### الحركة المستقبلية.

#### المطلب الأول: تحليل الواقع اللساني العربي.

ينطلق الفكر اللساني العربي المعاصر في حركته نحو تصور المستقبل من فحص عميق و أمين للواقع اللساني الحالي، عن طريق الرصد و التشخيص، و من ثم تنظيم الثروة اللغوية الضخمة التي تكونت على مدى قرون طويلة.

ويحتاج هذا المسعى إلى تعامل خاص و دقيق مع حصاد الخطاب العلمي الذي واكب هذه الذخيرة الحضارية الثمينة، و ذلك ليقوم بأهم الواجبات التي تفرضها المرحلة الحالية على العقول العربية و هي: التفكير المستمر في تحقيق الإنجازات الأساسية، و تمكين اللسانيات العربية من المعرفة التقنية و ووسائلها<sup>2</sup>.

إن فريقا معتبرا من النخب اللسانية العربية يبدي عناية خاصة لمتطلبات المرحلة الحالية، و ما يتطلبه التحضير لمستقبل البحث و التكوين في هذا الفرع العلمي من تأسيس قوي و صارم، و لا سيما في رصد الواقع اللغوي المكثف و المعقد، و تنظيم المادة اللغوية المنطوقة و

<sup>1</sup> - محمد غاليم، المعنى و التوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي. منشورات معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب-الرباط، 1999م، ص 38-39.

<sup>2</sup> - أحمد الملاخ و حافظ إسماعيلي علوي، قضايا إستيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1: 1430هـ/2009م. ص 18، 19، 301-310.

المكتوبة باللغة العربية على أسس و أنظمة تلائم التطور التقني و النوعي الذي بلغته التكنولوجيا اللغوية المعاصرة، لتكون الأعمال و البرامج البحثية و التكوينية اللاحقة ذات آفاق و مردودات إنجازية تشهد لها، و تترجم عنها.

### الجانب الأول: الإنجازات الهيكلية و التنظيمية:

#### أولاً: المرافق و الهياكل الداعمة للغة العربية و آدابها.

إن اللغة العربية بوصفها لغة من اللغات العالمية الحية و المتداولة هي **الموضوع الأساسي للسانيات العربية<sup>1</sup>**، و المادة الأولية لكل بحث يدخل في هذا المجال، و الفكر اللساني المعاصر ينظر بعين راصدة و شديدة التركيز لكل تطور تكون هذه اللغة طرفاً فيه، إما مفيداً أو مستفيداً. و لهذا يحتاج هذا الفكر في مساعيه المنطقية للتوسع و النضج إلى الوقوف على الميادين و المرافق التي تلتزم قانوناً أو عرفاً بمواكبة هذه اللغة و تحسين وظائفها و عطائها.

هناك أربع مرافق داخل النسيج الأكاديمي و الاجتماعي العربي تعمل على تنظيم و مواكبة نشاطات التكوين و البحث و الإعلام الخاص باللغة العربية، و هي: الجامعات، مراكز البحوث، الهيئات الوطنية و الإقليمية و الدولية، و المؤسسات المستقلة.

تتحم هذه المرافق في **المقام الأول** بتدريس اللغة العربية و دعم برامج البحث العلمي النظرية و التطبيقية الهادفة إلى رصد و تنظيم و تطوير هذه اللغة، و متابعة تأثيرها و تأثرها المتبادل مع مختلف البيئات العلمية و التعليمية و الإدارية و الاجتماعية و الدولية التي تقاسمها المجال الحيوي للتداول و الاتصال.

و من المهام الرئيسية التي تركز عليها المرافق الآنف ذكرها نشر الآداب و الفنون و التراث الثقافي و الحضاري الذي تم إنتاجه خلال خمسة عشر قرناً من الزمان باللغة العربية، و

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، دار ورد للنشر و التوزيع-الأردن، ط1: 2013م، ص 9-

قد وصل تأثيره إلى كل أرجاء المعمورة، و هو يواصل تأثيره و عطاءه بصور و أشكال عديدة تحتاج إلى مزيد من العناية و التحقيق.

يوجد في الوطن العربي حالياً أكثر من ثلاثمائة جامعة، تضم في ربوعها أكثر من ألفين و خمسمائة كلية و معهد في مختلف الفروع و الاختصاصات العلمية. من بينها حوالي ثلاثمائة معهد و كلية للغة العربية و آدابها، إضافة إلى نحو خمسين مركزاً و مؤسسة رسمية و خاصة للبحوث اللغوية و الأدبية و النقدية. يبين الجدول الموالي المرافق المتوفرة في الوطن العربي، و القليل من المراكز خارجه، بدلالة التقسيمات الأربعة المشار إليها أعلاه<sup>1</sup>.

طبيعة النشاط	الهيكل المتوفرة	نوع المرفق	
التكوين-التعليم-البحث العلمي.	300 معهد و كلية للغة العربية عبر مختلف البلدان العربية.	الجامعات	1
البحوث الأساسية و التطبيقية.	50 مركزاً و مخبراً	مراكز البحوث	2
ضبط المقاييس و التشريعات- التعريب-التحقيق-صيانة التراث.	40 هيئة وطنية و إقليمية و دولية	الهيئات	3
النشر و الإعلام-الخدمات التوثيقية و المكتبية-دعم الأفكار و البرامج البحثية.	10 مؤسسات ذات استقلال اعتباري <sup>2</sup>	المؤسسات المستقلة	4

جدول 9: المرافق العلمية و الثقافية الداعمة للغة العربية و علومها و آدابها.

### ثانياً: دورة التكوين.

يعد تكوين الجيل الحالي و القادم من الطلبة و الباحثين المزودين بالمعرفة اللسانية الملائمة إلى جانب الخبرات و المهارات الأكاديمية اللائقة الشغل الشاغل لكثير من النخب اللسانية

<sup>1</sup> - اعتمد في هذه المعطيات على البيانات التي توفرها بعض المؤسسات المختصة في قواعد المعلومات البحثية العربية و على الخصوص بيانات دار المنظومة لخدمات و تقنيات المعلومات (www.mandumah.com)، و بنك المعلومات العربي: آسك زاد Ask Zad (www.askzad.com).

<sup>2</sup> - من الناحية القانونية.

العربية، بل إن هذا الملف يعد هاجسا و قاسما مشتركا بين المكونين و الإداريين و كثير من المثقفين غير المتخصصين<sup>1</sup>، إذ نجد هؤلاء جميعا على قناعة و إدراك تام بالدور الكبير الذي يتوقع لبرامج التكوين الفعالة و المنظمة أن تضيفه لا لمجال البحوث اللغوية فقط، بل لمجالات التنمية الاجتماعية و الثقافية و الإعلامية من عدة وجوه.

بالرجوع إلى البيانات المقدمة في الفقرات السابقة، و بناء على العدد التقريبي لمعاهد و كليات اللغة و الأدب العربي حول الوطن العربي الذي يفوق 300، و إذا وضعنا عددا وسطيا للطلاب في كل معهد يساوي 500 طالب، يؤطّهم وسطيا 7 أساتذة كحد أدنى، فإن العدد التقريبي الأدنى لطلاب اللغة و الأدب العربي في كل دورة (3-4 سنوات) هو 150.000 طالب، يؤطّهم 2100 أستاذ. هذا يعني أنه تم في كليات اللغة و الأدب العربي بناء على التقديرات الدنيا تكوين قرابة 600.000 طالب، و إعداد 6400 أستاذ لتأطيرهم، خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة، أي: منذ مطلع الألفية الثالثة إلى الوقت الحالي.

هذه التقديرات تظهر بوضوح أن عملية التدوير داخل قطاع التكوين على مستوى الجامعات جارية بدون أي توقف، و هناك زيادة كمية مستمرة في المدخلات؛ أعداد الطلبة و الأساتذة المكونين. و زيادة مكافئة لها -نسبيا- في المخرجات؛ عدد الخريجين (الليسانس/الباكالوريوس/الماستر) و حملة الشهادات العليا (الماجستير/الدكتوراة).

لقد خلفت الوقائع السابقة ردود فعل و آراء كثيرة متباينة، و في بعض الأحيان متعارضة و عصية على التنسيق و التوفيق. و مع الإقرار مبدئيا بوجود أزمة حقيقية و كبيرة في قطاع التعليم و التكوين شملت كل المستويات، فعلى أن ندرك باستمرار أن هذه الأزمة الجزئية عندنا في الوطن العربي هي جزء من أزمة كلية يشكو منها العالم بأسره في هذا القطاع الحساس، و هذا يتطلب منا مزيدا من العناية بالخصائص و العوامل البيئية الخارجية التي تعرقل

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ندوة اللغة العربية و النظريات اللسانية، كلية الآداب-فاس-المغرب. من 21-22/11/2007م، ص 6.

نشاط التعليم و التكوين في بلداننا مع الاستفادة من المقارنة و النقد البناء لتجارب الأمم الأخرى في هذا المجال.

### ثالثا: المنشورات.

هناك ثلاثة أنواع من المنشورات يمكن للباحث و الطالب أن يستفيد منها و هي:  
المجلات الدورية، البحوث الأكاديمية، و الدراسات و الكتب. و تتفرع هذه الأنواع إلى اثني عشر نوعا فرعيا على النمط الموضح فيما يلي:

1. المجلات الدورية	
1	<u>الدوريات و الحوليات الجامعية:</u> أكثر من 400 دورية و حولية تصدر فصليا و سنويا عبر معاهد و كليات اللغة العربية و آدابها عبر الوطن العربي. منتجة أكثر من 4000 عدد، و أكثر من 800.000 صفحة من البحوث و التحليلات و الآراء اللغوية و الأدبية و النقدية. تمكنت مؤسسة: دار المنظومة للأرشفة و التخزين المعلوماتي من بناء قاعدة بيانات لمجال اللغة و الأدب العربي تضم 305 دوريات. اعتمادا على 250 جهة أكاديمية من مختلف أنحاء الوطن العربي، خلال الفترة الممتدة من (1934-2015م). <sup>1</sup>
2	<u>مجلات مجامع اللغة العربية:</u>
1	مجمع القاهرة: 114 عددا حتى سنة 2010م.
2	مجمع دمشق: 420 عددا حتى سنة 2012م.
3	مكتب تنسيق التعريب-الرباط. 66 عددا حتى سنة 2011م.
4	مجمع الأردن. 87 عددا حتى سنة 2014م.
3	مجلات و كراسات المراكز و المخابر البحثية.

<sup>1</sup> - تقرير دار المنظومة لقاعدة بيانات اللغة و الأدب، ص10.

4	المؤسسات و الهيئات الراعية للغة العربية: المجلس الدولي للغة العربية-بيروت. 1107 بحثا منشورا لفعاليات المؤتمرات الثلاثة التي قام على رعايتها <sup>1</sup> ؛ الأول سنة 2012م (244 بحثا). الثاني سنة 2013م (363 بحثا). الثالث 2014م (500) بحثا.
<b>2. البحوث الأكاديمية:</b>	
1	<b>بحوث التخرج:</b> تتيح قاعدة بيانات دار المنظومة 70.000 بحثا جامعيًا تكميليًا و أساسيًا. معتمدة على إحصاءات 171 جامعة و كلية في الوطن العربي.
2	<b>الرسائل و الأطروحات:</b> تتيح مدونة لسان العرب الوصول إلى قاعدة بيانات مكونة من 640 رسالة ماجستير و دكتوراه في اللغة و الأدب العربي نوقشت خلال السنوات العشر الأخيرة.
<b>3. الدراسات و الكتب:</b>	
1	<b>دراسات و أبحاث عامة:</b> تتيح خدمة محرك غوغل للكتب 664.361 استرجاعًا للمداخل الأربعة التالية (علم اللسان (80.000) علوم اللسان (17.900) اللسانيات (33.700) علم اللغة (391.000)). كما يتيح محرك البحوث العلمية 49.434 لنفس المداخل الأربعة السابقة. و بحذف المكرر نستنتج أن قاعدة المعلومات تقدم وصفًا توضيحيًا ل: 300.000 عنوان في اللغة و اللسانيات. إضافة إلى 30.000 بحث و تقرير و دراسة علمية
2	محاضرات شخصية
3	كتب تعريفية (مداخل)
4	دراسات حالة
5	ترجمات

<sup>1</sup> - يقام المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية برعاية المجلس الدولي للغة العربية تحت عنوان: (المسؤولية تجاه اللغة العربية). في دبي-الإمارات العربية المتحدة، خلال الفترة الممتدة من: 17-21 رجب 1436هـ / 6-10 مايو 2015م. و يتوقع أن يشارك في فعالياته أكثر من 2000 شخصية من 70 دولة عربية و أجنبية لمناقشة و تقييم أكثر من 650 بحثا و مشاركة.

#### رابعاً: مجالات و فرص التكامل و التنسيق بين العوامل السابقة.

يتضح من البيانات السابقة أن هناك تطوراً كمياً و نوعياً لافتاً للنظر حدث في معظم التوجهات و الجوانب الراقية و الداعمة لنشاطات البحث و التكوين و التطوير المخصصة للغة العربية، و ينبغي أن نصنف هذا التمدد و التوسع الهيكلي في إطار الإنجازات، لأنه لم يحدث بالصدفة، بل كان نتيجة لجهود و إرادات تضافرت و تكاثفت طوال نصف قرن.

و المهم حالياً، بعد إعادة التقييم و الرصد المنظم لهذه الجهود، الإسراع إلى التفكير في سبل و طرق استغلالها لمصلحة البحث و التكوين في اللغة العربية خلال الآفاق القادمة<sup>1</sup>. و يمكن اقتراح خطة عمل تنطلق من التقييم الموضوعي للإنجازات، و تأخذ في الحسبان خصائص بيئتنا العربية؛ التكوينية و الاجتماعية و الإدارية، فنركز بصورة أساسية على تغطية النقص في الجوانب التي ما زالت تعاني ذلك<sup>2</sup>، و ندعم المسار الحالي للتوسع الهيكلي، بتركيز أكثر على الجوانب النوعية، و ذلك لتحقيق مقدار معقول من التوازن الذي يجعل للتكوين و البحث قيمته، و يقلل من الهشاشة و الافتقار العلمي و المهاري الذي يشكو منه الطلاب المتخرجون، و يلاحظه الأساتذة المؤطرون، و ينعكس أثره على الفضاءات العملية<sup>3</sup>؛ في المدارس و الجامعات و مخابر البحوث.

#### 1. تغطية الجوانب الفارغة و الناقصة:

<sup>1</sup> - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات و وثائق، عالم الكتب-القاهرة-مصر، ط1: 1425هـ/2004م، ص 32-36.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ندوة اللغة العربية و النظريات اللسانية، كلية الآداب-فاس-المغرب. من 21-22/11/2007م، ص 5-6.

<sup>3</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية، سلسلة آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1: مارس 2011م، ص 41-50.

عندما نقارن واقع العمل اللساني في أقطارنا العربية بنظائره حول العالم، و نخص بالذكر الجهود المخصصة للغة العربية؛ بوصفها لغة رسمية و وطنية في معظم البلدان العربية، و لغة ثقافية و شعائرية لمليار و نصف مليار من المسلمين حول العالم، نلاحظ أن هذا العمل الذي سجلنا بصدده إنجازات تستحق العناية و التأكيد، ما زال يشكو فراغا و نقصا في العديد من الجوانب الأساسية، و يسجل هذا الفراغ في المجالات البحثية، و فيما يخص التكوين و نشر المعرفة اللسانية حول اللغة العربية باللغة العربية.

و من الأفكار التي قد تساعد على تحقيق هذه الأهداف، و توسيع رقعة انتشار المعرفة اللسانية العربية، و تجلب على إثر ذلك اقتناعا و تفهما أكبر لأهمية هذه المعرفة و دورها الرائد و الأساسي في صيانة اللغة العربية، و التعريف بطاقتها الإبداعية و التعبيرية، و تطوير طرق تعلمها و اكتسابها، نقترح الأفكار الآتية:

### 1.1. الموسوعات العلمية و التعليمية و الثقافية:

الموسوعة هي عمل شامل، يتم فيه التوسع في أطراف و مجالات و فروع اللغة العربية و قضاياها، و يتيح الفرصة للكتابة في كثير من المسائل الدقيقة، إلى جانب القضايا العامة التي تم كل فرد و كل مواطن و كل ناطق باللغة العربية، و كل راغب في تعلمها، أو الإطلاع على ثقافتها، و مخزونها الإبداعي و الحضاري.

### 2.1. الكتب و الإصدارات الجامعية الأساسية:

يخصص لحقل اللسانيات العربية كتاب جامعي تصدره الكليات على حسب اختياراتها المنهجية، و قناعات اللجان العلمية الموجودة فيها. يقدم الكتاب صورة شاملة لهذا التخصص الأكاديمي، و يواكب تطورات الأبحاث النظرية و التطبيقية المقامة فيه.

إن هذا النوع من الإصدارات الرسمية سيتترك أثرا كبيرا على مشوار اللسانيات العربية في المستقبل، و هو أداة هامة و رئيسية للطلاب الجامعي، و للباحث العاكف على هذا الميدان. و من الضروري الإسراع و المبادرة إلى هذا المشروع المفيد، لنسد الفراغ المقابل له في اللغات



الأخرى؛ فاللغات العالمية كالإنجليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية تتوفر على هذا النوع من المؤلفات الذي تشرف على إصداره بصورة منتظمة العديد من الهيئات العلمية.

و نظرا للتأخر المسجل في هذا الميدان فقد تم ترك المجال لأطراف و جهات علمية حول العالم تغطيه بطريقتها الخاصة، و تخضعه بصورة واضحة لمناهجها و اختياراتها الفكرية و الأيديولوجية.

إذا نظرنا مثلا إلى ما كتب في موسوعة الإلسفيار البريطانية العالمية<sup>1</sup> حول اللغة العربية نجد الباحث النمساوي شتيفان بغوشاتسكا (prochazka) في مقال بعنوان (العربية) يروي قصة نشأة ما يسميه: العربية القياسية الحديثة (MSA).<sup>2</sup> و مفادها أنه خلال أواخر القرن 19م بدأ المثقفون العرب يكتشفون الحضارة الغربية (الأوربية) و عندما شرعوا في ترجمة الذخائر الأدبية الأوربية إلى اللغة العربية تفتنوا على الفور إلى الضعف و الخصاصة الفادحة التي تعاني منها اللغة العربية في مستوى المفردات (المعجم). و كانت هذه (الصدمة المعرفية الثقافية) نقطة انطلاق لما يعرف حاليا بالعربية القياسية الحديثة<sup>3</sup>.

أما (موسوعة اللغة العربية و اللسانيات العربية) التي أصدرتها جامعة بريل<sup>4</sup>، و أشرف على إعدادها الباحث الهولندي كيس فرستيخ، و شارك في إنجاز البحوث عدد كبير من الباحثين حول العالم، بلغ 500 باحث حسب تقديرات المؤسسة الأكاديمية الناشرة<sup>5</sup>، فنلاحظ

<sup>1</sup> - صدرت طبعتها الثانية سنة 2006م. عن دار الإلسفيار البريطانية في 16 مجلدا.

<sup>2</sup> - العربية القياسية الحديثة (MSA= Modern Standard Arabic). و يقصد في بحثه بالقياسية النمطية الخاضعة لقواعد النحو و الصرف القديمة، في مقابل الشائعة و المستعملة و هي اللهجات المحلية.

<sup>3</sup> - S Prochazka. **Arabic**. Encyclopedia of language and linguistics. 2<sup>nd</sup> edu. P - 424.

<sup>4</sup> - ضمن مشاريعها الموسوعية حول اللغة و اللسانيات و صدر منها بالإضافة إلى موسوعة اللغة العربية و اللسانيات العربية، موسوعة اللغة العبرية و اللسانيات العبرية (encyclopedia of hebrew language and linguistics)، و موسوعة اللغة اليونانية القديمة و لسانياتها (encyclopedia of ancient greek language and linguistics).

<sup>5</sup> - Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Brill 1<sup>st</sup> pub 2006.

أن هذه الموسوعة غطت جميع الجوانب و القضايا التي تدخل في حقل اللغة العربية و البحث اللساني المواكب لها بصفة متعددة التخصصات، إلا أن الدراسات المقارنة و اللهجية غطت على البحوث الرائدة و تحليلات التراكيب، و ليس فيها إشارة أو توسع كاف فيما يخص الفروع العلمية الجديدة و الطلائعية؛ كالمعالجة الآلية للكلام، و التطبيقات الحاسوبية على اللغة العربية، و طرق تعليمها و اكتسابها كلغة أولى أو ثانية.

### 3.1 الدراسات الرائدة و المواكبة:

تخصص الكليات سنويا قسما من بحوث التخرج لرصد و تجميع آخر مستجدات البحوث و الدراسات العلمية حول اللغة العربية و اللسانيات العربية في القطر الواحد، و عبر أقطار الوطن العربي، و ما يتم من فعاليات و أنشطة حول هذا المجال خارج الوطن العربي. و تطرح هذه الأفكار كمشاريع بحث قطاعية، و أساسية للباحثين في الدراسات العليا. ترصد هذه البحوث آخر مستجدات البحوث، بما في ذلك الجهود النظرية و التطبيقية، و أعمال المخابر و ورشات العمل، و الفعاليات الوطنية و الإقليمية و الدولية من مؤتمرات و ملتقيات و ندوات و أيام دراسية.

هذا النوع من البحوث، الذي يركز على رصد المعلومات، و تنظيمها في شكل تقارير و معطيات رقمية و رزنامات و قتيية واضحة و معلومة، من شأنه أن يوفر للباحثين و الأساتذة و الطلاب، و القائمين على الإدارة و التخطيط قاعدة مرجعية صلبة في اختيار المواضيع<sup>1</sup>، و تطوير أواصر المراسلة و التعاون، و اتخاذ القرارات و التدابير الإجرائية و التنظيمية المؤثرة<sup>2</sup>.

### 2. التوازن بين الجوانب الكمية و النوعية:

تطغى الجوانب الكمية بصورة مفرطة و مستمرة على الجوانب النوعية، يلاحظ هذا الأمر في التدابير التنظيمية الأساسية التي تصب كل تركيزها على زيادة إنشاء و تجسيد الهياكل

<sup>1</sup> - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص 35-36.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ص 6.

الجديدة، فتصبح أعداد الكليات، و أعداد المقاعد البيداغوجية هي المقياس شبه الوحيد الذي يتم التعاطي معه في هذا المضمار.

الأمر نفسه ينطبق على المؤشرات الخاصة بنشاط التكوين، إذ ينظر فيه بصورة شبه حصرية إلى أعداد الخريجين، و بشكل أقل إلى أعداد الأساتذة و المؤطرين<sup>1</sup>.

كما تظهر التقديرات الكمية مسيطرة في فلسفة الإدارة و التكوين، إن التصور الذي يتم اعتماده منطلقا يرمي إلى ضمان فرص متكافئة لتعليم كل الطلبة الوافدين كليات اللغة و الأدب العربي مهما كان عددهم و مستواهم المرجعي و خلفياتهم المعرفية السابقة، من دون ترك أي فوائض أو مخلفات.

إن تحقيق مستوى معقول من التوازن داخل هذا التخصص بزيادة التركيز و الدعم نحو الجوانب النوعية سيترك أثرا جيدا على سيرورة الأداء، و سيساهم في حل الكثير من المشاكل و التعقيدات، بما في ذلك المشاكل التنظيمية البحتة.

يتطلب الأمر، و خلال المراحل القادمة، إيلاء مزيد من العناية و بصورة تدريجية، نحو فتح فروع جديدة أصبح وجودها أكثر من ضرورة، و لا سيما العلوم اللسانية التطبيقية و فروعها الأساسية التي تحتاجها الدراسات اللسانية العربية بصورة عاجلة من أجل دفع هذا الميدان و تحقيق إنجازات ملموسة<sup>2</sup>.

يؤكد كثير من الباحثين على أهمية إضافة فروع مثل: صناعة وتحليل المدونات العربية<sup>3</sup>؛ فصناعة المدونات من البرامج الأساسية في كل اللسانيات العالمية، و يعد من أرسخ الجوانب

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية، ص 41-45.

<sup>2</sup> - محمد الملاخ و حافظ إسماعيلي علوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 19، 307-310.

<sup>3</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى، ص5، و: الملاخ و العلوي، قضايا إبستمولوجية، ص 303.

البحثية في الآونة الأخيرة<sup>1</sup>، كما يندمج معه بصورة مركزة البحوث النظرية و التطبيقية الخاصة بتأهيل و صيانة قواعد البيانات اللغوية الأساسية؛ المنطوقة و المحررة، داخل البيئة الرقمية.

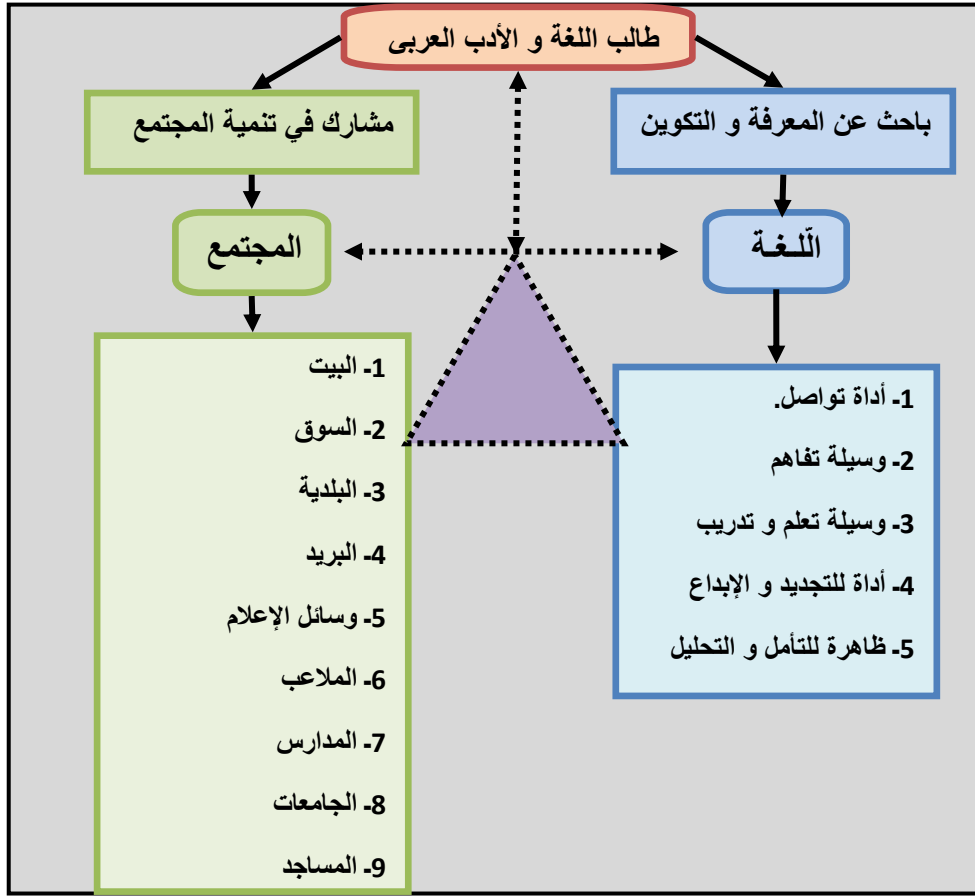
و من الأفكار المطروحة في هذا المجال، و يمكن أن تفيد في دعم الاتجاه النوعي في تكوين الطلاب، إضافة قسط محدد من الساعات البيداغوجية كجزء من متطلبات التخرج ينجزه الطلاب في شكل فرق و مجموعات صغيرة تحت بند الخدمة و التطوع لصالح المجتمع.

لقد طبقت الهيئة العلمية في جامعة حيفا بفلسطين هذا الاقتراح، و فرضت على كل طالب تقديم (120 ساعة) من العمل التطوعي الميداني لخدمة المجتمع يضاف إلى متطلبات نيل الشهادة النهائية.

بالنسبة إلينا يمكن أن نقترح على الطلاب العديد من الأفكار، و نضع بين أيديهم مجموعة من الاقتراحات المعقولة و البناءة التي يمكنهم إنجازها في ظروف عادية و خارج الضغوط و العراقيل الإجرائية و الإدارية.

و يمكن أن يكون التفكير في هذه الاقتراحات و الأفكار التي تبين وجوه الترابط و التلاحم بين اللغة العربية و المجتمع من جملة النشاطات البحثية و النقاشات التكوينية. و يمكن للجامعة ممثلة في كليات اللغة و الأدب العربي أن تضيف على منصاتهما في الإنترنت جانبا للمناقشة و الحوار و تبادل الأفكار و الآراء حول هذا الموضوع. المخطط الموالي يظهر نموذجا تصوريا لطبيعة العلاقة القائمة بين العوامل السابقة.

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: M Berns and K Matsuda, **Applied Linguistics: Overview and History**, Elsevier Encyclopedia of Language and linguistics, 2006, p 394-404.



شكل 12: العلاقات المترابطة بين اللغة و المجتمع و موقع الطالب داخلها.

### 3. التجديدات و الإضافات:

هناك إضافات و أفكار كثيرة يمكن أن تنقلنا في المراحل المقبلة من حالة التلقي و الاقتباس، التي لها إيجابيات، لكنها أحادية الجانب، إذ تقتصر على نشاط الاستقبال، و نحن نريد الانتقال إلى حالة الإنتاج و الاختراع و الاكتشاف العلمي في النطاق المحلي، و هو الأساس، و في النطاق الدولي.

و يقع جزء من هذا التطور المنشود في الأفكار و المقررات التكوينية التي نحضرها للطلاب الواعدين، هؤلاء الذين سيحملون مسؤوليات هذا النهج الجديد في اللسانيات العربية، و الفكر اللساني العربي المستقبلي.

إن التحديد ليس له حدود، و الإبداع ليس له جنسية، و السر خلف التطوير و الفعالية الإنجازية هو التحضير و الإعداد الملائم للأفراد القائمين على هذا الأمر.

أما الاقتراحات العامة التي يطالب كثير من الباحثين و المكونين بإيجادها في بيئة اللسانيات العربية باستمرار فيمكن ترتيبها على النحو الآتي:

1. البحوث المسحية.
2. بحوث المجالات العامة، و الفروع الجديدة.
3. تقارير و نشرات حول آخر التطورات العلمية؛ النظرية و التطبيقية.
- 4- قاعدة معلومات للعلماء و الخبراء و الأساتذة العرب، و غير العرب، مع توضيح الخلفيات العلمية، و التخصص الدقيق، و مجموع الأعمال العلمية، و موقع العمل، و عناوين المراسلة و التواصل<sup>1</sup>.
5. برامج الرصد و التسجيل المنظم و التدريجي للغة العربية المتداولة.
- 6- الترجمات المنتظمة للبحوث و الدراسات العالمية الرائدة حول اللغة العربية في كل المستويات التحليلية<sup>2</sup>.

الجانب الثاني: الإنجازات العلمية و البحثية.

أولاً: البحوث النظرية الأساسية.

إن النظريات لها أهمية خاصة في البحث العلمي، فهي القاعدة التي ينطلق منها النشاط المنهجي المنظم، و الطريق إلى الاكتشافات و الحقائق العلمية<sup>3</sup> و يمكن تعريف النظرية العلمية بأنها: «مجموعة من المصطلحات و التعريفات و الافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، تقترح رؤية منظمة للظاهرة، و ذلك بهدف عرضها و التنبؤ بمظاهرها»<sup>4</sup>. و قد لاحظ عدد

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي، ملاحظات أولى، ص 6.

<sup>2</sup> - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص 33-34.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3-1977م. ص5.

<sup>4</sup> - مورييس أنجرس، من هجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة للنشر، ط1-2004م، ص52.

من اللسانيين العرب المعاصرين الأهمية القصوى لهذا الجانب<sup>1</sup>، فلم يهملوا الالتفات المستمر إلى تزويد البحوث التطبيقية و الميدانية بما يكون مؤشرا تستضيء به في تحويل التصورات و الأفكار البحتة إلى عناصر تنفيذية قابلة للتطوير و التجديد.

و البحوث النظرية الأساسية تلعب دورا محوريا في اللسانيات العالمية، و قد تعاظمت قيمتها، و أصبح الإلحاح عليها، و الدعم المرافق لها من جهات رسمية و خاصة ظاهرة مميزة من ظواهر الاندماج و التكيف القوي بين برامج البحث اللغوي النظرية و تطبيقاتها الفعالة في المجالات الصناعية و التجارية و المعلوماتية؛ فلولا هذه الجهود المنظمة و العابرة للتخصصات لما كان هناك مجال للحديث عن ثورة الاتصالات الحديثة في الإنترنت و فروعها، و ثورة تكنولوجيا الصغائر (النانو)<sup>2</sup> و ما يسمى بالبرامج الذكية<sup>3</sup> التي تستغل الوسيط اللغوي إلى أبعد الحدود الممكنة في أجهزة الجوال و أشكال الحواسيب المختلفة؛ المحمولة و اللوحية و المتعددة الوسائط.

إن اللغة في المنظور العلمي اللساني الحالي هي وسيط اتصالي فائق الكفاءة<sup>4</sup>، و وسيط للتفاهم و التعارف و نقل المعلومات و الخبرات عابر للتخصصات و الحدود؛ الجغرافية و الفكرية و الأيديولوجية، تتحقق فيه هذه الصفات و المزايا الآنفة كصفة لازمة و أساسية، و تدخل في المجال الذي تتعين على الباحثين ملاحظته و رصده بالطرق و المناهج الملائمة<sup>5</sup>، و يتعين أن يتوجه قسم من تفكير الباحثين في المستقبل إلى تطوير أدوات و آليات و إجراءات

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق و الغرب: إيجابياته و سلبياته.

سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2- ص 267-280.

<sup>2</sup> - تكنولوجيا الصغائر (Nano Technology).

<sup>3</sup> - البرامج الرقمية الذكية (Smart Digital Programmes).

<sup>4</sup> - محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، ص 25-26.

<sup>5</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 10، 18-20، 24، 33.

الوصف و المراقبة<sup>1</sup> للظاهرة اللغوية بالنظر إلى حقيقة أن مجال تأثيرها و حركتها واسع النطاق.

يحاول المنظور المعرفي السائد في كثير من أدبيات البحث العلمي المعاصر أن يؤسس لمناهج و أنماط شاملة و تكاملية عابرة للتخصصات تتخذ اللغة البشرية وسيطا و عنصرا موحدًا<sup>2</sup>. و في إطار هذه المساعي تمت بلورة مجموعة من التنظيمات و التوجيهات الأساسية، يراد تعميمها و تحقيق إجماع و اتفاق واسع من طرف الباحثين على تبنيتها، و الالتزام بها، لتوحيد اللغة العلمية، و تحقيق مزيد من التطور و الرقي في فهم اللغة البشرية.

كل نظرية أو اقتراح أو إطار جديد ينبغي أن يقر-مبدئيا- بسعة الوعاء اللغوي الذي يعده مادة أولية ينطلق منها في إجراءاته<sup>3</sup>، و فيما يخص اللغة العربية، ينبغي أن تأخذ الجهود النظرية اللاحقة في الحسبان: اللغة الفصحى و لهجاتها و تنوعاتها الإقليمية و المحلية، و منظومة تراثها المحرر، و المنطوق الشفوي الباقية آثاره في ثلاث مدونات رئيسية هي:

1. قراءات القرآن الكريم المتواترة.

2. كثير من اللهجات العربية، و لا سيما لهجات القبائل و المناطق البدوية و النائية.

3- معظم التراث الشعبي، و لا سيما الشعر الشعبي النبطي و البدوي و الطبوع العربية الأخرى حسب البلدان؛ كالطابع الأندلسي في المغرب العربي<sup>4</sup>.

ثانيا: محاور الاهتمام في البحوث اللسانية العربية الأساسية.

<sup>1</sup> - نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، ص 36-38.

<sup>2</sup> - **Cognitive Linguistics**, William Croft and D. Alan Cruse, Cambridge

**Cognitive Linguistics**, Theo Univercity Press, 1<sup>st</sup> pub 2004, p1. و كذلك:

.Jonson et al, De Gruter, Berlin, 1st pub1999, p1-2.

<sup>3</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى، ص 1-6.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية الفصيحة المنطوقة و دورها في المجتمع العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة

العربية، ع 13- سنة 7- رجب 1432 هـ / جوان 2011م، ص 9-31.



## 1. نظرة عامة:

إن البحث الأساسي، يهدف إلى إعادة بناء منظومة التقصي و التحقيق من جذورها الأولى متخليا بصورة عامة عن القبليات و المسلمات المتداولة، في محاولة لبناء نظام جديد من الأوليات المكتفية برهاننا و إقناعا<sup>1</sup>، تكون أرضيتها من المعطيات و التصورات أوفى و أكمل.

أما التوقعات و الآفاق المعقودة على هذا المجال من البحوث، فينبغي القول إن لهذا النشاط الهام أبعاد الأثر في كسر الجمود و الروتين الذي يعصف بالبحث العلمي و يمنعه من التجديد<sup>2</sup>.

## 2. محاور الاهتمام النظرية؛ مجالات التغطية، و خيارات التطوير:

تشمل البحوث النظرية الأساسية محاور الاهتمام الآتية:

- ❖ تأسيس النظرية اللغوية العامة.
- ❖ تأسيس النظرية اللغوية الخاصة.
- ❖ إحياء و تطوير التراث اللغوي القديم.
- ❖ تحليل و تطوير اللسان العربي في مجال استعماله الحالي.

التفكير في بناء أنماط نظرية عامة تشتمل على ما هو ضروري من الأدوات التمثيلية و المنطقية هو الملحوظ المميز على برامج البحث اللساني في أرجاء العالم، و يمكن القول بأن مستقبل اللسانيات العربية يحتاج إلى تحريك هذا النمط من البحوث، لأن العقم، و التقطع المزمّن الذي تشهده التطبيقات العلاجية منذ سنوات عديدة يفسر- في واحدة من وجهات النظر- بأنه دليل على الخطأ، أو التصدع في الأطر النظرية التي اعتمدها هذا التطبيق

<sup>1</sup> - عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي، ص 5-8.

<sup>2</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص 10.

منطلقا لنشاطاته، و حينئذ، فإن المراجعة النظرية العميقة لا تعد مطلبا فحسب، بل هي ضرورة و أولوية.

إن حركة إحياء التراث اللغوي القديم هي اتجاه عالمي قوي<sup>1</sup> يستمد منطلقاته من حجة مفادها أن المستوى الذي بلغه الفكر اللساني العالمي حاليا هو نتيجة حتمية لمجموعة متوالية من الجهود ظهرت في فترات و مناطق مختلفة من العالم، و بما أننا لم نكتشف كل ما تضمنته هذه الجهود، و ما زلنا نحاول كشف أسرار البعض مما هو بين أيدينا منها، فإن تطوير البحث اللساني المعاصر محتاج بالضرورة إلى مراجعة و تحقيق مستمر يهدف إلى الكشف عن كل صغيرة و كبيرة من آراء و جهود العلماء السابقين، و محاولاتهم النظرية و التطبيقية في التعامل مع الظاهرة اللغوية<sup>2</sup>.

### ثالثا: البحوث التطبيقية.

هناك العديد من المؤشرات التي تؤكد و توضح نمو الاتجاه التطبيقي داخل جهود البحث العلمي المعاصرة، و من الجوانب التي ظهرت فيها محاولات تطبيقية مؤثرة على مشوار البحث في اللسانيات العربية نذكر ما يلي:

#### 1. التحليل المخبري للأصوات:

تمكن عدد من الباحثين العرب من إنشاء مخابر للتحليل العلمي للأصوات، و تم ذلك منذ فترة مبكرة نسبيا<sup>3</sup>، ابتداء من أوائل ستينات القرن العشرين، و خاصة في دول المغرب العربي، و تم تجهيز هذه المخابر بأحدث ما كان متوفرا من الآلات و الأجهزة المخصصة لهذا النوع من البحوث<sup>4</sup>، و حققت اللسانيات العربية طفرة و سبقا بفضل هذا التحليل المنهجي، إذ

<sup>1</sup> - نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، ص 33.

<sup>2</sup> - هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 13-14.

<sup>3</sup> - من أوائلها المخبر الذي أنشأه الأستاذ أحمد الأخضر غزال في المغرب، و معهد العلوم الصوتية و اللسانية في الجزائر.

<sup>4</sup> - منها مثلا: المموج (Kymograh): و هو عبارة عن أسطوانة تدور على نفسها، و عدد من اللاقطات التي تلتقط الصوت و تحوله إلى ريشات ترسم تلك الاهتزازات على الأسطوانة. المهزاز (Oscillograh): ريشاته عبارة

ظهرت لأول مرة، و بالدليل العلمي المخبري المقنع الدقة العالية التي اتسمت بها أوصاف اللغويين العرب الأوائل فيما يخص النظام الصوتي، وكذا النظام الصوتي الحرفي (الفونولوجي)<sup>1</sup>، و تُظهر النقاشات و الملاحق العلمية للملتقيات الدولية تقديرا، و اهتماما متزايدا بقيمة الجهود العربية في هذا المجال<sup>2</sup>. و لا شك أن الخطاب اللساني الذي اعتمد على المنهج التطبيقي في خطاب المجتمع العلمي المعاصر هو الذي ساعد على إخراج هذه الجهود من حضيض النسيان و قلة الاهتمام.

المخابر المنشأة سابقا، و التي أنشأت حديثا، تعكف على تجديد تجهيزاتها، حيث إن الآلات الحديثة تعمل مباشرة بواسطة برامج حاسوبية يمكن للباحث أن يعدلها أو يبينها بنفسه بالطرق الملائمة.

## 2. التحريات الميدانية:

إن البحث الميداني بوصفه منهجا و اختيارا في طريقة البحث و التحقيق يعد قديما في الحضارة العربية، و له عدد من الحالات و الشواهد التي تؤكد؛ فنحن نعلم بأن اللغويين الأوائل قد قاموا بحملة ميدانية واسعة المدى لجمع المادة اللغوية من مصادرها الطبيعية، و كانت عمليات التحري قائمة على مجموعة من الأسس و الضوابط المنهجية التي أسست لميدان اللسانيات الجغرافية العربية.

---

أشعة كاثودية، يتم الرسم المحاكي للصوت عن طريق الاحتكاك فتكون الرسوم عالية الدقة. و المطيف (Sonagraph): من أوائل الأجهزة الرائدة في مجال الصناعة الآلية للكلام. و هناك آلف إيفا ثلاثة التي تستخدم الطاقة الكهربائية. أنظر للتفصيل: عبد الرحمن الحاج صالح، تكنولوجيا اللغة و التراث اللغوي الأصيل، سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 270، 275.

<sup>1</sup> - أنظر البحث التالي: Hadj Salah Abd Al-Rahman, **LaNotion de Syllabe et La Theorie Cinetico-Impulsionnelle Des Phoneticines Arabes**, سلسلة بحوث

و دراسات في علوم اللسان (القسم الأجنبي)، ص 1-25.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع السابق، ص 31-33.

لقد دعت مجموعة من العلماء المعاصرين إلى إحياء هذا المنهج و تطويره و دعمه بالآلات و التجهيزات الحديثة التي تضمن الدقة و النجاحة العالية في النتائج، و يعد هذا الاقتراح من المبادئ الأساسية التي نادى إليها المدرسة الخليلية في العديد من المحافل و الملتقيات، و كتب الباحثون العرب المؤمنون بهذا الاتجاه بحثا و أنجزوا دراسات<sup>1</sup> تهدف إلى حشد المبررات المنطقية و الأدلة الموضوعية التي تقنع جمهور الباحثين العرب، و لا سيما النشطين في مجالات: اللسانيات الجغرافية، و المدونات، و اللهجات، بضرورة استئناف هذا المشروع الكبير، سعيا إلى قاعدة مترابطة و شاملة للتحريات الميدانية العربية، تتجاوز المشاريع و الأفكار القطرية، أو تلك المطروحة بصفة جد جزئية على مستوى جامعات أو معاهد منفردة.

و لا بد من القول بأن البحث الميداني المنتظم هو أبرز مميزات و مقاييس الحكم على البحوث المعاصرة، و هو الأساس في البحوث التطويرية و البحوث الأساسية؛ لأن كلا النوعين الأخيرين لا يقوم إلا على أساس متين قوامه الأول قواعد بيانات لغوية: واسعة المدى، شاملة في تغطيتها لكل وجوه الأداء اللغوية، مفهرسة و مبوبة، أو مخزنة بعناية في مواقع رقمية، و هو الاتجاه الحديث في هذا المجال.

### 1.1 مميزات البحث الميداني:

للبحث الميداني العديد من المميزات نلخص أبرزها فيما يلي:

- 1- قوّة الإقناع؛ نظرا لارتباط المادة بالواقع، و الاحتكاك المباشر مع الظاهرة محل الدراسة، فتقل الثغرات التي تتسلل منها ذاتية الباحث، و يصبح الحكم عليها أسهل.
- 2- وفرة المعطيات تضع خيارات عديدة للتحليل.
- 3- إمكانية- بل ضرورة- التعاون بين فرق الباحثين، و الاختصاصات و الفروع العلمية.
- 4- ثبات النتائج إلى مدد و آجال طويلة.

<sup>1</sup> - أنظر في هذا الصدد: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، مازن الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين و الرحاة العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي و مفهوم الفصاحة.

5- تعد نتائجها من الأسس و العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات و التدابير التنظيمية، و لا سيما التشريعات و التنظيمات الخاصة بالسياسة اللغوية في المرافق و القطاعات السيادية.

## 2.1. التحديات و الآفاق التي تواجه هذه البحوث:

نظرا للطبيعة الخاصة للبحوث الميدانية، و المتطلبات الاستثنائية التي تفرضها على المبادرين إليها، فإن هناك عددا من الصعوبات و العراقيل التي ينبغي التفتن لها و أخذها في الحسبان، لكي لا يتعرض مشروع البحث إلى حالات مثل: الانقطاعات المجهولة المصدر، توقفات لآجال غير معلومة، أو تأخر في التقدم إلى المراحل الإنجازية الكبرى.

تتلخص العوامل المشار إليها آنفا فيما يلي:

1- الدعم المادي و التقني و البشري؛ فمن الخطأ التصور بأن الإطار البشري الكفاء و المتجانس كاف وحده لإنجاز هذه البحوث، ذلك أشبه بمجموعة من البنائين المهرة يريدون أن يشيدوا ناطحة سحاب بأيديهم العارية، فهذه العقلية الحرفية التي لا تقيم الاعتبار اللازم للعتاد و التجهيزات و التحفيزات المادية، تختلف عن العقلية المهنية الاحترافية التي تضع كل عامل من العوامل السابقة في موقعه الصحيح لتتحرك عجلة الإنجاز و تصل إلى النتائج المرسومة في الآجال المعلومة.

2- الانقطاعات المتكررة لعدد غير مستقر من العوامل؛ سياسية، اقتصادية، و أمنية: فقد واجه مشروع الذخيرة العربية مشاكل من هذا النوع في مشواره، فخرجت العراق من طليعة الفاعلين بسبب ظروفها الأمنية، و كذلك الحال مع سوريا و لبنان في الآونة الأخيرة. و على العكس: دخلت المملكة العربية السعودية في طليعة الخط الداعم و لكن بتصورات و معطيات جديدة.

3- وجود فئة من الباحثين و المسؤولين غير مقتنعين بجدوى هذه المناهج؛ وقد أثبت الواقع أن نظرة البحث العلمي غالبا ما تكون مختلفة عن نظرة المسؤول الإداري، و كثيرا ما زعم الإداريون بأن الباحثين يقترحون أشياء خيالية و بعيدة كل البعد عن الواقع. و لكن، إذا كان

الواقع مليئًا بالإخفاقات و المشاكل، باعتراف المسؤولين أنفسهم، فمن التناقض الصارخ أن يقترح العلماء أشياء تفضي إلى الإبقاء على هذا الواقع.

4- بطء وتيرة الانجاز؛ و هو أمر طبيعي و عالمي، لكن الاستنتاج العام يفيد بأن البيئة الإدارية و الأكاديمية العربية ما زالت لم تتحضر بالصورة الملائمة لتقبل تبعات هذا النوع من البحوث، و خاصة في النطاق الموسع و الشامل.

#### رابعاً: التطبيقات التكنولوجية.

انتشرت التكنولوجيا و دخلت إلى كل جوانب و فروع البحث العلمي، و فرضت نفسها بقوتها الإجرائية و مفعولها العملي الذي يصعب إنكاره، و كانت لها منذ أواسط القرن العشرين مساهمات فعالة في نهضة العلوم اللسانية الحديثة؛ يشهد على ذلك بوضوح برنامج العمل التوليدي، و برنامج عمل اللسانيات التطبيقية.

#### 1. عوائق تطبيق التكنولوجيا في البيئة العربية:

تواجه الجهود الرامية إلى تفعيل التكنولوجيا لمصلحة البحث في اللغة العربية و قضاياها جملة من العوائق نلخصها فيما يلي:

1- مشكلة تكييف الميزان الصربي بصفة كاملة في البيئة البرمجية و خاصة في بحوث المعاجم.

2. التساهل و الإفراط في الاعتماد على النتائج الخام؛ و هذا واضح تماماً في البحوث التي اعتمدت المناهج الإحصائية، إذ قلما يُتبع الباحثون هذه النتائج بما هو ضروري من: التحليل و المقارنة و تنويع مصادر الاقتباس، تفادياً للتضليل الذي يُوقع فيه الاحتكام الجزافي إلى القيم الكمية؛ فهناك فرق كبير بين صحة العمليات الحسابية و الجبرية، و الوصول إلى استدلال مقنع في قضية ليست رياضية في الأساس، و تكتنفها العديد من العوامل.

3- ما زال هناك نقص واضح في برامج العربية المعدة للتخزين و الأرشفة و البحث التفصيلي في المادة الأولية، و كذا برامج النشر الإلكتروني للبحوث و الدراسات.

## 2. أبرز الملاحظات:

هناك العديد من الملاحظات و الآراء الوجيهة التي يتم تداولها بين الباحثين العرب فيما يخص الوضع الراهن لاستغلال التكنولوجيا بصفة عامة، و التكنولوجيا اللغوية بصفة خاصة، و يهمننا في هذا المكان أن نلفت النظر إلى الملاحظتين الآتيتين:

1- التكنولوجيا هي مجموعة وسائط مساعدة توفر: الجهد و الوقت و الكثير من المزايا و الخصائص التقنية المتقدمة. و مع ذلك، فإنها ليست بديلا عن نشاط التحليل و النقد و المراجعة و المقارنة، و غير ذلك من الإجراءات الأساسية التي يطلب من الباحث إنجازها في كل مرحلة من مراحل البحث، و نحتاج إلى التأكيد على أن التكنولوجيا هي مصدر أو وسيلة مساعدة في تناول الباحث، لكي نتفادى حالة الفوضى و الانتحال التي تكتسح البحوث العلمية المعاصرة، و العودة مرة أخرى إلى التركيز و الصرامة في التكوين، و لا سيما ما يتعلق بالمهارات البحثية.

2- يتوجب-بالنظر إلى الدور الوسيط الخاص- إدراج التكنولوجيا اللغوية كجزء من متطلبات التكوين في العلوم اللسانية و توفير الشروط الملائمة لتدريب الطلاب عليها.

المطلب الثاني: بناء منظومة التوقعات.

الجانب الأول: محاور العمل اللساني.

أولا: البرامج التكوينية.

ما زال التكوين الذي يحصل عليه الطالب في اللسانيات و مختلف فروعها غير كاف لمنحه العدة اللازمة للبحث و القراءة و الفهم<sup>1</sup>، و ما يحصل عليه الطالب من معلومات و معارف

<sup>1</sup> - سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص 35.

حول اللسانيات العربية و نشاط العلماء و الباحثين فيها قليل و لا يمكن أن يعول عليه في بناء المعرفة اللسانية باللغة العربية<sup>1</sup>، و هذا ينعكس على نشاط التفكير و الملاحظة، و نشاط اكتشاف المشاكل الحقيقية و الموضوعية التي تحيط باللغة العربية من حيث: طبيعة استعمالها، و انتشارها في المجتمعات العربية، و العوائق التي تقف أمام تعلمها و إتقانها في المدارس، و مشاكلها العلمية و الثقافية و الأيديولوجية في مناطق العالم المختلفة.

إن التنمية و التطوير في اللسانيات العربية، و ما يتوقع أن يحدثه هذا الأمر من تغييرات حاسمة و إيجابية في مراكز الاتصال اللغوية الحساسة في المجتمع، يحتاج إلى قاعدة متينة يرتقي عليها، و هذه القاعدة هي الإعداد و التأهيل الملائم للأفراد الذين يقفون على التحقيق و التدقيق في مصادر المعرفة اللسانية و مواردها<sup>2</sup>، و هم الذين يفهمون خصائصها و مجالاتها، و قوانين قوتها و ضعفها، و هم الذين يقترحون حلولاً لزيادة انتشارها و إنتاجها، و يقدمون التوصيات و النصائح لمن يهّمه أمر تعلمها و تعليمها، و يوفرّون البيانات و الإحصاءات الدقيقة لمن يسهر على التخطيط و الإعداد لبيئة لسانية فعالة و نموذجية تلعب فيها اللغة العربية دورها الوظيفي<sup>3</sup> كوسيط للتفاهم و التكامل و تبادل الخبرات و النقل الدقيق للمعلومات و التعبير الأمين عن الأفكار و الإبداعات.

إن كثيراً من الانتقادات الموجهة إلى البحث اللساني يمكن الرد عليها عملياً بإعادة الاعتبار لبرنامج تكوين الطلبة و الباحثين، تكويناً أساسياً، مرتكزاً على: المهارات البحثية، و المعرفة اللسانية المتكاملة التي تحمل التراث اللغوي العربي محله الذي يناسبه بوصفه منهلاً و مورداً للتحقيق و التطوير، و تحمل اللسانيات الحديثة محلها الذي يناسبها بوصفها مورداً للأفكار و

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية، ص 42-45.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 158-159.

<sup>3</sup> - أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية و النمطية، ص 12، 45.



المناهج و التصورات، مع التركيز في كلا الموردین على العناصر العملية التي أثبتت فعاليتها، و تم التحقق من ذلك بالأدلة و الشواهد المقنعة.

و يتطلب الأمر توازناً بين المعرفة العلمية في نطاقها النظري و التطبيقي، و ينبغي إشعار الطالب بهذا التوازن، و إحاطته علماً بأن الموازنة و المفاضلة بينهما عقيمة و غير مجدية، و لا تدخل في النقاش العلمي المتين.

ثانياً: البحوث الأساسية.

### 1. قواعد البيانات:

تتميز قواعد البيانات الحديثة بأنها: ذخيرة من المعلومات الموثوقة، ضخمة الحجم، قابلة للتوسيع و الامتداد، و إمكانية المواكبة و المراجعة و التصحيح، في إطار مفهوم الصيانة الدورية لقواعد البيانات<sup>1</sup>.

سُجّل اهتمام مبكر بإنجاز القواعد و المخازن الكبيرة للمعلومات و الوثائق العلمية و اللغوية بمختلف أنواعها و فروعها، و تزايد هذا الاهتمام بعد ظهور الإمكانيات التخزينية و التنظيمية الفائقة التي تمنحها الحواسيب لهذه العملية، و بعد ظهور مجالات الانتشار و التراسل و تبادل الوثائق و المخطوطات على نطاق عالمي بفضل خدمات الانترنت.

الملاحظة الأساسية أن الأفكار المطروحة في هذا المجال ما زالت محدودة الأفق، و فردية في الغالب، أما المشاريع المبرمجة و الأساسية فهي قليلة للغاية<sup>2</sup>، و لا توجد مؤشرات تفيد بوجود تكامل و تنسيق بين الجامعات و المجمع و الهيئات الراعية للغة العربية في توحيد جهودها الكثيرة المبذولة طوال خمسين سنة مضت في هذا المجال.

<sup>1</sup> - وليد أحمد العناتي، اللسانيات الحاسوبية العربية، ص 69.

<sup>2</sup> - نذكر منها: بنك باسم للمعلومات، و مؤسسة المنظومة (المملكة السعودية)، و بنك مكتب تنسيق التعريب في المغرب.

القواعد الأساسية التي يمكن أن تمثل فتحا هاما للسانيات العربية، و منطلقا إلى فضاءات و مجالات أرحب للأفكار. و المقترحات المقدمة على هذه القاعدة تتطلب النظر بصفة عاجلة و أساسية إلى أصناف محددة من قواعد البيانات، إما بإنشائها كمشاريع وطنية و قومية جديدة، أو البحث في طرق و حلول تنظيمية و تقنية لجمع المحاولات المتفرقة في كل قطر عربي داخل أرشيف عربي لساني موحد<sup>1</sup>. (أنظر المخطط الموالي).

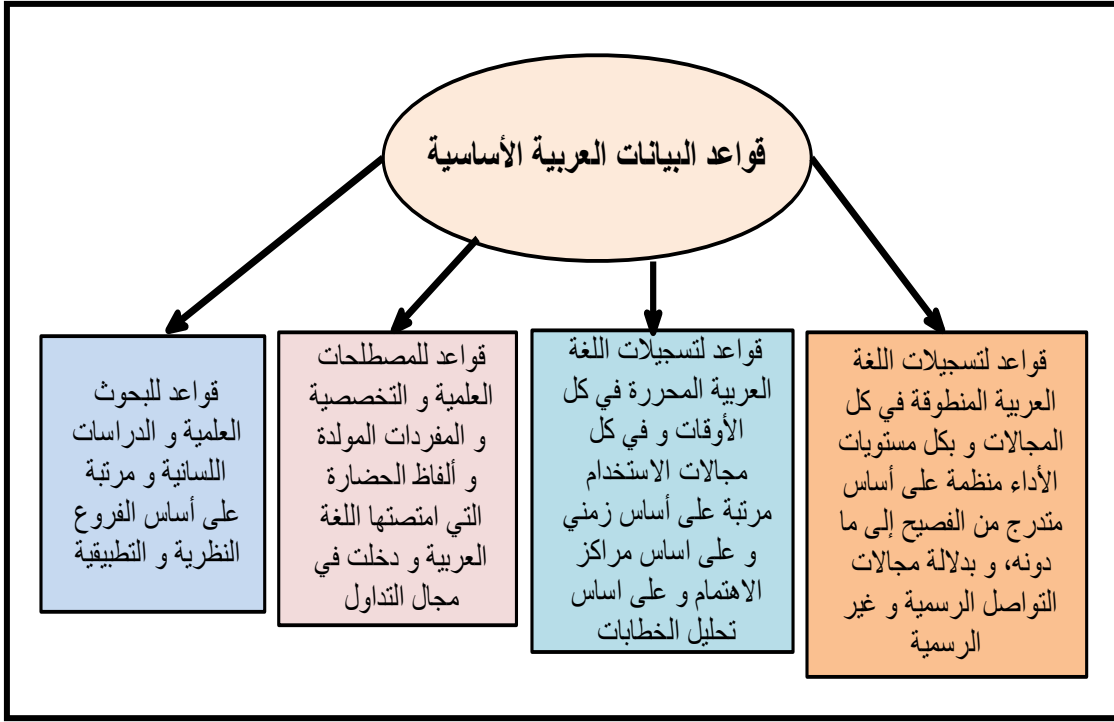
يقوم مشروع الذخيرة العربية المعلن عنه منذ أواسط الثمانينات على أساس أنه مشروع قومي يمثل بنكا رقميا للنصوص العربية بكل أنواعها و في كل فتراتهما مع إمكانات و حلول وافرة للبحث و الإحصاء و التعديل و الاقتباس و إضافة المعلومات الجديدة و مناقشة أصحاب المشاريع و المنظرين و المشرفين على البنك اللغوي في حد ذاتهم<sup>2</sup>.

و بقي هذا المشروع فريدا من نوعه في الوطن العربي، و ظل منغلقا بصورة مفرطة على الاستفادة من التجارب الأخرى الأصغر منه في مجال صناعة المحتوى بصورة عامة، و صناعة قواعد البيانات بصورة خاصة.

من جهة أخرى، هناك عشرات المشاريع الصغرى لصناعة المحتوى العربي بالطرق التقليدية، و بالطرق التقنية و الرقمية الحديثة، و في كل عام يقدم الباحثون بصفة فردية أو كفريق بحث صغيرة اقتراحات تشمل الجديد و المكرر، و قد تمكن عدد لا بأس به من هذه الاقتراحات من الوصول إلى المراحل الإنجازية القصوى، و تم إيجاد منصات عديدة للمحتوى العربي المتخصص في البيئة الرقمية، و تزايدت هذه المواقع خلال السنوات العشر الأخيرة.

<sup>1</sup> - العناتي، اللسانيات الحاسوبية العربية، ص 78-81.

<sup>2</sup> - أنظر في هذا الصدد: عبد الرحمن الحاج صالح: تقرير حول مستلزمات بناء قاعدة آلية للمفردات، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج1- ص 97-108. مشروع الذخيرة اللغوية العربية و أبعاده العلمية و التطبيقية، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 395-422. حوسبة التراث العربي و الإنتاج الفكري في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 148-157.



شكل 13: قواعد البيانات العربية الأساسية في برنامج العمل اللساني المقبل.

ثالثا: البحوث التطويرية.

### 1. المردودية الاتصالية:

كل لغة حية تزيد و تنمو بإنتاجها لمفردات و صيغ و مصطلحات جديدة تمكن ناطقيها من التعبير عن المستجدات الحضارية، و تمنحهم الفرص الكاملة لمواكبة التطورات العلمية و التكنولوجية و الثقافية.

و كلما ضعفت إمكانات اللغة على زيادة محصولها، و لا سيما في المفردات، ينعكس ذلك على عطائها و مرونتها الاتصالية، و بما أن تطوير المردود الاتصالي من أرسخ القضايا التي تشغل الخطاب اللساني العربي المعاصر، فمن المنطقي أن يكون لهذا المجال تأسيس و تأصيل أكثر بكثير من المحاولات و الجهود المتفرقة المبذولة حتى الآن<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، الرصيد اللغوي للطفل العربي و أهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو - الجزائر، ع1-2010م، ص 9-21.

أسباب جمود العربية حالياً، و ضعفها المتزايد في تغطية كثير من مناطق الاتصال الحيوية؛ في البحث العلمي المتخصص، و التعليم، و الإعلام، متفاوتة بحسب زاوية النظر التي ينظر منها الباحث إلى هذه الظاهرة؛ فهناك آراء ترجع هذا الأمر إلى تضيق الخناق على الطرق الطبيعية و الاجتماعية في تقبل المصطلحات الجديدة نظراً للإجراءات المعقدة التي تفرضها المجامع اللغوية، و البطء الشديد الذي يصحب تفعيلها في واقع الاستعمال<sup>1</sup>، ناهيك أن كثيراً من قرارات المجامع فيما يخص المفردات و المصطلحات المعربة ظلت حبراً على ورق، و لم يكتب لها القبول فالشروع و الانتشار.

بناء على ما سبق، استنتج بعض الباحثين، و بعض أعضاء المجامع اللغوية أنفسهم، أن نشاط المجامع غير كاف في تحقيق طفرة و نمو يناسب ما تحتاجه اللغة العربية حالياً<sup>2</sup>. كما أن شروط وضع المصطلحات و التعريب تحتاج إلى مراجعة تمكن من إضافة الأبعاد النفسية و الاجتماعية عند وضع المصطلحات و اقتراح المولدات الجديدة؛ لأن النظر إلى الاعتبارات اللغوية البحتة يقود غالباً إلى إهمال العوامل الأخرى التي تتحكم فعلياً في تقبل المصطلح الجديد و انتشاره.

## 2. توسيع مجال التداول:

يُقترح أن يكون من المفاتيح الموجهة لبرنامج التفكير و الانشغال اللساني العربي المقبل البحث الجاد في طرق و حلول علمية تجعل اللغة العربية قادرة على التواجد، و فرض نفسها، في كل المرافق و المؤسسات و المجالات الحيوية التي يرتادها المواطن العربي، و كل إنسان ينطق بهذه اللغة و يستعملها في أي مكان من العالم، هذا هو الهدف

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية الفصيحة المنطوقة و دورها في المجتمع العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 13- جوان 2011، ص 9-12.

<sup>2</sup> - عبد العزيز بن عبد الله، استراتيجية التعريب، مجلة اللسان العربي، مج 12- ج 1- 1975م، ص 5-6.

الكبير<sup>1</sup>، و الانشغال الذي نعتقد بأن على طلاب اللغة العربية و آدابها، و أولئك الباحثين المتخصصين في رصدها و ملاحظتها العلمية، أن يجتمعوا عليه، و تكامل جهودهم، و تكثر فيه نقاشاتهم و آراؤهم<sup>2</sup>؛ فإن هذا التركيز، و كثرة النقاش و تبادل الآراء، مع مزيد من نفي الشكوك، و رفض الأحكام المسبقة، و الرواسب القطرية و الأيديولوجية العقيمة، هو السبيل الواضح إلى تبيين الثراء المحقق في الخطاب اللساني العربي المعاصر، و استثماره و توجيهه نحو أهداف عملية تفيد المصلحة العامة.

### 3. التطبيقات التكنولوجية:

تشبه التكنولوجيا في حياتنا المعاصرة اللغة من عدة وجوه، فكلاهما يؤدي وظيفة الوساطة<sup>3</sup>، بمنحه إمكانيات ترجمة الفكر و الإبداع و العلم المجرد إلى خطاب أو جهاز يمكن تداوله و استعماله على نطاق واسع للغاية.

و هناك نقاشات مهمة تدور بين المختصين في الحقول العلمية حول طرق الاستغلال و الاستفادة المتبادلة بين مجال اللسانيات و فروعها النظرية و التطبيقية المختلفة مع البحوث التطويرية في التكنولوجيا و تطبيقاتها المتنامية و المتزايدة يوماً<sup>4</sup>، و من الواضح أن الاختصاص الفرعي المشترك المسمى باللسانيات الحاسوبية يغطي هامشاً قليلاً من مجمل المتطلبات و القضايا المطروحة في هذا الصدد، علماً أن هناك فروعاً تخصصية دقيقة نشأت مؤخراً داخل

<sup>1</sup> - حمزة الكتاني، قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداعات و التجديدات في مجال العلوم الطبية و الطبيعية، مجلة اللسان العربي، ع 43- 1997م، ص 21-23.

<sup>2</sup> - محمد يوسف حسن، في تمكين العربية من الأداء العملي و صياغة المصطلحات الحديثة، و سبل إشاعتها، مجلة اللسان العربي، ع 39- 1995م، ص 145-168.

<sup>3</sup> - ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، تر: أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1-2005م، ص 8، 294.

<sup>4</sup> - ختام سعيد سلمان، اللغة العربية و تحديات العصر، ص 6-7.

هذا الفرع الأخير، و يحاول كل منها أن يستقل بموضوعاته و مناهجه، من ذلك مثلا تخصص لسانيات المدونات، و لسانيات الإنترنت<sup>1</sup>.

كل ما سبق ينتهي بنا الى استنتاج أساسي بأهمية هذا الجانب من البحوث، و أنه أيضا من القضايا المفتاحية التي ينبغي أن توجه الخطط و البرامج التكوينية و البحثية السارية المفعول في اللسانيات العربية، و يتوقع أن يجلب مزيد من التركيز عليها تقديرا و انتباها الى هذا الميدان، بل يتوقع أن يجلب إليه أنظار و اهتمامات المسؤولين، و طلاب العلم من التخصصات الدقيقة و العلمية الذين يحتاجهم هذا الميدان كمورد أساسي لتحقيق التطوير المنشود خلال السنوات القادمة.

أما في بيئة اللسانيات العربية، و على مستوى الخطاب الاقتراحي و التنظيري، يلاحظ أن الاتفاق حول قيمة التكنولوجيا اللغوية، و طبيعة العلاقات التبادلية بين علوم اللسان النظرية و البحوث التطويرية على التطبيقات التكنولوجية المختلفة ما زال في منطقة وسطى، و ليس هناك مقدار كاف من الحسم أو الإجماع حول القضايا العامة فضلا عن المسائل الدقيقة و التفصيلية، و لا بد من القول بأن البيئة اللغوية العربية الحالية تظهر تقبلا بطيئا للمتغيرات الجديدة، و ليس هناك مرونة كافية للاندماج المريح داخل المجال العلمي العالمي الذي يصدر التطوير و التجديد يوميا بوتيرة فائقة السرعة.

لقد تم عقد مؤتمرات و ندوات دولية كبيرة لمناقشة إسهام التكنولوجيا في دراسة و تحليل اللغة العربية، و كذا طرق و كفاءات استغلال هذا الفتح العلمي في تعميق الصلة بين البحث العلمي اللغوي مع البيئة الصناعية و الاستثمارية العربية، و ظهرت أولى الجهود النموذجية في هذا الاتجاه منذ أواسط الثمانينات، و نلاحظ اليوم، بعد استقرار هذه

<sup>1</sup> - منصور الغامدي و محمد أنس الطويلة، ويكي عربي: مشروع إثراء المحتوى العلمي العربي على شبكة الإنترنت، مجموعة أبحاث مؤتمر المحتوى العربي في الإنترنت: التحديات و الطموحات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة السعودية، من 5 إلى 7 أكتوبر 2011م.

الفعاليات، و مقارنة مواضيعها و قضاياها المطروحة و خصائص اللغة العلمية المعتمدة فيها أن هناك حقا جانبا ضئيلا من التطور، و سيرورة العمل بطيئة و غير مجدية باعتراف المختصين.

و بالنسبة لمن عني بتحليل هذا الموضوع، كان هناك استنتاج رئيسي يترجم الحالة العامة يفيد بأن المجتمع العلمي النشط في هذا المجال يعمل بطريقة فردية و لا استفيد كثيرا من جهود الأفراد الآخرين، كما أن هناك نظاما طبقيا يتم تفعيله بطريقة آلية بحيث لا يوجد أي إمكانات لتعميق النقاش بين علماء اللسانيات العربية و خبراء الاتصالات و مهندسي الحاسوبيات، مع العلم أن هذا النوع من البحوث يتطلب تعاونا و تكاملا، بل يتطلب في كل مراحل تنسيقا عالي المستوى بين الاختصاصات المشاركة فيه<sup>1</sup>.

و رغم مرور ثلاثين سنة على هذه الاستنتاجات، فان خلاصة التحليل بعد استقراء ميدان التكنولوجيا اللغوية العربية هي نفس ذلك الجمود، و قلة النقاش و التراسل، و ضعف التنسيق بين الأفراد المتعددي الاختصاصات، و لا نستطيع - من وجهة نظرنا الخاصة- أن نسند هذه المظاهر إلى أسباب اجتماعية أو أخلاقية، كما ورد في التفسير الآنف الذكر، و لكن، من الواضح تماما أن ما يسد الطريق يتجاوز الأبعاد العلمية و المصطلحية و المهنية البحتة.

و من أجل ذلك كله نجد أنفسنا مضطرين مرة أخرى للتأكيد على ضرورة أخذ خطوات عملية فيما يخص التكوين العلمي الأساسي للطلاب في السنوات الجامعية الأولى بما يمكن من نشر المعرفة اللسانية العصرية و يتيح مناهجها و أدواتها، و يعرف بمصادرها، و يرشد الى قضاياها و مشاكلها<sup>2</sup>. مع التفتن الدائم لضرورة التركيز على: قيمة الروح العلمية و مزايا تقبل الرأي المخالف، و الفوائد المرجوة من بذل جهود أكبر لفهم الأفكار و الاقتراحات الجديدة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، العلاج الآلي للنصوص العربية و النظرية اللغوية: مبادئ و أفكار صادرة عن التجربة في الميدان، سلسلة بحوث و دراسات في علوم اللسان، ج1، ص 85 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - أحمد الملاخ و حافظ العلوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 303-310.

#### 4. برامج تعليم و تعلم اللغة العربية و التعليمية المقارنة:

ارتبطت اللسانيات في صيغتها الحديثة بقضايا تعلم اللغة البشرية و تعليمها، فكان أول الفروع التخصصية استقلالاً عن اللسانيات النظرية هو اللسانيات التعليمية<sup>1</sup>، و هو اختصاص يحظى بقبول و انتشار واسع، يفوق اللسانيات العامة في حد ذاتها، و كذلك الحال في الوطن العربي، و على الرغم من ذلك فإن حال تعلم اللغة العربية و تعليمها -بصورة عامة- لا يترجم كثافة البحوث المنجزة حوله، و لا يعكس وفرة الباحثين المشغولين على هذا المجال منذ ثلاثين سنة<sup>2</sup>.

و إذا اعتمدنا على الأدبيات التعليمية الصادرة مؤخراً، نرى اتجاهين أساسيين يقودان الفكر التربوي المعاصر: اتجاه صناعي براغماتي، و اتجاه ثقافي اجتماعي<sup>3</sup>. الاتجاه الأول: يتصور اللغة جهازاً يمكن عن طريق التعليم و التدريب المنهجي تطويره و تعظيم مفعوله، و العملية كلها تحتاج في أثناء التخطيط الى دراسة و موازنة دقيقة على أساس التكاليف و الأرباح؛ يمكن أن نفسر كلمة التكاليف في هذا التصور بأنها المستلزمات المادية للتطوير و البحث في وسائل و عتاد تعليم اللغات، و هذا الجانب مكلف بالتأكيد. أما الأرباح فيمكن تفسيرها من خلال الأفراد المتكويين الذين يقومون بمهام عملية مثل: الترجمة و التأليف و تبادل المعلومات و نقل الخبرات بواسطة عدد كبير من اللغات. و تفسر الأرباح أيضاً من خلال العتاد اللغوي الجديد، الذي يحتاج تطويره الى مختصين و متقنين لأكبر عدد ممكن من اللغات العالمية، و هناك تجربة مؤسسة حجر رشيد العالمية التي توضح أن الاستثمار في مجال تعليم اللغات بواسطة التكنولوجيا يمكن أن يكون مربحاً تجارياً بكل المقاييس.

<sup>1</sup> - M Berns and K Matsuda, **Applied Linguistics: Overview and History**, Elsevier, 2006, pp 394-405.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، علم تدريس اللغات و البحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، سلسلة بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 190، 199-204.

<sup>3</sup> - أنظر: مقال: التربية و التعليم، الموسوعة العربية العالمية، ج6، ص 204-207.



في الاتجاه الثاني: تستعمل اللغة كوسيلة لتمير و تسويغ الخطط و التدابير الإدارية و السياسية<sup>1</sup>، و يعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن هذا التصور يُقصي المفهوم العميق و الحقيقي للغة البشرية -من وجهة نظر علم اللسان- أكثر من التصور الأول، و هذا واضح تماما في بلداننا العربية، لأن اللغة العربية التي هي محصنة و محمية في معظم الدساتير بأعلى المراسيم يتم التعامل معها بإهمال شديد في المرافق الإدارية العليا كالمحاكم و البلديات و مؤسسات الخدمات الأساسية كالماء و الغاز و الكهرباء؛ فمن المنطقي أن ينعكس هذا الإهمال أكثر و أكثر في المرافق التكوينية و التأهيلية التي ليست مخرولة لأن تفرض عقوبات أو إجراءات صارمة على مخالفة اللغة الرسمية أو الوطنية.

إن هذا المجال هو مفتاح توجيهي كبير و خطير للغاية، نحتاجه بكل تأكيد في برامج اللسانيات العربية؛ تفكيرا و تأطيرا و تطورا، و نحتاج فيه الى التركيز على المناهج التطبيقية الجديدة مثل: التعليمية المقارنة و التعليمية النقدية.

و فكرنا اللساني منشغل حاليا بقضايا اللغة العربية، إذ هناك تدفق كمي، و كثير من الجهود و البحوث النوعية في هذا الإطار، و لذلك يمكن أن نقترح -زيادة على التركيز- أن يتم تبني هذا المجال -نظرا للمعطيات الموضوعية الآتية- موجهها رئيسيا ذا أولوية قصوى في برامج التكوين الخاصة باللغة العربية و آدابها من المراحل المبكرة قبل الجامعة، و ذلك أسوة حسنة بالتجربة البريطانية متمثلة في المجلس البريطاني للغة الإنجليزية، و بعض التجارب العالمية الأخرى الناجحة في شرق آسيا و شمال أوروبا، و التجربتين الكندية و الاسترالية الهامتين جدا في توضيح المحصول الوفير و الجيد الناتج عن تفعيل التكامل بين البحوث اللسانية النظرية و التطبيقية في تقوية و تطوير منظومة التعليم عموما، و مجال تعليم اللغات الوطنية و الأجنبية بصفة خاصة؛ فهناك في كل هذه التجارب و الجهود المستمرة دروس و ملاحظات و أشياء كثيرة لها قيمتها و وزنها الكبير إذا سلطنا الطرق الصحيحة لاستغلالها، و يجب أن

<sup>1</sup> B Spolsky and R D Lambert, **Language Planning and Policy: Models**, - Elsevier, pp 5283-5297.

نعلم بأننا لسنا حالة خاصة في التعلم و الاستفادة من غيرنا، بل في زماننا الحالي لا يوجد إطلاقاً أية أمة لا تستلهم و تستفيد من نظيراتها، و هناك من ينظر الى هذه المسألة نظرة تنافس و تحدد، و هناك من ينظر إليه نظرة تعاون و تكامل و عدالة في الفرص و شروط الحياة.

## الختام:

حاولت هذه الدراسة أن تقدم تناوُّلاً مختلفاً لقضية سبق لباحثين آخرين طرحها، إنها قضية التفكير اللساني في نطاقه العربي، و بسبب التركيز على الخمسين سنة الأخيرة و ما قبلها بقليل ناسب أن يضاف إلى عنوانها صفة المعاصرة.

و خلال فصولها الأربعة اقترحت منظومةً جديدةً للاتجاهات اللسانية في الوطن العربي ووضعت العديد من المعطيات المتفرقة في وحدة منسجمة، كما حاولت أن تُنصف كل الاتجاهات و الاقتراحات التي قل التنويه بها في خطابنا اللساني المعاصر، كالاتجاهات المهنية و الإجرائية و التكوينية و النقدية.

من جهة أخرى فتح هذا العمل المجال لرصد الآراء حول اللسانيات العربية و حول أمهات قضايا اللغة العربية التي تشكل رahnها بما يشتمل عليه من إيجابيات و سلبيات. كما وقفت أيضاً عند ملامح المستقبل و مؤشراتته في تصورات العقول اللسانية العربية.

و من المنطقي أن رحلةً حافلة و طويلة كهذه حقيقة بأن تزوّد الباحث بقائمة طويلة من الملاحظات و النتائج، لا بد أن نثبت أبرزها و أهمها في هذا المقام:

**1** إن مجاميع الرأي موجودة في كل اتجاه لساني، لكن النزعة الفردية تفرض نفسها في الخطاب المعلن؛ فكرة التأسيس مثلاً تسالم عليها جمهور كبير من اللسانيين، و هي في جوهرها واحدة، إذ تهدف إلى تحفيز العوامل المحيطة بالبحث و التكوين لتنشئة بيئة حاضنة للسانيات، قد تكون هذه البيئة هي عقول الطلاب و الباحثين، أو اللوائح و التدابير الإدارية، أو الهياكل و المؤسسات العلمية و الخدمية.

**2** تنقسم العوامل المؤثرة في التفكير اللساني العربي إلى قسمين؛ عوامل مهنية ترجع إلى نشاط الباحث و فعاليته الشخصية، و قدرته على المواكبة و التطوير الذاتي. و عوامل هيكلية تتلخص في دور البيئات المحيطة بهذا الفرد. يلاحظ باطراد أن للعوامل الثانية هيمنة واضحة على الأولى،

فمهما أظهر الباحث من نفسه الصرامة و الجدية، سيكون كمن يطحن الهواء و يخبز الماء، لا بد أن تضعه العوامل البيئية المتراصة في جوفها فتقلل من القيمة الإنجازية لجهوده.

3. البعد الكمي بوصفه مؤشرا على وجود التفكير اللساني العربي قائم و مكتفٍ ذاتيا، هناك إحصاءات عديدة أجريت في السنوات القليلة الأخيرة، تضعنا أمام حقيقة تفيد بأننا نواجه تضخما كميًا في كل الجوانب؛ عدد الدراسات و البحوث الجامعية، عدد الطلاب و الأساتذة، عدد الملتقيات و الندوات و الأيام الدراسية، لكن نوعية هذه المعطيات و قيمتها المعرفية هي محل النقاش و الجدل.

4. خلف التركيز المفرط على الكم، إهمال للنوع، أنتج حالة واسعة النطاق من تكرار البحوث و استنساخها، مع ضياع الضوابط المنهجية العامة، و ضوابط البحوث اللسانية بصورة خاصة.

5. يغلب على التفكير في اللغة العربية و قضاياها الراهنة ثلاثة أنماط؛ نمط صاعد يتجه إلى الانتشار و التوسع الخارجي، أو ربط البحث في اللغة العربية بنظائره حول العالم و نمط مقابل له يتجه إلى القضايا المحلية للغة و مردوديتها الاتصالية و ردود أفعال مستعملها، أما النمط الثالث فيحصر نشاطه في متن اللغة و بنيتها فلا يرى فيها إلا ظاهرة لسانية.

6. اعتمادا على آراء الباحثين فإن اللسانيات العربية المعاصرة ينبغي أن تقوم على جملة من المبادئ هي: الاستقلالية، القراءة و إعادة القراءة، الكفاية النظرية و المقارنة، التجسير بين مختلف الفروع العلمية، التخصص و البناء التراكمي.

7. يتأثر التفكير اللساني بالمؤثرات العالمية في العلم و التكنولوجيا و الحياة الثقافية تأثرا مباشرا بصورة انطباعية تنتج ردود أفعال متفرقة سرعان ما تضحل بظهور مستجدات أخرى.

8. يتخذ التفكير في اللغة العربية كقضية بحث أساسية مسلكين اثنين؛ تطوير فعاليتها و مردوديتها الاتصالية، و زيادة انتشارها و إشعاعها الدولي، مع تركيز واضح في الجانب الثاني على غير الناطقين بها من أبناء الجاليات العربية، و المسلمين حول العالم.

9. قلة المشاريع الأساسية و صعوبة العمل كفريق متجانس.

10. أحادية النظرة، بسبب انحصار البحوث من حيث المادة و المراجع في مجالات ضيقة، مع استفادة ضئيلة من التطورات الكبرى في العلوم اللسانية المعاصرة.

11. وجود فائض كمي كبير في بعض الجوانب لا سيما الصوتيات بفروعها و التحقيقات النحوية و البلاغية للأعلام الأوائل، و نتج عنه تكرار غير مبرر للكثير من الأعمال دون ملامح جديدة أو إضافات واضحة.

12. تركز معظم البحوث التراثية على الملامح الخارجية؛ السير الذاتية للعلماء، دور البيئة العلمية و الثقافية، الإنتاج الفكري. و قد غطت في ذلك نقصا واضحا، لكنها قلما تتطرق إلى تطور الأفكار، أو تربط فكر العلماء بما سبقهم و ما جاء بعدهم.

13. الكثير من الدراسات الحديثة حول اللغة العربية و لهجاتها و المحاولات الجادة لربطها بالتكنولوجيا حررت بلغات أجنبية، و هي غير مدرجة في قوائم مكاتب كليات اللغة و الأدب العربي.

14. حققت البحوث التطبيقية في مجال الصوتيات العربية التجريبية نتائج جديرة بالإشادة، و هناك عدد لا بأس به من الباحثين العرب المتخصصين في هذا الميدان أسسوا مخابر صوتية لائقة، في مقابل ذلك، ما زالت هذه الطفرة العلمية مكتنزة، بعيدا عن معرفة الطلاب، و لم تتمكن أي جهة لغوية من توظيفها و استثمارها، علما أن ذلك ممكن في التعليم و الإدارة و الإعلام و الاتصالات الحديثة.

15. ظهر اتجاه النقد اللساني في العقدين الأخيرين و هو يشق طريقه ببطء و لكن بأناة، و قد وضحت دراسات هذا الفرع العديد من الجوانب المهملة لا في نشاط البحث و التكوين فقط، بل و في منهجية التفكير و التعاطي مع الموضوعات.

16. انشغل اللسانيون العرب بإيجاد حلول لمشاكل ميدانهم، عبرنا عن هذه الانشغالات من خلال أنماط تفكير خمسة؛ نمط أول تنظيمي غرضه توسيع برنامج العمل و استحداث فروع تخصصية جديدة، نمط ثان تصنيفي يرمي إلى تقليل الاضطراب و صياغة وحدة عامة في

وجهات النظر، نمط ثالث مرجعي يدعو إلى التركيز على موضوع واحد هو اللغة العربية المستعملة، نمط رابع أفقي يزعم أن الحل هو البناء على الذخيرة التراثية، و نمط خامس عمودي يهدف إلى التماهي و الانصهار في تيار اللسانيات العالمية بكل الأبعاد.

و لا يتم هذا العمل بصورة مُرضية حتى نضع بين أيدي أهل الاختصاص و المعنيين بهذا الموضوع اقتراحاتنا و توصياتنا و هي كالآتي:

1. إن تكوين الجيل المقبل من الطلبة و الباحثين هو القاعدة الأساس لبناء ثقافة لسانية عربية موصولة ببيئتها، واعية بخصائص زمانها، فينبغي مراجعة خطة التكوين على مستوى الكليات و المعاهد اللغوية العربية بوضع الخصائص الثقافية و الاجتماعية للبيئة العربية في أعلى سلم الأولويات.

2. التركيز على تغطية النقص في الفروع اللسانية الجديدة؛ تكنولوجيا اللغة، تعليمية اللغات الحديثة، علم المدونات، الصوتيات و الفونولوجيا التجريبية، التاريخ العام و المقارن للغات. يتم ذلك بالتدرج، حسب مقتضيات كل كلية و إمكاناتها.

3. إظهار اهتمام أكبر بالسلاسل المبسطة للعلوم، و الأعمال الموسوعية التي انتشرت حول العالم، و أصبحت خير معين للباحثين و الطلاب.

4. عدم الفصل بين اللغة بوصفها ظاهرة جديدة بالدراسة، و اللغة بوصفها أداة فعالة لنقل المعرفة و نشر الثقافة، لأن للعلم أهدافا ذاتية خاصة به، و أهدافا عامة يشاطره في العناية بها فروع أخرى، كما أن فقدان المبرر الواقعي يضعف الحافز للتعلم لا سيما عند الطلاب الجدد، و قد يؤدي ذلك إلى إخماد النزعة الاستكشافية عندهم.

5. الموازنة بين المتطلبات الكمية و النوعية في برامج العمل الجماعية، و العناية بالأفق الإنجازي للمشاريع التطبيقية حتى لا تظل حبرا على ورق، فلا يشعر المسؤولون و لا عموم المواطنين بالقيمة الفعلية للبحث اللغوي الجاري.

6. إعداد كشّافات رقمية للسانيات العربية يضطلع بها خبراء في كل فرع، تظهر الترسّيمة الحقيقية لهذا القطاع المعرفي؛ أبرز علمائه مع سيرهم الذاتية و إنتاجهم الفكري و مقتطفات مصورة عن محاضراتهم و مداخلاتهم. الانتشار الجغرافي للمعاهد و الكليات العربية داخل الوطن العربي و خارجه، المعلومات الإلكترونية للتواصل و المراسلة و غير ذلك من الخدمات المفيدة.

7. تحاول كل كلية بالتنسيق مع الجامعة أن تضيف بندا يخص: ساعات التطوع لخدمة المجتمع، كجزء من متطلبات التخرج، يحاول فيه الطلاب ضمن مجموعات صغيرة أن يشاركوا في مرافق الحياة اليومية بخبرتهم اللغوية، ثم يعودوا إلى الكليات بملاحظاتهم و انشغالاتهم، فهكذا يعاد بالتدريج بناء الجسر بين الجامعة و المجتمع، و قد تلقى مثل هذه النشاطات عناية بعض أرباب المشاريع، ففتحت بابا للاستثمار في الموارد البشرية في وقت مناسب جدا من حياة الطلاب.

8. مراجعة تصنيف المكتبات في كليات اللغة و الأدب العربي، لتنتج على اللسانيات العالمية، و صياغة آليات للاستفادة من الكتاب الأجنبي، و من المفيد التنسيق بين كليات اللغات الأجنبية و الترجمة مع كليات اللغة العربية في هذا المجال.

و في الختام نقول: إن لكل أول آخر و لكل بداية نهاية، و في هذه المرحلة ينبغي أن نختتم رحلتنا لنضعها في رعاية أهل الاختصاص، و في تناول الأشخاص الذين فكروا و ما زالوا يفكرون في شأن اللسانيات العربية و مبلغ قيمتها، و كيف السبيل إلى تطوير مساهمتها في قضية العلوم و الثقافة العربية المعاصرة.

# مُلخَص الدَّرَاسَةِ بِاللُّغَةِ الأُجُنُبِيَّةِ



## **Résumé:**

### **La pensée linguistique arabe contemporaine.**

#### **Tendances, questions, et perspectives:**

#### **Étude analytique en fonction de la théorie de la connaissance.**

Cette étude suggère une tentative pour évaluer les principaux mentaux et les outils en charge qui sont obtenir au domaine de la linguistique arabe pondant les cinquante dernières années. Cette tentative dépendra de l'examen des travaux dans les principes d'un cadre technique le quelle et l'approche épistémologique. Grâce a ces opérations nous espérons de trouver les principes fondamentaux qui control les efforts dans ce domaine très variée, très large, et très rapide, notamment au quelque vent ans les plus récents.

Pour atteindre cet objectif, trois aspect principales son en cour de la vérification; le premier aspect mis on accent sur les tendances mises en valeur chez les chercheurs arabe, ceux-ci comprennent: les tendances constructivistes, opérationnels, professionnels, formatives, et critiques.

Le deuxième aspect concentré aux questions d'intérêt lesquelles mit en valeur dans les travaux linguistiques. A cet égard, on peut distinguer deux types d'enjeux; les premiers sont toujours au contact direct de la langue, autre mon dit, les travaux concernent le sens original de la linguistique. Les deuxièmes

enjeux essayé d'examiner les côtés structurels, administratifs, et les stratèges mis en charge pour déterminer les défis qui empêchent le développement progressive du domaine.

Le troisième aspect vis a couvrir les idées de façon futuriste qui inspire évidemment la majorité des chercheur en linguistique arabe, notamment au niveau international. Certain entre aux propose leurs propre prospectives a l'objectif de contribuer radicalement dans le mouvement moderne vis a l'élaboration des études en linguistique arabe, ce mouvement qui est entrain de grandir au cours des dernières années.

Retour au paradigme de guidage qui est le but pratique de l'étude présente, il doit être clair que les travaux scientifiques en linguistique arabe sont toujours sous contrôle de deux types des factures dominants; les facteurs internes et les facteurs externes.

Selon notre travail analysé sur les éléments précédents, nous pouvons affirmer comme conclusion finale que les facteurs externes régissent les facteurs internes dans la grande majorité des cas.

Enfin, notre grand espoir est que cette étude peut apporter des contributions concrètes dans le mouvement de développement de la linguistique arabe qui est très important non seulement pour le côté du monde arabe, mais certainement pour la société linguistique internationale.

**Abstract:**

**Contemporary Arabic Linguistic thinking.**

## **Trends, issues, and perspectives:**

### **Analytical study under the theory of knowledge framework.**

This study provides an attempt to assess the main efforts that are achieved in the domain of Arabic Linguistics during the past fifty years. by putting these works in the framework principles of the (theory of knowledge), we aim to explore the guiding paradigm which controlled the whole activities in this domain; researchers works, faculties and institutes measurements, and the overall actions from some institutions who sponsoring Arabic language and Culture.

To reach this goal, three main aspects of inquiry are under verification; the first one focus on trends of direction by which the researchers can determine some important choices, such as: objects of study, methodological ways of treating, and the principles of building their reasoning outcomes both in induction and deduction processes.

the second aspect concerned with the issues of interest, i.e. the problematic phenomenon that attracting great attention, in this area there are two main kinds of concerning phenomenon; those in direct relation with Arabic language, i.e. the Arabic as an object of study. And those in relation with Arabic linguistics itself.

the third aspect aim to drown upon futurist's ideas that inspiring many of active workers in the global scoop of Arabic

linguistics, some of them propose their own prospectives to contribute in the great movement of developing scientific studies in Arabic linguistics so grow up in recent years.

returning to the guiding paradigm which is the practical aim of study, it must be clear that scientific working in Arabic linguistics are always under control from two kinds of dominating factures; the internal factors, and the external factors.

According to our analytical work on the previous elements we can affirm as final realistic conclusion that external factors govern the internal ones in the great majority of cases.

Finally, our great hope is that this study can make some practical contributions in the movement of developing Arabic linguistics which is very important not only for the Arabic world side, but certainly for the international linguistic society.

# المصادر والمراجع

## . القرآن الكريم.

### \*المراجع العربية:

1. إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت، 1995م.
2. — ، العربية تاريخ و تطور، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م.
3. — ، من سعة العربية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1994م.
4. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ط2- 1996م.
5. أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، دار العمدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
6. أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المأنسة، القاهرة، 1939م.
7. أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة، 1995م.
8. أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ط1، 1996م.
9. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983م.
10. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، الدار البيضاء، ط1، 1985م.
11. — ، الوظيفة بين الكلية و النمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003م.
12. أحمد مختار عمر، الدراسات اللغوية عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م.
13. — ، العربية الصحيحة، — ، ط2، 1998م.
14. أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983م.
15. أحمد عبد الستار الجوارى، نحو التيسير منشورات المجمع العلمي العراقي، ط2-1984م.

16. أندريه مارتينييه، وظيفة الألسن و ديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، ديسمبر 2009م.

17. إدريس مقبول، الأسس الإبتيمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2006م.

18. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1929م.

19. أحمد الملاخ و حافظ إسماعيلي علوي، قضايا إبتيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.

20. أنيس فريجة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.

21. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.

22. بوبكر حسيني، النظام التركيبي للحركات العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م.

23. بوشنسكي إم، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزة قرني، عالم المعرفة، الكويت، ع 165، سبتمبر 1992م.

24. بيتر كونزمان و آخرون، أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط2- 2007م.

25. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994م.

26. — ، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.

27. التهامي الراجحي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة، سلسلة آفاق عربية، بغداد، ط2، 1986م.

28. توبي هف، فجر العلم الحديث، عالم المعرفة، الكويت، ع 260، أوت 2000م.

29. جاك موشر و أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة جماعية، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.

30. جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.

31. — ، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال،
32. جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2003م.
33. — ، الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية و تطبيقا، — ، ط1، 1995م.
34. جمعان بن عبد الكريم، التطور الإبتيمولوجي للخطاب اللساني: غموض الأوليات، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010م.
35. جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م.
36. جون ليونز، اللغة و علم اللغة، تر: مصطفى التوي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987م.
37. حاتم صالح الضامن، علم اللغة، جامعة بغداد، 1989م.
38. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته؛ دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان، ط1- 2009م.
39. حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1-2009م.
40. حامد بن أحمد الشنبري، النظام الصوتي للغة العربية، مركز اللغة العربية، جامعة القاهرة، 2004م.
41. حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي و التراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.
42. حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول و الثبات، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، ع 4، 1989م.
43. خالد كموني، المحاكاة؛ دراسة في فلسفة اللغة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2012م.
44. خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي، دار وائل، عمان، ط1، 2004م.
45. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.



46. دومينيك مانغونو، المصطلحات لتحليل الخطاب، تر: محمد يجياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م.
47. ديفيد كريستال، اللغة و الإنترنت، تر: أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م.
48. رمضان محمد جهيمة و أحمد عبد العالي هب الريح، التفاضل و التكامل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002م.
49. روبرت هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ع 227، نوفمبر، 1997م.
50. رومان ياكسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1-2002م.
51. رمون طحان و دنيز بيار طحان، اللغة العربية و تحديات العصر، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1984م.
52. سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات و مناقشات، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004م.
53. سمير شريف إستيتية، اللسانيات: المجال و الوظيفة و المنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008م.
54. سلامة موسى، البلاغة العصرية و اللغة العربية، دار المستقبل، الإسكندرية، ط2، 1964م.
55. شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية... يسقط سيويو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م.
56. صابر الحباشة، التداولية و الحجاج، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، ط1، 2008م.
57. طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
58. \_\_\_\_\_، تجديد المنهج في تقويم التراث، \_\_\_\_\_، ط2، 1994م.

59. طيب تيزيني، الفكر العربي في بواكيره و آفاقه الأولى، دار دمشق، ط1، 1982م.
60. الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م.
61. عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999م.
62. عالم سبيط النيلي، نظرية اللغة الموحدة، بغداد، 2002م.
63. عبد الحكيم راضي، نظريات اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.
64. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشدادى، بيت الفنون و العلوم و الآداب، الدار البيضاء، ط1، 2005م.
65. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007م.
66. ——— ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ———
67. ——— ، السماع اللغوي العلمي و مفهوم الفصاحة، ———
68. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط2، 1986م.
69. ——— ، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986م.
70. ——— ، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1-2010م.
71. ——— ، العربية و الإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1-2010م، ص183-184.
72. عبد السلام بنعبد العالي، الميتافيزيقا؛ العلم و الأيديولوجيا، دار الطليعة، بيروت، ط2،
73. عبد السلام هارون، تحقيق النصوص و نشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7-(1418هـ/1998م).
74. عبد العال سالم مكرم، الحلقة المفقودة في النحو العربي، مؤسسة الوحدة، الكويت، ط1، 1977م.

75. عبد العزيز شرف، الإعلام و لغة الحضارة، دار المعارف، القاهرة،
76. عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة و البيئة، منشورات الزمن، الرباط، ع 38، 2003م.
77. ———، المعجم العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986م.
78. ———، المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
79. ———، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة، —
80. ———، اللسانيات و اللغة العربية.
81. عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995م.
82. عبد الله العلي، ظاهرة العلم الحديث، عالم المعرفة، الكويت، ع 69، سبتمبر 1983م.
83. عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه و تطوره، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993م.
84. عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة و التجديد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1-2008م.
85. ———، نظريات التعلم و تطبيقاتها في علوم اللغة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2012م.
86. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي و تعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
87. عز الدين المجدوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998م.
88. عصام الدين محمد علي، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة، دار المعارف، الإسكندرية، 1986م.
89. علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية، مؤسسة المختار - مصر - ط1-2007م.
90. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، ط9، 2004م.

91. علي محمد الدرويش، أزمة اللغة و الترجمة و الهوية في عصر الإنترنت و الفضائيات و الإعلام الموجه، منشورات رايسكوب المحدودة، ملبورن-أستراليا، ط1-2005م.
92. عمر يوسف عكاشة، النحو الغائب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2003م.
93. غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م.
94. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، المجمع العلمي، بغداد، ط1، 2002م.
95. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للنشر، القاهرة، ط4، 2004م.
96. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها و أقسامها، دار الفكر-عمان-الأردن-ط2-2007م.
97. فخر الدين قباوة، التحليل النحوي؛ أصوله و أدلته، الشركة المصرية العالمية، ط1، 2002م.
98. فرانك كليش، ثورة الإنفوميديا، تر: حسام الدين زكرياء، عالم المعرفة، الكويت، ع 253، يناير 2000م.
99. فهد العرابي الحارثي، المعرفة قوة.. و الحرية أيضا، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1- (1431هـ/2010م).
100. فهمي سعيد و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط1 (1413هـ/1993م).
101. فرديناند دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، سلسلة آفاق عربية، بغداد- 1985م.
102. فيليب بروتون و جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة السعودية، ط1، 2011م.
103. فيليب بلانشيه، التداولية من أوسطن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2007م.
104. ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف-مصر-1983م.

105. كاترين فوك و بيارلي فوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف بن عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
106. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: بثينة أمير فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، 1968م.
107. كارل ديتر بونتج، المدخل إلى علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر، مصر، ط2- (1427هـ/2006م).
108. كريس هونر و إمريس ويستاكوت، التفكير فلسفياً، تر: ليلي الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م.
109. كريم زكي حسام الدين، العربية تطور و تاريخ، دط، دت.
110. كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر: شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، ع 82، أكتوبر 1984م.
111. لويس كالفلي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، المنظمة العربية للترجمة، ط2، بيروت، 2008م.
113. ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.
- 114- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان، دار طلاس للنشر، دمشق، 1988م.
115. مرزوق بن صنيتان، الفصحى و نظرية الفكر العامي، مطابع الفرزدق، الرياض، المملكة السعودية، ط1، 1988م.
116. محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، دت
117. محمد إبراهيم عبادة، النحو العربي: أصوله و أسسه و قضاياها و كتبه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.
118. محمد حسين عبد الله، التراث في رؤية عصرية، هيئة الكتاب، القاهرة، 1996م.
119. محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م.

120. — ، نحن و التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6، 1993م.
121. —، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2-1990م.
122. محمد عابد الجابري و آخرون، التواصل؛ نظريات و تطبيقات (ضمن سلسلة فكر و نقد)، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، لبنان، ط1-2010م.
123. محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006م.
124. محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 (1415هـ/1995م).
125. محمد سايبلا و عبد السلام بنعبد العالي، اللغة، سلسلة دفاتر فلسفية، ع5، دار توبقال، الدار البيضاء، ط4، 2005م.
126. محمد غاليم، النظرية اللسانية و الدلالة العربية المقارنة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2007م.
127. محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيوييه، دار يمامة، القاهرة، 2004م.
128. محمد محمد قاسم، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1986م.
129. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.، القاهرة، 1997م. وان للنشر، دمشق، ط1، 2008م.
130. محمد مصطفى، أسرار صناعة اللغة، كي
131. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء
132. محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط.
133. مسارع الراوي، اللغة العربية و الوعي القومي،
134. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة بيروت، ط1، 2005م.

135. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة و التكوين، شركة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
136. — ، اللسانيات العربية الحديثة: المصادر و الأسس النظرية و المنهجية، كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1998م.
137. — ، اللسانيات العربية: أسئلة المنهج، دار ورد للنشر، الأردن، ط1، 2013م.
138. ممدوح عبد الرحمن، العربية و الفكر النحوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1999م.
139. منصور الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1-2001م.
140. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2-1959م.
141. موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، تر: جماعية، دار القصة، الجزائر، ط1، 2004م.
142. ميشال زكرياء، مباحث في النظرية الألسنية و تعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط2، 1985م.
143. — ، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية، — ، 1986م.
144. — ، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية : النظرية الألسنية.
145. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2000م.
146. ناصر الدين الأسد، صادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط7-1988م.
147. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 9، سبتمبر 1978م. يناير، 2001م.
148. نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، ع 265، يناير، 2001م.

149. أبو الحسن علي الحسيني الندوي، التربية الإسلامية الحرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2-1397هـ / 1977م.
150. نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، عالم الكتب الجديد، إربد، الأردن، ط1، 2011م.
151. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2007م.
152. — ، نهاد الموسى، اللغة العربية في مرآة الآخر: مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1-2005م.
153. نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية-دمشق-ط1-2009م.
154. — ، اللغة و مشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1-1990م.
155. نيقولاس أوستلر، إمبراطورية الكلمة، تر: محمد توفيق البجرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2011م.
156. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ط1، 1988م.
157. هاري فلن درهالست و نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، تر: مبارك حنون و احمد العلوي، دراسات سال، الدار البيضاء، ط1، 1992م.

#### \*المقالات و الدراسات:

1. أحمد الأخضر غزال، فلسفة الحركات في اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، مج 10-ج1-1973، ص 66-71.
2. أحمد المتوكل، المنحى اللساني الوظيفي في الثقافة العربية، ضمن بحوث آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-2011م، ص 37-39.



3. إسماعيل حجير، من أجل مدقق إملائي حر المصدر، رسالة ماجستير، تخصص: علوم اللسان و التبليغ اللغوي، فرع العلاج الآلي للغة، مركز البحوث العلمية و التقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، السنة الجامعية: 2007-2008م.
4. توفيق قريرة، الترابط الذهني بين المستويات اللغوية، (آفاق اللسانيات)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-مارس 2011م، ص67-102.
5. جعفر دك الباب، المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب- الرباط- المغرب، ع 37-1993م.
6. ختام سعيد سلمان، اللغة العربية و تحديات العصر، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
7. ستار سعيد زويني، الوضع الاجتماعي للغة العربية و التخطيط اللغوي و الهوية الوطنية، أبحاث المؤتمر العالمي الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
8. سليمان حسيكي، واقع اللغة العربية في الإعلام المكتوب و المرئي و المسموع و الإلكتروني، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
9. صادق عسكري، التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية و آدابها، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
10. طه زروقي و محمد كبدياني، المدقق الإملائي العربي لمشروع أيسبل، بحوث الندوة الدولية حول الأداة المعلوماتية في خدمة اللغة العربية في مواجهة العولمة، جامعة أبو بكر بلقايد، نلمسان، الجزائر، من 15-16 نوفمبر 2008م.
11. طه عبد الرحمن، المنطق و النحو الصوري، دار الطليعة، بيروت، ط1-1983م.
12. عباس حسن، الدعوة إلى العامية و ترك الإعراب انتكاس في الجهالة و جناية على القومية، مجلة رسالة الإسلام، رقم 9، 1957م.

13. عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 12-13، 2007م.
14. عبد الرحمن الحاج صالح، أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع 2، 2011م.
15. — ، الرصيد اللغوي للطفل العربي و أهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع 1، 2010م.
16. — ، النظرية الخليلية الحديثة: مقدمة، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، كراسات المركز.
17. — ، اللغة العربية الفصيحة المنطوقة و دورها في المجتمع العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 13- سنة 7- رجب 1432 هـ / جوان 2011م، ص 9-31.
18. عبد العزيز بن عبد الله، استراتيجية التعريب، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، مج 12، ج 1، 1975م.
19. عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ندوة اللغة العربية و النظريات اللسانية، طلبة الآداب، فاس، المغرب، 21-22/11/2007م.
20. عبد الكريم اليافي، دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية، مجلة التراث العربي، دمشق، ع 13-14، 1984م.
21. عبد المجيد عيساني، الاكتساب اللغوي و الإعلام، مجلة الأثر: جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع 9، 2009م.
22. عبد الناصر كعدان، تدريس الطب باللغة العربية: التجربة السورية أنموذجا، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
23. عبد الواحد خيربي، نحو تصور جديد لبناء معجم اللغة العربية بهدف التعليم و الاستعمال، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 16، 2010م.

24. عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، ط1 (1402هـ/1982م).
25. عفاف البطاينة، واقع و مستقبل الكتابة و التأليف باللغة العربية، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
26. غنوة جلول، عصرنة تعلم الللغة العربية باستعمال الكمبيوتر و عبر الإنترنت، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
27. فاضل بنيان محمد، المكتبات المركزية و دورها في تعزيز مكانة اللغة العربية قديما و حديثا، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
28. فريدة بلفراق، واقع اللغة العربية في العلاقات الدولية و الدبلوماسية، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
29. قبايلي عبد الغاني، النظرية اللسانية العربية الحديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية عند مازن الوعر، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع 2، 2011م.
30. كمال فرات، التحليل الفيزيائي لتقييم إعادة التأهيل، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، كراسات المركز.
31. محمد بن محمود فجال، الظواهر اللغوية الحديثة في الشبكة العالمية و أثرها في الوظيفة التواصلية، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
32. محمد عبد الله الهادي، التراث بين القطيعة و التواصل (أبحاث المؤتمر الرابع لإقليم شرق الدلتا الثقافي)، دار ناشري، 2005م.
33. محمد غاليم، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، مجلة فكر و نقد، ع 96، مارس 2008م.
34. —، هندسة التوازي النحوية و بنية الذهن المعرفية، ضمن (آفاق اللسانيات)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-مارس 2011م، ص 51-66.
35. مراد عباس، مفاهيم حول تشفير الكلام، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، كراسات المركز.

36. مصطفى غلفان، تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي و المتطلبات العلمية، سلسلة آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1-2011م، ص 43.
37. — ، اللسانيات العربية ما بين البحث العلمي و تهافت التهافت، مجلة دراسات أدبية و لسانية، فاس، المغرب، ع3 (1986م)، ص 57-110.
38. محمد محمد داود، علاقة اللغة العربية بالسيادة الوطنية و الهوية، أبحاث المؤتمر الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012م.
39. ندى غنيم و أميمة الدكاك، اللغة العربية و الحاسوب: الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية، ماي 2008م، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.
40. وليد أحمد العناتي، اللسانيات الحاسوبية و اللغة العربية: المفهوم، التطبيقات، الجدوى، مجلة الزرقاء للبحوث و الدراسات، الأردن، مج 7، ع 2، 2005م.
41. — ، نحو بناء قاعدة بيانات لللسانيات الحاسوبية العربية، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع 14-15، 2009م.
42. يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي: اتجاهاته و مضامينه، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، ع 18، 2007م.

#### \*الأجنبية:

- 1\_ Chadly Fitouri, La Langue Arabes Dans Les Relations Internationales, Revue de L'occident Musulman et de La Médeteranée, N°20, 1975.
- 2\_ Khaoula Taleb Ibrahimy: Les Algérienne et Leures Langues, Deuxième édition, El hikma, Alger, 1992.
- 3\_ M L Gregory, Information Theory, Encyclopidia of Language & Linguistics, Elsiwier, UK, 2nd Edu, 2006, pp 683-685.
- 4\_ G Graffi, 20Th-Century linguistics : Overview of Trends, Elsevier, 2006, PP181-194.
- 5\_ Arab Media Outlook 2009-1-2013, Neilson group of research.
- 6\_ M Berns & K Matsuda, **Applied Linguistics : Overview & History**, Elsevier Encyclopidia, 2006, pp 394-404.

7\_ S Prochazka, Arabic, Encyclopedia of Language and Linguistics, Elsevier, 2<sup>nd</sup> ed, 2006, pp 424.

8\_ Mark D. Houser, Noam Chomsky, W. Tecumseh Fitch, "The Faculty of Language: What is it, Who Has it, and How it Evolve", Science Magazine, Vol 298, 22-11-2002, pp 1569-1579.

9\_ **Evolution, Brain, and The Nature of Language**, Trends in cognitive sciences, February 2013, vol 17, n02, p 89-98.

10\_ Steven Pinker, Ray Jackendoff, "The Faculty of Language: What's Special about it?", elsevier cognition n 95 (2005), pp 201-236.

### \*المراجع الأجنبية:

1\_ Alaa Elgibali, Understanding Arabic: Essays in Contemporary Arabic Linguistics in Honor of Elsaid Badawwi, The American university in Cairo Press, Cairo, 1996.

2\_ Areyh Levin, Arabic Linguistics Thought and Dialectology, Academon press, Jerusalem, 1998.

3\_ B. Spolsky & R. D. Lambert, Language Planning and Policy, Elsevier, 2<sup>nd</sup> Edu, 2006, p568.

4\_ Jonathan Owens, A linguistic Theory of Arabic, Oxford university Press, 1st Pub, 2006.

5\_ Karin C. Riding, **A Reference Grammar Of Modern Standard Arabic**, Cambridge University Press, 2005.

7\_ Kassm M. Wahba and Zeinab A. Taha and Liz England, Handbook For Arabic Language Teaching Professionals in The 21<sup>st</sup> Century, Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey, 2006.

8\_ M. G. Carter, Sibawayhi, Oxford center for Islamic Studies, 2004.

9\_ Mahdi Alish, Using Arabic: A guide to Contemporary Usage, Cambridge university Press, 1<sup>st</sup> Pub, 2005.

10\_ Nizar Habash, Introduction to Arabic Natural Language Processing, Morgan and Claypod Publishers, New York, 2010.

11\_ Neil Smith, Chomsky ; Ideas and Ideals, Cambridge University Press, 2<sup>nd</sup> Edition- 2002.

12\_ Peter Abboud and Ernest N. Mc Crous, Elementary Modern Standard ; Arabic, Cambridge University Press, 1999.

13\_ R. Kirk Belnab and Niloofar Haeri, Structuralist Studies in Arabic Language, Brill, Leiden, 1997.

14\_ Reem Bassiouney and E. Graham Katz, Arabic language and Linguistics, Georgetown university press, usa, 2012.

15\_ Robert Audi, Epistimology: A Contomporary Introduction to The Theory of Knowledge, Routledge 3<sup>rd</sup> Pub, 2011.

16\_ Seven Berncker and Duncan Pritchard, The Routledge Compnion to Epistimology, Routledge 1<sup>st</sup> Pub, 2011.

17\_ Zeinab Ibrahim and Sanaa A. M. Nakhoulf, Linguistics in An Age of Globalization: Perspectives on Arabic Language and Linguistics, American university in Cairo, Cairo, 2008.

### \*الدوريات و الموسوعات:

#### \*العربية:

1. مركز دراسات الوحدة العربية، اللسان العربي و إشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العربي، ع 55، بيروت، ط1، 2007م.

2 الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث الأدبي و اللغوي في الدراسات الحديثة، جامعة الملك سعود، المملكة السعودية، 25-27/2/2014م.

3 ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، برعاية اليونسكو، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1-1991م.

4. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط2 (1424هـ / 2003م).

5. المعجم الفلسفي، مجمع القاهرة، المطبعة الأميرية، ط(1402هـ / 1983م).

#### \*الأجنبية:

1\_ Encyclopedia of Language and Linguistics, Elsevier, UK, 2<sup>nd</sup> Edu, 2006.

2\_ Encyclopedia of Language and Education, Springer-education, Philadelphia, 2<sup>nd</sup> Edu, 2008.

3\_ Routledge Dictionary of Language and Linguistics (Gregory .p et Al), Routledge 1st Pub, 1996.

4\_ Arab Media Outlook 2009-2013 : Inspiring local content : Forcates and Analyse of Traditional and Digital Media in Arab World.

5\_ James Simpson, The routledge handbook of applied linguistics, 1st edu, 2011.

6\_ The MIT Encyclopedia of The Cognitive Scences, Robrt A. Wilson and Frank C. Keil, 1<sup>st</sup> press 2001.

# مُلْحَقُ الْجَدَاوِلِ وَالْأَشْكَالِ



## -الجداول:

- 1-خطوات الطريقة الفرضية الاستنتاجية.....15
- 2-العلم و نظرية المعرفة العلمية: جوانب الاتفاق و الاختلاف.....17
- 3-جهود عربية في تطبيق المقاربة المعرفية.....27
- 4-الأساس المرحلي في تشكيل نظرية تصافر القرائن.....41
- 5-عبارات تدل على فكرة السبق و أخرى على فكرة التشابه.....215
- 6-بصمة اللغات واسعة الانتشار على الإنترنت.....252
- 7-نماذج من محركات البحث العربية الخاصة.....317
- 8-التذبذب و فقدان التوازن في معطيات اللغة العربية على الإنترنت.....333
- 9-المرافق العلمية و الثقافية الداعمة للغة العربية و آدابها.....348

## -الأشكال:

- 1-أنماط التفكير اللساني في قضايا اللغة العربية.....32
- 2-نموذج الحل التنظيمي.....36
- 3-نموذج الحل التصنيفي.....37
- 4-نموذج الحل المرجعي.....38
- 5-نموذج التركيز الأفقي.....39
- 6-نموذج التركيز العمودي.....40
- 7-أقسام النظرية اللغوية في التراث العربي.....64

- 8- نماذج من الاقتراحات الصورية لتحليل التراكيب العربية.....66
- 9- مستويات اللسان العربي حسب النظرية الخيلية الحديثة.....78
- 10- تصور القراءة الإسقاطية داخل الاتجاه النقدي.....194
- 11- مستويات الكلام العربي حسب النظرية الخيلية الحديثة.....240
- 12- العلاقات المترابطة بين اللغة و المجتمع و موقع الطالب داخلها.....358
- 13- قواعد البيانات العربية الأساسية في برنامج العمل المقبل.....372

# فهرسُ الموضوعات

\*مقدمة.....أ- و

## الفصل الأول:

### المقاربة المعرفية في التفكير اللساني العربي المعاصر.

- \*المبحث الأول: ملاحظات أساسية حول نظرية المعرفة العلمية.....10
- أولاً: نظرة عامة.....10
- \*المبحث الثاني: الجهود العربية في تطبيق المقاربة المعرفية.....18
- \*المبحث الثالث: المقاربة المعرفية في هذه الدراسة.....29
- أولاً: الإطار المعرفي للتفكير اللساني في قضايا اللغة العربية.....29
- ثانياً: الأنماط الثلاثة للتفكير في قضايا اللغة العربية.....30
- ثالثاً: بناء منظومة التوقعات.....34
- \*المبحث الرابع: تقييم المقاربة المعرفية في التفكير اللساني العربي المعاصر.....41

## الفصل الثاني:

### اتجاهات التفكير اللساني العربي المعاصر.

- المبحث الأول: الاتجاه التأسيسي.....45
- \*المطلب الأول: وجود الفكر التأسيسي.....45
- \*المطلب الثاني: مفهوم التأسيس.....54
- \*المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات التأسيسية.....56
- \*المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات.....58
- \*المطلب الخامس: تقييم الاتجاه التأسيسي.....91
- المبحث الثاني: الاتجاه الإجرائي.....100
- \*المطلب الأول: وجود الفكر الإجرائي.....100
- أولاً: البحث عن القوانين العامة في إطار النظرة التعميمية.....100
- ثانياً: التطوير المستمر للأدوات و الإجراءات.....103
- ثالثاً: التركيز على العناصر القابلة للتنفيذ.....105
- \*المطلب الثاني: فكرة الإجراء و التطبيق.....109

110.....	*المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات الإجرائية.....
110.....	أولاً: التحري الميداني.....
113.....	ثانياً: الاختبار و التجريب.....
114.....	ثالثاً: التكميم الرياضي.....
116.....	*المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات الإجرائية.....
116.....	أولاً: مشروع الرصيد الوظيفي لأطفال المغرب العربي.....
119.....	ثانياً: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية.....
119.....	ثالثاً: مشروع الذخيرة العربية أو الإنترنت العربي.....
123.....	*المطلب الخامس: تقييم الاتجاه الإجرائي.....
126.....	المبحث الثالث: الاتجاه التكويني.....
126.....	*المطلب الأول: وجود الفكر التكويني.....
136.....	*المطلب الثاني: الأطر و الأطروحات التكوينية.....
137.....	أولاً: اللسانيات باعتبارها مدخلا إلى الحداثة الغربية.....
138.....	ثانياً: اللسانيات باعتبارها وسيطا فعالا في تحقيق التجسير العلمي و الثقافي...
138.....	*المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات التكوينية.....
138.....	أولاً: معجم اللسانيات.....
140.....	ثانياً: المعهد العالي للسانيات العامة و العربية.....
141.....	*المطلب الرابع: تقييم الاتجاه التكويني.....
148.....	المبحث الرابع: الاتجاه المهني.....
148.....	*المطلب الأول: وجود الفكر المهني في اللسانيات العربية.....
156.....	*المطلب الثاني: مفهوم التفكير المهني.....
159.....	*المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات المهنية.....
159.....	أولاً: التنسيق بين البحث النظري و البحث التطبيقي.....
160.....	ثانياً: التمييز بين الغايات النفعية و الذاتية للبحث العلمي.....
162.....	ثالثاً: شمولية التصفح.....
162.....	1-التأكد من صحة الأخبار و الروايات.....

- 2- الاستيفاء و الإحاطة فيما يخص المراجع و المصادر.....164
- 3- التجرد في الفهم.....165
- 4- اتباع الخطوات المنهجية السليمة في تحليل النصوص.....166
- \*المطلب الرابع: تقييم الاتجاه المهني.....175
- .المبحث الخامس: الاتجاه النقدي.....179
- \*المطلب الأول: وجود الفكر النقدي في اللسانيات العربية.....179
- \*المطلب الثاني: مفهوم النقد اللساني.....182
- \*المطلب الثالث: الأطر و الأطروحات النقدية.....184
- أولاً: نقد التراث اللغوي العربي.....184
- 1- القراءة التماثلية: أو القراءة البحتة.....184
- 2- القراءة الإسقاطية.....188
- 3- القراءة الوظيفية.....194
- 4- القراءة النمذجية.....195
- 5- القراءة التحقيقية.....197
- ثانياً: نقد الفكر النقدي (إبستمولوجيا النقد اللساني).....201
- \*المطلب الرابع: المشاريع و الاقتراحات النقدية.....207
- أولاً: مستويات الكتابة اللسانية العربية.....207
- ثانياً: مميزات الكتابة اللسانية حسب المستويات.....210
- ثالثاً: الملاحظات النقدية.....211
- \*المطلب الخامس: تقييم الاتجاه النقدي.....218

### الفصل الثالث:

#### قضايا التفكير اللساني العربي المعاصر.

- .المبحث الأول: قضايا اللغة العربية.....222
- \*المطلب الأول: اللسانيات و اللغة العربية.....222
- 1- استفادة اللغة العربية من نتائج البحوث اللسانية.....224
- 2- التحقيقات اللسانية و تطبيقها في تعليم اللغة العربية و تطوير بيئتها التقنية.....235

- 247.....المطلب الثالث: اللغة العربية و العولمة.\*
- 247.....المطلب الرابع: اللغة العربية في الفضاء الرقمي.\*
- 254.....المطلب الخامس: اللغة العربية في تطبيقات تكنولوجيا المعلومات.....\*
- 259.....المطلب السادس: تعريب المعرفة العلمية.....\*
- 261.....المطلب السابع: السياسات و التدابير الخاصة باللغة العربية.....\*
- 263.....المطلب الثامن: التقويم المعرفي للجهود اللسانية في خدمة اللغة العربية..\*
- 266.....المبحث الثاني: قضايا اللسانيات العربية.....\*
- 266.....نظرة عامة.....\*
- 269.....المطلب الأول: مميزات اللسانيات العربية.....\*
- 269.....أولا: الاستقلالية.....\*
- 270.....ثانيا: القراءة و إعادة القراءة.....\*
- 271.....ثالثا: الكفاية النظرية و المقارنة.....\*
- 272.....رابعا: التجسير بين مختلف الفروع العلمية.....\*
- 274.....خامسا: التخصص و البناء التراكمي.....\*
- 275.....المطلب الثاني: حدود اللسانيات العربية.....\*
- 278.....أولا: صياغة النظريات القابلة للاستغلال الواسع النطاق.....\*
- 279.....ثانيا: التطبيقات التعليمية و التكنولوجية الخاصة باللغة العربية.....\*
- 280.....المطلب الثالث: البحث العلمي في اللسانيات العربية.....\*
- 281.....أولا: العوامل النفسية و الحضارية.....\*
- 281.....ثانيا: العوامل التكوينية.....\*
- 284.....ثالثا: الخلافات العلمية و الصراعات الأيديولوجية.....\*
- 290.....رابعا: التصورات و المناهج الإجرائية غير المتطابقة.....\*
- 292.....خامسا: لغة الكتابة العلمية.....\*
- 298.....المطلب الرابع: تقويم تجربة اللسانيات العربية.....\*

#### الفصل الرابع:

آفاق التفكير اللساني العربي المعاصر.

- 308.....المبحث الأول: تنظيم مصادر المعلومات.
- 308.....\*المطلب الأول: المصادر الأساسية.
- 308.....أولاً: ثلاث مصادر أساسية.
- 310.....ثانياً: العلاقات القائمة بين المصادر الأساسية.
- 312.....ثالثاً: فرص و مجالات الاستفادة.
- 313.....\*المطلب الثاني: المصادر الجديدة.
- 314.....أولاً: التكنولوجيا و تطبيقاتها.
- 315.....1-فرص و آفاق استغلال التطبيقات التكنولوجية.
- 316.....1-1-محركات البحث العامة و الخاصة.
- 317.....1-2-مواقع الرصد و تخزين البيانات.
- 318.....1-3-المواقع المختصة في الإعلانات و الاستضافات.
- 319.....1-4-المواقع الشخصية للباحثين و العلماء.
- 319.....1-5-المواقع الرسمية.
- 320.....1-6-مواقع المنتديات المختصة.
- 321.....2-التحديات و الصعوبات.
- 323.....3-تقييم استغلال المصدر التكنولوجي.
- 324.....ثانياً: لغة الإنترنت.
- 326.....1-التضخم الكمي في مقابل الترددي النوعي.
- 331.....2-واقع البحث العلمي و الدراسات العربية حول لغة الإنترنت.
- 335.....3-تقييم مصدر بحوث الإنترنت في اللسانيات العربية.
- 336.....\*المطلب الثالث: المصادر المتجددة.
- 337.....أولاً: الملاحظات الأساسية حول هذا النوع من المصادر.
- 337.....ثانياً: رصد أهم عناصر التجديد.
- 338.....1-تطور الطرح التوليدي.
- 340.....2-اقتراح القدرة اللغوية الخاصة.
- 342.....3-النظرية التوليفية (الدلالة التصورية).



346.....	المبحث الثاني: الحركة المستقبلية.....
346.....	*المطلب الأول: تحليل الواقع اللساني العربي.....
347.....	. الجانب الأول: الإنجازات الهيكلية و التنظيمية.....
359.....	. الجانب الثاني: الإنجازات العلمية و البحثية.....
359.....	<u>أولا:</u> البحوث النظرية الأساسية.....
361.....	<u>ثانيا:</u> محاور الاهتمام في البحوث اللسانية العربية الأساسية.....
363.....	<u>ثالثا:</u> البحوث التطبيقية.....
363.....	1- التحليل المخبري للأصوات.....
364.....	2- التحريات الميدانية.....
367.....	<u>رابعا:</u> التطبيقات التكنولوجية.....
368.....	*المطلب الثاني: بناء منظومة التوقعات.....
368.....	. الجانب الأول: محاور العمل اللساني.....
368.....	<u>أولا:</u> البرامج التكوينية.....
370.....	<u>ثانيا:</u> البحوث الأساسية.....
370.....	1- قواعد البيانات.....
372.....	<u>ثالثا:</u> البحوث التطويرية.....
372.....	1- المردودية الاتصالية.....
373.....	2- توسيع مجال التداول.....
374.....	3- التطبيقات التكنولوجية.....
377.....	4- برامج تعلم اللغة العربية و تعليمها و التعليمية المقارنة.....
380.....	*الخاتمة.....
387.....	*ملخص الدراسة باللغة الأجنبية.....
392.....	*قائمة المصادر و المراجع.....
411.....	*ملحق الجداول و الأشكال.....
414.....	*فهرس الموضوعات.....